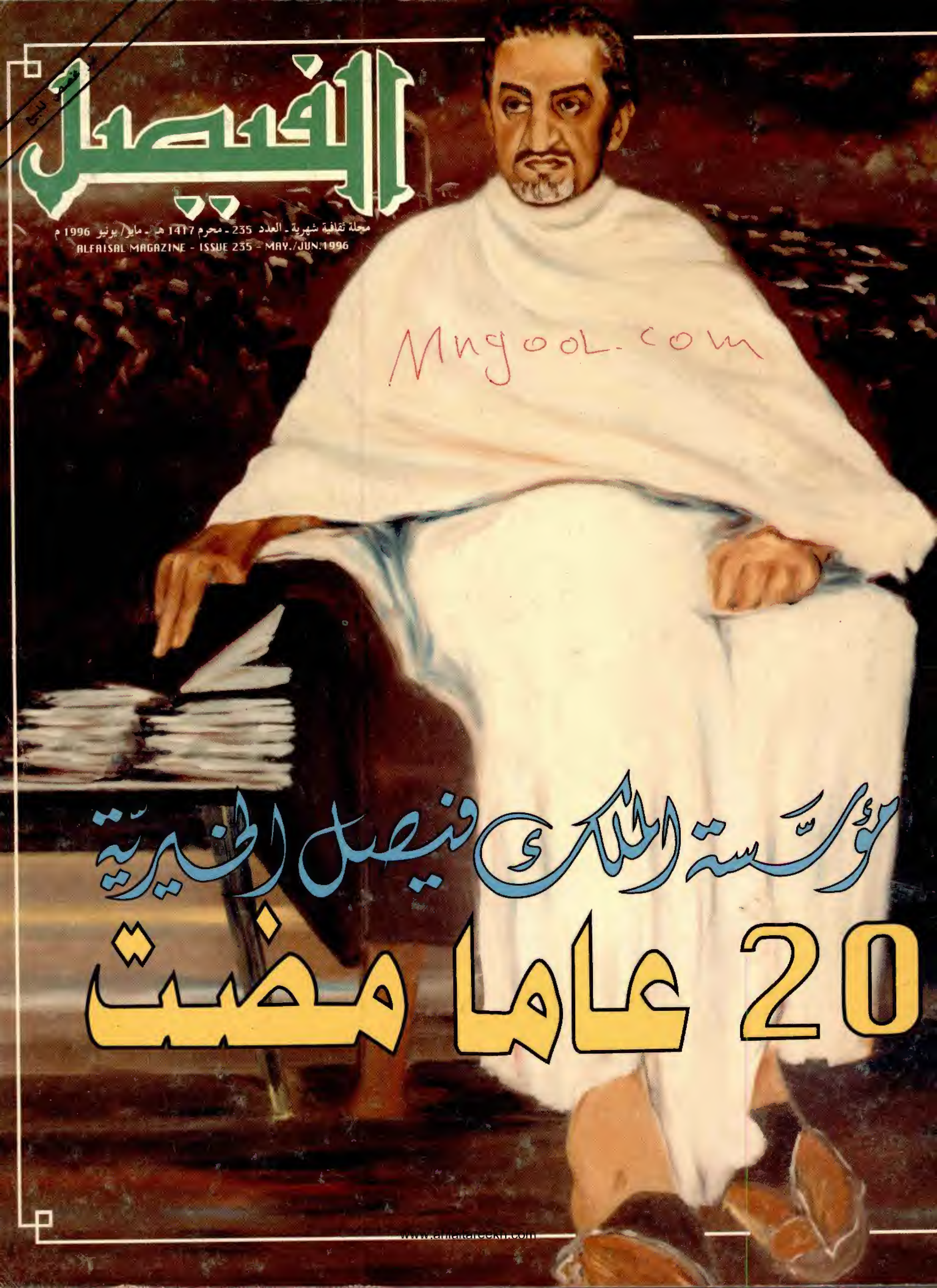
الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد 235 - محرم 1417 هـ - مايو/ يونيو 1996 م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 235 - MAY./JUN.1996



مؤسسة الملك فيصل الخيرية

20 عاما مضت

كتاب «الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية»

لمؤلفه محمد بن بير علي البركلي الرومي، محيي الدين، الذي عاش من سنة 929هـ حتى سنة 981هـ.

يشتمل الكتاب على كثير من الشعائر والتقاليد والأخلاق الإسلامية، ويستمد مادته من سيرة الرسول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، لذا يصنفه بعض المكتبيين في السيرة النبوية.

هذه النسخة من الكتاب مكتوبة بشكل متميز سعى الناسخ ـ الذي لم يذكر اسمه، من خلالها ـ إلى إخراجها بشكل هندسي استرعى بصر القارئ، وذلك حينما أضاف في هوامش الصفحات بعض النقول من الشروح المختلفة للكتاب وكتبها داخل جداول وأطر متناسقة في سطور مائلة.

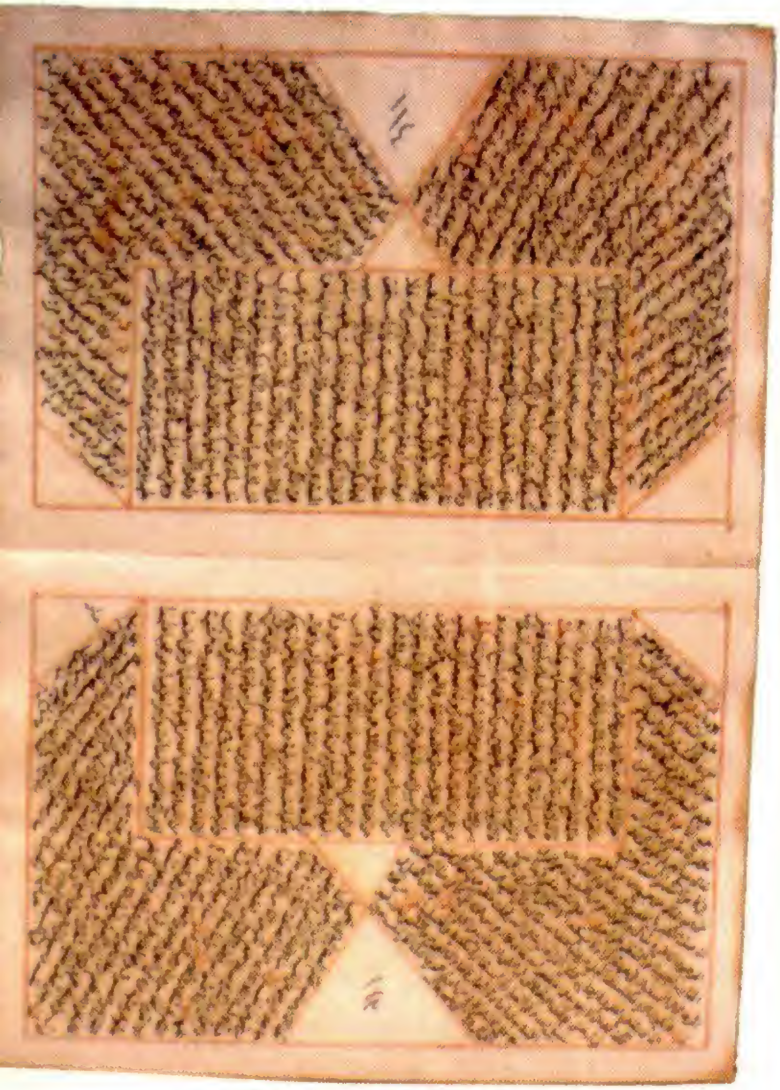
تقع النسخة في 137ورقة.

الملاحظ أن الناسخ لم يقدر له إتمام كتابة هذه الهوامش والشروح، ومن ثم لم يرد ذكر اسمه في آخر المخطوطة، كما لم يذكر تاريخ فراغه من الكتابة. والمرجح أن تكون في القرن الثالث عشر الهجري. والله أعلم.

المخطوطة من مقتنيات مكتبة جامعة الملك سعود

إعداد:

أبو زكريا صالح بن سليمان الحجي



(للحفاظ على شكل المخطوطة وضعت الصورة بشكل عمودي)

في العدد القادم:

- الفيصل بن عبد العزيز.. في صور
- الترجمة: ما لها وما عليها (ملف خاص)
- ملامح من الفكر التربوي عند ابن خلدون

البريد

أين الفيصل في ليبيا ؟

أثني على جهودكم في إصدار هذه الدرة، هذه المطبوعة المستنيرة، وما تحمله من أدب رائع وفكر بديع. ولكن للأسف، لا تصلنا في الجماهيرية الليبية، إذ إنني أحصل على بعض أعدادها من أصدقائي الذين يسافرون إلى الخارج ويعودون ومعهم «الفيصل». آمل أن تقوموا بترتيب وسيلة توزيعها في ليبيا، حتى يمكن الحصول عليها بصورة منتظمة.

فرج مفتاح بالحسن
بن وليد ص ب 38876، ليبيا

عروبة الأرقام أم غربتها ؟

لماذا تحولت الفيصل، واستبدلت الأرقام التي يستخدمها الغرب بالأرقام المعروفة عند العرب. مهما يقال عن «عروبة» الأرقام المستخدمة في الغرب حاليًا، و«هندية» الأرقام المعروفة عند العرب، فإن هذه الأخيرة اصطبغت بالصبغة العربية، وأصبحت دارجة في المحيط العربي والإسلامي.. لذلك أناشد «الفيصل» التي نعتز بوجهها العربي الإسلامي، العودة إلى الأرقام المعروفة.

هارون المسالمة
حي الروضة، درعا، سورية

مبادرة منتظرة من «الفيصل»

أقدر فيكم الحماسة الفياضة لدعم الثقافة الإسلامية الخالصة ونشرها، إلى جانب الموضوعات المتنوعة التي تحفل بها «الفيصل»، ولا سيما الإطلالة، التي تنطلق دومًا من أهمية التراث المجيد والدعوة إلى دراسته وهضمه والاستفادة منه في مجالات الحضارة والتقدم العلمي الزاخر... ولما كانت لدي ثقة في اهتمامكم بكل ما يخدم التراث ويوسع دائرة انتشاره، أتطلع إلى أن تتبنوا مبادرة لتحقيق وطباعة أثر علمي مهم جدًا، هو كتاب: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» وهو مخطوط في 27 مجلدًا ويعدّ موسوعة علمية جامعة... حبذا لو مكنتم الأجيال الجديدة من هذا الأثر القيم.

صالح بن عبد الجليل
بلدة مساكن، الساحل التونسي، تونس

في السوق السوداء !

مع أن سعر مجلة «الفيصل» المحدد في الغلاف أقل بكثير جدًا من أسعار مطبوعات أخرى لا تدانيها في المستوى والمضمون الثقافي، إلا أننا نشعر بأن سعر المجلة أصبح مرهقًا؛ لأن السعر الذي يعرضه الباعة مناف لما هو محدد في الصفحة رقم 145.

ياسر قسم الخالد
الخرطوم، السودان

تساؤلات حيرى

لديّ بعض الأعمال الأدبية في مجالات القصة القصيرة والرواية والشعر والمقالة. وهو نتاج خاص؛ لأنني أحتفظ بما أكتب من دون البحث عن منافذ للنشر. والحقيقة إنني غير مطلع على متطلبات النشر ولا عن كيفية تقديم نتاجي إلى دور النشر، وهل يحتاج الأمر إلى تزكية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فمن يزكي ناشئًا مثلي؟ وما السبيل إلى أن يرى نتاج الأدباء الشبان النور؟ إنني عبر «الفيصل» أناشد دور النشر في العالم الإسلامي: أرشدوني، وخذوا بيدي.

زين محمد
D. 1136 كراتشي، باكستان

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على بعضها الآخر للقراء
يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح
فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

العدد 235 ـ السنة 20 ـ محرم 1417هـ ـ مايو/ يونيو 1996م

الفيصل.. الملك الإنسان



كان الفيصل بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ إنسانًا فريدًا لم يبطره الملك، أو يغرّه السلطان، وكان مسلمًا تقيًا، وسع قلبه هموم العالم الإسلامي كله. لذا ستظل شخصيته ـ كما وصفها ابنه الأمير خالد الفيصل ـ: «كنزًا ثريًا بالعطاء لكل الباحثين في سيرة عباقرة الحكام المسلمين الذين عاشوا في بساطة الزاهدين، وأمان العادلين، يُحكّمون شرع الله في كل أمورهم». ومن أجل المحافظة على المبادئ التي نادى بها الراحل العظيم، سعى أبناؤه ـ حفظهم الله ـ إلى إنشاء مؤسسة تحمل اسمه، وتسير على نهجه في نفع المسلمين، والبر بهم، ونشر دعوة الله في الآفاق.

وقد كان..

ففي ١٩ جمادى الأولى ١٣٩٦هـ أصدر الملك خالد بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ مرسومًا ملكيًا بإنشاء المؤسسة، وكان كذلك أول المتبرعين لها.

عن الفيصل الملك الشهيد، والمؤسسة التي تحمل اسمه، وتحظى بكل دعم وتأييد من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ يحفظه الله ـ، طالع ملفًا خاصًا.

لوحة الغلاف من إبداع الأمير الفنان خالد الفيصل بن عبد العزيز

ص 7

مستقبل أطفال العالم.. إلى أين؟



مستقبل العالم هو مستقبل الطفولة، سواء كان مشرقًا أم قاتمًا. ولكن بحساب الأرقام والإحصاءات الموثقة، يعيش الأطفال في غالبية الدول كارثة صامتة، والمجتمع الدولي مشغول عن هذه الكارثة التي تسري وتنتشر.. ويخشى أن يجني العالم اليوم عواقب عدم المبالاة بقضية الأطفال. فالواقع يستصرخ: ٢٠٠ ألف طفل يقحمون في حروب العصابات، ١٥٠ مليون طفل لا يجدون ما يطعمون، ٣٠ مليون طفل يهيمون على وجوههم بلا رعاية، ١٠٠ مليون طفل ليس باستطاعتهم اللحاق بركب الدراسة.. درويش إبراهيم يوسف يتقصى ما وراء هذه الأرقام.

طالع ص 86

النعناع.. نكهة ودواء



كثيرًا ما تأتي البحوث الطبية الحديثة لتدعم اعتقادات شعبية وتصورات وممارسات تخص مواد معينة كانت تستخدم في التطبيب والعلاج التقليدي. وإذا كان القدماء توصلوا إلى ما توصلوا إليه من طريق التجربة، وربما من طريق الفراسة؛ فإن علم الصيدلة الحديثة أخضعها لبحوث دقيقة. من تلك المواد «النعناع» الذي تتكشف مع الأيام استخداماته الطبية المتعددة.. د. محيي الدين لبنية يناقش هذا الموضوع في مقالة بعنوان: «النعناع مذاق ونكهة ودواء».

طالع ص 102

ملف خاص

مؤسسة الملك فيصل الخيرية.. عشرون عامًا مضت

الفيصل.. الملك الإنسان (إطلالة)	خالد الفيصل بن عبد العزيز	6
مؤسسة الملك فيصل الخيرية.. المنهج والمسار	إعداد: قسم التحرير	8
الملك فيصل: فرع مثمر في دوحة باسقة، وقلب وسع هموم المسلمين	إعداد: قسم الدراسات والاستطلاعات	15
الفيصل وسر عظمته	مصطفى مقبول حلاوة	25
قراءة في مرثية	عبد الرحمن مطلق الحوراني	29

أدب وفكر

الحرب في شريعة اليهود: غموض وتناقض.. وأنواع!	د. حسن ظاظا	35
انحرف النقد إلى الشكلية والمجاملة ففقد أصالته	د. عبد الحميد إبراهيم	40
معنى أن الأرجل منصوبة في آية الوضوء (صداع العقول)	الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري	48
تقدم الإنسان .. من أين يبدأ؟	د. عبد الكريم بكار	55
الكيلاني وباكثير.. على أسوار دمشق	أحمد فضل شبلول	67
الأدب المغربي والشعور بالغربة	عبد السلام فزازي	82
النقد والاتجاه اللغوي	د. حسن بن فهد الهويمل	83
العقوبات في النظام الجنائي الإسلامي (آفاق اجتماعية)	د. تماضر حسون	107

لغة

لغة وظيفية أم تعليم وظيفي؟	شريف بوشحدان	44

بيئة

أرضنا الغاضبة (نافذة على ثقافة العالم)	تأليف: إسحق آسيموف وفريديريك بول عرض: د توفيق علي منصور	92

تراث وتاريخ

الحضارات تسقط بالانتحار الداخلي!!	د. خالص جلبي	58
حين يقلب الدهر ظهر المجن (قصة قصيدة)	د. محمود جبر الربداوي	62

رئيس التحرير
د. زيد بن عبد المحسن الحسين

من نوادر التصنيف: المزاح في المزاح 99

كتب التراث بين السلب والإيجاب:
اقتراحات وحلول — محمد سعيد المولوي 108

شخصيات

د. عمر بن قينة: لماذا تراجع دور النقد
في حياتنا الأدبية (حوار مع) — أجراه: محمد الصادق عبد اللطيف 51

أنطوان تشيكوف: تخلى عن المبضع
وامتشق القلم — محمد جميل فضلية 73

تدريس اللغة الأجنبية فن لا يجيده
كثيرون (من تجاربهم) — محمد وليد سابق 76

شعر وقصة

أصدقائي الصغار (قصيدة) — د. غازي مختار طليمات 65

لادو وكاكا (قصة قصيرة) — محيي الدين فارس 100

جعفر الطيار (قصة قصيرة) — متولي أحمد الشافعي 116

الأبواب والزوايا الثابتة

العالم قريتي 32

الطريق إلى الله: عالمة الذرة
كريستين هلين: دراستها قربتها من الله 64

طريق الهدى — د. صالح بن فوزان الفوزان 66

من المكتبة السعودية 80

دائرة المعارف: المربون المسلمون
الحلقة الأولى — إعداد: الزبير مهداد 111

الحركة الثقافية في شهر 118

كتب وردت 131

المسابقة 132

الاستراحة 134

تباشير: خاطرتان أدبيتان 136

ردود خاصة 138

مناقشات وتعليقات 140

على موعد: الكلمة المكتوبة — د. حلمي محمد القاعود 146

من كتاب العدد



محمد بن علي القعطبي

- من مواليد المدينة المنورة 1383هـ.
- حاصل على بكالوريوس اللغة العربية من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.
- عمل مدرساً للغة العربية في المعهد العلمي في المدينة المنورة، ثم في معهد إمام الدعوة العلمي، ويعمل حالياً في المعهد العلمي في الملز بمدينة الرياض.
- يعد أطروحة للماجستير في مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها بكلية التربية في جامعة الملك سعود.
- له مقالات ومشاركات صحفية مختلفة.



محمد جميل فضلية

- من مواليد اللاذقية، سورية 1927م.
- حاصل على مؤهل تربوي (أهلية التعليم الابتدائي)، وتخرج في كلية الحقوق، جامعة حلب.
- عمل مدرسًا ومديرًا بالمدارس الابتدائية، ثم مفتشًا وموجهًا تربويًا حتى تقاعد.
- شارك في دورات تربوية متعددة.
- حصل على الجائزة الأولى للقصة القصيرة في عامي 1994، 1995م في مسابقتين على مستوى سورية.
- له مجموعة قصص قصيرة تحت الطبع، وأبحاث تربوية.
- له مقالات وأعمال قصصية منشورة في الصحافة المحلية.



عبد السلام فزازي

- من مواليد تازة، المغرب 1955م.
- تخرج في كلية سيدي محمد بن عبد الله بفاس، وأعد الدراسات العليا في جامعة ليون الفرنسية، متخصصًا في النقد الأدبي «الشعر».
- عمل أستاذًا بالمدارس الثانوية، ثم أستاذًا للغة العربية للأجانب، ويعمل حاليًا أستاذًا جامعيًا في كلية الآداب بجامعة أغادير.
- شارك في ندوات أدبية وأمسيات شعرية محلية، ولقاءات ثقافية، وندوات عن النقد الشعري والترجمة.
- له مقالات أدبية ولسانية، وسيرة ذاتية تحت الطبع بعنوان: «ويسألونك عن الذاكرة»، إلى جانب مقالات نقدية شعرية وترجمات من اللغات الفرنسية والإسبانية.

عبد الرحمن مطلق الحوراني

- من مواليد درعا، سورية.
- عميد متقاعد، عمل رئيسًا لتحرير مجلة الشرطة السورية مدة ثلاث سنوات.
- من مؤلفاته: «أعلام من حوران»، «التراث الشعبي في حوران». وله تحت الطبع: «الحجاج بن يوسف الثقفي»، «الأمير سيف الدولة الحمداني» ومجموعة قصصية، وعدد من الأعمال النقدية في الشعر النبطي.
- له مقالات منشورة في الصحافة المحلية.

الفيصل.. الملك الإنسان



إنه لموقف جليل، أن أُدلي بشهادتي اليوم أمام التاريخ وأمامكم، عن شهيد الإسلام والعروبة، الملك فيصل بن عبدالعزيز طيب الله ثراه.. مُركِّزًا على وقائع الجانب الإنساني، في شخصية الراحلِ العظيم.. هذا الجانب الذي عايش وجداني دائما، محتجبًا وراء تَهيُّبي أمام مُجَرَّدِ تفسير مواقفه.

وتأتي أهمية الموضوع من جانب، باعتبار الصورة الإنسانية للشخصية التاريخية، هي المدخل إلى تفسير مواقفها في شتى جوانب الحياة، وهو ما اتُّفق اصطلاحًا على أنه «مفتاح» الشخصية.. وعلى الجانب الآخر، فإن الأمر يتعلق بشخصية لها ثقلها المتميز في الأمتين الإسلامية والعربية.

ويأتي ذكر «الشهيد» في هذه المحاضرة مجردًا من الألقاب، امتثالاً لرغبته التي عبّر عنها حين قال: «تكرر على سمعي لفظُ «صاحب الجلالة» و«الجالس على العرش»، وإني أرجو أن تعتبروني أخا؛ فالجلالة لله سبحانه، والعرش عرشُه، وهذه الصفات دخيلةٌ في ديننا ولغتنا».

ومع أن منهج هذه المحاضرة قد يخالف - إلى حد ما - العرف الأكاديمي للمؤرخين، من حيث اعتمادهم الكامل على الوثائق.. واعتمادي على سرد ما أعرفه، وقد لا يعرفه آخرون في حياة الشهيد، والذي كان لي شرف الاقتراب منه، بحكم موقعي وانتسابي إليه.. أقول على الرغم من هذا، فإنني ألتزم هنا توثيق كلّ واقعة في سياق سردها، سواء أكنتُ شاهد عيان أو سمعتُها من الثقات المعايشين، أو كانت موثقة في المصادر.

وعلى ذكر شرف انتسابي إلى الفيصل، بوصفي واحدًا من أبنائه، أجدُ من الجدير بالذكر - وإن سبقتُ الأحداث - أن أذكر حقيقة مهمة، هي أن الملك فيصلاً منذ آلت إليه أمانةُ الحُكم، ضمَّ إلى قائمة أبنائه الذين هم من صُلبه، كلَّ قوائم المواطنين في المملكة العربية السعودية؛ ليصبح الجميع أبناءه واقعا فعليا، على نحو ما سيأتي في سرد هذه المحاضرة، كما أن روح الأبوة لم تفارق مشاعره لحظةً، على النطاق العربي والإسلامي، لذلك فما أحسَبُني إلا مُفوَّضًا من قبلكم، للحديث عن والد الجميع.. والد الأمة.. الذي نشترك جميعًا في مشاعر الحب والتقدير تجاهه، وتجاه الأسرة السعودية التي اقتدت به.

وتعتمد المحاضرة - إلى حد كبير - على الترتيب الزمني في حياة الملك الشهيد، واستنباط ما يفيد الموضوع في كل واقعة، وذلك حتى لا يتكرر سرد الواقعة في كل فصل إذا تعددت دلالاتُها.. وقد يقتضي الأمرُ أحيانًا أن أبتعد من الجانب الإنساني المباشر، وأتطرق إلى جوانب أخرى في حياة الشهيد استوفاها الأساتذة الذين حاضروا قبلي، لكنه ابتعادٌ بقصد الاقتراب من جوهر الإنسان في «فيصل».

وطبقًا لهذا الأسلوب، يأتي الحديثُ أولاً عن ظروف النشأة والبيئة، مع التركيز على أثر والده الملك عبدالعزيز، وجده لوالدته الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في تنشئته، ثم رحلته الأولى إلى أوروبا، وكيف اكتُشف مرضه في الباخرة، وردّ فعل الإشعاعات الأولى للحضارة الغربية على عقليته، ودلائل اعتزازه بنفسه، وبجلدته الإسلامية العربية، ثم استعراض الجوانب الإنسانية في تاريخه العسكري، من خلال: حملة عسير، وفرقة جدة التي على إثرها تم تعيينه نائبا للملك في الحجاز، ثم قيادته حملة الساحل إلى اليمن، وأخيرًا معالجة الفيصل لأزمة تدخل مصر (عبدالناصر) في انقلاب اليمن.

وينتقل الحديث بعد ذلك إلى تعاملاته مع الآخرين: أبنائه.. شعبه.. أصدقائه.. ثم مع موظفيه، بينما يُعنى الفصل الأخير بجمع بعض الوقائع المكملة، لكشف المقومات والصفات والمناقب، مكتفيًا بأهمها: العاطفة الدينية والأخلاق عنده.. مصداقيته.. سرعة بديهته.. صبره.. التنظيم في حياته.. لطفه.. وأخيرًا حبّه للأدب والشعر والقراءة.

وتأتي الخاتمة خلاصة لما يدل عليه مجمل الوقائع، في خدمة الكشف عن الجانب الإنساني في شخصية فيصل.. الملك الإنسان.

على أن هذه الشخصية تظلُّ - قبل هذا وبعده - كنزًا ثريًا بالعطاء، لكلِّ الباحثين في سيرة عباقرة الحكام المسلمين، الذين عاشوا في بساطة الزاهدين وأمان العادلين، يُحكِّمون شرع الله في كل أمورهم.

والفيصلُ بتاريخه: فكرا ومنهجًا وعملاً - وإن مضى - هو من أولئك الأحياء في بطن الأرض، يواصلون العطاء بالسيرة والقُدوة..

ويبقى فيصل (فوق القول مهما يقولون)(1).

خالد الفيصل

* من محاضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل في إطار احتفال مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمرور عشرين عامًا على تأسيسها. وقد اخترنا هذا التقديم الجزل للمحاضر ليكون إطلالة هذا العدد؛ لما فيه من تعبير عميق عن تأثر سموه بالجانب الإنساني لحياة والده رحمه الله ومعايشته الوجدانية لها. كما ينطوي التقديم على إشارة إلى منهج السرد التاريخي الذي اعتمده سموه، وهذا ما سيكشف عنه نص المحاضرة الذي سيُنشر في العدد القادم بإذن الله.

هامش:

(1) من قصيدة «لا هنت» في رثاء المُحاضر للملك الشهيد.



بمناسبة احتفال مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمرور عشرين عامًا على تأسيسها، يسر مجلة «الفيصل» أن تقدم في هذا العدد ملفًا يتضمن ملامح من حياة الملك فيصل - رحمه الله - والمنهج الذي تأسست عليه إنجازاته ومآثره، إلى جانب عرض لنشاطات مؤسسة الملك فيصل الخيرية في المجالات المختلفة.



ملف العدد

مؤسسة الملك

الاحتفال بمرور عشرين عـ

إعداد: قسم التحرير

سعى أبناء الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - في سبيل المحافظة على المبادئ والقيم التي نادى بها جلالة الملك فيصل وناضل في سبيلها إلى إنشاء مؤسسة للقيام بكل عمل فيه نفع للمسلمين، والبرّ بهم، والرفع من شأنهم، ونشر الدعوة، وإعلاء كلمة الدين؛ متبعة في ذلك النهج القويم ذاته للراحل الكريم. وقد اختير لها اسم «مؤسسة الملك فيصل الخيرية» وقد صدر المرسوم الملكي رقم أ/134 وتاريخ 19جمادى الأولى 1396هـ بإنشاء مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وكان الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله - هو الذي أمر بإنشائها، كما كان أول المتبرعين لها.

وقد افتتح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز الرئيس الأعلى لمؤسسة الملك فيصل الخيرية - حفظه الله - مقر المؤسسة الدائم يوم السبت 24 جمادى الأولى 1404هـ الموافق شباط/فبراير 1984م.

مقر المؤسسة

بني المقر الدائم للمؤسسة على أحدث أساليب البناء الحديث، ويعد واحدًا من المعالم الحضارية المعمارية الحديثة في المملكة العربية السعودية، ويتكون من بنايتين تضمان مكاتب المؤسسة كافة. ويضم المقرّ - إلى جانب ذلك - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

المشروعات الاستثمارية للمؤسسة

تقوم مؤسسة الملك فيصل الخيرية باستثمار أموالها في عدد من المشروعات بغية تحقيق قدر من الأرباح يمكن إنفاقه على مشروعاتها الخيرية المختلفة التي تنفذها في قارات العالم جميعها، وعلى هذه الأسس كانت المشروعات الاستثمارية التالية:

- فندق الخزامى: يضم الفندق زهاء مئة وسبعين غرفة، وعددًا من الأجنحة، وأحدث التجهيزات والخدمات الموجودة في أضخم الفنادق العالمية.

- مركز الخزامى: يطلق عليه مشروع «الخيرية 2»، وهو مكمل لمشروع فندق الخزامى، ويضم عيادات طبية، ومكاتب، ومحلات تجارية، ومطاعم، وشققًا سكنية، وناديًا رياضيًا، إلى جانب قاعة للاجتماعات مجهزة بالمعدات السمعية والبصرية تتسع لأكثر من ستمئة مقعد.

- المركز التجاري: وهو مشروع «الخيرية 3»، ويتكون من طابقين تحت الأرض يستعملان مواقف للسيارات، وطابق أرضي يضم 58 محلاً تجاريًا.

- شركة الصناعات المعدنية والفضية والذهبية المحدودة: تقوم بإنتاج الميداليات،

فيصل الخيرية

اما على التأسيس

والكؤوس والأطباق التذكارية، والمسكوكات الفضية، والدروع.

- مركز أبها التجاري: أول مشروع استثماري للمؤسسة خارج الرياض.

- مركز خميس مشيط التجاري.

ولزيادة الإيرادات تخطط المؤسسة حاليًا لإقامة مبانٍ وأسواق تجارية وفندق في المنطقة المحيطة بمجمع «الخيرية 1»، وتبلغ مساحتها قرابة 60 ألف متر مربع، وقد بُدئ العمل في إزالة المباني القديمة فعلاً. وتمتلك المؤسسة عددًا آخر من المباني والعمارات.

الإنفاق الخيري

يتمثل محور سياسة الإنفاق في مؤسسة الملك فيصل الخيرية في إيجاد برامج مشروعات مستديمة تقدم خدمات للمسلمين، وترفع من مستواهم وتساعد على تقدمهم، كما تساعد في إيجاد أعمال ومهن لهم، وهي تقدم منحًا نقدية إلا في حالات الطوارئ والنكبات.

وتشمل المشروعات النوعية التي أنشأتها مؤسسة الملك فيصل الخيرية أو قامت بدعمها: المساجد، والمراكز والمعاهد والمدارس الإسلامية، ومشروعات سكنية للطلاب، ودعم برامج الإصلاح الزراعي، وطباعة الكتب الإسلامية، وإنشاء دور رعاية الأطفال المعاقين، وإقامة المستشفيات والمستوصفات والمراكز الطبية، ودعم البحوث الطبية، والمساعدة في إنشاء الجمعيات الخيرية، ودعم مؤسسات أعمال البر، وتقديم تبرعات وهبات عامة للمسلمين.

تغطى المشروعات الخيرية التي تقدمها مؤسسة الملك فيصل الخيرية مدن المملكة العربية السعودية، كما تمتد إلى 29 دولة من دول العالم في قارات إفريقيا وأسيا، وأوربا، وأمريكا الشمالية.

وقد بدأت المؤسسة في إقامة مشروعات متعددة في الجمهوريات الإسلامية المستقلة في الاتحاد السوفيتي السابق. وقدمت تبرعات لدعم الجهاد في فلسطين وأفغانستان، ومساعدة



المبنى الدائم لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، من المعالم الحضارية في مدينة الرياض

مؤسسة الملك فيصل الخيرية

الاحتفال بمرور عشرين عاما على التأسيس

مسلمي البوسنة والهرسك، ومساعدة الشعب الصومالي.

وبلغ إجمالي ماصرفته مؤسسة الملك فيصل الخيرية في إقامة مشروعاتها حتى الآن زهاء 470 مليون ريال سعودي، وبلغ الإنفاق الخيري في العام 1414/ 1415- 1994م زهاء 44.28 مليون ريال سعودي.

المنح الدراسية

تنظم مؤسسة الملك فيصل الخيرية برنامجًا للمنح الدراسية لطلاب الدراسات العليا فقط، رغبة منها في رفع المستوى العلمي والاجتماعي لأبناء المسلمين في أنحاء العالم كافة.

جائزة الملك فيصل العالمية

في عام 1397هـ أعلن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل قرار مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية إنشاء جائزة عالمية باسم الملك فيصل تُمنح في ثلاثة مجالات هي: خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي. وفي عام 1399هـ بدئ في منحها، ثم أضيف إليها جائزتان في مجالي الطب والعلوم، بعد أن قرر مجلس أمناء المؤسسة ذلك في عام 1401هـ/1981م، الأمر الذي أكسب الجائزة مزيدًا من الشهرة والاهتمام العالمي، وتأصيل صفتها العالمية.

مكونات الجائزة

- شهادة (براءة) تحمل اسم الفائز، وملخصًا للعمل الذي أهله لنيل الجائزة.
- مسكوكة (ميدالية) ذهبية.
- مبلغ خمسين وثلاثمئة ألف ريال سعودي، وزيد هذا المبلغ في عام 1415هـ إلى خمسين وسبعمئة ألف ريال سعودي (200000 دولار أمريكي).

وقد استطاعت جائزة الملك فيصل العالمية - بما أتيح لهـا من إمكانات، ونظام مُحكم، وحيادية في اتخاذ القرارات ومنح الجوائز - أن تتجاوز النطاق المحلي والإقليمي إلى النطاق العالمي، واستحقت صفة العالمية عن جدارة واستحقاق.

ويؤكد صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس هيئة الجائزة «أن جائزة الملك فيصل العالمية تتميز بأنها ليست لها أهداف سياسية أو خلاف ذلك. وقد بنيت أساسًا لنصرة الإسلام والمسلمين، ولدفع الثقافة العامة والعالمية، والدليل على ذلك نوعية الجنسيات وحتى الأديان للأشخاص الذين فازوا بهذه الجائزة، كذلك نوعية القرارات التي تتخذها لجنة الجائزة.

فالرجل الذي حملت اسمه الجائزة، كانت نيته خالصة لخدمة القضايا الإنسانية كافة، وهذا ساعد على تبني هذه الجائزة الكثير من القيم التي قد لاتتوافر لأي جائزة أخرى».



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، يحفظه الله، يتسلم جائزة خدمة الإسلام من الأمير خالد الفيصل (1404هـ/1984م)

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أهداف المركز

يرمي المركز إلى دعم حركة البحث العلمي، وتنشيطها، وتشجيعها، ولاسيما في المجالات ذات العلاقة بالتاريخ والحضارة الإسلامية، كما يتبنى حركة نشر مقتنيات الفن الإسلامي في عصوره المختلفة وعرضها.

ويقوم المركز بتحقيق هذه الأهداف من خلال عدد من النشاطات :

- تشجيع الدارسين والباحثين في مجالات الحضارة كافة، وتوفير احتياجاتهم من الكتب والمخطوطات، ونشر ما تثبت جدارته من تلك الدراسات والبحوث وترجمته وتوزيعه، وإعداد الأعمال المرجعية المتخصصة مثل المعاجم والفهارس وغيرها.

وقد نشر المركز الكثير من الكتب المحققة



ملف العدد

والمؤلفة والمترجمة، كما أصدر دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية، ومجموعة من فهارس مخطوطاته الأصلية والمصورة، وهناك عدة مشروعات بحثية يعكف المركز على تنفيذها في الوقت الحالي.

- العمل على اقتناء أكبر عدد من المخطوطات الأصلية - أو صور منها - والكتب والنشرات والمجلات ذات العلاقة بالحضارة الإسلامية، ويرمي المركز من ذلك إلى توفير المعلومات للباحثين والدارسين والمهتمين في المجالات المختلفة المتعلقة بالحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي، لأن المعلومات أهم مقومات البحث العلمي.

وتقدم خدمات المعلومات أساساً من خلال قواعد معلومات المكتبات التي تحتوي على الكتب والدوريات والمخطوطات وفهارسها والمواد السمعية والبصرية.

قواعد المعلومات المتخصصة

وإسهاما من المركز في تيسير سبل وصول الباحثين إلى المعلومات فقد أنشأ مجموعة من قواعد المعلومات المتخصصة، وتنقسم هذه القواعد قسمين:

- قواعد ببليوجرافية: وتشمل الملك فيصل، والاقتصاد الإسلامي، والإعلام الإسلامي، والتربية الإسلامية، والمرأة، والعالم الإسلامي، والدراسات الإسلامية، والمخطوطات المحققة والمنشورة، وخزانة التراث المحقق والمنشور، والرسائل الجامعية.

- قواعد غير ببليوجرافية: وتشمل المتخصصين في الدراسات العربية والإسلامية، والدول والأقليات المسلمة.

وتحوي هذه القواعد معلومات وافية عن هذه الموضوعات، وأهم مانشر حولها باللغتين العربية والإنجليزية.

مكتبات المركز

وخدمات المعلومات التي تتيحها هذه القواعد لاتقتصر على مرتادي مكتبات المركز، بل إن الاشتراك فيها متاح للباحثين، على مستوى المؤسسات والأفراد، داخل المكاتب، وأماكن البحث في المنازل، وذلك باستخدام الهاتف وجهاز الحاسوب الشخصي، فضلاً عن النهايات الطرفية لاستخدام قواعد المعلومات.

وتضم مكتبة المركز قرابة 100 ألف عنوان، ثلثها باللغات الأجنبية، وهذه العناوين تغطي



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز يفتتح مدارس الملك فيصل النموذجية

مؤسسة الملك فيصل الخيرية

الاحتفال بمرور عشرين عاما على التأسيس

مجالات الفكر الإسلامي والإنساني. وتمتلك المكتبة 3500 دورية في أكثر من عشر لغات، منها مجموعة كبيرة من الدوريات النادرة والمتوقفة عن الصدور، وهذه الدوريات مصورة على مصغرات فلمية (ميكروفيلم)، وهناك 60 ألف كتاب و261 ألف مقالة وبحث تم تكشيفها، ويسهل الرجوع إليها باستخدام

وقد قام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بإعداد نظام خاص بالإحاطة الجارية، حيث يتم موافاة الباحث المتخصص بالتطورات الحديثة في مجال بحثه أو تخصصه من خلال قائمة ببليوجرافية مطبوعة ترسل إليه في نهاية كل شهر.

ويضم المركز نحو 41 ألف مخطوطة

النشاط الثقافي

ومن أهداف المركز التوعية بالحضارة الإسلامية وإبراز شمولها في الجوانب كافة، حيث يقوم بإعداد النشاطات الفكرية والثقافية التي تناسب الجمهور غير المتخصص. وأبرز هذه النشاطات المحاضرات والندوات التي يتم عقدها في إطار الموسم الثقافي للمركز، وتتنوع موضوعات هذه المحاضرات والندوات تنوعًا كبيرًا، إذ يتم فيها استضافة علماء ومفكرين من



أصحاب السمو الملكي: الأمير عبدالله الفيصل، والأمير محمد الفيصل، والأمير خالد الفيصل، والأمير سعود الفيصل، والأمير عبدالرحمن الفيصل، والأمير سعد الفيصل، والأمير بندر الفيصل، والأمير تركي الفيصل، أعضاء مجلس أمناء المؤسسة

نهايات طرفية موجودة داخل المكتبة، كما أن في إمكان المشتركين في قواعد المعلومات المتخصصة الخاصة بالمركز الاطلاع على محتويات المكتبة من الدوريات بوساطة النهايات الطرفية الموجودة لديهم سواء في أماكن عملهم أو في منازلهم.

الفيصل العدد 235 ص 12

مفهرسة، منها نحو 23 ألف مخطوطة أصلية وأكثر من 18 ألف مخطوطة مصورة في مختلف العلوم والفنون، حيث تقدم معلومات مفهرسة وشاملة عن هذه المخطوطات مما يوفر الكثير من الوقت والجهد للباحثين عن هذه الكنوز التراثية.

العالم الإسلامي وبقية أرجاء العالم، من ذوي التخصصات المختلفة التي ترتبط بالقضايا المعاصرة التي تتناول اهتمامات المسلمين وشؤونهم الحياتية وواقع العالم اليوم. ويتم إتاحة المحاضرات والندوات للجمهور وأصحاب الاهتمام في المملكة العربية السعودية وغيرها من



الدول الإسلامية والعالم أجمع، من طريق تسجيل هذه النشاطات بالصوت والصورة على أشرطة مسموعة (كاسيت) ومرئية (فيديو)، وطبعها في كتب، وتوفيرها للراغبين في ذلك.

ويقيم المركز سنويًا معارض للتراث والفن الإسلاميين، بغية الإسهام في الحفاظ على هذا التراث وتقديمه ـ بمختلف أنواعه وفروعه ـ في صورة تحفظه من الإهمال والضياع باتباع أفضل السبل، وأكثرها تأثيرا في النفوس. ومن المعارض التي قام المركز بتنظيمها: معرض زخرفة الفضة والمخطوطات عند المسلمين، ومعرض وحدة الفن الإسلامي، ومعرض الخط العربي من خلال



سمو الأمير بندر بن سعود بن خالد الأمين العام للمؤسسة

المخطوطات، ومعرض الأسلحة والسيوف والدروع، وهناك معرض للمخطوطات الموجودة في المركز: ترميمها، حفظها، فهرستها، نشرها..إلخ، وذلك ضمن احتفال مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمرور عشرين عامًا على تأسيسها. ويصدر المركز كذلك (كتالوجات) هذه المعارض بالعربية والإنجليزية.

قاعة الملك فيصل

عمل المركز على إبراز الجوانب القيادية والإنسانية لجلالة الملك فيصل رائد التضامن الإسلامي ـ يرحمه الله ـ، وذلك بتخصيص قاعة فيه لهذا الغرض.

وقد افتتحها نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، وذلك في 28 جمادى الآخرة 1406هـ (9 مارس 1986م).

وتحتوي القاعة على عدة أقسام عن: الحضارة الإسلامية والعالم الإسلامي، الجزيرة العربية وتاريخ آل سعود، نشأة الملك فيصل، توليه مهام رجل الدولة، دوره في قضايا فلسطين والتضامن الإسلامي والعلاقات الخارجية للمملكة العربية السعودية، اهتمامه بالمشروعات الإسلامية في العالم، الإنجازات الداخلية في عهده، حياته الخاصة، حياة الصحراء وهواية القنص، اهتمامه بالتراث.

مكتبة الأطفال

يرمي المركز ـ كذلك ـ من إنشاء هذه المكتبة إلى تنمية المواهب والقدرات لدى الأطفال، وغرس حب القراءة والمطالعة في نفوسهم بما يساعدهم على بناء الشخصية المستقلة.

وقدافتتحت المكتبة في 11 صفر 1407هـ، وخصصت للأطفال الذين تتراوح أعمارهم مابين 5ـ 12سنة، وهي تسع 42 طفلاً في وقت واحد، وبها أجهزة تسجيل وفيديو تتيح للأطفال الاستمتاع بما هو مسجل من المواد السمعية والبصرية، وأجهزة حاسوب تقدم من خلالها برامج تربوية وترفيهية خاصة بالأطفال، مع



إحدى المخطوطات قبل الترميم وبعده

ممارسة الهوايات من رسم، وتلوين، وكتابة الخط العربي، والألعاب التعليمية والتركيبية.

ويبلغ عدد الكتب الخاصة بالأطفال 18500 كتاب تقريبا، فضلاً عن مجلات الأطفال، وتقدم المكتبة للأطفال حكاية أسبوعية، بالإضافة إلى القصص العربية الإسلامية التي تقدم للطلاب، إذ تستقبل المكتبة زيارات منتظمة من تلاميذ المدارس والمؤسسات الاجتماعية خلال الفترة الصباحية على مدار الأسبوع.

ويبلغ المعدل السنوي لعدد رواد المكتبة من الأطفال أكثر من 18 ألف طفل.

مؤسسة الملك فيصل الخيرية

الاحتفال بمرور عشرين عاما على التأسيس

الخدمات الفنية

تضم إدارة الخدمات الفنية في المركز عددًا من الأقسام المتخصصة التي تعد نشاطاتها مكملة لأعمال المركز ونشاطاته. وهذه الأقسام هي:

- قسم ترميم المخطوطات: ويقوم بمهمة تعقيم المخطوطات وترميمها. ومن أبرز المشروعات التي تمّ تنفيذها - مؤخرًا - إنشاء وحدة تعقيم وترميم



مدارس الملك فيصل النموذجية، أحد مشروعات المؤسسة

وتصوير متنقلة مزودة بأحدث التجهيزات (المعمل المتنقل)، وذلك لترميم أي مخطوطات أخرى خارج المركز.

- قسم الوسائل السمعية والبصرية: ويقوم بتسجيل نشاطات المركز في قاعة المحاضرات وحلقات البحث في المركز تسجيلاً مسموعًا ومرئيًا، كما يعنى بإنتاج المواد السمعية والبصرية المطلوبة للحفظ في المكتبة السمعية والبصرية التابعة للمركز.

- قسم المصغرات الفلمية (الميكروفيلم والميكروفيش): ويقوم بتصوير المخطوطات والمقالات والكتب إلى جانب تحميض المصغرات الفلمية واستنساخها وطبعها، وهو مزود بأحدث الأجهزة.

الطباعة والتجليد: ويشمل قسم التجليد جميع أنواع التجليد للكتب والدوريات والمخطوطات الأصلية والمصورة، وفهارس المخطوطات، والنشرات والبحوث والمحاضرات، والسجلات الدورية.

مدارس الملك فيصل النموذجية

تمثل إقامة المشروعات العلمية والتعليمية الرامية إلى رفع مستوى الفرد وزيادة كفاءته هدفًا رئيسًا لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، وقد قامت المؤسسة بإنشاء صرح تعليمي باسم مدارس الملك فيصل النموذجية للبنين، تحقيقًا لهذا الهدف، ومواكبة للنهضة التعليمية التي تعيشها المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله -، وافتتح القسم الابتدائي بصفوفه الستة مع بدء العام الدراسي ١٤١٢هـ، في حين بدأت الدراسة في المرحلتين المتوسطة والثانوية في العام الدراسي ١٤١٣هـ.

وتقع المدارس في وسط حي السفارات بمدينة الرياض، وتبلغ مساحتها مئتي ألف متر مربع، وتحتوي على أربعة عشر مبنى تعليميًا، وعلى صالتي ألعاب، ومسبحين، وملاعب مكشوفة، ومواقف للسيارات، وحدائق.

وجاء في مشروع إنشاء المدارس أنها مدارس أهلية غير تجارية ترمي إلى بناء شخصية الطالب بناءً متميزًا يؤهله لممارسة دور قيادي في مجتمعه، ويمكّن فيه الولاء لدينه وعقيدته، ويصنع منه باحثًا دائمًا عن المعرفة والحقيقة.

المناهج والبرامج التعليمية

تلتزم مدارس الملك فيصل النموذجية المنهج المعتمد لوزارة المعارف، إلا أنها تقدم لطلابها برامج إضافية في اللغة الإنجليزية وعلوم الحاسب الآلي والتقنية والعلوم والرياضيات والتوعية البيئية. كما يمارس الطلاب نشاطات غير صَفِّيَّة ترمي إلى تنمية ميولهم ومواهبهم وصحتهم العقلية والنفسية والبدنية.

وتطبق المدارس نظام اليوم الكامل (من الساعة السابعة صباحًا وحتى الخامسة بعد العصر).

منح للمتفوقين

يبلغ عدد طلاب المدارس 771 طالبًا، يتلقى 20٪ منهم منحًا دراسية تقدمها مؤسسة الملك فيصل الخيرية للطلاب المتفوقين الذين لا يقدرون على سداد الرسوم الدراسية.

ويتم قبول المتقدمين للالتحاق بالمدارس بعد اجتيازهم اختبار قبول خاص يتم عقده عدة مرات في السنة.



ملف العدد

الملك فيصل بن عبدالعزيز

فرع مثمر في دوحة باسقة.. وقلب وسع هموم المسلمين

أعده : **محمد بن علي القعطبي**
قسم الدراسات والاستطلاعات

إن الحديث عن الملك فيصل بن عبدالعزيز مرتبط أشد ما يكون الارتباط بالحديث عن أسرته، لأن هذا الفرع الذي أينع وأتى هذه الثمار فأصبحت منارات في هذا العصر لايمكن إلا أن يكون مرتبطًا بأصل نشأ عنه وتفرع منه. هذاالأصل إنما هو أسرة ابن سعود التي استقرت في هذه المنطقة من الجزيرة العربية منذ مايزيد على قرنين ونصف من الزمان، وأنشأت مدينة سمتها «الدرعية».

استحوذت هذه الأسرة على اهتمام العالم، ودخلت التاريخ منذ المعاهدة الشهيرة التي تمت بين محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب ـ رحمهما الله ـ في عام 1157هـ .

ولم تزل هذه الأسرة تنتقل من مرحلة إلى مرحلة، وهي تحمل هذا المشعل الوضاء؛ مشعل نصرة هذا الدين وتصحيح عقيدة المسلمين، تحارب من حارب هذه الدعوة وتناصر من ناصرها. وتحملت في سبيل ذلك كل غال ونفيس، فسقطت الدولة السعودية مرتين على أيدي أعداء هذه الدعوة، ومع ذلك لم تلن لهم قناة ولم يضعف لهم عزم، ولم يكن الفيصل ـ رحمه الله ـ إلا أحد أولئك العظام الذين قدمتهم هذه الأسرة المباركة.

ويعد عام 1319هـ بداية الدولة السعودية الحالية، وهي الدولة السعودية الثالثة، وهو العام الذي دخل فيه الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي الرياض وافتتحها، وبدأ ـ رحمه الله ـ مرحلة جديدة لبناء هذه الدولة الفتية وتوحيد البلاد.

وفي جو الاستعدادات للمعركة تلو المعركة ومواجهة الخصوم بعد الخصوم ولد فيصل بن عبدالعزيز في شهر شوال من عام 1324هـ؛ أي في العام الذي انتصر فيه الملك عبدالعزيز على عبدالعزيز بن رشيد.

وأمه ابنة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، وهي حفيدة إمام الدعوة الإصلاحية الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد توفيت بعد ولادتها «فيصل» بخمسة أشهر، فنشأ هذا الابن

فرع مثمر في دوحة باسقة.. وقلب وسع هموم المسلمين



الملك فيصل
في الثالثة عشرة من عمره



الملك فيصل في شبابه الباكر

في بيت جده لأمه، وتلقى تربيته الأولى في هذا البيت الصالح، وهو بيت علم ودين. وظل فيصل يعيش معظم أيامه في بيت جده إلى أن سافر إلى أوروبا سنة 1337هـ.

التكوين السياسي

يعود تكوين الملك فيصل السياسي والعسكري إلى والده الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - الذي نشّأ أبناءه على مبادئه وأفكاره، وغذاهم بها، فكانت هذه الثمرات اليانعات المباركات التي يُعَدّ الملك فيصل واحدًا منها. كان يحضر مجالس والده ويصغي إلى أحاديث كبار الوافدين إلى سلطان نجد - آنذاك - فيستمع إلى روايتهم الأخبار له، ثم يصغي إلى والده ويتعرف طريقة تعامله معهم، وكيف يتخذ قراراته الموفقة الحكيمة، فكانت هذه مدرسته الكبرى في الحياة.

ولما انتصرت بريطانيا في الحرب العالمية الأولى دعت الملك عبدالعزيز - بوصفه سلطان نجد وملحقاتها - لزيارة لندن، فقبل الدعوة، ثم أرسل ابنه فيصلاً الذي كانت هذه المرحلة رافدًا مهمًا من روافد اطلاعه على العالم الخارجي ومعايشته السياسة العالمية منذ نعومة أظفاره.

اختار له والده في هذه الرحلة أحمد بن مبارك الثنيان والمستر بومن، فسافر من الرياض في 15من ذي القعدة عام 1337هـ الموافق 11 آب/أغسطس 1919م بطريق الحسا إلى البحرين ثم الهند على رأس وفد رسمي. ولم تتجاوز سنه آنذاك الثالثة عشرة.

أقام في لندن قرابة الشهرين قابل خلالهما الملك جورج بحضور زوجته الملكة ماري، وسلّمه هدية ورسالة من والده، كما عقد الوفد السعودي مباحثات برئاسته مع وزير الخارجية البريطاني اللورد كرزون، ثم زار مجلسي العموم واللوردات، وجامعة كمبردج، ومقاطعة ولز، ومصانع الأسلحة في تستر، ومصانع لسلي للسيارات.

ثم سافر بعدها إلى فرنسا ثم بلجيكا، وتَفَقَّدَ ميادين القتال التي كانت ملأى بمشاهد الدمار والتخريب والخنادق والمعدات الحربية، ثم عاد بعد ذلك إلى الرياض. وقد استغرقت رحلته قرابة ستة أشهر.

التكوين العسكري

تُعد غزوة «ياطب» التي اصطحبه والده إليها قبل سفره إلى بريطانيا أولى روافد التكوين العسكري لشخصية الملك فيصل، وكانت هذه



ملف العدد

الغزوة في عام 1336هـ وسنُّه آنذاك اثنتا عشرة سنة، فشارك في هذه المعركة مع والده ورأى حكمته وحنكته الحربية من قرب.

وبعد عودته من بريطانيا وفي عام 1339هـ أرسله والده قائدًا لأحد الجيوش الثلاثة الزاحفة إلى حائل برفقة أخيه سعود، وانتهت المعركة باستسلام الأمير عبدالله المتعب والاستيلاء على حائل.

إنجازاته العسكرية في عهد والده

إن توحيد هذه الرقعة المترامية الأطراف ولمّ شملها تطلَّب كثيرًا من الحروب والفتوحات، ويصعب في هذه الحالة إحصاء الإنجازات العسكرية لواحد من أبناء الملك عبدالعزيز الذين كان يعتمد عليهم، غير أنه يمكن الوقوف عند ثلاثة إنجازات بارزة ومهمة:

الإنجاز العسكري الأول: إخماد التمرّد في عسير

لعلّ أول عمل عسكري يتولّى الأمير فيصل قيادته آنذاك هو هذه الحملة التي عقد له والده لواءها عام 1340هـ/1922م، وهو لم يتجاوز بعد السادسة عشرة للقضاء على ثورة حسن بن عائض، وكانت حملته تضم خمسة آلاف مقاتل سار بهم من الرياض، وفي الطريق انضم إليه أربعة آلاف من عرب قحطان وزهران، فزحف بهم في شهر ذي القعدة من ذلك العام الموافق حزيران/ يونيو، فصادفه في طريقه بنو شهر، لكنه تمكّن من القضاء عليهم، وقبل أن يدخل أبها هرب منها حسن بن عائض، فدخلها من دون مقاومة، ثم حاصر حصن حرملة الذي التجأ إليه ابن عائض ودمره نهائيًا وعاد مظفرًا إلى الرياض.

الإنجاز العسكري الثاني: المشاركة في فتح جدة

بعد أن انتهى الملك عبدالعزيز من فتح مكة طلب من الأمير فيصل موافاته على رأس قوة للمساعدة في فتح جدة، وكان ذلك في ربيع الآخر من عام 1344هـ، فسار إلى مكة ومنها إلى جدة، وبعد 25 يومًا من وصوله إلى جدة رحل الأشراف عنها، ودخلها الملك عبدالعزيز يوم الخميس 8 جمادى الآخرة 1344هـ الموافق 25 كانون الأول/ديسمبر 1925م.

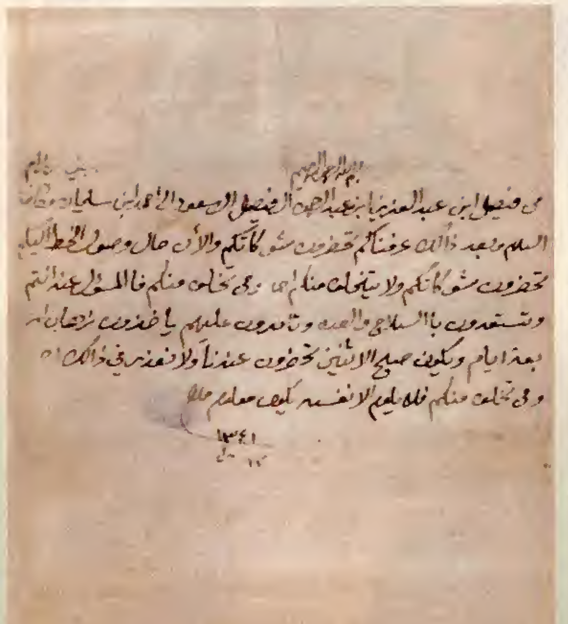
الإنجاز العسكري الثالث: قيادته حملة تهامة

كان الغرض من هذه الحملة استعادة منطقة نجران، فغادرت الحملة الحجاز في 1352/12/28هـ الموافق 1934/4/12م، ودخلت (ميدي) يوم الثلاثاء 1353/1/11هـ الموافق 1934/4/24م، ثم الحديدة يوم الجمعة 1353/1/21هـ الموافق 1934/5/4م.

وقد انتهت هذه الحملة بعد وساطات من الدول العربية، وتم عقد معاهدة الطائف في 1353/2/6هـ الموافق 1934/5/19م والتي اعترفت اليمن بموجبها أن عسير تهامة وعسير السراة سعوديتان.

إنجازاته السياسية في عهد والده

إن نبوغ الأمير فيصل السياسي كان منذ البداية سمة واضحة فيه، لذلك فإنه كان الساعد الأيمن لوالده في كثير من المهمات، ويمكن إبراز ثماني مهمات سياسية تولاها الأمير فيصل في عهد والده:



بسم الله الرحمن الرحيم

أحد الأوامر التي أصدرها الأمير فيصل أثناء الإعداد لإحدى الحملات العسكرية سنة 1341هـ

أولاً: البيان السياسي

وضع فيصل أول بيان سياسي يصدر عن الرياض بتوقيعه، وكانت سنه آنذاك لم تتجاوز الثامنة عشرة، واستعرض في هذا البيان الجهود التي بذلها الملك عبدالعزيز لتوحيد الزعماء العرب، وردّ الاتهامات التي نشرت في صحيفة المقطم، وقد نُشِرَ هذا البيان في الصحف وتناقلته فيما بينها، وكان أول بيان سياسي يصدر عن الملك عبدالعزيز.

ثانيًا: النائب العام

تعدُّ منطقة الحجاز من أهم مناطق المملكة لوجود الحرمين الشريفين بها، ووفود الحجيج إليها في كل عام، كما أنها كانت آنذاك مقرًا لسفارات الحكومات الأجنبية. وكان لابد من اختيار شخص له قدرات سياسية ودبلوماسية متميزة، ودراية وافية بشؤون التعامل بين الدول، ومعرفة بالتمثيل الصائب للدولة لاستقبال الوفود وإجراء المباحثات والمفاوضات حين تقتضي الظروف ذلك.

وقد رأى الملك عبدالعزيز رحمه الله أن هذه الصفات مجتمعة في ابنه فيصل رغم صغر سنه، فعهد إليه بأن يكون نائبًا عنه وممثلاً له في الحجاز، وكَوَّنَ له مجلسًا استشاريًا من ثلاثة من العلماء البارزين، فاستلم مهام عمله في 28 جمادى الآخرة عام 1344هـ الموافق 13 كانون الثاني/يناير 1926م، وكانت سنه آنذاك عشرين عامًا.

وفي العام التالي وبالتحديد في 9 صفر 1345هـ الموافق 13آب/ أغسطس 1926م أصدر الملك عبدالعزيز التعليمات الأساسية للمملكة

فرع مثمر في دوحة باسقة.. وقلب وسع هموم المسلمين

الحجازية، فأصبح الأمير فيصل بموجب هذه التعليمات نائبًا عامًا للملك في الحجاز ترتبط به جميع الدوائر الحكومية، وقد أنشأ لجنة للتفتيش والإصلاح بعد ذلك مباشرة، وأذاع بلاغًا قال فيه: «ليكن معلومًا لدى الجمهور أن من له قضية في إحدى الدوائر عليه أن يطلب إنهاء قضيته من المأمور المختص. فإن لم ينه عمله حسب النظام أو تهاون في إنجازه، فعلى المشتكي أن يرفع ذلك الأمر إلى رئيس ذلك المأمور، فإن لم ينصفه هذا راجع النائب العام، ثم جلالة الملك».

ثالثًا: رحلته إلى أوربا

بعد أن استقر حكم الملك عبدالعزيز لسلطنة نجد وملحقاتها ومملكة الحجاز رأى أن يرسل ابنه فيصلاً لتوثيق العلاقات مع الدول الأوروبية، فسافر الأمير فيصل في عام 1345هـ/1926م إلى لندن، حيث أجري له استقبال حافل، ومنحه الملك جورج وسامًا من أعلى الأوسمة البريطانية، ثم انتقل إلى هولندا ثم باريس حيث استقبله الرئيس الفرنسي «دومرغ»، لكنه مرض ولازم الفراش أيامًا فنصحه الأطباء بالعودة إلى المملكة.

رابعًا: معاهدة جدة

عينه والده مندوبًا للمباحثة مع الجنرال كلايتون في جدة؛ فانتهت المفاوضات بتوقيع معاهدة جدة في 18 ذي القعدة 1345هـ الموافق 20 أيار/مايو 1927م، والتي تضمنت إلغاء معاهدة العقير واعتراف بريطانيا بالملك عبدالعزيز سلطانًا على نجد وملكًا على الحجاز، وموافقة بريطانيا على تصدير الأسلحة إلى المملكة.

خامسًا: وزارة الخارجية

صدر في 26 رجب 1349هـ الموافق 19 كانون الأول/ ديسمبر 1930م أمر ملكي بتحويل اسم إدارة الشؤون الخارجية إلى وزارة الخارجية، وعين الأمير فيصل وزيرًا للخارجية إضافة إلى عمله نائبًا للملك في الحجاز، فقام بعد عامين من ذلك التاريخ أي في عام 1351هـ - 1932م بزيارة أخرى لتوثيق العلاقات مع الدول العربية والأوروبية والآسيوية، وشملت زيارته: ألمانيا،



«الفيصل» يوقع ميثاق الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو بوصفه وزيرا للخارجية (1945م)، ويقف خلفه خادم الحرمين الشريفين، وصاحبا السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل والأمير نواف بن عبد العزيز



الفيصل يتفقد إحدى الدبابات أثناء زيارة له للولايات المتحدة

وبولونيا، والاتحاد السوفيتي، وتركيا، وإيران، وإيطاليا، وفرنسا، وإنجلترا، والعراق، والكويت، وحضر خلال هذه الزيارات مناورات حربية في فرنسا اشتركت فيها جميع الأسلحة الفرنسية، وحضر في إيطاليا حفلة استعراض القوة الفاشستية واستقبله الملك «فيكتور عمانوئيل» وموسوليني، وتباحث في الاتحاد السوفيتي مع ستالين ولينين ومولوتوف في منح المسلمين حرية أداء شعائرهم وفي سفرهم للحج، وقد حصل على أوسمة رفيعة في هذه الزيارات.

سادسًا: مجلس الوكلاء

أصدر الملك عبدالعزيز في 1350/9/7هـ الموافق 14 كانون الثاني/ يناير1932م نظامًا مكونًا من وكلاء وزارتي الخارجية والمالية ورئيس مجلس الشورى عرف باسم مجلس الوكلاء، ثم ألحق به الديوان الملكي والمؤسسة العسكرية ووزارة الداخلية ورئاسة القضاء وأمراء الملحقات، وعيّنَ على رأس هذا المجلس سمو الأمير فيصل.

سابعًا: الزيارة الأولى لأمريكا

في عام 1362هـ/ 1943م دعا الرئيس الأمريكي روزفلت الملك عبدالعزيز لزيارة الولايات المتحدة فقبل الدعوة وأناب عنه ولديه فيصلاً وخالداً، فوصلا إلى أمريكا في أواخر أيلول/ سبتمبر 1943م واجتمعا بالرئيس الأمريكي، وأجريا معه مباحثات كان الغرض منها توطيد العلاقة بين البلدين.

ثامنًا: المساهمة في تأسيس هيئة الأمم المتحدة

في الأول من آذار/مارس 1945م انضمت المملكة العربية السعودية شكليًا إلى الحلفاء من دون أن تعلن الحرب على ألمانيا محافظة على حيادها وحياد الأماكن المقدسة من هذا النزاع العالمي، فدعيت المملكة إثر ذلك إلى حضور مؤتمر سان فرانسيسكو الذي عقد في 13جمادى الأولى 1364هـ الموافق 25 نيسان/ أبريل 1945م فانتدب الملك عبدالعزيز نائبه الأمير فيصل لتمثيل بلاده.

ألقى الأمير فيصل خطابًا في المؤتمر أشار فيه إلى تطابق المبادئ التي تدعو إليها الأمم المتحدة مع الدين الإسلامي الحنيف الذي أقام العلاقات البشرية على قواعد الحق والعدالة والسلم.

وقد كان توقيعه على المعاهدة في 26 حزيران/ يونيو 1945م، وكان من كلمته:

«إن هذا الميثاق لايدل على الكمال كما كانت تتوقع الأمم الصغيرة التي كانت تأمل أن يحقق المثل العليا، على أنه خطوة كبيرة إليها، وسنعمل كلنا للمحافظة عليه، وسيكون الأساس المتين الذي يبنى عليه صرح السلام العالمي».

وبعد عامين من ذلك التاريخ، أي في عام 1947م، أجمعت الوفود العربية إلى المنظمة الدولية على اختيار الأمير فيصل ليكون الناطق الرسمي باسمها، وهذا يدل - بلا ريب - على الوزن السياسي الخارجي الذي أصبح لسموه.

ولم تكن هذه هي الإنجازات السياسية الوحيدة للملك فيصل أثناء حياة والده بل كانت له مهمات أخرى متنوعة، منها - على سبيل المثال - تمثيله بلاده في مؤتمر فلسطين بلندن في ذي الحجة عام 1357هـ الموافق شباط/فبراير 1939م، وزيارته لسورية عام 1365هـ/1946م للمشاركة في احتفالات الذكرى الأولى لجلاء القوات الفرنسية، وتمثيله المملكة في مؤتمر لندن الذي عقد من أجل قضية البريمي في عام 1370هـ/1951م، ومؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد بالدمام عام 1371هـ لبحث جغرافية الحدود الشرقية.

وكان في كل تلك المهمات يحوز إعجاب الساسة من الأعداء قبل الأصدقاء.



ملف العدد

مسؤولياته في عهد أخيه الملك سعود

بعد وفاة والده الملك عبدالعزيز عُيِّن الأمير فيصل وليًا للعهد في الثاني من ربيع الأول 1373هـ الموافق 8 تشرين الثاني/نوفمبر 1953م.

ثم اقترح أهل الحل والعقد على الملك سعود في أواخر عام 1373هـ تعيين الأمير فيصل رئيساً لمجلس الوزراء فوافق على ذلك، وأصدر تكليفًا جاء فيه:

«لما عهدناه فيكم من كفاءة وإخلاص، ولثقتنا الغالية، عيناكم رئيسًا لمجلس وزرائنا، وذلك كي يحصل الانسجام في سير الأعمال، وليفسح لنشاطكم ومواهبكم في خدمة شعبنا».

ولما مرض الأمير فيصل بعد ذلك استأذن أخاه في السفر إلى أمريكا للعلاج ومكث فيها ثمانية أشهر، ولما عاد من سفره ألح عليه أخوه وأهل الرأي في العودة إلى الحكم، فوافق بشروط معينة وافق عليها الملك سعود، وأصدر بلاغًا في 24 آذار/ مارس 1958م منح بموجبه رئيس الوزراء المسؤولية التامة للإشراف على تنفيذ جميع السلطات الإدارية المتعلقة بالشؤون الداخلية والخارجية والمالية، وقد تولى الأمير فيصل بنفسه وزارتي الدفاع والمالية في العام نفسه.

في عام 1961م كون الأمير فيصل حكومة جديدة برئاسته بعد سفر الملك سعود للعلاج في الخارج، وأصدر بيانًا جاء فيه أنه سيسعى إلى أن يصل شعب المملكة إلى مكانه اللائق به كشعب

«كان منذ فجر التاريخ العربي مركز انطلاق العروبة الحقة ومصدر إشعاع للحضارة الإسلامية الخالدة».

ومن أبرز المشاركات الخارجية له في عهد الملك سعود:

1- رئاسته وفد المملكة إلى مؤتمر الدول غير المنحازة الذي عقد في باندونغ عام 1374هـ/1955م.

2- توقيعه اتفاقية الدفاع المشترك بين المملكة ومصر عام 1375هـ/1955م.

3- رئاسته وفد المملكة إلى مؤتمر الدول غير المنحازة الذي عقد في بلجراد عام 1381هـ.

4- رئاسته وفد المملكة أمام الأمم المتحدة للدفاع عن قضية فلسطين في عام 1383هـ/1963م.

الفيصل ملكًا للمملكة العربية السعودية

في السابع والعشرين من جمادى الآخرة 1384هـ اجتمع مجلس الوزراء برئاسة الأمير خالد بن عبدالعزيز نائب رئيس مجلس الوزراء وقرر:

1 – مبايعة ولي العهد فيصل بن عبدالعزيز ملكًا شرعيًا على المملكة العربية السعودية.

2 – الطلب إلى الفيصل - بصفته ملكًا - قبول البيعة وإعلانها.

فأصدر الملك فيصل بيانًا أذاعه من إذاعة مكة أعلن فيه قبول البيعة.

وبعد شهرين أرسل إليه أخوه سعود كتابًا يبايعه فيه بالملك.

بعض آراء الفيصل في الدولة والحكم

كان تصور الملك فيصل لدوره في قيادة بلاده يدور في ثلاثة محاور:

الأول: النهوض بالمملكة العربية السعودية.

الثاني: إحياء مجد الإسلام.

الثالث: دعم التضامن العربي والإسلامي والدفاع عن الحقوق المغتصبة من العرب، والشعور والعمل الأوفيان للنصرة الحقيقية لقضيتهم الأولى: «قضية فلسطين».

وكان صحفيا أجنبيا قد سأله قبل مبايعته بالملك: هل تفكرون، يا صاحب السمو في وضع دستور للمملكة؟

فكان جوابه: «أظن أن دستور المملكة أقدم



«الفيصل» مع الملكة إليزابيث الثانية أثناء زيارة له لبريطانيا



دستور في العالم، وقد مضى على كتابته أكثر من 1300 سنة، وهو القرآن الكريم، فمن يساعده الحظ أن يكون القرآن دستوره، فهل يتطلع إلى دستور وضعي؟».

وقد جاء في خطاب ألقاه عام 1382هـ/1962م إبان حكم أخيه الملك سعود قوله: «تعتقد حكومة صاحب الجلالة أن الوقت قد حان لإصدار نظام أساسي للحكم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله، وسيرة خلفائه الراشدين، وحيث توضع في وضوح كامل المبادئ الأساسية للحكم، وعلاقة الحاكم بالمحكوم، وتنظم سلطات الدولة المختلفة، وعلاقة كل فئة بالأخرى، وينص على الحقوق الأساسية للمواطن، ومنها حقه في حرية التعبير عن رأيه، في حدود العقيدة الإسلامية، والنظام العام».

وفي أول خطاب ألقاه بمناسبة مبايعته قال: «أسألكم فردًا فردًا أبناء هذا الشعب الكريم، أن تعينوني بكل جهدكم على أداء واجباتنا وتحقيق ما نصبو إليه، وأول ما نرغب فيه منكم تقوى الله سبحانه وتعالى، والتمسك بتعاليم دينه وأحكام شريعته، فهي أساس عزتنا، وهي مرد حكمنا وسرّ قوتنا. ونطلب منكم أن يضاعف كل واحد منكم جهده في حقله الذي يعمل فيه، وأن نحس جميعًا أننا في معركة للبناء تتطلب صبرًا وجهدًا؛ ستكون نتيجته بعون الله ثمرات يانعات، ننعم بها، وتنعم بها من بعدنا أجيالنا القادمة».

بناء الدولة السعودية

لايمكن تَقَصِّي الأعمال التي قام بها الملك فيصل رحمه الله في هذا الجانب، لكن حسبنا الإشارة إلى بعض منها:

ففي الجانب الإداري أنشأ - رحمه الله - معهد الإدارة العامة، كما أقر نظام المقاطعات وأسس اللجنة العليا للإصلاح الإداري.

وفي الجانب المالي أصدر العملة السعودية الورقية على أسس جديدة.

وفي الجانب الحضاري شيد الهجر، وأنشأ مشروعات لتحضير البدو كمشروع الفيصل النموذجي لتوطين البدو.

وفي الجانب الاقتصادي وَقَّعت المملكة اتفاقًا مع شركة أوكسيراب الفرنسية للتنقيب عن البترول في المنطقة الغربية، كما رفع شعار «ستكون الدولة السعودية بحول الله في القريب دولة صناعية ولها اكتفاء زراعي، وتتعدد مصادر دخلها وتتنوع».

ومن أبرز الصناعات التي أشرف على إنشائها صناعة الإسمنت والجص والرخام واستخراج المعادن وتوليد الكهرباء وإنشاء المؤسسة العامة للبترول والمعادن «بترومين» ومصنع الحديد والصلب ومصنع خلط الكبريت ولدائن البلاستيك ومشروع السماد والنشادر.

أما في المجال الزراعي، فيمكن الإشارة إلى مشروع توفير المياه الحلوة في الأحساء، ومشروع حجر الرمال في الأحساء، ومشروع تنمية وادي جازان، ومشروع تحسين الري بالقطيف، كما يمكن الإشارة إلى مشروع توزيع الأراضي البور للمواطنين بموجب النظام الصادر عام 1968م، وبدايات مشروعات تحلية مياه البحر.

وفي مجال التعليم، يمكن الإشارة إلى تشييد جامعة الرياض والجامعة الإسلامية وجامعة الملك عبدالعزيز وكلية البترول والمعادن، إضافة إلى إيفاد عدد من الطلاب المتفوقين إلى الولايات المتحدة وألمانيا وإيطاليا وهولندا ولبنان والنمسا، ولقد



«الفيصل» في حديث مع مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر الأسبق

سعى - رحمه الله - جاهدًا لإقرار مشروع تعليم الفتيات ومكافحة الأمية.

وفي المجال الصحي تم إنشاء المحاجر الصحية لتأمين الصحة للحجاج، وبدأ العمل في عهده في إنشاء مستشفى في الرياض يكون الأول من نوعه في الشرق الأوسط.

وفي مجال الرعاية الاجتماعية، أصدر نظام التأمينات الاجتماعية عام 1389هـ.

أما في المجال العسكري، فقد أنشأ المدارس العسكرية ومنها الكلية الحربية في الرياض وكلية الملك فيصل الجوية، إضافة إلى ابتعاث العسكريين إلى الخارج للاطلاع على أنظمة الجيوش والتخصص في العلوم العسكرية

الوحدة العربية

عَبَّرَ الملك فيصل رحمه الله عن موقفه من القومية العربية بقوله: «ليست القومية العربية مذهبًا وليست مبدأ وليست عقيدة، وإنما هي حس ودم ولغة، ونحن لانحتاج إلى إقامة الدليل على قوميتنا العربية».

كما وضّح سياسة المملكة تجاه الدول العربية في كلمات: «سياستنا العربية سياسة أخوة ومحبّة وتعاون في نطاق الجامعة العربية، وإننا مع إخواننا العرب في كل ما يهمهم وفي أي قضية تعرض لهم».

وقد كان - رحمه الله - شديد النصح لهم في كل ما يعرض للأمة العربية. ففي مايو 1967م أبلغ ممثلي الدول العربية بأن إسرائيل تعد العدة للهجوم على الدول العربية، وأن على الدول العربية أن تبدأ الهجوم على عكس النصيحة الأمريكية الروسية التي استمعت إليها القيادات العربية والتي نصحت بعدم البدء في الهجوم.

وعندما اندلعت الحرب بين العرب وإسرائيل عام 1393هـ/1973م أعلن الملك فيصل تضامنه الكامل مع مصر وسورية؛ بل أرسل قوة عسكرية للمشاركة في الحرب على الجبهة الأردنية.

وفي مؤتمر الخرطوم الذي انعقد في ذلك العام، بادر الملك فيصل إلى اقتراح استعمال النفط من خلال العائدات المالية بدلاً من قطع النفط عن البلدان المؤيدة لإسرائيل، وكان هذا بداية تقديم المساعدات للكثير من الدول العربية، ثم توسع فيما بعد ليشمل الدول الإسلامية ودول العالم الثالث، وبعد هذا المؤتمر بدأ دور المملكة يتعاظم على الساحة العربية والدولية.

وقد ترأس - رحمه الله - مؤتمر القمة العربي الثاني المنعقد بالإسكندرية في 28ربيع الآخر 1384هـ الموافق أيلول/ سبتمبر 1964م، وترأس وفد المملكة إلى مؤتمر القمة العربي الثالث في الدار البيضاء في 17جمادى الأولى 1385هـ الموافق 12 أيلول/ سبتمبر 1965م، ومؤتمر القمة الرابع في الخرطوم عام 1387هـ - 1967م، ومؤتمر القمة الخامس في الرباط في 1389هـ - 1969م، ومؤتمر القاهرة في رجب 1390هـ الموافق أيلول/ سبتمبر1970م.



«الفيصل» يصلي في القدس قبل احتلالها

القضية الفلسطينية

لانبالغ إذا قلنا إن قضية فلسطين كانت هي القضية الخارجية الأولى التي استحوذت على اهتمامه - رحمه الله - وكان يؤكد ذلك في كل مناسبة، وقد بدأت مشاركاته في الدفاع عنها منذ عام 1939م عندما حضر مؤتمرًا عقد في لندن للتصدي للمخططات الدولية الرامية إلى إيجاد دولة إسرائيل.

ثم رافق والده الملك عبدالعزيز في لقائه بالرئيس الأمريكي روزفلت في مصر عام 1945م، وكان موضوع الاجتماع الرئيس هو فلسطين، وقطع الرئيس الأمريكي روزفلت العهد على نفسه للملك عبدالعزيز قائلاً له: «أعدك أنني لن أصنع شيئًا يضرُّ العرب ما دمت على رأس الولايات المتحدة الأمريكية، ولن أتخذ قرارًا بشأن فلسطين إلا بعد استشارة العرب ورضاهم».

وعندما صوتت الأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين قال الملك فيصل:

«كنا نرجو أن ترفع الأمم المتحدة المقاييس الأدبية، وأن تكون سندًا للعدالة، وتحافظ على السلم والأمن، غير أن القرار الذي اتخذ اليوم، بدد هذه الآمال، وقضى على الميثاق، وإننا لنعلم أن بعض الدول الكبرى كانت تضغط على مختلف المندوبين.. لهذه الأسباب، تسجل المملكة العربية السعودية الحقيقة التالية، وهي أنها ترى أنها غير مقيدة بهذا القرار، وأنها تحتفظ لنفسها بكامل الحق في أن تتصرف حرة مختارة».

وفي اجتماعه بالرئيس الفرنسي شارل ديغول في صيف عام 1967م قال له الرئيس



ملف العدد

ديغول: «لابد للعرب أن يعترفوا بالأمر الواقع في فلسطين»، وأضاف: «إن فلسطين كانت في أحد عصور التاريخ وطنًا لإسرائيل». فأجابه فيصل بجواب حاسم محرج قال فيه: «ألم يكن احتلال ألمانيا الهتلرية لفرنسا في الحرب العالمية الثانية أمرًا واقعًا. فلماذا رفضتموه؟» وأضاف: «إذن لماذا لانعيد توزيع العالم على أساس ما كان عليه في العصور الماضية، فتعود فرنسا إلى أملاك روما، وتعود إسبانيا إلى العرب، وهكذا دواليك؟».

وفي لقاءاته بالمسلمين في مواسم الحج كان يذكرهم بفلسطين والقدس، وأنها قضية المسلمين جميعًا، ويدعوهم إلى نصرة بيت المقدس وتحريره من أيدي اليهود، ومن ذلك خطابه في موسم حج عام 1387هـ الذي قال فيه:

«إخواني:

لست في حاجة إلى أن أذكركم بأن هناك مقدسات لكم تداس وتهان وترغم يوميًا؛ فهناك أرض المعراج وهناك أولى القبلتين، وهناك ثالث الحرمين الشريفين، فهو لنا جميعًا، وليس لأحد دون أحد، إنه ليس للعرب دونكم أيها الإخوان، ولكنه للمسلمين جميعًا، وإنه يتعرض اليوم لأعظم الكيد ولأعظم الإهانات ولأعظم الدس وانتهاك الأعراض والحرمات، وإني لأهيب بإخواني المسلمين أن يهبوا لنصرة دينهم وللدفاع عن مقدساتهم لأن الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا ذلك، وقال في *محكم التنزيل: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم*».

وكان في كل ذلك ينطلق من إيمانه بأن هذا الأمر واجب مقدس لا خيار فيه، وهو ما عبر عنه خطابه الذي ألقاه أثناء زيارته لأوغندا في شوال 1392هـ إذ قال:

«إن ما نقوم به نحن تجاه إخواننا في فلسطين وكذلك تجاه إخواننا العرب والمسلمين، فهذا ليس لنا فيه أي فضل، لأن الفضل لله سبحانه وتعالى، إذ وفقنا إلى أن نقوم بكل ما يجب علينا تجاه إخواننا، وتجاه عقيدتنا».

وكان الداعم للعرب في الحروب المختلفة التي جرت بين العرب وإسرائيل في عام 1956م، 1967م. وفي عام 1973م في أثناء الحرب بين العرب وإسرائيل، أعلن حظر تصدير البترول إلى عدد من الدول الداعمة لإسرائيل؛ فكان لذلك القرار دور كبير في حمل الدول الغربية على إعادة النظر في موقفها من عدالة القضية العربية. ومن ذلك:

1- تحركت دول أوروبا الغربية فأصدرت قرارًا جماعيًا تطالب فيه بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي احتلتها.



يشارك مواطنيه أفراحهم واحتفالاتهم الشعبية

2 – تخلت اليابان عن حيادها وأعلنت انحيازها للقضية العربية وإيمانها بها.

3 – تحركت الولايات المتحدة، وبدأت تبحث عن حل لأزمة الشرق الأوسط، بعد انحياز كامل نحو إسرائيل دام أكثر من ربع قرن.

4 – انتهت إلى الأبد حالة اللاحرب واللاسلم، وشرع هنري كيسنجر في رحلاته المتلاحقة لنزع الفتيل من الأرض المشتعلة والمهددة بالانفجار.

5 – أفاق العالم بأسره من غيبوبة عدم المبالاة واعتناق أسطورة الدولة المسالمة - إسرائيل - التي يريد العرب إلقاءها في البحر.

وقد أوقفت إمدادات النفط عن الولايات المتحدة الأمريكية في الثاني والعشرين من رمضان 1373هـ الموافق 18تشرين الأول/أكتوبر 1973م.

التضامن الإسلامي

كان التضامن الإسلامي هو الموضوع المكمل لقضية فلسطين، سعى إليه الملك فيصل - رحمه الله - على مستوى العالم الإسلامي؛ لإيمانه بأن الأمة الإسلامية أمة واحدة وأن الوحدة العربية ما هي إلا جزء من كل، وأن هذا المفهوم لا ينبغي أن يغيب عن أذهان المسلمين. ولذلك كان يقول: «نحن أمة؛ الإسلام ديننا ودستورنا، والدعوة إليه هدفنا، والدفاع عنه واجبنا. نؤمن بالتجمع مع إخواننا المسلمين متمثلين قوله تعالى: واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا».

وقد بدأت جهوده في هذا السبيل من رابطة العالم الإسلامي، حيث دعا إلى المؤتمر الإسلامي الكبير عبر رابطة العالم الإسلامي بمكة، ثم زار لهذا الغرض عدداً من الدول الإسلامية.

كما حضر مؤتمر القمة الإسلامي الأول الذي عقد في الرباط في 10رجب 1389هـ الموافق أيلول/ سبتمبر 1969م.

وفي مؤتمر وزراء الخارجية المنعقد في جدة في شباط/فبراير 1972م خاطب المؤتمر بقوله:

«إن حالة المسلمين اليوم، أيها الأخوة، لاتخفى عليكم طبعًا، وما يتعرضون له من نكبات وكوارث وتفتيت وتمزيق، حتى وصل العدو لدرجة صار معها يستغل بعضنا ضد البعض الآخر، وصار يستغل أفرادنا ضد جماعتنا، وهذه كلها مخططات الأعداء، فيجب أن ننسى كل هذه الأشياء، فيما بيننا، ونترابط ونتكاتف، ونتعاون في كل ما فيه مصلحة ديننا وعقيدتنا وشريعتنا ووطننا وأمتنا».

وكان من نتائج هذه الدعوة والزيارات والمؤتمرات التي عقدت أن تكاتفت الدول الإسلامية وقطعت كثير منها علاقاتها التي كانت تربطها بإسرائيل.



«الفيصل» يصافح الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون أثناء إحدى زياراته للولايات المتحدة

وفاته

استشهد رحمه الله في مكتبه وهو يؤدي عمله في العاشرة والنصف من صباح يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر ربيع الأول عام 1395هـ الموافق للخامس عشر من شهر مارس/آذار 1975م عن عمر ناهز 71 عامًا.

وقد كان لاستشهاده وقع أليم في داخل المملكة وخارجها.

وكان رحمه الله قد صرح للتلفاز السعودي قبل يومين من استشهاده بقوله:

«قد لايكون تطور المملكة الذي أنجز حتى اليوم مرضيًا لطموحنا، ولكنه يتميز بأنه مدروس وأنه أقصى ما يمكن تنفيذه عملاً ؛ ونحن نريد أن تكون هذه المملكة، الآن، وبعد خمسين سنة من الآن، إن شاء الله، مصدر إشعاع للإنسانية والسلام، يسكنها شعب مؤمن بالله».

وقال «يجب أن تشكل الدولة الفلسطينية على الأرض الفلسطينية، وتعود الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، كما أن عودة القدس إلى الإدارة العربية أمر حيوي في نظرنا، ولايمكن أن نقبل بغير ذلك».

لقد كان فيصل بن عبدالعزيز فرعا مثمرا في دوحة مباركة، وقلبا وسع هموم المسلمين في كل أرجاء الأرض. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

المراجع:

1- د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.
2- أحمد عطية الله: القاموس السياسي.
3- خير الدين الزركلي : الأعلام.
4- صالح محمد الجاسر : أعلام في دائرة الاغتيال.
5- عبدالعزيز أحمد شكري: الثلاثاء الحزين.
6- عبدالعزيز محمد الأحيدب: آلام وآمال.
7- عبدالوهاب الكيالي: موسوعة السياسة.
8- فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية.
9- محمد حرب: الملك فيصل بن عبدالعزيز.
10- الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال.



ملف العدد

الفيصل.. وسر عظمته

إعداد: مصطفى مقبول حلاوة

إن الدارس لتاريخ الفيصل يجد أنه أمام ملك عظيم. فلقد كان - يرحمه الله - رجل دولة من الطراز الأول، يتمتع بكل الصفات القيادية؛ فهو ملم بالشؤون الدولية، إلى جانب تميزه بالحكمة والاتزان، وبالحنكة والسياسة، وبعد النظر، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وفوق هذا كله فهو رجل حرب عند الضرورة، يفرض احترامه على الآخرين من رؤساء ومرؤوسين..

كل هذه الصفات، وتلك الميزات مهما تعددت أسماؤها، ومهما تباينت نعوتها، ومهما اختلفت أطرها؛ فإن تفسيرها ومفهومها واحد هو: «الثقة بالنفس». فثقة الفيصل بنفسه كانت لا حدود لها، وكانت السمة الغالبة فيه، والتي كان لها كبير الأثر في جميع سجاياه الأخرى. هذه الثقة بالنفس كانت - في حد ذاتها - سر عظمته، ومنبع السمو في أخلاقه، وهي بعبارة أوضح: مصدر حلمه، ومنطلق تواضعه، وتسامحه ورقته، ودماثة خلقه، ولين عريكته.

ومن جانب آخر كانت ثقته بنفسه مصدرا لقوة شخصيته، وإرادته الفولاذية، ومنطلقًا لثباته، وقوة بأسه، وشدة مراسه، ورباطة جأشه، وصموده صمودًا لا تلين له قناة، ولا يقعقع له بالشنان، وحافزا لشجاعته، وبطولته، وعناده الذي تَحَدَّى به الدول الكبرى يوم أن قرر حظر تصدير النفط إليها في حرب العاشر من رمضان.

إن هذه الصفات مجتمعة هي من نتاج الثقة بالنفس التي امتلك الملك فيصل ناصيتها.

ونحن حين نحاول جادين البحث عن مكامن هذه الثقة الكبيرة بالنفس التي كان يتمتع بها الفيصل من خلال استقراء خطبه وما كتب عنه لا نجد سوى إيمانه الكبير بالله الذي كثيرًا ما أكده في خطبه.

لقد كان الفيصل - يرحمه الله - إنسانا فريدًا من نوعه، لم يبطره الملك، أو يغرّه السلطان، أو يفتنه الترف.. بل كان مسلمًا، تقيًا، ورعًا، يعتز بنفسه، وبدينه، ويتبع تعاليم الإسلام الذي قُدّر له أن يشارك في حكم أرضه المقدسة ما يقرب من نصف قرن.

ولقد كان لتمسكه بدينه أثره الواضح في اعتداده وثقته بنفسه، وفي قوة شخصيته، وقد تجلى هذا واضحًا في تحليه بمكارم الأخلاق، وبالفضائل العربية الأصيلة التي من أبرزها:

التواضع والبساطة

فلقد كان - يرحمه الله - متواضعًا في حياته، بسيطًا في مظهره. كما كان زاهدًا في الألقاب، يحب أن تناديه الرعية بكنيته «أبو عبدالله»، أو «يا طويل العمر» من دون تعظيم أو تبجيل(1)، وقد

عبَّر عن ذلك بقوله في إحدى خطبه: «**تكرر على مسمعي لفظ «صاحب الجلالة» و«الجالس على العرش» وما أشبه ذلك، أرجو منكم - أيها الأخوة - أن تعتبروني أخا وخادما في نفس الوقت.. إن الجلالة لله سبحانه وتعالى، وإن العرش هو عرش رب السموات والأرض، وهذه الكلمات، وهذه الصفات دخيلة علينا في ديننا ولغتنا، ولست في ذلك متملقًا، ولا منافقا بحول الله تعالى وقوته، ولكنى أقول لكم ما أشعر به**»(2).

العفة في اللسان واليد

فقد كان - يرحمه الله - عفيف اللسان، وعندما كان أعداؤه يتهجمون عليه في خطبهم السياسية؛ كان يتجاهلهم فلا يرد عليهم، فإذا ما سأله الصحفيون عن رأيه فيما يقولون - بقصد إحراجه - رد بلباقة: «نسأل الله لهم الهداية(3).

وكان يدعو شعبه إلى فضح السارقين، والموظفين المرتشين الذين يستغلون وظائفهم. ومن قوله في هذا الصدد: «**وإنني لأعلم أنكم - أيها المواطنون - تشكون في مجالسكم، وفيما بينكم من أن بعض الموظفين، أو بعض المتنفِّذين يستغلُّون مراكزهم، وهم ينتفعون منها ماديًا، ولكن اسمحوا لي إذا قلت بأن الحق عليكم أنتم، فإننا مستعدون أن نضرب على يد أي مستغل، أو متلاعب بأقصى العقوبات، والشيء الوحيد الذي نرجوه منكم فقط أن تعاونوا حكومتكم على اجتثاث جذور الفساد**»(4).

الصدق والصراحة

وكان - يرحمه الله - متمسكا بالصدق، وقول الحق في كل مقام، صريحًا إلى أبعد حدود الصراحة، جريئًا، مقداما، لا يخشى في الحق لومة لائم، ويتجلى هذا في قوله: «**إننا لا ننزه أنفسنا من الخطأ، أو من الأغلاط، أو من الزلل، وإنما الميزة الوحيدة فينا هي أننا إذا غلطنا قلنا: غلطنا، وإذا أخطأنا قلنا: أخطأنا**»(5).

كما كان يتنزه عن الكذب، والخديعة والزلفى مما ينافي الأخلاق الإسلامية، وقد قال في هذا الصدد: «**ليس لدي شيء أقوله في الخفاء، وأشياء تختلف أقولها في العلن.. إن أكثر ما أكرهه هو الكذب الذي كرهه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإني لأكره أن أسمعه ولو من أحقر الناس، فحاشى لله أن أرضاه لنفسي**»(6).

وقال أيضا: «**أظهروا لي الحقيقة ناصعة، واضربوا بالحق وجه كل من يخالفه، ما أضرنا إلا أننا نرى السيئ ونطريه ونقول له: أنت محسن، ونرى الخائن ونقول له: أنت أمين، ونرى السارق ونقول له: أنت نزيه**»(7).

الذكاء وسعة الحيلة

كان الفيصل - يرحمه الله - ذكيا حاد الذكاء، ألمعي الذهن، يفهم التلميح دون التصريح، سديد الرأي، حاضر البديهة، قوي الذاكرة. وكان من ذكائه أن يتغافل أحيانا عن أمور يعرفها، وكأنه كان يتبع الحكمة العربية القائلة: «وإن لبيب القوم من يتغافل»(8). وكان يرتجل الخطب ارتجالاً مما يسبغ عليها مزيداً من القوة، ويجعل لها قبولاً كبيرًا في قلوب مستمعيه، كما كان يجيب عن أسئلة الصحفيين من دون تحضير مسبق، وهذا يدل على عبقريته، ونباهته، ودبلوماسيته البارعة.



«الفيصل» في أحد مجالسه الشعبية

الصبر والحكمة

كما كان صبورًا، حكيمًا، لايستعجل



ملف
العدد

الأمور، وإذا وضع لنفسه هدفا بذل قصارى جهده للوصول إليه من دون كلل أو ملل متبعا الحكمة القائلة: «إنكم لاتدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون».

وكان لا يحنق ولا يثور حتى في أحرج المواقف، وأدق الظروف، وكانت سيطرته على



نفسه من القوة بحيث إنه لم يكن يتكلم بكلمة في غير محلها، أو زائدة عن المقصود، وقد بدا هذا جليا في تعامله مع خصومه عندما كانوا يتهجمون عليه في خطبهم السياسية فكان يقول: «**لقد قيل عنا ما قيل، ولكننا ـ كما قلت في الأول ـ لن نقول لأحد شيئًا إلاّ أن ندعو له بالهداية، والرجوع إلى الحق، واتباع سبيل الله، وهذا ما نطلبه من الله سبحانه وتعالى أن يوفق الكل إليه**»(9).

العدل والمساواة بين الرعية

ومن صفاته حب العدل، والعمل على رفع الظلم، وإنصاف المظلوم، والاقتصاص من الظالم مهما كان موقعه. وقد عبر عن ذلك في إحدى خطبه فقال: «إن الهدف الذي يسعى إليه كل حاكم صالح هو تحقيق العدالة الاجتماعية لأفراد شعبه، وهو ما نفعله نحن في هذا البلد، ونضعه نصب أعيننا، مستعينين على تحقيقه بتعاليم الشريعة الإسلامية السمحة»(10). وقال أيضًا في المعنى نفسه: «**لكم عليّ أن أراقب الله سبحانه وتعالى في كل ما أعمل، ولكم عليّ الإخلاص في خدمتي لكم، ولكم عليّ أن أعدل بين صغيركم وكبيركم، وإن أطرفكم (أبعدكم) عندي مساوٍ لأقربكم إليّ في الحق**»(11).

كما قال كذلك: «ليس عندنا ولله الحمد فرق بين رئيس ومرؤوس، والرجل في الشارع وأكبر «راس» في البلاد أمام الحق سواء»(12)

الرأي والمشورة

كان الفيصل يؤمن بحرية الرأي، ويشجع الكلمة البناءة، ويكره النفاق والمنافقين، وقد عبر عن هذا في خطب كثيرة منها قوله: «نحن يسرنا جميعا أن نتلقى من أي فرد من أفراد هذا المجتمع، وهذه الأمة أية ملاحظة، أو أية مراجعة في أي شأن من الشؤون يرى أن فيه ما يغاير المصلحة، أو يغاير الهدف الذي نرمي إليه جميعًا، وسيكون لها أكبر الترحيب في نفوسنا، وسنهتم لها أكبر الاهتمام» (13).

وقال في خطاب آخر: «**أقسم بالله أن أبرك ساعة عندي هي الساعة التي يأتيني فيها أحد الناس ويقول إنني مخطئ ومقصر، وليس قصدي التزلف بهذه العبارة فأنا لا أخاف أحدًا ولا أرجو غير الله، ليس من الأمانة في شيء أن تروا فيّ قصورًا ولا تصارحوني به، أنا منكم، إن قصرت فعليكم، وإن أحسنت فلكم**»(14).

العمل في صمت

كما كان دائما يؤثر الصمت والكتمان في أعماله، لا يحب الثرثرة حتى يحين وقت الكلام، فإذا تكلم فمن دون تفاخر أو منة بما يفعل من خير أو إحسان، وقد عبر عن ذلك بقوله: «لسنا ممن

يقول سوف نعمل، ولكننا تعودنا بحق الله وقوته أن نقول عملنا»(15).

كما قال: **«كان في إمكاننا أن نقول عملنا، وأن نعمل بعض الأشياء البراقة التي لا تدوم، أو التي لايعرف مدى نتائجها، ولكن يأبى الله أن نعامل وطننا وشعبنا إلاّ بما نطمئن إلى أنه في صالحنا، وليس مجرد دعاية أو ادعاء»**(16).

وبعد؛ فتلك هي أهم صفات الفيصل العظيم، وهي - كما نرى - نابعة من تمسكه بتعاليم الدين الإسلامي أولاً، والأخلاق العربية الأصيلة ثانيا، والاعتداد والثقة بالنفس ثالثا. وكلها سجايا وصفات ورثها عن أبيه جلالة الملك عبدالعزيز، فكان بذلك خير خلف لخير سلف، رحمهما الله.

المراجع:

1- قدري قلعجي، موعد مع الكرامة: قبس من حياة فيصل بن عبدالعزيز، بيروت، دار الكتاب العربي، 1392هـ/1972م، ص 87، وصلاح الدين المنجد، فيصل بن عبدالعزيز، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1972م، ص99.
2- وزارة الإعلام، فيصل يتكلم، الرياض، د.ت، ص17، «من خطابه في احتفال البيعة بالرياض في 1384/7/19هـ».
3- المنجد، المرجع السابق ص94.
4- المنجد ص107 «من خطابه في المهرجان الشعبي بجدة في 1963/4/20م».
5- وزارة الإعلام، المرجع السابق ص9 «من خطابه في افتتاح مركز التدريب المهني بالرياض في 1383/11/16هـ - 1993/3/29م».
6- قلعجي ص،89 المنجد ص97
7- قلعجي ص 88 – 89
8- المنجد ص 97.
9- وزارة الاعلام، المرجع السابق ص 145 «من خطابه في حفل العشاء التقليدي لتكريم رؤوساء بعثات الحج في 1385/12/16هـ».
10- المنجد ص 110 «من خطابه في جدة في (1963/4/2م».
11- وزارة الاعلام، المرجع السابق ص17 «من خطابه في الاحتفال بالبيعة في الرياض في1384/7/19هـ».
12- قلعجي ص 86.
13- وزارة الاعلام، المرجع السابق ص9 «من خطابه في افتتاح مركز التدريب المهني بالرياض في 1383/11/16هـ».
14- قلعجي ص 88.
15- وزارة الإعلام، المرجع السابق ص 126 «من خطابه في حفل مؤسسة النقد السعودي في 1385/5/11هـ - 1966/9/7م».
16- المرجع السابق ص 23 «من خطابه بالأحساء في 1384/10/5هـ - 1965/2/6م».

قراءة في



لم يمنعه «إحرامه» من مراجعة شؤون الدولة

رثى الأمير الشاعر خالد الفيصل بن عبدالعزيز والده المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود. الذي فقدت الأمة العربية والإسلامية بموته قائدًا محنكًا، وزعيمًا مؤمنًا. كان قد أخلص جهوده لخدمة شعب مملكته، وشعوب الوطن العربي، وقضايا الإسلام. وذلك ليسود الأمن والرفاهية والسلام. فقال - وما أصدقه من قول وقائل -:

لا هنْتْ يا راس الرجاجيل لا هنتْ
لا هانْ راسٍ في ثرى العُودْ مدفونْ
واللهْ ما حطَّكْ بالقبر لكن آمنتْ
بَاللّي جَعَلْ دفن المسلمينْ مسنونْ
مَنْزلكْ يا عزَّ الشرفْ لَوْ تمكنتْ
فوق النجومْ اللّي تعلَّتْ على الكونْ
سَكَنْتْ دار المجدْ يا شيخْ واسْكَنْتْ
شعبَكْ مَعَكْ في منزل العزْ ممنونْ



ملف العدد

مرثية

عبد الرحمن الحوراني

صُنتْ العهدْ يا وافي العهدْ ما خُنتْ
علمتهم وشْلون الاشراف يوفون
كم ظالمٍ عاداك، واعفيت، واحسنت
واخلفتْ ظنْ جموع ناسٍ يظنونْ
شِلْتَ الأمانهْ حافظ ما تهاونتْ
شفْنا بَكْ رجالٍ على النفسْ يقوونْ
ياللّي طلبه المُلْكْ بالحبْ زَيَّنتْ
عرشك ابتاج اقلوبْ ناسٍ يحبّونْ
لوَّنتْ تاج المُلْك ما قَد تلونتْ
ما غرتكْ دنياكْ ما صرتْ مفتونْ
بالزهدْ والمعروفْ والصبر كوَّنتْ
منهاج فيصلْ منْهجَ اللّي يعدلون
تلفَّتتْ روس الخاليقْ وينْ انتْ؟
وين العظيم؟ وعَوَّدْ الشُوف مطعونْ
كمْ خافقٍ وقَّف عقب ما تكفنتْ
وكم ناظرٍ ذوَّبْ سُوادهْ محزونْ
لَوْ شفْت حال الناسْ بَعْدَكْ تبيَّنتْ
مقدارْ حُبْ الناسْ للّي يودُّون
مّما بقلبي قُلتْ: يابويْ لا هنتْ
والاَّ انتْ فُوق القولْ مهما يقولون

والأمير خالد الفيصل، أديبٌ شاعر، ينظم الشعر الفصيح والنبطي. ولا غرو، إن كان شاعراً مُجيداً، طويل الباع، مكثراً، مشرقَ الديباجة، غزير المفردات، مبدعاً؛ فوالده - رحمه الله - شاعر، وأعمامُه وأبناء عمومته شعراءُ بالفطرة، وأخوه الأميرُ عبد الله الفيصل شاعر مشهور.

والأمير خالد، أميرُ حُكمٍ، وأميرُ كلمة، وأميرُ قافية، وأميرُ وزنْ. وكان - فيما مضى - يُوقِّعُ جُلَّ ما ينشره من نتاجٍ أدبي تحت اسم: «دايم السيف».

وينتسب الأمير الشاعر إلى القبيلة الكبيرة «عنزة»، بل هو في الذؤابة منها، ومن الأسرة الحاكمة في المملكة العربية السعودية: آل سعود. وها هُو ذا أمَامَ الفاجعة الكبيرة، وفاة والده، المغفور له، الملك فيصل، ملك المملكة العربية السعودية، الملك الحُلاحل، وابن الملكِ العظيم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

وها هو ذا الأمير يعطي الدنيا العربية، والشعرَ، قصيدةً، هي دُرةٌ ثمينةٌ في تاج ديوان شعر المراثي النبطي.

والقصيدة مرثية متميزة بجودتها، وتأثيرها القوي في النفس، ووقوعها في القلب موقعًا رمى إليه الشاعرُ وسَعَى. والمرثيُّ مللك كبير، والراثي شاعر أمير، مشهودٌ له بطول الباع. نشأ في بيت ملكي، كلُّ أفراده يأخذون بسبب أو بآخر من العلم والثقافة والاختصاص والفكر الجيد وأسلوب الحكم الأمثل.

والمرحوم الملكُ فيصل كان ممن يهتمون بالأدب والأدباء والتراث. وهو القائل: «نحن أصحابُ تاريخٍ وتراث وأمجاد. دينُنا خالد، ومجدُنا طريف تالد، وتُراثنا أشرفُ تراث، وتاريخُنا أشرفُ تاريخ، وأمتُنا خيرُ أمة أُخرجت للناس. كان مكاننا في مقدمة الشعوب، ولن نرضى أن نكون في مؤخرتها».

الملك فيصل علم من أعلام الأمة العربية. وحين توفي تردد صدى وفاته في الدنيا العربية من المحيط إلى الخليج، بل في العالم أجمع، وإن كثيرين من الشعراء الذين صدمتهم الوفاة، قد رثوه بقصائد تفيض صدقًا ودمعًا وأسًى؛ مثل: سليمان بن عبد الله حاذور والأمير سعود بن محمد، والأمير بندر بن فهد، والأمير عبد الرحمن السديري، وغيرهم كثيرون. وقال فيه الملوك والرؤساء كلمات صادقة؛ كالرئيس حافظ الأسد، والملك حسين، والرئيس الحبيب بورقيبة، والرئيس جيسكار ديستان، والرئيس نيكسون.

والأمير خالد هو الأولى والأجدر برثاء الملك؛ الذي شَمَلَهُ بعطفه الأبوي، وأرتَعَهُ في نعمته السابغة عليه. ولم يكن وحدهُ، بل معه أهل المملكة، الذين باتوا قريري الأعين بحكمه الصالح وبرأيه الحازم وحكمته البالغة.

وقد هزَّ موتُه البشر في دنيا الإسلام، فانطلق خالد - من دون مقدمات - يُجلُّ الحدثَ ويعظمه. وهو كذلك، بل فوق ما أتى به. وغمس طرفَ ردائه في المداد، ثم ضرب به في صدره، وصاح:

لا هنت يا راس الرجاجيل لا هنت..

ويستمر الشاعر يُشيِّعُ مليكَه وشيخَه ووالدَه ومثلَه الأعلى، الذي درج على الدنيا كالشمس تسطع بأشعتها المنعشة والمحببة لكل الكائنات الحية، ثم أُدرج في كفنه الطاهر إلى حيثُ اختاره اللهُ سبحانهُ إلى جواره. وقد ظلت هذه الأشعة عميقة الغور، يتركز في كل شعاعٍ منها معنى النهار المشرق السعيد، بخلفه الصالح من آل سعود.

ووجَّه الأميرُ الشاعرُ نداءَه، بعمق المُصاب، وفداحة الخطب، إلى الناس جميعهم من عرب وغير عرب، مسلمين وغير مسلمين. وهو مؤمن بالله وبالقدر خيره وشره. وهو مؤمن بأن جدلية الصراع الحياتي، لا تُميز يومًا من يوم، ولا ساعةً

قراءة في مرثية

من ساعة. فالموت في وسائله وأدواته واحد؛ يستوي أمامه كلُ الناس.

ويومُ 13 ربيع الأول عام 1395هـ، هو يومٌ مشهود. مات فيه الرجلُ الكبير، الرجل العظيم، الشيخُ الحلاحل، الملكُ فيصل بن عبد العزيز آل سعود. فأمسى شعبُ المملكة كاسفَ البال، باكيَ العين، مكسورَ الخاطر. وأشعلَ موته جمر الأحزان في القلوب جميعها، من شعب، ومحبين أصفياء، وأهل، وذوي قربى. وقد بكته العيون بالدموع الغالية. واسترد اللهُ سبحانه وديعته، تلك الوديعةُ التي كانت الملك، الوفي، المخلصَ لشعبه وأهله ولدنيا الإسلام والمقدسات. تلك الوديعةُ التي كانت سيفَ المملكة وبطلَها، وسُورَ الأمة.

مات الملك المعتزُ بأرومته العربية والإسلامية، وبانتمائه الوطني، الملكُ الجوادُ الكريم، الملكُ الذي تتجلى فيه صفاتُ لين الجانب، وحسن الطباع، وسلامة النية، وصدق الطوية، والوفاء بالعهود والوعود، وقوة الإيمان والتدين.

ومن ثوابت الأمور في الدنيا؛ أن ما يقضي به اللهُ تعالى؛ أمرٌ لا مفرَّ منه من خير وشر، وحياة وموت. والموتُ مقدَّر. ولهذا تلقى الملك فيصل - طيَّب اللهُ ثراه - الموتَ بكل تسليم بقضاء الله.

لقد سكنتَ، وأسكنت معك شعبك في منازل العز، ودور المجد. وكان حامدًا شاكرًا لله، ثم لأعمالكم الفاضلة. فلم تترفعوا عنه، ولم يفصلْ بينكم وبينه برزخٌ أو هوةٌ أو فرق. فكلاكما قد أحب الآخر. فأنت سرت به في معارج الهدى والمعرفة والرفاهية، وهو أحبكم وأطاعكم، وامتثل أوامركم وتعاليمكم. وهذا ما رمى إليه الشاعر:

لو شفت حال الناس بعدك تبينتْ

مقدار حب الناس للي يودون

والقصيدةُ بكاملها قطعةُ رثاءٍ ذاتُ قافية حزينة مؤثرة. قطعةُ رثاء صادقة العواطف. وقد انطلق الشاعر على سجيته بصدق وعفوية يقول ما تمليه عليه معرفتُه بوالده العظيم. فلم يمدح ولم يبالغ. فهو رثاءُ ولدٍ لوالده، جرى مع طبعه الصافي يرثي مليكه صاحبَ الطبعِ الهادئِ والصافي، والفكر العميق البعيد من التعقيد والغموض. فجاءت التعابيرُ سليمةً صافية. وجاءت الأبيات متواترة متنامية متسامية في المبنى والمعنى في كل المرثاة. وجاءت بعضُ الألفاظ مكرورة لتؤكد ما يرمي إليه الشاعر.

ويلتزم الشاعر قافيتين في القصيدة، شأنه شأن الشعراء الفطاحل الذين لم يخرجوا على الأصول والقواعد. فجعل القافية في الصدر تاءَ المخاطبة. وجعل القافية في العجز حرفَ النون مسبوقًا بحرف العلة الواو. ولكنْ، ما أصدق البيتَ الأولَ.. المطلع.. والمطلعُ أمر مهم في القصيدة. فكان:

لا هنت يا راس الرجاجيل لا هنت

وبهذا، انقضَّ على غرضه، وكأنما المطلع جاء زُبدةَ الأفكار المتزاحمة، والخواطر المتواردة إلى ذهن الشاعر. مع ترنيمة شعرية كانت تُهوّم في رأسه كالدوامة. فأفرغها في البيت الأول بكل رضى واستسلام. وهو يوازي بين العرش العالي، والقبر. ولكنه يستشرف بلمحة الشاعر الذكي أفقَ المقبرة «العود»، التي سيُدفن فيها، وهي مدفن العظماء الأبرار من أهله، وعلى رأسهم المغفورُ له الملكُ عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود. فتهدأ ثائرته. ثم يبدأ بتفريغ الشحنات العاطفية الصادقة، منذ البيت الثاني وهو يصب فوق جثمانه الطاهر آيات الرحمة والطمأنينة والسلام.. ولكنه يتمرد بحماسة الشباب، ويقسم ألاّ يدفن جثمان مليكه في الأرض. ثم لا يلبث أن يتطامن مع الواقع. والواقعُ جبارٌ عنيد، لا قبل لأحد بمقاومته ومصارعته. فيستكينُ بعد التعبير الأول في بداية البيت الثاني:

والله ما حطّكْ بالقبر

ويقول: لكن آمنت، بأن سنة الله في خلقه، أن يُدفنَ الأمواتُ في التراب.

ثم تتوالى الأبيات، وكلُ بيت من القصيدة يمثل قانونًا وضعه الملك الراحل، مستوحى من مسلكه القويم، وأفكاره السديدة.

... وقد حمل الفيصل الأمانة التي قلدها شعبُهُ له. وَهُم وإن آثروه بها، لكنَّ الله أراد بهم الخير. فكان فيصل عنوانَهُ. فأدى الرسالةَ، رسالةَ الملك العادل الذي لا تأخذه في الحق لومةُ لائم. فلم يَهُنْ، ولم يَلِنْ، ولم يؤذ أحدا، ولا جار على أحد؛ بل كان يطبق شرعةَ الله سبحانه في رعيته؛ فينصف الضعيفَ من القوى، والمحكومَ من الحاكم، والمسود من السادة، حتى لقد رأى الشعبُ والمواطنون في سيرته سيرةَ الأمراء والحكام والمديرين والأهل وهم يتشبهون به، ويسيرون على منواله. لأنه مرآتهم الصقيلة المجلوّة التي يرون أنفسهم فيها. ويصبحون قادرين على فعل المعروف، صابرين زاهدين، متتبعين منهاجَ فيصل العظيم ودستوره. ذلك العَلَمُ الذي أعرض عن الدنيا ومباهجها:

بالزهدْ والمعروفْ والصبرْ كوّنتْ

ومن خلاله معروفه الجميل، واستقامته، وعدله، وشهامته، وحُبّه لشعبه، وصبره على الحوادث الجسام؛ وضع الدستور المستقيم لكل عادلٍ يتولى الحكم في الدنيا:

منهاجْ فيصلْ، منهج اللي يعدلون

... وقد منحته الرعيةُ قيادها. فكان القائدَ الملهمَ، القائد الرائد. فما تلوَّنَ. وما بَطَرَ، وما تعالى، وما شَمخَ وافتخرَ. بل كان الملك صاحبَ المقام السامي بتواضع، الشديد المتشددَ إزاء كل انحراف بعطف وتسامح. لم يغتر بالدنيا. ولا غرَّه بالله الغرور. وحمل المسؤولية. وقاد الشعبَ في الزمن العصيب؛ رجلاً كبيرًا لا كالرجال. ومثالاً رائعًا للحكم والمهابة. لم يتهاون ولم يتساهل في حقوق الله والعباد والبلاد. فقهر نفسَهُ وألزمها العدل والزهد والمعروف والصبر. ورجلٌ يملك هذه الطباع والسجايا النادرة؛ يسعى إليه المُلكُ منقادًا،



ملـف العـدد

متباهيًا، طوعَ أمرِه ورأيه. وقد زين حكمَهُ بالمحبة. فهبت جموعُ شعبه من كل حدب وصوب، من أرجاء المملكة القاصية والدانية، تَهَبُ له ولاءها وحبها وإخلاصها. وصنع العاهلُ من هذه القلوب المُحبَّة، والنفوس المخلصة، تاجًا زين عرشَه وجمّلَه.

ويستمر الأمير الشاعرُ: لقد فارقتمْ الدنيا، ولم يصدق الشعب ذلك. فراح يتساءل تساؤلَ العارف المجروح المحزون، أين أنتم أيها العظيم. وإن جثمانكم الطاهرَ مُسَجّى أمامَهم، يُلقون عليه نظرةَ الوَدَاع الحزين، وقد ماتت تساؤلاتُهم في مرارة الحقيقة، وسكنت قلوبهم واجفةً خافقة. وارتدَّتْ أبصارُهم طعينةً دامية. وتجاوبتْ الأصداءُ من شواطئ البحر إلى الخليج، ومن أقصى النفود إلى الربع. مات المليك. مات الشيخ. مات شهيدُ العدالة، شهيدُ العروبة والإسلام، شهيدُ الكلمة الجريئة، شهيدُ المقدسات الدينية.

وليتك يا والدي تفتح عيونك ترى شعبَكَ الذي أحبكَ واصطفاك؛ بل لتقدِّر شدة حبه ووده العارم وقد ذوَّب سويداءَ قلبه حزنًا وحسرة. وسوادَ عيونه بكاءً ونواحًا، فاستحال السواد بياضًا.

ما قَلَّ شأنك يا والدي. وما صَغُر أمرك يا ملك الرجال وسيدهم، فأنت جليلٌ مع الموت. مهيبٌ ساعةَ الأجل. راقدٌ في مثوى الصالحين الأبرار، والأسياد العادلين. مرضيٌّ عنك، مغفورٌ لك عند الله سبحانه.

وبعد يا والدي؛ إن كنتُ قد قلتُ ما قلتُ. فما هو إلا تعبيرٌ عن أساي ولوعتي، وحرقةِ فؤادي، وإنني أعلم يا سيدي أنك فوق القول، وفوقَ قوافي الرثاء، وفوق معاني الإباء والشموخ والشهامة والشرف العالي، وفوق قصائد الرثاء والندب وأساليب التعزية. فعليك الرحمةُ، ولك طيبُ الذكر، وموعدُكُم الجنة في فردوس الرب سبحانه.

هوامش على القراءة:

ـ المفردات الفصيحة ترفرف على جو القصيدة/ المرثية. وقد جاءت عفو الخاطر ومن دون عناء وتكلف وتوعر.

ويمكن ـ مع بعض التغييرات القليلة ـ قَلْبَ القصيدة إلى قصيدة فصيحة. وهذا دليل على أنَّ الأمير الشاعر، غزيرُ المفردات، واسعُ الاطلاع على اللغة. وإن سيالتَه الكلامية بعيدة من اللفظة البدوية الدارجة. ففي كل المرثية لا نجد كلمةً عادية، بل كلُ التعابير فصيحة. ولقد مررت على المراثي التي قيلت في الملك فيصل ـ رحمه الله ـ فلم أتلمس مثل هذه الألفاظ. وعلى سبيل المثال، لو تصفحنا مرثية الشاعر سليمان بن عبد الله حاذور، في الملك فيصل بن عبد العزيز، سنراها مرصوفةً بالكلمات الشعبية المتداولة في المملكة: محدن [ما أحد]، جبرها [ضجة]، ثقيل المروز [ملك جليل]، بمليوم [ليس ملومًا]، بالراي معدوم [لا مثيل لرأيه]، منجوم [فيه مسٌ]، ومرها [جعلها الله تمر علينا]، بر وبحر، ما سوم [وسم، موشوم، سنسمه على الخرطوم]، قيدوم [مقدام شجاع]، حُومْ [كرْ وفرْ]. وهكذا. صحيحٌ، أنَّ الموازنة معدومةٌ بين المرثيتين: لغة وتعابيرَ وأسلوبًا وفكرًا وعاطفةً. ولكن الشاعر ابن حاذور وفيٌّ لمليكه ورئيسه.

وتتكررُ بعض التعابير في المرثية؛ وذلك لتأكيد ما في نفس الشاعر، وما يجيش في صدره، مثل: لا هنت. الناس. أمَّا لفظةُ «يا بوي» فقد وظفها الشاعر غريزيًا. وكان ممكنًا استبدالها لو قال: مما بقلبي قلت يا الملكْ لا هنت!!؟ لكنه أبوه، والده، ولي نعمته.

ـ أما القافية، فحبذا لو كانت طبقًا للقاعدة الثابتة لدى كبار شعراء الشعر النبطي والشعبي، فتصبح في الصدر: لا هنت، وفي العجز: لا هانت. ولكن الفجيعة صرفته وصدمته. ومع هذا فإنَّ القافيتين رائعتان. وتُطاول كلٌّ منهما الأخرى، وتزاحُمها في سباقٍ رزينٍ للوصول إلى قلب السامع والقارئ والمتلقي والمؤدي كذلك.

ـ ويأتي الأميرُ الشاعر على كلمة الشيخ، بدلاً من الملك. وما أروعَ لفظةَ الشيخ. يقول شيوخُنا في العربية: الشيخُ في مستوى سلطان وملك ورئيس وزعيم وفخامة وسيادة. ولكنها أبعدُ غورًا، وأكملُ وأسرعُ انتشارًا على ساحة التوقير والإجلال. ونتعامل مع تعبير الشيخ بكثير من الاطمئنان والصفاء. وتبقى على تفردها مستساغة رائعة!

ـ تعبير «سكنت وأسكنت»، رائع وموفق. فالملك فيصل هو الشعب السعودي، والشعب السعودي هو الملك فيصل.

ـ إن لفظة «سواده» في البيت:

وكم ناظر ذوَّبْ سواداهُ محزونْ

هي أقدرُ على التعبير عما في النفس من حُرقة وألم. وبقدْر ما يكون مدُّ الألف طويلاً، يكون التعبيرُ عن ألم الراثي والمشيِّع والناظر أكثر. وهذا ما يتطابقُ مع الحداء والآهات في ليل الحزن الطويل المديد. وإن مثلَ هذا الحّس لا يمتلكه إلا الشاعر الشاعر؛ فيميزه من بين شعراء الصنعة والتكلف، الذين يرثون أيَّ عظيم بالدرْبة والمران. بينما الأمير الشاعر يرثي بالطَبع والفطرة.

ـ وإذ يشفعُ للشاعر الأمير حزنُه الصادق، وإخلاصُه الكبيرُ لوافي العهد، وحامل الأمانة، والده العظيم، فقد كنا نأمل منه أن يسبر شخص الفيصل ونفسه وكيانه؛ لأنه ـ كإنسان ـ نبعٌ للصور السامية والمزايا الحميدة المتفردة، والطبع الهادئ، والفضيلة الكاملة، والجهاد والدفاع عن الشعب وحقوقه، والمحتدِ الطيب، والنسب الرفيع.

وتبقى مرثية الشاعر الأمير خالد الفيصل في والده ـ بحق وجديَّة ـ تأملات في طبيعة الموت والحياة وعبرًا وعظات، ودرسًا في الوطنية والأخلاق والفكر والحكم والعدل.

تموت «السايغا» ليعيش الصينيون!

تجوب عصابات يقود أفرادها دراجات نارية سهول أواسط آسيا، وتلتمس هذه العصابات ـ التي عُرفت على نطاق واسع في كازاخستان ـ أنواعًا محددة من الحيوانات البرية. وكشفت دراسة حديثة رصدت تحركات تلك العصابات أن ظباء «السايغا» هي مبتغاهم.

وتقول مؤسسة الاتجار غير المشروع، وهي مؤسسة دولية تراقب التجارة غير



المشروعة بحيوانات الحياة البرية إن أولئك اللصوص يقتلون الظباء الذكور من أجل نزع قرونها، ومن ثم بيعها لصناعة أدوية صينية تقليدية. وقال ستيفن ناش من مؤسسة الاتجار غير المشروع لمجلة «نيوسينتيست»، إنه بخلاف قرون وحيد القرن، فإنه يبدو أن مسحوق قرون السايغا على درجة من الفعالية في معالجة الحمى والصداع.

ومر زمن كانت فيه عشرات الملايين من ظباء السايغا تجول في تلك السهول، ولكنها الآن اقتصرت على كازاخستان ومنطقة كاليكيا الروسية وأجزاء من منغوليا. ويقوم اللصوص بقتل عشرات الآلاف من السايغا. وأصبح تعدادها الآن لايزيد على مليون ظبي.

وقد قررت مؤسسة الاتجار غير المشروع بالحيوانات البرية أن لا تجابه مباشرة الاتجار بتلك الحيوانات. وقال ناش: إن مؤسسات الحفاظ على الحياة البرية يجب أن تتفهم احتياجات تجارة الأدوية الآسيوية. ويقترح إنشاء مزارع تربية، أو ترويض القطعان البرية.

السيارة الكهربائية أيضًا تلوث البيئة

أثبتت الدراسات الحديثة عن التلوث الناتج من عوادم السيارات بأن استبدال عربات كهربائية بالسيارات التقليدية من شأنه أن يُعَرِّض الناس إلى مستويات خطيرة من الرصاص، طبقًا لما ورد عن الجماعات الصناعية والبيئية. ويخلص التقرير الذي أعده ثلاثة من أساتذة جامعة غارنيجي - ميلون في بتيسبرغ إلى أن السيارة الكهربائية التي تعمل ببطاريات حمض الرصاص تطلق ستين ضعفًا للكيل الواحد من الاستخدام أكثر مما تطلقه السيارات التي تعمل بالبنزين. إلا أن منتقدي هذا الرأي يردون بأن الباحثين قد استحدثوا افتراضات لا تستند إلى الواقع!

وتتم مراقبة انطلاق الرصاص إلى البيئة مراقبة صارمة بسبب سُمِّية هذا المعدن. ومنذ السبعينيات، عندما بدأت الولايات المتحدة في تنفيذ خطة تنقية البترول من الرصاص على مراحل، بدأت مستويات الرصاص في الانخفاض في دم الأطفال الأمريكيين. إلا أن الاقتصادي ليستر ليف والمهندسين كريس هندركش وفرانسيس كليه مكمايكل ينتابهم القلق من أن إنتاج بطاريات حمض الرصاص بالجملة لغرض استخدامها في السيارات الكهربائية يمكن أن يعكس هذا الاتجاه.

ويأمل صانعو في البطاريات أن يحصلوا على تقنية حديثة قريبًا تتضمن خلايا هدريد معدن النيكل، ولكن مكمايكل يشير إلى أن الانتقال إلى صنع بطاريات أخرى يثير مجازفات أخرى؛ لأن مادة النيكل هي مادة محدثة للسرطان.



تحذير علمي :
الأرض تزيد من سرعة دورانها !

تقول دراسة علمية إن الكرة الأرضية، تشهد تحولاً خطيرًا، يتوقع أن ينعكس بصور متعددة على حياة البشر، وهذا التحول ليس ناجمًا عن تلوث البيئة كما قد يتبادر إلى الذهن؛ بل هو لأغراض التنمية والشرب!! فالعلماء يحذرون من أن اللهاث وراء الماء «شريان الحياة» قد يسبب فواجع للإنسان، ويهدد مستقبله على الأرض، وهم يعرضون أدلة وبراهين على التحول الذي لمسوه، ويصفونه بـ «الظاهرة الخطرة»، وهو أن كوكب الأرض بدأ يميل بثقله نحو الشمال مما أدى إلى زيادة سرعة دوران الأرض حول محورها!! فما الأسباب والانعكاسات؟ وما تفاصيل هذا التحذير العلمي؟

يرى العلماء أن انتشار السدود المائية المقامة في معظم بلدان العالم ظاهرة تستحق الدراسة والتأمل؛ لما تحدثه من أثر كبير في نظام دوران الأرض.

وتقدر كميات المياه المخزنة وراء سدود بدلاً من أن تكون منتشرة بشكل مستوٍ في المحيطات بمقدار (2 كدرليون) أي 2 وبعده خمسة عشر صفرًا جالون؛ مما يخفض مستوى سطح البحر بقدر يزيد على البوصة. ولتقويم تأثير ذلك في دورة الأرض؛ جرى تقويم سعة ثمانية وثمانين خزانًا منتشرة في أنحاء العالم كافة تحجز ما يزيد على مليوني تريليون جالون مثل سد هوفر بألمانيا، فتبين للباحثين أن معظم الخزانات تقبع في النصف الشمالي للكرة الأرضية؛ الأمر الذي يسبب انتقالاً في شبكة المياه باتجاه الشمال بعيدًا من خط الاستواء، مما يجعل الأرض تدور بسرعة أكبر؛ وقد تم تشبيه ذلك بما يحدث للمتزلج عندما يوقف ذراعه عن الحركة فيدور بسرعة أكبر. فالحركة الناجمة عن الثقل جعلت القطب الشمالي يتحرك أيضا بمقدار قدمين تقريبًا باتجاه خط الطول 130 درجة، وهذا يعود بشكل أساسي إلى أن كوكب الأرض قد مال إلى الجهة الأخرى من طريق تركيز الخزانات في النصف الشمالي من الكرة الأرضية ومعظمها في آسيا. ويقول العلماء إن أثر كلٍ من هذين المظهرين قد يكون أكبر مما ندركه الآن. فالخزانات التي كانت موضع الدراسة لا تحتجز من المياه سوى أقل من نصف المياه التي تحتجزها جميع الخزانات في العالم.

التلقيح :
أمل جديد لتأهيل مدمني المخدرات



تجتاح مشكلة المخدرات - إنتاجها، وتهريبها، وترويجها وتعاطيها - العالم في صورة وباء يجوس خلال ديار مختلفة، ويفتك بالعقول والأجسام، ويهدم مستقبل الشباب بخاصة، وهم المعوّل عليهم في بناء الأوطان، لذلك تتواصل جهود الباحثين وعلماء الاجتماع والنفس، وخبراء نظم القانون والأمن، لتطويق هذه المشكلة العالمية.

ومن المساعي الحثيثة في مجال مكافحة إدمان المخدرات، ما توصل إليه فريق من الباحثين الأمريكيين في معهد سكريس للأبحاث في لاجولا بولاية كاليفورنيا، وهو أن «التلقيح» قد يساعد مدمني تعاطي الكوكايين على الإقلاع عن تلك العادة، ويضعهم في الطريق الصحيح نحو إعادة تأهيلهم. واستند فريق البحث المكون من كيم جاندا وجورجي كوب وزملائهما، إلى فكرة : إقناع الجسم بصنع أجسام مضادة ترتبط بالكوكايين، ومنع هذا الأخير من المرور إلى الدماغ.

وكانت حصيلة البحث: أن فئران التجارب التي لم يتم تلقيحها، وأعطيت جرعة من الكوكايين، جاء سلوكها مواتيًا لتأثير المخدر، أما الفئران التي تم تلقيحها وأعطيت الجرعة نفسها من الكوكايين فبقيت هادئة، ولم تبد ذلك النمط من السلوك. وبفحص أدمغة الفئران الملقحة بعد ثلاثين دقيقة من الاختبار اتضح أن الأجسام المضادة قامت بحجز جرعة الكوكايين، وكانت كمية المخدر في بعض أجزاء أدمغتها أقل بنسبة 75٪ .

ولكن وليم شاناهان الطبيب النفسي، العامل في قسم خدمات إساءة استخدام المواد الموثوقة، في ريغرسايد بلندن، يرى أن ثمة محاذير تحيط نتيجة بحث الفريق الأمريكي، وهي تتمثل في أن متعاطي الكوكايين قد يعمد إلى تدمير الأجسام المضادة التي يتم تكوينها من طريق التلقيح، وذلك بنزوعه إلى زيادة الجرعات.

«خنفس الأثقال» يوحي للعلماء بتصميم إنسان آلي يعمل على القمر

يحدو الباحثين الأمل في أن يكون «خنفس الكركدن» هو المفتاح الذي يقودهم إلى الطريقة المثلى لصناعة إنسان آلي «روبوت» عملاق بأرجل كثيرة للقيام بمهمات صعبة مثل: تنفيذ حفريات على سطح القمر، والكشف عن المعادن. فكثيرًا ما يستنبط العلماء والمخترعون الأجهزة التي يبتكرونها من البيئة المحيطة بهم.

أما ربط خنفس الكركدن - على وجه الخصوص - بالروبوت العملاق الذي يتوق الباحثون إلى تصميمه، فيعود إلى الحقائق المذهلة التي اكتشفها روجر كرام عالم الطبيعة - الفسيولوجيا - في جامعة بيركلي بمدينة كاليفورنيا الأمريكية. نتيجة للبحوث والاختبارات التي أجراها واكتشف فيها أن خنفس الكركدن يملك من القوة ما يستطيع به حمل مئة ضعف وزنه، وهو في هذا يوازنه برجل يبلغ وزنه 68 كيلو جرامًا ويحمل سيارة كاديلاك على رأسه، ويمشي مسافة ميل.

ويركز روجر اهتمامه على ما يمكن أن يكون وقودًا خاصًا بكركدن بهذه القوة؛ لأداء ذلك العمل الفذ. وفي مقالة كتبها كارل زيمر في مجلة «ديسكفري» أوضح أن روجر بوصفه عالمًا طبيعيًا كان يريد كشف غموض نوعية الوقود المختار، وقد رأى أن البشر، وجياد السباق والكلاب على السواء، إذا حملوا ثقلاً يعادل 10٪ من وزنهم، فإن نسبة الأيض - مجموعة العمليات المتصلة ببناء البروتوبلازما -، تزداد بنسبة 10٪. وإذا حملوا ثقلاً يساوي 20٪ من وزنهم ازدادت نسبة الأيض 20٪، أي إن التناسب طردي. وفيما يتعلق بخنفس الكركدن خلص روجر من تجاربه إلى نتائج لم يكن يتوقعها: فإنه بقياس كمية الأكسجين والسعرات الحرارية التي استنفدها هذا «الكركدن» وهو يحمل 30 ضعفًا من وزنه، اتضح أن الكمية المستهلكة لم تتجاوز أربعة أضعاف استهلاكه من الأكسجين والسعرات أثناء مشية الخنفس من دون أثقال عليه، وبذلك توصل روجر إلى «الجيو كيمياوية» التي ينطوي عليها خنفس الكركدن.



وكذلك يركز روجر في خلاصات البحث للوصول إلى سر قوة خنفس الكركدن على هيكله العظمي، وهو يتوقع أن يجد الحل في عضلات الخنفس، إذ يقول: إن في بطء خنفس الكركدن أحد مفاتيح الحل، فالعضلات التي تتقلص وترتخي ببطء يمكن أن تكون قوية وفعالة «أيضيًا» أو «بروتوبلازميًا».

التداخل الإلكتروني خطر على الطيران وأجهزة القلب

استرعى حادث غريب وقع خلال إحدى الرحلات الداخلية لطائرة أمريكية، انتباه العلماء إلى مشكلة خطرة تلقي بظلالها على علوم الطيران، وعلى تخصص مهم في الحقل الطبي. وقد جاء اكتشاف هذه المشكلة من طريق المصادفة من قبل أحد العاملين في الطائرة الأمريكية، فبعد دقائق من إقلاع الطائرة في رحلتها اليومية المعتادة من واشنطن إلى نيويورك بولاية نيوجرسي، وعلى ارتفاع ثلاثة آلاف متر، بدأت الأمور تسير في الاتجاه الخاطئ، وأدرك قائد الطائرة أن أمرًا غير عادي يحدث، مع أن أجهزة الملاحة الجوية عنده تشير إلى أن كل شيء على ما يرام، وفي تلك الأثناء اتصل المراقبون الجويون وأبلغوا قائد الطائرة بأن طائرته تسلك اتجاهًا خاطئًا، وأنها منحرفة 16 كيلو مترًا عن مسارها الصحيح، عندئذ أيقن قائد الطائرة أن ثمة مشكلة حدثت، وعليه أن يتداركها بسرعة لتفادي وقوع كارثة، فبذل ثلاث محاولات لتصحيح مسار الطائرة، وفي كل مرة كانت قراءة إرشادات أجهزة الملاحة توضح أن الطائرة لم تنحرف أصلاً من مسارها، غير أن المراقبين الجويين - على الأرض - المتابعين بقلق تطور الظاهرة الغريبة، يؤكدون أن مسار الطائرة غير صحيح، وأجهزة الملاحة تضلل قائد الطائرة. ومعلوم أن الأجهزة الملاحية تحسب معلومات التنسيق مع الطائرة باستخدام إشارات الراديو التي يبثها المرشدون اللاسلكيون من الأرض.

طغت الحيرة على طاقم الطائرة، وعلى المراقبين إزاء الغموض الذي اكتنف انحراف الطائرة عن مسارها، وإخفاق أجهزة الملاحة داخل الطائرة في رصد ذلك الانحراف وتسجيله. وفيما الجميع - في الجو وعلى الأرض - مشغولون بفك طلاسم المشكلة، كان أحد المضيفين العاملين ضمن طاقم الطائرة يقوم بجولة اعتيادية داخل الطائرة، فلمح أحد الركاب يعمل على جهاز حاسوب صغير «حاسوب نقال»، فطلب منه إيقاف تشغيل الحاسوب، وكانت المفاجأة، أعلن المراقبون الأرضيون انتهاء المشكلة، وعودة الطائرة إلى مسارها الصحيح. أما أسباب هذا الحادث الغريب فهي: أن الحاسوب النقال الذي كان يستخدمه ذلك الراكب كان يبعث إشعاعًا، وصادف أن إشعاع الحاسوب جاء على الذبذبات نفسها التي يبعث بها المرشدون الأرضيون، فحدث التداخل الذي شوش على أجهزة الطائرة. وضلل قائدها.

ذلك مثال واحد من تداخل الترددات المغناطيسية الألكترونية، وهي مشكلة آخذة في التنامي، ولها آثار مرعبة، إذ قد تؤدي إلى سقوط الطائرات. ووفقًا لسجلات الاتحاد الدولي للطيارين، هناك عشرون حالة من هذه المشكلة تتعرض لها الطائرات كل عام.

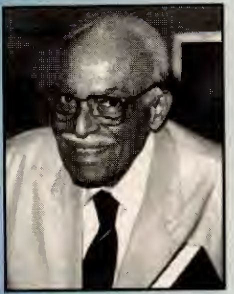
ولا تقتصر هذه المعضلة التقنية على الطائرات، فعلى الأرض، يعاني العاملون في تخصصات طبية دقيقة من آثار تداخل الموجات المغناطيسية الألكترونية، فهذا التداخل يؤدي إلى تعطيل أجهزة مراقبة القلب، والاختلاجات العضلية. وقد سجلت إدارة الغذاء والدواء الأمريكية - خلال الخمس عشرة سنة الماضية - ما يزيد على 100 حالة تداخل من هذا النوع في المستشفيات، ويقول موظفو أحد المستشفيات إن تلك الحالات كلفت بعض المرضى حياتهم.

ما يثير القلق هو أن حالات تداخل الموجات تتزايد باستمرار، ولاسيما مع ازدياد الدوائر ذات السرعة العالية، المستخدمة الآن في ألعاب الفيديو، وأجهزة الحاسب النقالة، وأجهزة الحاسب المثبتة في محركات السيارات. فهناك عشرات الملايين من نبضات المعلومات تتدفق كل ثانية من خلال دوائر تلك الأجهزة الحديثة المتنوعة، وهذه الدوائر تبث إشعاعات ذات ترددات عالية متماثلة. وتعمل أجهزة المعالجة الدقيقة - حاليًا - على سرعة مئة ميجا هرتز، أو ما يزيد على ذلك، مولدة ضجيجًا مغناطيسيًا إلكترونيًا على هذا التردد، وعلى النغمات التوافقية «الإيقاعية» 200 ميجا هرتز و300 ميجا هرتز.

ومما يجعل الأمور أكثر سوءًا أن مصادر تداخل الترددات المغناطيسية الإلكترونية غالبًا ما يكون متقطعًا، لذلك فإن تتبع مثل هذه الترددات يصبح صعبًا. وقد يكون السبب في ذلك برج بث موجات راديو قريب أو راديو أحد المواطنين في شاحنة، أو حتى جهاز تحكم من بعد في ورشة إصلاح قريبة. وعلاوة على ذلك فإنه يمكن انعكاس الإشارات وامتصاصها بواسطة سرر نوم قريبة، وجدران ومجموعات من الناس، أو حتى ستائر النوافذ.

وهذه العوامل يمكن أن تتغير من لحظة لأخرى؛ والظروف التي أدت إلى العطل أو القصور قد لا تعود ثانية بعد الحدث عندما يأخذ المهندسون بمحاولة تتبع مصادر الإشعاع. إحدى الوسائل التي تستهدف تفادي مأزق تداخل الترددات هي عزل الأجهزة الحساسة التي تسبب الضجيج، بوضعها داخل أنابيب من مادة عازلة.

الحرب في شريعة اليهود



د. حسن ظاظا

هناك متناقضات في أعراف اليهود وطبيعتهم يجب على كل من يتعامل معهم - حربًا أو سلمًا - أن يأخذها في الحسبان. فهم على مدى تاريخهم، منذ عرفهم التاريخ وإلى الآن، أمّة ضارية، تعاني من شعور دائم بالضعف، وقلة العدد، وكراهية الشعوب لها، مما ترتب عليه إحساس مزمن ودائم بعبء «الغربة»، حتى في فلسطين - قديمًا وحديثًا -. وهي أمة تستمد قوتها من تلك النواقص، كما يستمد القطّ الضراوة والشراسة إذا أحيط به من كل جانب؛ فلا يعرف غير الأذى بمخالبه وأنيابه وسرعة حركته، فيمعن في ما حوله خدشًا ونهشًا وتدميرًا وتمزيقًا وتنجيسًا، ثم تجده إذا اطمأن إلى شيء من الراحة والتدليل يعود حيوانًا وديعًا، يأخذ ركنًا - وثيرًا جدًا - بالقرب من الإنسان؛ يحارب الفئران والجرذان والخنافس والصراصير، ويهجع بالقرب من سيده «يهرّ» - أي يزمجر برفق ولطف - كأنه ينعم بقرب سادته من بني آدم. ومع ذلك فحذار ثم حذار من ترك اللحم مكشوفًا، أو ما يمكن أن يتسلى به القط من أشياء قابلة للتلف كالأقمشة والخيوط ونحوها! والأتراك يشبّهون الرجل الودود الخائن بأنه «مثل القط.. قراءة كثيرة.. ولاذمّة أو ديانة!» وهكذا اليهودي: لطيف جدا في الولايات المتحدة وكندا وبلاد ديمقراطية كثيرة شرقًا وغربًا، وشرس جدًا لايتورع عن الأذى والخيانة والتآمر. وتاريخهم مع فرعون، وبُختَنَصَّر، وأمراء أنطاكية من خلفاء الإسكندر الأكبر، وأباطرة الرومان، يحمل من ذلك دلائل واضحة. و«الحرب خدعة» كما يقولون. وبألوان من المخادعة أسسوا صهيونيتهم الحديثة، سرًا أولاً، ثم في وضح النهار بعد الحرب العالمية الأولى، ثم جعلوا منها دولة تستفيد جدا من «قراءة» الهرّ اليهودي في أحضان من يدللونه ويحبّونه. وقد أثبتت تجارب التاريخ أن هؤلاء الناس الذين نشؤوا من لا شيء تستحيل إبادتهم، والجهد في ذلك ضائع، فضلاً عن أنهم - قبل كل شيء، وبعد كل شيء - إخوان لنا في الإنسانية، ومن أكثر شعوب الدنيا في عدد الأنبياء الصادقين والمتنبئين. فالمسيح - عليه السلام - نفسه يهودي من جهة أمه، وبحسب القانون الصهيوني الخاص بالجنسية، فإن له الحق المطلق في أن يكون «مواطنًا» إسرائيليا، مهما كان أبوه، ومهما كان قد جاء بدين آخر وسياسة أخرى وسلوك أخلاقي مختلف، فمنطوق قانونهم هذا أن «الإسرائيلي من كانت أمه يهودية» بصرف النظر عن أبيه.

..لكنهم أغبياء في السياسة!

ومن رحمة الله بعباده أن اليهود - أصحاب الحيل التي لاتحصى - لايرون في السياسة أبعد من أنوفهم، فكم من مرة اضطروا إلى حروب غير متكافئة، تنطوي لهم على هزيمة لاريب فيها، فأسرعوا إليها كالفراش حول النار، وعصوا فيها حتى نصائح أنبيائهم. حتى موسى أمرهم بالخروج من مصر - وإبادتهم كانت مقررة لدى الفراعنة - وما كادوا يعبرون البحر «بمعجزة» حتى عادوا يطالبون موسى بالرجوع إلى مصر لأنهم اشتاقوا إلى عدسها وبصلها وثومها وقثائها. وفي الطريق ارتدّوا إلى عبادة العجل، لأنهم اشتاقوا إلى الوثنية الفرعونية، وإلى عبادة العجل أبيس خصوصًا. والباحثون في قصة خروجهم مع موسى من مصر يرصدون لهم خمس أو ست مرات تمردوا فيها على نبيهم ومنقذهم وقائدهم، فكانت هناك حركات عصيان دامية، حتى ظن كثير من الباحثين الغربيين من النصارى واليهود أن بني إسرائيل، في آخر حركة لهم قد قتلوا موسى وهارون! وإلا فنحن نعرف قبور إبراهيم الخليل عليه السلام في قبو بداخل الحرم الخليلي، ويشاركه في مثواه السيدة سارة وابنها إسحق وزوجته رفقه، ويعقوب وزوجته ليا وسريتاه زلفة وبلهة، وأبناؤه وأحفاده؛ إذ حمل بقاياهم بنو إسرائيل معهم من مصر! وزوجة يعقوب الثانية «راحيل» - أخت ليا - لها قبر خاص بها يقع على الطريق بين القدس وبيت لحم، وحتى النبي إرميا الذي نفى نفسه إلى مصر بعد القضاء على الكيان اليهودي في فلسطين وتدمير بختنصر لهذه المملكة اليهودية التي كان داود قد أنشأها قبل ذلك بخمسمئة عام. فالنبي اليهودي إرميا طارده إرهابيون يهود واغتالوه في دلتا النيل على طريق طنطا، وقبره معروف للجميع بالقرب من مدينة المحلة الكبرى. أما موسى - الذي أنزلت عليه التوراة - فليس له قبر معروف في أي مكان من الشرق الأوسط. وتنتهي هذه التوراة التي يزعم اليهود أن موسى تلقاها من الله تعالى بهذا النص: «وصعد موسى من فيافي مؤاب إلى جبلي نبُو إلى رأس

الهضبة قُبالة «أريحا». فأراه الرب جميع الأرض، من جلعاد إلى داثان وجميع إقليم نضآلي وإفرايم ومَنَسَّى، وكل أرض يهوذا، إلى البحر الغربي، والجنوب، والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوُعَرْ. وقال له الرب: هذه هي الأرض التي أقسْمتُ لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً: لذريتك أعطيها! قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك لن تعبُر إلى هناك؟! فمات هناك موسى عبدالرب في أرض مؤاب، حسب قول الرب، ودفن في القفر في أرض مؤاب في مواجهة «بيت فعُور». ولم يعرف أحد قبره إلى هذا اليوم!!» [التوراة - سفر التثنية 34: 1 - 6].

وعبارة «إلى هذا اليوم» صريحة في أن كاتب التوراة متأخر جداً عن موسى.

وكان لابد لبني إسرائيل من حرب شعواء لم يستطيعوا فيها اقتحام أريحا إلا بعملية تجسس، ثم بمعجزة إلهية عظيمة؛ إذ طاف بها الكهنة مهللين بالدعاء، ثم نفخوا في الأبواق فانهارت أسوار المدينة، ودخلوها مع يوشع بن نون فخرّبوها وقتلوا كل سكانها باستثناء صاحبة بيت الدعارة التي تعاونت في الجاسوسية مع من أرسلهم يوشع بن نون تمهيداً للغزو. وأما «أرض كنعان» - أي بقية فلسطين - فاستغرق استيطان اليهود فيها حروباً دامت أربعمئة سنة؛ أي من عهد يوشع بن نون - نحو عام 1450قبل الميلاد - إلى تتويج داود عليه السلام - نحو 1050ق.م -، وهي فترة حروب طاحنة، ومؤامرات، ومحالفات، ومعاهدات، ووسطاء، وما نعرفه ويعرفه غيرنا عن أهوال الحروب. وصدق الشاعر الحكيم الجاهلي زهير بن أبي سلمى في قوله في معلقته:

وما الحَربُ إلاّ ما علمتُمْ وذقتُم
ومَا هُوَ عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً
وتَضرَ إذا ضريتموها، فتضرمِ

معرفتهم خير وسيلة لنأمن شرهم

وإذا كانت ظروف السياسة الدولية قد قضت علينا أن نجاور دولة يهودية متطرفة، ومحاربة ربما أكثر شراهة، وأكثر رعونة في السياسة أيضا من أسلاف اليهود؛ فإنه من الواجب علينا أن نفهم بوضوح تصوّر الحرب عند القوم، فتلك خطوة ضرورية لأمن الوطن العربي والإسلامي وسلامته بعد أن رأينا كيف حاربونا بعتاد غيرهم وسلاحه، وكيف خرجوا من تلك المغامرات رابحين، وكيف وصلوا عام 1956م بمساعدة أمريكا وفرنسا وبريطانيا إلى غزو منطقة قناة السويس وتدمير بورسعيد وبورتوفيق وتعطيل الحركة في القناة شهوراً طويلة، ثم أعادوا الكرة سنة 1967م فلم يتوقف غزوهم لمصر إلا على بعد مئة كيلو متر من القاهرة، واستولوا على مدينة القدس العتيقة العريقة، كما استولوا على هضبة الجولان السورية، ثم غزوا لبنان إلى بيروت، وعاثوا فساداً في سهل البقاع اللبناني، ثم احتلوا «الشريط الحدودي» في جنوب لبنان، مستعينين بالخيانة من جهة، وبوعود فردوسية بعد السلام من جهة أخرى. والمسلسل ما يزال يخطو من عدوان إلى عدوان ، فمن الشريط الحدودي ومن «مرجعيون» أكبر مدينة فيه يدقون النبطية، وإقليم التفاح ومشغرة وهم اليوم يهددون مدينة صور، ومدينة صيدا، ومخيم عين الحلوة والرشيدية، والعالم يقف أمام هذه العربدة الصهيونية موقف المشاهد المتفرج علنًا، الموافق بل المعجب سرًا.

والصهيونيون ليسوا معجزين في الأرض، وإذا وضحت صورة الحرب كما هي في أذهانهم ربما سهل علينا التعامل معهم؛ حتى من أجل سلام عادل ودائم وقائم على قواعد سياسية بعيدة من همجية الدولة الصهيونية التي لاحدود لها، ولاتسمي نفسها مملكة، ولا جمهورية، ولا إمارة، ولا شياخة، ولا اتحادا، وتختار من ذلك أكثر الأسماء عمومية وزئبقية، فهي مجرد دولة لن تحتاج إلى تغيير اسمها نظرًا للدين أو العنصر أو النظام السياسي إذا كان ديمقراطيًا أو دكتاتوريًا، أو النظام الاقتصادي إذا كان رأسماليًا جشعًا يتنكر في الزي الاشتراكي أو استعماريًا وحشيًا يتنكر في الزي الأمريكي، وهيهات بين الاثنين!

ولنسأل الآن عن تعريف الحرب في الصهيونية:

جاء في معجم الفكر اليهودي الذي ترعاه إسرائيل أن الحرب هي صراع مسلح بين دول أو شعوب. وهو تعريف شديد الغموض والاختصار. فقد ينشب هذا الصراع المسلح بين جزأين من شعب واحد مثل ما يجري في أفغانستان أو الصومال أو في الهند بين الهندوس والسيخ مما يحمل اسم «الحرب الأهلية». وقد يقع هذا الصراع المسلح بين فريقين من دولة واحدة لأن كلاً منهما ينتمي إلى أرومة عنصرية مختلفة، مثل حروب الأكراد والأتراك، أو الأكراد والعراقيين، أو الباسك الذين يحارب نصفهم إسبانيا والنصف الآخر فرنسا لأنهم يريدون لهم دولة خاصة بهم مستقلة عن الطرفين، وهذه تُسمى «الحرب العرقية». وقد تدخل اعتبارات أخرى في الحرب العرقية أهمها الدين، فتكون الحرب «عرقية دينية» كمحاربة الصرب للمسلمين في البوسنة والهرسك بعد تفكك يوغسلافيا السابقة، وكحرب الروس ضد الشيشان المسلمين، ويسمي المضطهدون المستهدفون للعدوان هذا الصراع عادة باسم «حرب الاستقلال»، وقد سبقت إليها اليابان عندما استقلت عن حكم أباطرة الصين، ثم تلتها الولايات المتحدة عندما طردت السلطة الاستعمارية البريطانية من أراضيها، وهناك «الحرب الدينية» كالحروب الصليبية ضد الأوطان الإسلامية في العصور الوسطى. ثم أنواع من «الحرب التوسعية» التي تكمن وراءها دوافع اقتصادية أو استراتيجية - أي خاصة بسلطة الدولة المحاربة - كالحروب الهتلرية التي كان شعارها في البداية السيطرة على «المجال الحيوي» الضروري للدولة الألمانية، ولا يعزب عن بالنا «الحرب الانتقامية» كالحرب التي أشعلتها إسرائيل الصهيونية أخيراً ضد لبنان، انتقامًا من ضربات المقاومة اللبنانية على شمال فلسطين، وتأكيداً لحقها في الانسحاب الصهيوني من الشريط المحتل على حدود إسرائيل. وفي كل صنوف الصراع المسلح هذا تتنوع الوسائل من «الحرب النظامية» إلى «حرب العصابات» إلى «الحصار الاقتصادي» إلى «الرعب الإرهابي» الذي قد يقع بعيدا جدا من بؤرة التوتر.

وكل ذلك يحدث بحسب القدرة الضاربة لكلا المتحاربَيْن، وتفوقهما في العدد أو العدة أو البراعة في إدارة المعارك واختيار الزمان والمكان المناسبين لها، وامتلاك السلاح الفعال وأجهزة الإعلام الذكية، المقنعة، المقوية لعزائم حلفائها والمثبطة للقوة المعتدية وحلفائها.

يزعمون أن الله يقاتل في جيشهم!!

وفي أقدم تاريخ الحروب كانت معبودات الأمم المختلفة من آلهة وأصنام وأوثان تدخل طرفًا في الصراع، فهزيمة المحاربين كانت أيضا هزيمة لآلهتهم، ونحن نذكر صيحة أبي سفيان بعد جولة كفار مكة على المسلمين في أُحد: أُعْلُ هُبَل! وهو - كان - معبود قريش في الكعبة، وردّ المسلمون: الله أعلى وأجلّ! وكان بنو إسرائيل ينظرون إلى الرب على أنه محارب كما جاء ذلك في شعرٍ منسوب إلى موسى بعد غرق المصريين - أعداء بني إسرائيل - في البحر ونجاة موسى وقومه، جاء على لسان موسى: «أنشدُ للربّ لأنه قد تعظّم. الفرس وراكبها طرحهما في البحر. الرب تأييدي

الحرب
في شريعة اليهود

ونشيدي، ومنه جاء خلاصي. هذا إلهي فأمجّدُه هو إله أبي فأعليه، الرب رجل حرب! الربّ اسمه! مركبات فرعون وجيشه رماها في البحر، فغرق خير جنوده ذوي المركبات في بحر سُوف ـ البحر الأحمر ـ تغطيهم الأمواج، وقد هَوَوْا في الأعماق كالحجارة. يمينك يارب مؤيِّدة بالمقدرة! يدك يارب تحطم العدو، وبفضل عظمتك تهدّ مصارعيك. تسلط سخطك فيأكلهم كالعش، وبريح من غضبك ارتفعت المياه، وقامت كأنها ربوة من السيول تجمدت اللجج في قلب البحر! وقال العدوّ فلأطارِدْ، أدركْ، أقسّمْ الغنيمة تشتفي منهم نفسي! أجرّد سيفي! وتفنيهم يدي! فنفخت بريحك فغطاهم البحر، غاصوا كالرصاص في مياه غامرة! من كمثلك بالآلهة يارب؟» [التوراة ـ سفر الخروج 15: 1-11].

ويستمد واضع هذا النشيد ـ وهوبصورته هذه لم ينزل على موسى عليه السلام ـ من قصائد الفخر بالانتصار التي كانت فاشية بين العامة والجند في شعوب العالم القديم. والنشيد طويل، ولكنني وقفت عند الآية التي ختمت بها لأن حروفها الأولى هي «م، ك، ب، ي»، وقد تعمدت في الترجمة العربية أن التزمها كما هي في الأصل العبري، فتعطي كلمة «مكّبي» وهو اسم أسرة حاكمة محاربة من اليهود انفصلت وانفردت بالحكم في أورشليم، بعد حرب مريرة ضد أنطيوخوس الرابع «ابنعانيس». ويقول كثير من علماء اليهود إنهم سمّوا أنفسهم «المكبّيّين» تبركًا بالأحرف الأولى من كلمات هذه العبارة. وإلى يومنا هذا يطلق أكبر ناد رياضي صهيوني في إسرائيل هذا الاسم على نفسه، وبعض الغرباء على اللغة العبرية يكتبه «نادي المكّابي» وكثير من المؤرخين يسمي هذه الأسرة الحاكمة القديمة «الأسرة المكابية» من دون أن يربط هذا الاسم بحروف هذه العبارة المنسوبة إلى موسى. وقد اشتهر من هذه الأسرة يهودا المكابي، وشمعون المكابي، وبلغ من اعتزاز اليهود أنهم خصوهم بعيد لذكرى انتصارهم على يونان أنطاكية، يسمونه «عيد التدشين» أي تطهير المعبد من «الجوييم» اليونان والسوريين، وإعادة فتحه لليهود، واختاروا تاريخًا لهذا العيد قريبا من تاريخ احتفال النصارى بعيد ميلاد المسيح حتى لا يتأثر أبناء اليهود بأبناء النصارى في عيدهم، وعيد التدشين هذا يسمى بالعبرية «حانوكه». ولمّا كان من شارات اليهود إيقاد الشمعدان ذي السبع شمعات كل يوم سبت، فقد أضافوا شمعة ثامنة بعيد الحانوكة هذا، ولذلك صار يسمى عندهم عيد الشموع أو الأنو.

وتكررت فكرة أن الله تعالى يقاتل في جيش اليهود دفاعًا عنهم ضد أعدائهم، ففي أحد المزامير المنسوبة إلى داود نقرأ: «مَنْ هذا الملكُ المجيد؟ إنه الربّ القدير الجبّار، الربّ البطل في الحرب! [مزامير داود 24: 8]. والأمثلة على ذلك كثيرة في النصوص التي يتعبد بها اليهود. حتى نبيتهم دبورة في قصيدتها في الفخر بانتصار بني إسرائيل على «يابين» ملك الكنعانيين، وقتل قائده سيْسَرا تصف خروج «الرب» من عليائه ليقاتل مع بني إسرائيل [سفر القضاة ـ الفصل الخامس]، وسنعود إلى هذا السفر والحديث عما ورد فيه من البطولات الحربية الأسطورية، في مقال جديد إن شاء الله.

وكذلك في قول نبيهم إشعيا: الربّ يخرج كالبطل، كرجل معارك، يستثير حميته، يهتف ويصرخ، ويقْوَى على أعدائه! [إشعياء 42: 13]. وهو القائد الذي يزحف أمام «شعبه» على الأعداء: يارباّ! عند خروجك أمام شعبك، عند صعودك في الصحراء، وانجدتّاه! [مزامير داود 68:8]. وفي التوراة يأمر الرب بإبادة قرية مرتدّة، وإحراق جميع ممتلكاتها بالنار [التوراة ـ سفر التثنية 13:13-19]. وهكذا كانت شريعة التوراة وجوب إبادة الشعوب والقبائل الكنعانية السبعة التي تسكن فلسطين، وكذلك كان مصير المرتدّين من بني إسرائيل عن تعاليم موسى، كما أُلحق العمالقة بهذا الحكم في الإبادة لأنهم قاتلوا موسى في الطريق إلى «أرض الميعاد» فأصبحوا أعداء الله.

تعريف الحرب في معجم الفكر اليهودي شديد الغموض والاختصار، وأحكام الحرب في توراتهم تحفل بالمتناقضات، وتسبح في حمامات من الدم!

أحكام الحرب تحفل بالمتناقضات!

وجاء تلخيص أحكام الحرب في الديانة اليهودية ـ ملخصًا ـ في التوراة المنسوبة إلى موسى، قال: إذا خرجت للحرب ضدّ عدوّك، ورأيت خيلاً ومراكب وقومًا أكثر منك عددًا فلا تخفْ منهم، لأن معك الربّ إلهك الذي أخرجك من أرض مصر. وعندما تقتربون من قتالهم يتقدم الكاهن ويخاطب الناس، ويقول لهم: اسمعْ يا إسرائيل! انتم قربتم اليوم من الحرب ضدّ أعدائكم. لاتضعفْ قلوبكم! لاتخافوا! ولاترتعدوا! ولا تخشوْا وجوههم! لأن الربّ إلهكم سائر معكم، لكي يحارب عنكم! ويخلصكم من أعدائكم. ثم يخاطب العُرَفاءُ الناسَ قائلين: أيّ رجل بنى بيتًا جديداً ولم يسكنه فليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت في الحرب فيسكنه رجل آخر. وأي رجل غرس كرمًا ولم يذق بواكيره فليمض راجعًا إلى بيته حتى لايموت في الحرب فيتمتع به رجل آخر. وأي رجل خطب امرأة ولم يأخذها فليذهب ويرجع إلى بيته، لئلا يموت في الحرب فيأخذها رجل آخر. ثم يعود العرفاء إلى مخاطبة الشعب قائلين: أي رجل خائف، أو ضعيف القلب فليذهب ويرجع إلى بيته، لئلا تتخاذل قلوب إخوانه مثل قلبه! وعند فراغ العرفاء من مخاطبة الشعب، يعينون رؤساء كتائب على رأس الجند. وحين تقترب من مدينة لكي تحاربها فادعُها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح، وفُتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير، ويستعبد لك! وإن لم تسالمك، بل هبّت لحربك، فحاصرها. وإذا ساقها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف! وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة فإنها كلها غنيمة تغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك! هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا، التي ليست من مدن هذه الأمم التي هنا، وأمّا مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا لك فلا تستبق منها أية نسمة، بل تبيدها إبادة: الحيثيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزّيين، والحويين، واليبوسيين، كما أمرك الرب إلهكَ. حتى لاَ يعلّموكم أن تعملوا حَسْبَ جميع أرجاسهم التي يعملونهاْ لآلهتهم، فتخطئوا إلى الرب إلهكم.

إذا حاصرت مدينة أيامًا كثيرة محاربًا إياها لكي تستولي عليها، فلا تُتلف شجرها بالفأس لأنك منها ستأكل، فلا تقطعها، والشجرة في

الأرض ليست بإنسان يهب في وجهك في الحصار. وأما الشجر الذي تعرف أنه ليس شجراً يؤكل منه، فأتلفهُ واقطعه وأقم منه حصناً على المدينة التي تحاربك حتى تسقط. [التوراة - سفر التثنية - الفصل العشرون].

والتوراة أباحت الزواج من سبايا الحرب بعد إلحاق الهزيمة بأوليائهن، زواجاً شرعياً صحيحاً! قال: إذا خرجت لمحاربة أعدائك، وأوقعهم الرب إلهك في يدك، وسبيْت منهم سبياً، ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة، فتعلقت بها لتتخذها لك زوجة، فحين تدخلها إلى بيتك تَحْلِقُ رأسها، وتقلّم أظافرها، وتنتزع ثياب سبيها عنها، ثم تقعد في بيتك وتبكي أباها وأمها شهراً من الزمان. وبعد ذلك تدخل عليها وتتزوجها فتكون لك زوجة. فإن لم تُسَرَّ بها فأطلقها لحال سبيلها، ولاتبعها بيعاً، ولا تَسْترِقّها، لأنك قد أذللتها [التوراة - التثنية - 21: 10- 14].

واشترطت التوراة في الجندي اليهودي أن يحافظ على« واجبات الطهارة والعبادة» [سفر التثنية 23: 10-15]. وقارئ التوراة وباقي كتبهم الدينية يلمس بوضوح أن إله إسرائيل حليف لشعبه، وأنه لا يُقهر في أية حرب من الحروب، فإذا انهزم اليهود فسَّر لهم ذلك كهنتهم بفساد إيمانهم بربّ إسرائيل. لدرجة أن شيوخهم وقادتهم الروحيين، بعد هزيمتهم في القرن الخامس قبل الميلاد أمام بختنصر البابلي، وضياع القليل الباقي لهم من مملكة داود وسليمان، قد أرجعوا سبب هذه الهزيمة الساحقة الماحقة إلى «خصومة» بين الربّ وشعبه. وحرموا على اليهود مناداة الرب باسمه في التوراة «يَهْوِه» فصاروا وهم يقرؤون التوراة ينطقون بدل هذا الاسم لفظة «أدوناي» أي سيدي، مع صيغة جمع للتعظيم. وهذا الحكم مطبق بين اليهود في جميع أنحاء العالم إلى الآن.. حتى في «إسرائيل»!

ويقف قارئ هذا التراث مذهولاً أمام ما يعترضه من متناقضات. فالقصص التوراتية عن موسى تنساب في حمامات من الدم، حتى يصبح القتل من الوسائل العادية لوضع حدّ للحياة. ويوشع بن نون، وصناديد بني إسرائيل القدماء، ورؤساء عشائرهم المعروفون باسم القضاة؛ لم يكن أكثرهم يحكّم الشريعة الموسوية، ولا العقل، ولا كرم الأخلاق، بل كان الحكم عندهم السيف. وقد نستطيع - بعون الله - أن نعطي فكرة عن ذلك التراث القديم الذي يعده اليهود الملهم لهم في سلوكهم الإنساني في آخر هذا القرن العشرين! فمن المتناقضات المدهشة أننا مع ما يملأ هذه الأسفار من الدم المسفوك، نقرأ أيضاً قوله: ودعا [داود] ابنَهُ سليمان وأوصاه أن يبني بيتاً للرب إله إسرائيل، وقال داود لسليمان: يا بُني! قد كان في قلبي أن أبني بيتاً لاسم الرب إلهي. فكان إليّ كلام الربّ قائلاً: لقد سفكت دماً كثيراً، وأدرت حروباً عظيمة، فلا تبْن بيتاً لاسمي! لأنك سفكت دماءً كثيرة أماميَ على الأرض، وإنه سيولد لك ابنٌ يكون في دَعَة، وأريحه ممّن حوله من الأعداء، لأن اسمه يكونُ «سليمان»، فاجعل سلاماً وسكينة في أيامه بإسرائيل، فيبني هو لاسمي بيتاً، وهو يكون لي ابناً، وأنا له أباً، وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد! [أخبار الأيام الأول - 22: 7- 9].

والغريب أن النصارى يؤمنون بهذا النص، ولايفكرون في أن بنوّة المسيح عيسى بن مريم، وأبوّة الله له، مثل علاقة الله تعالى بسليمان، والتعبير عنها بالأبوة والبنوّة كان شائعاً عندهم.

وقد كرر داود هذه المعاني بأكثر تفصيلاً في خطبة جامعة له في هذا السفر نفسه ألقاها على القادة العسكريين والكهنة وأبناء الشعب جميعاً [أخبار الأيام الأول 28: 1- 10].

والحرب في شرائع «المشنا» - التي يعتقد اليهود أنها شارحة ومكملة للتوراة - تنقسم ثلاثة أنواع:

1- الحرب المفروضة شرعاً، وهي الحرب الدفاعية، وشرطها أن يتعرض اليهود لهجوم مسلح من عدوّ.

2- الحرب المأمور بها نصاً من الله في التوراة، وهي حرب هجومية صدر بها أمر «إلهي» بالجهاد، وهي حرب تأمر بإبادة الشعوب السبعة التي سبق ذكرها، وكانت تقيم في فلسطين ثم أضيف إليها «العمالقة»، وهم قبائل وعشائر عربية كانت تتعرض لموسى وقومه في الطريق نحو «أرض الميعاد»، وهي حرب اختياريه تطوُّعية. وهناك اختلاف كبير بين فقهاء اليهود على تحديد مفهومها، والمطلوب فيها. فالمتشددون - وهم أكثر صدقاً وصراحة - يقولون إنها حرب دينية مقدسة غايتها المحددة لها ألا يبقى على أرض فلسطين إلاّ اليهود. ولكن كثيراً من المفسرين - منذ أعالي العصور الوسطى - أفتوا بأن هذه الحرب قد نُفِّذت بجلوس داود وسليمان وملوك اليهود من ذريتهم على عرش الملك في فلسطين. وبذلك تكون أوامر الربّ قد تم تبليغها وتنفيذها ثم تغيرت الأمور بعد ذلك، واستنفدت أوامر الرب أغراضها. والصهيونية تبطن الإيمان بالإبادة لغير اليهود في فلسطين، وتظهر عكس ذلك مُرَدِّدَة أن أوامر الرب هذه قد استُهلكت قديماً وانتهى مفعولها، كما هو وارد في دائرة المعارف اليهودية الحديثة الصادرة في إسرائيل. وهذه التفاسير المختلفة تؤدي دوراً مهماً في برامج الأحزاب السياسية الإسرائيلية، من التشدد الاستعماري والتطهير العنصري، إلى السياسة والتعايش السلمي.

3 - الحرب التوسعية الاستعمارية، وهي التي ترمي إلى مدّ حدود البلاد وراء خطوطها المرسومة لأغراض سياسية أو اقتصادية أو أمنية أو استراتيجية لخلق «هيبة» معينة للدولة في نفوس الجيران.

اضطراب في مفهوم الحرب

وفي «الحرب الدفاعية»؛ أي النوع الأول، أجاز فقهاء اليهود منذ أقدم العصور تعطيل شرائع السبت أثناء هذا النوع من الحرب لأنها صراع مسلح لصالح الأمة كلها يقتضيه الدفاع الوطني [التوسفتا - باب الاختلاط «عيردبين» الفصل 4 : 5 - 9] ولكي يكون أمر هذه التجاوزات الدينية متروكاً للقادة العسكريين اليهود، بلا حاجة إلى استئذان الحاخام الأكبر للدولة، أو حتى للقوات المسلحة، سمّت الصهيونية قواتها المسلحة «جيش الدفاع الإسرائيلي» ليستمدّ من اسمه ما يريد، من حُرِّية ومرونة في القرارات.

أما عدّة القتال فكانت الأسلحة البيضاء: السيف، والرمح، والخنجر، والمثقاب، والسهم والقوس. ومن وسائل الوقاية: الدرع، والمجن، والترس. وزعم اليهود أن «مجنّ داود» كانت عليه النجمة السداسية الصهيونية المعروفة المكونة من مثلثين متساوييْ الأضلاع ومتقاطعين بالتساوي، وأن داود كان ينتصر إذا خاض الحرب بهذه النجمة، وهم يسمونها إلى الآن «مجنّ داود». وعرف اليهود القدماء في حربهم الحيل وبناء الحصون والقلاع والاستحكامات الحربية، وعرفوا إحراق حقول العدوّ بالنار، وتسميم الآبار بإلقاء الجيَف فيها من فئران وقطط وكلاب ميتة «الحرب الجرثومية»، كما أتقنوا فنون الإيقاع بالأعداء في كمين.

وبعد أن حارب اليهود اليونان، ثم الرومان، ووقعت بهم الهزيمة النهائية، وتفرقوا في الشتات الذي ظلوا فيه قرابة ألفين من السنين، إلى قيام الدولة الصهيونية «إسرائيل» عام 1948م، أصبح فقهاؤهم لايميزون بين أسلحة الحرب، وأسلحة

الزينة التي يحملها الحرس أمام أبواب المعابد الكبرى أو قصور العظماء، ويلاحظ «تسيّب»، واضطراب في مفهوم الحرب عمومًا [المشنا - الجزء الأول 3:21].

بل أصبح شيوخ اليهود لايجرؤون على الكلام في أسلحة الحرب. قرأ أحد مفسريهم هذا النصّ: أيها البطل بهيبتك وبهائك! تَقلَّد سيفك على فخذك! وبهيبتك اقتحمْ! اركبْ من أجل الحق والأمن والعدل! ويمينك ستدلّك على المخاوف. سهامك الحادّة في قلب أعداء الملك، شعوب تحتك يسقطون [مزامير داود 45: 3 - 5] وَشَرَحَهُ في التلمود بأن السيوف والسهام المذكورة يُقصد بها «شرائع التوراة».

وتجرأ فقهاء اليهود الجدد فأعلن كثير منهم أن شرائع الحرب الواردة في التوراة والتلمود لم تعد لها إلاّ قيمة نظرية وتاريخية. أما تطبيقها عمليًا فقد سقط بالتقادم! وبقيت الكلمة للرشاشات والصواريخ الحرارية والمغناطيسية والإشعاعية والأسلحة الذرية والطائرات والغوّاصات والأساطيل وما نسأل الله السلامة منه من أسلحة الدمار الشامل.

وعلى طول العصور الوسطى وحتى مشارف العصر الحديث، كان اليهود يعيشون مكدّسين بعضهم على بعض في «حارة اليهود»، وربما أتيح لي أن أخصص لهم بحثًا - إن شاء الله -؛ فقد كانت منطلقًا لاستعمار فلسطين: «الصهيونية»، ونقطة البدء في أخطر فلسفة إلحاديّة عرفها التاريخ: «الشيوعية»، ومنها انبثقت معظم الدعاوى الفوضوية في العالم، مما كان ردّ الفعل المنطقي له منوّعًا: من دكتاتورية مطلقة، إلى رأسمالية متوحشة لاتقدّس إلاّ المال، إلى عصبيات تافهة ولكنها مزعجة من عنصرية أو إقليمية أو دينية أو مذهبية مما يمزق الإنسانية، ويجعل مسيرة السلام بين الأمم وعرة تكاد تكون مستحيلة. وعلى ذكر «حارة اليهود»، فقد كانت هذه المستوطنات التي عاش فيها يهود الشتات في جميع أنحاء العالم معفاة من الخدمة العسكرية الإجبارية؛ لأن اليهودي كان لايعد مواطنًا. وهكذا انقطعت صلتهم بالجندية إلا في حالات نادرة، ولعدم وجود سجلات رسمية باليهود في الدول التي كانوا يعيشون فيها، ولأن الجندية كان ينظر إليها على أنها مظهر من تقرّب الإنسان إلى الله، فكان الأساس الديني قويًا جدًا. والقوة المحاربة في كل دول العالم كانت تتبع أديانًا غير يهودية؛ فلا المسلمون ولا النصارى ولا الصابئة، ولا الوثنيون في الهند والصين وسيبيريا يرون للجندي اليهودي مكانا بينهم. ثم إن دينهم يُحرِّم عليهم أن يحاربوا مرتزقة تحت راية غير يهودية. والراية اليهودية الأولى التي ارتفعت بعد مرور ما يقرب من ألفي سنة، كانت الراية الصهيونية التي رفعها الزعيم الصهيوني «جابوتنسكي» على رأس فرقة من متطوعي الصهيونية في الجيش البريطاني تحت قيادة المقدّم اليهودي الروسي ترومبلدور بأمر القائد العام البريطاني الجنرال «اللّنبي» الزاحف إلى فلسطين من سيناء. وتولى جابوتنسكي وضابطه الروسي إفهام الجنرال أن «الدخول إلى أرض الميعاد» محرّم على اليهود إلا تحت راية يهودية. وكان هؤلاء المتطوعون اليهود - مع جودة تدريبهم - قليلي العدد، وكان اشتراكهم في المعركة رمزا قدمته المنظمات والأحزاب الصهيونية إثباتا لحقهم في نصيب الأسد من الكعكة الفلسطينية، وكان هذا الحق في الكعكة هو «وعد بلفور»، وكان أولئك الجند المتطوعون في القوات البريطانية قد حاربوا الأتراك تحت قيادة العقيد البريطاني «باترسون» الذي ألف كتابًا في الإشادة ببطولتهم، ولا شك في أن نقود روتشيلد وهيرش ومونتفيوري قد أمدت هذا الكتاب بقدر من «الفيتامينات».

وإذا كان فقهاء اليهود قد اتفقوا على تحريم الخدمة العسكرية على اليهود بصفة «مرتزقة» فقد اختلفوا. فأجازه بعضهم بشرط أن يكون اليهود متمتعين بكامل حقوق المواطن في تلك الدولة، وألا يكونوا فيها عرضة لأية تفرقة عنصرية أو دينية، وحرّم كثير من علمائهم أن يخدم اليهودي - حتى وهو مواطن - في جيش غير يهودي. ومن أشهر من أفتوا بإباحته الحاخام إسرائيل مئير هاكوهين كاجان، المولود في ليتوانيا عام 1838م، ثم تولى الإفتاء للطائفة في بولندا، وتوفي بها عام 1933م، وأعلن أن اليهودي مطالب بالدفاع عن وطنه ولو كان الحاكم غير يهودي.

واليهود لاتنتهي أسئلتهم وخلافاتهم، فالمناقشات ماتزال قائمة بين علماء القانون والشريعة والسياسة حول حرب إقامة الدولة الصهيونية عام 1948/1949م. أهي حرب مفروضة، أم جهاد ديني؟ وباختصار أهي حرب من النوع الأول أو الثاني؟ ولم يقل أحد إنها «اختيارية» أو «تطوّعية». وجعلوا كل حروب إسرائيل التالية ضد العرب في حكم حربهم الأولى التي يسمونها «حرب الاستقلال»، وينكرون أن الحروب التالية كانت لتوسيع حدود الدولة وتأمينها، باستثناء الزحف إلى لبنان عام 1982م فهم يعدونها حربا سياسية، ومن ثم فقد كانت «تطوعية» بحتة! وهم - ككل مشعلي الحروب في العالم - لاتعوزهم «فتوى» للعدوان، بدليل «فتاوى» عدوانهم على المدنيين وتدميرهم البنية التحتية في لبنان في أيامنا هذه لأنهم فرغ صبرهم من «حزب الله»! فمات حتى الآن أكثر من مئة وخمسين قتيلاً وأكثر من ضعف هذا العدد من الجرحى، ليس من بينهم أعضاء في حزب الله أو في المقاومة اللبنانية! وهنا يرد الصهيوني بأنها حاليا ليست حربا دينية ولا سياسية؛ بل إجراء «انتقامي» ممن يرمون عليهم صواريخ كاتيوشا! وإذا قلنا لهم اخرجوا من الشريط الحدودي الذي حبستم أنفسكم فيه، حتى يعرف كل واحد حدوده، أحالوا مشكلة لبنان إلى الملف السوري.. أو الفلسطيني.

الحرب في شرائع «المشنا» اليهودية تنقسم إلى حرب مفروضة شرعا، وحرب مأمور بها نصًا في التوراة، وحرب توسعية استعمارية!

أما تجنيد النساء إجباريًا في جيش إسرائيل فيرجع إلى مشروع إعداد الحرس الصهيوني للمستوطنات الزراعية في النصف الأول من هذا القرن، وبعد قيام الدولة كانت الجندية للنساء بالتطوع، باستثناء التعبئة العامة وعدم كفاية قوة الدفاع من الرجال. وجاء مناحم بيجن فجعله «فترة تدريبية غير قتالية»، واعترض عليه شيوخ الدين اليهودي بأن المدربين أكثرهم ضباط وجنود من الذكور، وحرام في الدين أن تظهر المرأة بزي التدريب الذي يكشف عن ذراعيها وفخذيها ... الخ. فألحق صاحبنا مذكرة إيضاحية تنص على أن من كانت تقاليدها الدينية تنافي هذه الخدمة فإنها تُعفى منها، وأعلنت إحداهن أنها من هذه الفئة، فأُعفيت، وفي اليوم نفسه قبضت عليها الشرطة العسكرية متمددة على رمال الشاطئ في تل أبيب وتكاد تكون عارية إلا من خرقة لا تستر شيئًا، فأعيدت إجباريًا إلى الخدمة.. وما يزال الجدل حاميا بينهم .. كالعادة.

نقادنا.. والفكر الأدبي

د. عبدالحميد إبراهيم



إن الناظر إلى الفكر الأدبي في مصر يلاحظ ظاهرة واضحة، هي غلبة الجانب الفردي على الاتجاه العام، بحيث يكون سهلاً أن نتحدث عن طه حسين والعقاد، ويصبح صعباً أن نتحدث عن الجانب الاجتماعي أو الجانب النفسي. بل إن الحديث عن هذا الجانب أو ذاك يمكن أن ينحصر في أفراد معدودين، فلا نستطيع أن نميز اتجاهاً له فلسفته وقضاياه الجماليه، وله تلاميذه الذين يدافعون عنه، ومتذوقوه الذين يتعصبون له؛ ومن ثم لا نجد في واقعنا انتشار المدارس الأدبية على غرار ما نراه في أوربا، بحيث تصبح موجة عامة يمتد تأثيرها إلى مختلف النشاطات الإبداعية الأخرى.

إن مدرسة مثل المدرسة الكلاسيكية أو الرومانتيكية أو الواقعية في أوربا، شيء له مدلوله الذي نستطيع أن نلمسه في مظاهر متنوعة، كالموسيقى والرسم والنحت والأدب؛ بل في نظرة الناس وموقفهم من الحياة، وفي سلوكهم اليومي، لأنه شيء يخضع لظروف تاريخية واجتماعية يمر بها المجتمع ويتنبه إليها المفكرون والفلاسفة، ويضعون حولها النظريات والآراء.

ومع ذلك سأحاول أن أتتبع في الفكر الأدبي هنا اتجاهات عامة مع تحفظ شديد، هو أن هذه الاتجاهات يمكن أن نتبيّنها من خلال أفراد، ولم تصل إلى مرحلة الظاهرة التي تُحدث تطوراً في المجتمع يأتي نتيجة لتيارات سبقته، ومقدمة لتيارات ستلحقه. وليس الذنب في هذا يعود إلى مفكري الأدب بمقدار ما يعود إلى الوضع الحضاري للمجتمع. إنه مجتمع أفراد يقلّ فيه المثقفون، وتزداد فيه نسبة الأمية، وتحدث فيه التغييرات الجذرية نتيجة جهود فردية؛ بحيث لا نستطيع أن نستخدم هنا المنهج الماركسي في الحديث عن تغييرات اجتماعية تصنع الأفراد، لأننا سنجد أنفسنا في النهاية نتحدث بالدرجة الأولى عن أحمد عرابي وجمال الدين الأفغاني ومصطفى كامل وسعد زغلول وجمال عبد الناصر وعن رفاعة الطنطاوي وعلي مبارك وقاسم أمين ومحمد عبده وطه حسين والعقاد.

الاتجاه التأثري

هو الاتجاه الذي يترك نفسه لاستقبال إشعاعات العمل الفني، ثم يحاول التعبير عن إحساسه إزاء هذا العمل، دون أن يخنق نفسه داخل نظريات أكاديمية أو يثقل نظرته بالدراسات والإحصاءات والتواريخ. وأهمية هذا الاتجاه - إذا ما صادف نفوساً حساسة ومثقفة - أنه يستطيع الكشف عن جماليات العمل من دون أن ينحرف إلى متاهات خارجية. إننا نقرأ للدكتور عبد القادر القط أو للناقد رجاء النقاش فنحس في نقدهما إبداعًا لا يقل عن إبداع العمل الفني، إنهما يطرحان، بصفة مؤقتة، الأساس الثقافي الذي يكونهما ليكشفا في لغة مهمة منطق العمل، ويبحثا عن جمالياته الذاتية. إن هذا الاتجاه لا يعني قلة المحصول الثقافي، وإنما يعني أن الثقافة لا تفرض نفسها على العمل، وأن كل همها أن تجعل ذوق الناقد كالشفرة الحادة أو كقطعة المغناطيس التي تلتقط الشيء بسرعة. ويبلغ هذا الاتجاه منتهى الحساسية عند الكتاب المبدعين أنفسهم حين يتحدثون عن عملهم، إنهم يصدرون حينذاك عن معاناة حقيقية. إننا نقرأ ليحيى حقي وليوسف إدريس ولصلاح عبد الصبور فنجد تحديداً للمشكلات الأساسية وحدثًا فيه حرارة ومعاناة عن الإضافات الفنية من دون الدخول في متاهات جانبية لا تمس العمل الأدبي إلا قليلاً.

وميزة هذا الاتجاه التي لا نجدها في الاتجاهات الأخرى أنه يهتم بالجانب الجمالي، إننا نقرأ في الاتجاه الأكاديمي فنجد اهتمامًا بالنقول وبالتتبع التاريخي، ونقرأ في الاتجاه الاجتماعي فنجد اهتماماً بالنظرية الاجتماعية، ونقرأ في الاتجاه النفسي فنجد اهتمامًا ينصب مباشرة على الجماليات. إن الدكتور القط مثلا لا يهدر طاقاته في أشياء خارج العمل الفني، إنه يصدر عن نظرة احترام للفن تجعله يعبر عن نفسه ويتحدث عن منطقه الجمالي الخاص، ففي دراساته بمجلة «المجلة» عن «شعراء المقاومة بين الفن والالتزام» جعلنا نلتحم بالنصوص الأدبية، ونتلقى سرها التأثيري من خلال خط واحد

التزمه في تلك الدراسة هو «مدى التعبير الفني عن تجربة وطنية تقتضي قدراً من الالتزام الذي تتدخل فيه عوامل أخرى غير العوامل الفنية» وقد قام الدكتور القط من خلال هذه الزاوية بعملية توازن دقيقة تحفظ الفن من أن تطغى على شخصيته عوامل خارجة عن قانونه الذاتي، فهو يقول: «لا بد لمن يريد أن يمضي في حمل هذه الرسالة القومية في أعمال فنية ناجحة أن يبحث عن وسائل جديدة للتعبير في القصة والمسرحية والشعر، والالتفات إلى ما في الحياة الإنسانية جميعها من مآس يرتبط بعضها ببعض ويتشابه إحساس الناس بها في كل مكان».



جي دي موباسان

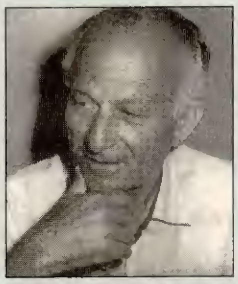
ولكن هذا الاتجاه إذا صادف نفوساً عجولة تتخذ من النقد مهنة ووظيفة، يتحول إلى عبارات إنشائية جاهزة، وقوالب لفظية تُلقى للمجاملة والتحية، تماماً كما يُحَيِّي بعضنا بعضا حين نلتقي أو نفترق. وهذا هو الطابع لكثير من النقد الذي تمتلئ به أعمدة الصحف وأبوابها الثابتة. إنه نقد مهنة لا نجد وراءه حساسية ولا ثقافة، وتتغير عباراته بحسب نوعية «الشلة» التي يعاديها الناقد أو التي ينتظر منها النفع العملي، والأمثلة التي تمثل هذا الانحراف أكثر من أن تُحصى، وهي السبب في الهجوم على النقد ووصمه بالإفلاس والمجاملة، وهي المسؤولة في الوقت نفسه عن توسيع فجوة الانفصال بين النقد التطبيقي والجانب النظري. ولم تكن هذه الفجوة موجودة أيام الدكتور أحمد ضيف والدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين، حين كان هناك توافق بين الجانب التطبيقي والجانب النظري. أما الآن فقد اتسعت هذه الهوة، بحيث أصبحنا أمام نقد طبيعي لا يسلح نفسه بالثقافة والمعاناة، ونقد أكاديمي ينفصل - في الأعم الأغلب - عن الجانب التطبيقي، ويدخل في متاهات جانبية، وتبرز روح العداوة بين الجانبين، مما كان له أثره السيئ فيهما معاً.

الاتجاه الأكاديمي

ويحمل هذا الاتجاه في معناه الأصلي منهجاً سليماً وإخلاصاً للبحث، فهو يجمع المادة من مختلف مظانها، ويقوم بتحليلها وتتبع جزئياتها، ومتابعة تأثيرها وبيان جذورها، وهو يُصدر أحكامه من خلال الوثائق والاستشهادات؛ فتكون - بقدر الإمكان - بعيدة من الذاتية والتحيّز. ولكن هذا الاتجاه قد حمل معاني أخرى في الفترة الأخيرة فأساءت إليه، إذ أصبحت كلمة «أكاديمية» تدل على فقدان الشخصية وضياع عنصر الابتكار، وذلك يوم أن تحول هذا المنهج عند بعضهم إلى مجرد الجمع والحشو والتصنيف، وضاعت شخصية الباحث بين الاستطراد وأقوال الآخرين، واعتمد كثيراً على النقول. إن القراءات الكثيرة إذا لم تصاحبها عملية امتصاص وبروز للشخصية تصبح سلاحاً ضد صاحبها، وتحوله إلى صدى للآخرين، وإلى دماغ يمتلئ حتى يفيض بالآراء. وقد وقع هذا الاتجاه أخيراً عند الكثيرين في متاهات، وأصبح مثل «لعبة الشطرنج» أو الكلمات المتقاطعة، تعطي صاحبها لذة فكرية وَحدةً ذهنية من دون محصول عملي وواقعي، ولاسيما بعد الانفصال المشؤوم بينه وبين الصحافة والمجلات الأدبية التي تمثل للباحث مدرسة عملية يختبر فيها آراءه ويكتسب عن طريق الحوار مرونة. إن القارئ - وليس حبر الطباعة - هو المخبار الذي ينبغي أن يقيس به الكاتب آراءه، وإن الصدى العملي هو الذي يعطي الناقد الحرارة والاستمرار، ومن دون هذا الصدى - مهما كانت قدراته الذهنية - سيحكم على نفسه بالسكوت.

والاستقراء لمناهج الكتاب الأكاديميين عندنا، يطلعنا على ثراء هذا المنهج، وتحقيقه لكثير من النتائج الموضوعية والمدروسة، إذا تحققت لصاحبه الشخصية المستقلة ووجهة النظر الخلاقة، وفي الوقت نفسه يطلعنا على جدب هذا المنهج وتحوله إلى كمية من القراءات إذا ما صادف شخصية أقرب إلى أمين مكتبة منها إلى باحث مفكر.

إن الدكتور محمد غنيمي هلال يمثل هذا الاتجاه في ناحيته التجمعية، إنه رجل قرّاء أسرف على نفسه في القراءة، إنه يجمع آراء الإغريق وآراء العرب وآراء المعاصرين، ولا تتضح شخصيته إلا من خلال «اللحم» بين هذه الآراء، أو من خلال تعليق سريع، أو من خلال ترجيح لبعض الآراء. إنه بهذا لا يبتعد - إلا قليلاً - من الأدباء العرب القدامى، الذين كانوا يجمعون في كتبهم ومنتخباتهم الآراء والأقوال والوصايا حول موضوعات معينة. حقّاً إن فهمه للآراء فهم ذكي ولّماح، وحقّاً إنه كثيراً ما يساند الاتجاهات الطليعية، وحقّاً إنه أطلعنا على تيارات كنا بحاجة إليها، ولاسيما في الأدب المقارن الذي يُعدّ أول من عرفنا به في صورته العلمية كما تدرسها جامعات العالم، ولكن هذا كله - مع خطورته وأهميته - لا يكفي.



د. عبد القادر القط

إن كتابه الموسوعي «النقد الأدبي الحديث» يعرض فيه آراء النقاد الإغريق، ثم آراء النقاد العرب، ثم الاتجاهات الجمالية المعاصرة، ثم يتتبع الأجناس الأدبية من شعر ومسرح وقصة تتبعاً تاريخياً شارحاً وموازناً؛ وهو يمتلئ حتى يفيض بالآراء والنقول والهوامش والفهارس المتنوعة. ولكن هذا كله لا يكفي، إن شخصيته ورأيه المستقل ووجهة نظره والفكرة الكلية التي تنبت داخل الكتاب أشياء قلما توجد. إنه يصف منهجه في تقديمه هذا الكتاب فيقول: «ودراستنا هذه دراسة تاريخية علمية، نورد الآراء والاتجاهات المختلفة في مكانها، في عصرها، وقد نقف لنتبين قيمتها في عصرنا، ثم إننا نشرح النظريات المختلفة موحين أحياناً برأينا، مكتفين أحياناً أخرى بعرض هذه الآراء ليحيط بها الدارس ويميل إلى أيها شاء». وقد بلغ هذا الكتاب في طبعته الثالثة سبعمئة صفحة، ويمكن أن يطول ويمتد في طبعة أخرى، متى ما أضاف هو أو أحد تلاميذه الآراء التي تجد في الموضوع، أو التي يطلع عليها في مصادر أخرى.

ويتخلص الدكتور لويس عوض من بعض سيئات هذا المنهج، وقد ساعده عمله بالصحافة على أن يرتبط بالواقع ويتفهم مشكلاته، وأن

يتعرض لقضايا هي بنت لحظتها، ولكنها لم تكن على حساب منهجه العلمي، في تتبع الفكرة وردها إلى جذورها، والاستعانة بالأمثلة التاريخية، مع الموازنة بما عليه حال الدول في أوروبا بنوع خاص، وهو يحاول أن يعطي القارئ أكبر كمية من المعلومات بطريقة الأستاذية التي تعرض وترشد؛ ولكن الفكرة تغريه أحيانًا بالاستطراد واستخدام المصطلحات العلمية، وإحصاء الأعلام الأفرنجية، واستخدام التعبيرات الإنجليزية والفرنسية واليونانية. وإنه يتباهى - وقد لقب نفسه بالمعلم - بأنه يعرف الكثير مما لا يعرفه القارئ، وهو يريد أن يترك القارئ فاغرًا فاهُ مندهشًا أمام استعراضات أستاذه، معتزًا بقوته الفكرية وقدرته على استخدام الكلمات الأفرنجية، وتحمله اللعبة إلى أقصى أطرافها. فحتى لو كان الموضوع عاديًا ويمكن أن يُدرك بلا عناء فلا بد من أن يثقله بالجداول والأرقام والمصطلحات والأعلام الأفرنجية، ويحيطه بشيء من لغة الكهنة التي لا ينبغي أن يفهمها سواهم حتى تظل للمعلم هيمنته وقدرته على التأثير.

إنما يظهر هذا المنهج بريئًا من كل الانحرافات عند الدكتور محمد مندور، إنه رجل قرأ الكثير وسافر وتذوق مختلف الفنون، وعانى من الاضطهاد والرجعية، وهو رجل قد امتص قراءاته وسيطر عليها، فلم يَعُدْ دُونها تسخّره، ولكنه فوقها يحركها وينفث فيها من روحه. إنه على الرغم من منهجه الأكاديمي نحس عنده بالحرارة والمعاناة، وبأنه صاحب رسالة، وليس همه أن ينقل المعلومات وأن يتباهى بها أمام القارئ، وإنما هَمُّهُ أن ينسلّ داخل القارئ، وأن يحدث فيه تغييرًا، ويدفعه إلى الحركة. لقد قال سنة 1944م تحت عنوان «العقلية المصرية»: «وبودي لو نفثت في كل قلب إيمانًا بالنفس، وأملا في الحياة حتى أرى جميع مواطنينا كالكرات من المطاط كلما زدتها صدما ازدادت قفزًا». إنه يتتبع فكرته بهمس من دون أن يتكلف كلمة فصيحة، أو يجري وراء مصطلح علمي، أو يغريه اسم أعجمي. إن مهمة الكاتب عنده مهمة خلقية، ليست هي التلاعب بالألفاظ، ولا نقل النظريات وشرحها، إن مهمته كما يقول: «لا ينبغي أن تكون الإفحام بالجدل، بل الاقتناع بالقلب، ولن تصل إلى اقتناع إلا إذا اكتفيت بأن تعرض تجاربك النفسية داعيًا الغير إلى مثلها». إن هذه النفثة من الحياة، وهذه الحرارة التي تمتلئ بها كتاباته هي التي تفرق بين منهجه ومنهج الدكتور لويس عوض، الذي يؤثر الفكرة والحياد التام الذي يخلو من الحرارة والعاطفة، ويفضل هيبة المعلمين على مخالطة القارئ والتباسط معه ومحاولة إقناعه بطريقة وجدانية تربي شخصيته، بل لا بأس من أن يقصّ أحيانًا من الواقع ليصير على «قد» القالب الذي يعده المعلم. لقد كان الدكتور لويس عوض منصفًا تمام الإنصاف حين وازن بين منهجه ومنهج الدكتور مندور فقال على صفحات الأهرام: «كان ذكاؤه ذكاءً تحليليًا قاطعًا كالنصل الماضي يفتت كليات الحياة إلى جزئيات صغيرة واضحة للعين المجردة بملكته القادرة على التحليل. وكان إدراكي إدراكًا تركيبيًا لا أرى الشيء واضحًا إلا على البعد، ويلف كل شيء بضباب المطلقات والمقولات الكلية. وكان يُقَدِّم القيم الجمالية، وكنت أقدم المضمون على كل جمال».

القراءات الكثيرة إذا لم تصاحبها عملية امتصاص وبروز للشخصية تصبح سلاحا ضد صاحبها، وتحوله إلى صدى للآخرين

الاتجاه الاجتماعي

وهو اتجاه قد صحبنا منذ عصر النهضة، وربما كان امتدادًا - بصورة ما - للنظرة العلمية التي كان يتطلبها القدماء من البلاغة بوصفها فنًا قد نشأ لخدمة العقيدة؛ ولاسيما أن الذين كانوا يمارسون الفكر الأدبي في أوائل هذا القرن، من ذوي المناصب الرسمية الذين يهمهم الحفاظ على تقاليد المجتمع، فمثلاً الدكتور منصور فهمي أستاذ الفلسفة بالجامعة، والدكتور أحمد ضيف أستاذ الأدب العربي لا يتكلمان عن القصة بصفتها فنًا يستحق الكلام لذاته، وإنما كانا يتحدثان عما «يكون في ذكره للناس عظة وعبرة» على حد قول الأول، أو عن البلاغة بوصفها فنًا في خدمة المجتمع على حد رأي الثاني. وقد ازداد هذا الاتجاه كثافة بعد انتشار الواقعية وانصراف كثير من الكتاب - وبنوع خاص القصاص - إلى استمداد أدبهم من المجتمع، تأثرًا بطريقة موباسان وتشيكوف وبلزاك وزولا. وكان هذا الاتجاه في ذلك الحين يركز على إبراز معايب المجتمع، وبنوع خاص الصور المريضة والشاذة على غرار ما كان سائدًا في الواقعية النقدية الأوربية؛ ومن ثم كان يُظهر في هذا الأدب نوعًا من السوداوية هي الوجه الفني المقابل لسوداوية المجتمع، وبحجة تصوير الواقع، أو كما قال نجيب محفوظ في حديث له بمجلة الإذاعة - 21 ديسمبر/كانون الأول سنة 1957م - يدافع فيه عن نهايات قصصه الحزينة: «لقد كتبت كل القصص في ظل عهود كان التفاؤل فيها يعتبر نوعًا من التخدير والرضا بالواقع».

ثم تطور هذا الاتجاه عند الدكتور عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم في أوائل الخمسينيات حين تبنيا نظرية الواقعية الاشتراكية في الأدب، التي ترى من رسالة الأدب ألا يقف عند الجانب السلبي - الاستاتيكي - في المجتمع فيصوره؛ بل لا بد له من أن يتبنى قوة إيجابية - ديناميكية - تعمل على تغيير المجتمع. إن صورة البطل المنهزم ينبغي أن تتغير إلى صورة المناضل. ولكن الدكتور عبد العظيم أنيس غلبت عليه الصرامة على عكس زميله، فَغَلَّبَ النظرة الاجتماعية في نقده بحيث جعلها المقياس الأول؛ مما حجب عنه الجوانب الفنية الأخرى، وأوقعه في أحكام أقرب إلى الجانب السياسي منها للجانب الفني. إنه يفضل مثلاً عبد الرحمن الشرقاوي على نجيب محفوظ لسبب بعيد - بعيد من الفن - هو أن الشرقاوي اهتم في رواية الأرض بالجموع وقدم لنا روحًا مقاوما، بينما يقدم نجيب محفوظ المجتمع في حالة ساكنة، تركز على الجانب المظلم ولاتتبنى نظرة تفاؤلية.

وانتهى هذا الاتجاه إلى النقاد الشبان في

نقادنا..
والفكر الأدبي

صورته الصارمة غير السمحة، فنجد في نقدهم - للأسف - اهتمامًا بالمضمون وبُعْدًا من جماليات العمل الفني. إن الشعر المعاصر في نظر أحدهم مرفوض في معظمه لأنه يتحدث عن الموت والغربة ولا يدعو للمقاومة وحمل الفأس. وإن نجيب محفوظ في نظر آخر يبتعد في مرحلته الجديدة من قضايانا المعاصرة. ولست أريد أن أدير مرة أخرى هذا الحوار القديم والجديد في المفاضلة بين اللفظ والمعنى بالتعبير القديم، أو بين الشكل والمضمون في التعبير الحديث، وكل ما أريد أن أؤكده سريعًا أن الفكرة لا تدخل عالم الفن إلا بشيء من «الجمالية» يفرق بين الكتابة ككتابة، وبينها كفن، وهذا الشيء من الجمالية هو الذي ينبغي للنقد أن يكتشفه، ولا بأس أن يستعين في سبيل الكشف عن ذلك بالظروف الاجتماعية أو السياسية أو النفسية، ولكنها تبقى مجرد استعانة من دون أن تتحول إلى هدف في حد ذاته.

الاتجاه النفسي

وقد تأثر هذا الاتجاه بالمكتشفات النفسية المعاصرة، ولاسيما عند فرويد. فمنذ أن اتصلنا بالحضارة الأوربية واطّلعنا على المنجزات النفسية، بدأ اهتمامنا بهذا الاتجاه يظهر، وقد بلغ ذروته عند العقاد، إذ كان يبحث في عبقرياته عن صفة نفسية رئيسة يسميها «مفتاح الشخصية» الكامن وراء كل تصرفاتها، ويظهر هذا الاتجاه واضحًا في كتابه «الحسن بن هانئ»، الذي حاول فيه أن يكون محللاً نفسيًا يتتبع عقدة النرجسية عند أبي نواس ويبحث عن مصدرها، أو كما يقول: «وكلما أمعن الباحث النفساني في دراسة هذه الشخصية بدا له أنها من كل وجه «شخصية نموذجية» في بابها، وأنها لقطة لا تظفر بها المشرحة النفسية في كل دراسة ففيها أثر لتكوين المولود، وأثر البيت، وأثر البيئة الاجتماعية، وأثر العصر من جانب السياسة وجانب الثقافة».

ولكن هذا الاتجاه يجرد العمل الفني من جمالياته، إذ لا يُبحث فيه إلا عن شذوذ صاحبه، فهو قد ينفع المحلل النفسي وقد يخدمه في وظيفته. وفرويد هنا منطقي مع نفسه؛ إذ ينظر إلى الأدب من خلال زاوية التحليل النفسي وبوصفه أداة توصله إلى مفتاح المرض الخفي، إنه يرى أن حاضر الإنسان هو نتيجة ماضيه، وإذن فليبحث عن هذا الحاضر فيما تركه الإنسان من مذكرات ووثائق وكتابات. لقد اهتم في دراسته لدافنشي مثلا بأشياء لا تدخل عالم الفن في شيء، كهذا الحلم الذي أورده في مذكراته عن طفولته المبكرة، أو كتلك الملاحظة عن أنه يحيط نفسه بتلاميذ يمتازون بالجمال أكثر من النبوغ، مما يؤكد اتهامه بالعلاقات الجنسية الشاذة. إنه يتخذ من دراسة الإبداع عند دافنشي وسيلة لتحليله ومعرفة ما فيه من عقد وشذوذ.

الفكرة لا تدخل عالم الفن إلا بشيء من الجمالية يفرق بين الكتابة بوصفها كتابة وبوصفها فنًا، وهذه الجمالية هي ما ينبغي للنقد أن يكتشفه

إن هذا الاتجاه أقرب إلى علم النفس منه إلى مجال الفن، ومن ثم انحسر تأثيره عندنا في عالم الأدب وقل المتحمسون له. ولم يعد يمثل منهجًا سائدًا، وإنما هي بضع ملاحظات ترد على لسان الناقد الأدبي، ولا يقصد منها إلا إثارة التذوق للعمل الفني.

وحين انتقل هذا الاتجاه من الأدباء إلى علماء النفس داخل الجامعة، أصبح مادة علمية جافة لا يقصد بها إلا إرضاء شهوة البحث، والخضوع للاختبارات والاستبانات، وتحليل المسودات، وإلقاء الأسئلة، واستخدام الجداول والأرقام، ومن ثم فليس غريبًا أن ينحسر تأثير هذه البحوث عن الحياة الأدبية، وأن يشيع بين فئة قليلة بحكم وظيفتهم وتخصصهم، لأنها مالت إلى التقنين ووضع الأحكام، بعيدًا من الواقع الأدبي المعاصر. إنها بهذا تشبه صنيع السكّاكي في البلاغة العربية القديمة الذي انتقل بها بعيدًا من النصوص والأدباء وأخضعها للقواعد التي حفظها البلاغيون بعده واحدًا وراء الآخر، حتى انكمش دورها عن الأدب وصارت أمثلتها تُجلب من أي مكان، لأنه يُقصد بها توضيح القاعدة، ولا يعاب لو استخدمنا في هذه الحالة رموزًا جبرية مثلاً بدلاً من نصوص أدبية.

هذه هي أهم الاتجاهات التي تغلب على الحركة الفكرية الأدبية ولم تتبين بعد مصاير هذه الاتجاهات عند الجيل التالي، وإن كنت أُحسُّ أن النقد عندهم آخذ في الهبوط، وأنه قد تحول إلى خطف فكرة من هنا وهناك، وأنهم قد أصبحوا يتجافون عن الدراسة الشاقة المستأنية؛ بل يخيل إليّ أن حركة النتاج الفني أزهى من حركة النقد. إن ظاهرة مثل ظاهرة القصة الطليعية التي تأخذ في الانتشار، لا تزال في حاجة إلى الناقد الذي يقوم بدور التصفية ومحاولة الكشف عن الإضافات الفنية من غير أن ينحرف إلى هامشيات خارج العمل الأدبي. إننا نجد مدافعين عن هذه الحركة ومعارضين لها. ولكن كلا الفريقين يسيئان إليها. فالمدافعون لا يتحدثون عن الجانب الفني والإنجازات الشكلية، وينصبّ نقدهم على هامشيات العمل؛ كالحديث عن الغربة والعبث واللحظة المعاصرة. أما المعارضون فهم لا يتقبلونها أساسًا، لا لسبب فني أيضًا، وإنما بسبب أن هذه الحركة نبات غريب عن أرضنا، وأنها نتيجة اتجاهات مريضة في أوربا كما يقولون.

إن النقد قد تخلّف عن دوره القياديّ وانحرف إلى الشللية والمجاملة حتى فقد أصالته، وأصبح يُنظر إليه في محيطنا على أساس أنه عالة على الفن؛ وهذه النظرة صادقة، لأن أمثلة كثيرة في واقعنا تبرهن عليها، ولكن صدقها لا يثبت على المستوى العالمي والتاريخي، فالنقد الطليعي هو الذي يقود عادة الحركة الأدبية ويوجهها، والناقد الطليعي يملك مع ثقافته الواسعة قرون الاستشعار الحاسة التي تلتقط الجديد وتتبناه. وتكوين الناقد الطليعي أمر شاق يحتاج إلى تضحيات وخطة مدروسة لا ينبغي أن تترك للاجتهاد الفردي في ظل تلك الظروف المتشابكة؛ بل لابد من تدخل الدولة عن طريق التفرغ والتشجيع المادي والأدبي وإعداد المعاهد الخاصة.

لُغةٌ وظيفيَّة أمْ تعليمٌ وظيفيٌّ؟

شريف بوشحدان

كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن «الوظيفية» في تعليم اللغات، وظهرت مناهج وطرائق تعتمد في دراستها لِلُغة وفي تدريسها على كل ما هو وظيفي.

وأول استخدام للمصطلح كان في اللسانيات. فقد كانت حلقة براغ اللسانية(1) بزعامة تروباتسكوي Troubetzkoy وجاكوبسن R. Jacobson قد جعلت من مفهوم «الوظيفة» أساس منهجها. وقد ارتكز البحث على تحديد دور كل عنصر من العناصر اللغوية في التبليغ، وهو امتداد لمذهب سوسير الذي ينطلق من التبليغ Communication(2) بحسبانه الوظيفة الأساسية للغة.

إن الذي جعل علماء حلقة براغ يضعون هذا المنهج هو البحث عن وظيفة كل صوت في الكلمة وعن دوره التمييزي في عملية التبليغ، انطلاقًا من المخرج والصفة والكيفية.. وأطلقوا عليه اسم الفونولوجيا Phonologie أو علم وظائف الأصوات. وقد استفاد الفرنسي أندري مارتني A. Martinet بحكم كونه عضوًا نشيطًا في حلقة براغ اللسانية من إدخال هذا المنهج في دراسته للتركيب، فوضع بذلك علم التركيب الوظيفي Syntaxe Fonctionnelle، فبحث عن وظيفة كل كلمة(3) Moneme في التركيب، واستخرج أصنافًا عديدة من الكلم(4)

وقد وُضعت - إضافة إلى تحليل مارتني - نماذج متنوعة للوظائف اللغوية أشهرها نموذج جاكوبسن ونموذج بوهلر Buhler(5).

وأما في إنجلترا فقد اهتم اللساني M.A.K. Halliday بالنحو الوظيفي Functionnal Grammar(6). إلا أن نظرته للوظيفة مختلفة تمامًا عن نظرة مارتني بخاصة، والتحليل الوظيفي لعلماء مدرسة براغ بعامة. فطريقته لا تتناول اللغة من الداخل انطلاقًا من القواعد الصرفية والتركيبية، ولكن من الخارج انطلاقًا مما يمكن أن تقدّمه لنا في التبليغ. وأما التنظيم الداخلي للغة فهو عنده انعكاس للوظائف التي تؤديها في التبادل الكلامي(7). ويمكن أن توجز أنواع الوظائف عند هاليداي بما يلي(8):

- **الوظيفة التجريبية Ideational Function**: وتمكّن المتكلم أو الكاتب من تنظيم تجاربه عن العالم الواقعي أو الخيالي. واللغة بوصفها وسيلة للتعبير عن محتوى Contenu، فإنها تساعد على تحديد الكيفية التي نرى بها الأشخاص والأشياء والحوادث والأفعال...

- **الوظيفة الخطابية Interpersonal Function**: وجدت لتنظيم العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص ولتثبيتها. وتخصّ أشكال التخاطب وأساليبه التي تؤثر في تغيير الخطاب. وهي وظيفة شبيهة بما يعرّفه J.L. Austin في قوله: «ما نقوم به حين نتكلّم»(9).

الوظيفة النصية: Textual Fuction: وتحدّد كيفيه انتظام العناصر الجميلة في نص من النصوص لتحديد معاني الأقوال داخل سياقات أوسع(10).

والذي يهمنا أكثر من غيره في هذا الموضوع ليس البحث عن الوظائف اللغوية؛ بل أن نتناول اللغة الوظيفية والتعليم الوظيفي لها بالدراسة والتحليل لنرى أيهما أولى بالعناية والاهتمام.

إن اللغة الوظيفية مرتبطة أساسًا بغرض تعلّمها، وهو غرض آني يفرض الاستجابة لحاجة تبليغية عاجلة. وتُقَسَّم في الغالب إلى ثلاثة ميادين، هي - في الوقت نفسه - مراحل يمرّ بها من أراد امتلاك لغة يتواصل بها في ميدان اختصاصه العلمي، وهذه الميادين هي:

- **اللغة اليومية العامة.**
- **اللغة العلمية العامة.**
- **لغة الاختصاص(11).**

اللغة اليومية

هي تلك التي تعبّر عن الحاجات اليومية داخل المنازل وخارجها، وفي وقت الاسترخاء والعفوية.. وتتميّز اللغة اليومية بما يتطلبه الخطاب العادي.. من خفة واقتصاد في التعبير وابتذال واسع للألفاظ. «فكلما كان المقام مقام أنس، كان المتكلم إلى حذف ما هو غني عنه لإبلاغ مراده أميل وأكثر ارتياحًا..»(12).

وقبل الانتقال إلى المرحلة التالية والدخول في ميدان فيه شيء من التخصّص يشترط على المتعلم أن يكون قد اكتسب الآليات الأساسية التي تمكّنه من التواصل مع غيره شفهيًا، ومن التعامل مع النصوص قراءة وفهمًا. ويتطلب تحقيق ذلك الشرط إحاطة بالألفاظ الشائعة والعبارات المتداولة يوميًا في المنازل والإدارات والمدارس وفرق العمل والورشات، ثم البحث عن كيفية مناسبة لعرض تلك الألفاظ وترسيخ تلك العبارات، إذ تُجمَع الألفاظ في تراكيب عديدة على شكل حوارات ونصوص تختلف باختلاف الأحوال والموضوعات ولا يتحقق هدف هذه المرحلة إلا إذا تمكّن المتعلم من التواصل مع غيره باستخدام ما تعلّمه من أقوال وعبارات بشيء من المهارة.

اللغة العلمية العامة

ويطلق عليها أيضًا اللغة الأداة Instrumental. واللغة العلمية العامة بصفتها أداة، تقع في الميدان العام لتعليم اللغة، لهذا ينبغي أن تُكتسب في تعليم يرمي أساسًا إلى تطوير قدرات فهم النصوص المكتوبة لطلبة يتفاوتون في درجة التخصّص. وبعبارة أخرى إعطاء القراءة مكانة تميّزها من بقية المهارات اللسانية الأخرى(13)، ومَثَل اللغة العلمية العامة مَثَل لغة التخاطب ينبغي تحديدها وربطها بالصيغ والأساليب المناسبة للتعبير، وإعطاء العناية اللازمة للسياق التعلّمي حتى يجد المتعلّم نفسه مُجبرا على استخدام تلك اللغة متى اقتضى الحال. فمثل هذا التعليم إذن لا يُوجَّه إلا لطلبة كبارهم بحاجة إلى تحقيق هدف آني طارئ. وهم ليسوا بحاجة إلى لغة تواصل شفهية(14)، ولكن إلى لغة تواصل علمية، الوقت فيها محدود، والأهداف المرجوّة محدَّدة.

وهناك من يحصر اللغة الوظيفية في اللغة الأداة ويجعلهما بمعنى واحد في مقابل لغة الثقافة. من هؤلاء الفرنسي ر. غاليسون R. Galisson الذي يرى بأن لغة الثقافة تنفتح أساسًا على معرفة أدب أمة وحضارتها. واللغة الأداة وسيلة مساعدة على اكتساب معرفة تتصف بالعملية البراجماتية والشمولية. وبعبارة أخرى فاللغة الأداة في نظره تستخدم عند من لا يستطيع بلغته الأصلية أن يبلّغ المفاهيم التقنية مثلا. وفي هذه الحال ينبغي أن تكون أداة محايدة، بمعنى مجرَّدة من خصوصياتها الثقافية والمذهبية الفكرية - الإيديولوجية - ما أمكن.. وما يميّز اللغة الأداة أساسًا من لغة الثقافة أنّ الأولى ليست غاية في ذاتها، ولكنها وسيلة لاكتساب معرفة أخرى لها الأولية في نظر أصحابها، في حين أن الثانية هي غاية ووسيلة(15).

وفي هذا السياق نجد من يستخدم اللغة الوظيفية مقابل اللغة المدرسية. وفي نظر هؤلاء أن اللغة ليست بالضرورة وظيفية، ولا يمكن أن تكون دائمًا كذلك إلا إذا استُخدمت في تبليغ خبر علمي أو تقني(16).

لغة الاختصاص Langue de Specialite

وهي مرادفة في الغالب للغة البحث العلمي في قطاع معيّن من المعرفة. يُركّز في تعليمها على الجوانب الإفرادية المصطلحات والأسلوبية العبارات والتراكيب بشيء من الاختصاص(17).

ويفترض في هذه المرحلة أن يكون المتعلم قد اكتسب ملكة لسانية تؤهّله لرفع مستواه وتحسين أدائه في لغة المهنة أو الاختصاص.

ويستعان فيها بالأحوال التي يحصل فيها التخاطب بلغة المتخصصين(18)؛ فالوظيفة هنا مرتبطة بخصوصية الجمهور كما هو الحال عند المختصين في تعلّم اللغة الإنجليزية في مجال المعلوماتية Informatique.

والملاحظ أن مفهوم الوظيفية قد تعدَّد بتعدّد نظرة الباحثين إلى مشكلة تعلّم اللغات الأجنبية وتعليمها. فمنهم من يربط الوظيفة بالحاجة الملحّة، ومنهم من يربطها بالنّجوع ويجعلها مقابلة للغة الثقافة التي يتولى نشرها التعليم العام.

تتميز اللغة اليومية العادية بما يتطلبه الخطاب العادي من خفة واقتصاد في التعبير، بينما تركز لغة الاختصاص على جانبي المصطلحات والتراكيب

لذا ينبغي أن نفرّق من البداية بين تعلّم اللغة لتأدية حاجة ملحّة، وبين تعليمها لغرض الاستخدام المناسب الفعّال في حالات اجتماعية يعايشها المتعلم كثيرًا أو قليلاً. وهكذا فقد يعني «الوظيفي» أن تهتم بالأساسي، بمعنى الجوهري، أي ما هو ضروري عمليًا لفرد يواجه مشكلةً لغوية معينة - فهمًا أو تعبيرًا كتابيًا أو تعبيرًا شفهيًا - وعليه أن يجد حلاً لها بأقل جهد وفي أقل وقت ممكن.

من هذا المنظور يتعارض «التعليم الوظيفي» مع «التعليم العام». فالتعليم العام يرمي إلى تعليم تربوي ثقافي يمكّن من تعرّف اللغة الأجنبية وثقافتها من أجل الإثراء المعرفي والتكوين الفكري(19). ويكون في إطار نظرة تربوية شاملة وليس في نية أصحابه تحقيق حاجة تبليغية عاجلة. في حين أن التعليم الوظيفي يعمل أصحابه على الاستجابة لحاجات آنية تُحدَّدُ من جهات خارجة عن المؤسسة التعليمية.

ومنهم من يعتقد أن التعليم ينبغي أن يكون وظيفيًّا أو لا يكون. وفي هذه الحال فإن «الوظيفة» تعني النجوع. يقول لويس بورشي Louis Porcher(20) في سياق الحديث عن الفرنسية الوظيفية: «كل تعليم للفرنسية إذا

اللغات عامة. ونجد مظاهر هذا التداخل في التحديد الصارم للفعل التربوي، وفي الوعي لعامل تنوّع المتعلمين، وفي المدة المخصّصة للتعليم، والحاجات اللغوية وأهداف التعلُّم .. وهذا التحديد يجرُّنا إلى الحديث عن منهجية التعليم بين الأمس واليوم، أي بين تعليم تقليدي، الاهتمام فيه منصبٌّ على المادة اللغوية بمعزل عمّن توجه إليهم، وبين منهج وظيفي لا يهتم بالمادة اللغوية إلا بربطها بالمتعلمين وحالات التعلُّمْ(22).

ومما لا شك فيه أنَّ التعليم الوظيفي للغات يركّز أساسًا على الإفادة لأنها قيمة أساسية لإنجاح العملية التعلُّمية التعليمية، ولاسيما إذا كان التعليم للغة مرتبطًا بالحياة المهنية. وفي هذا

ويعيد إلى التفكير اعتباره لأنه وسيلة مهمة لتكوين المفاهيم، وقد استعان أصحاب هذا الاتجاه بالتمارين الخاصة بهذه العملية وهي تمارين تكوين المفاهيم Conceptualisation. ومنها أيضًا تلك الخاصة بالاكتشاف والتجربة: تحليل المعطيات، وضع الفرضيات، إبداء الملاحظات، تقديم شروح... الخ(25).

لهذا كان التصحيح النحوي وحده غير كاف في التعليم الوظيفي، إذ من الممكن أن نفهم جملا خاطئة نحويًا، ولا نفهم أخرى صحيحة نحويًا. وما دامت الأولية للاستعمال عند أصحاب هذا المنهج، فإن أفضل معيار يستخدمونه للحكم على القيمة التبليغية لقول معين هو الاستحسان Acceptabilite(26).

أما المحتوى في البرنامج الوظيفي، فيوضع انطلاقًا من تحديد المفاهيم «المحتوى الدلالي»، وبعدها يتم إحصاؤها، وتصنيفها ثم الانتقال إلى البحث عن الوسيلة المناسبة لتبليغها. ويستعان على ذلك باختيار الخطابات المناسبة، ومنها إلى تحديد الأفعال الكلامية Acte de Parole التي تعبّر عن تلك المفاهيم، وقد يُعتمد كثيرًا على أحوال الخطاب التي يتم تسجيلها أثناء التحقيقات. وبهذا الأسلوب يستطيع المعلمون إيجاد العلاقة بين كل خطاب وأحوال حصوله، وبهذا أيضًا نكون قد سمحنا للمتعلمين بأن يُشاركوا بأنفسهم في اختيار ما هم بحاجة إليه.

إن المنهجية الوظيفية لا تحدّد ما ينبغي أن يعلَّم وما لا ينبغي، ولا تنطلق من مدوَّنة مغلقة، لأن الاختيار قائم وفق قانون الملاءمة Adequation، والقاعدة الشهيرة «لكلٍّ بحسب حاجته»(27).

وبانطلاقنا من الأفعال الكلامية نكون قد حققنا للغة إمكاناتها التبليغية في «خطابات متفردة» بمعنى متميزة في صورتها وفي محتواها وفي الأشخاص المحدثين لها وفي مكان حصولها وزمانه وأحواله.

إن المتعلم في المنهجية الوظيفية محور العملية التعلُّمية. فأصحاب هذا الاتجاه لا يحدّدون المادة التعليمية إلا بعد معرفة المتعلمين. والمتعلمون في نظرهم مختلفون مهما تشابهوا

إن أحسن وسيلة لإشعار المتعلمين بجدوى تعلم القواعد النحوية هو ربطها بالتعبير عن حاجة ما في حالة معينة

أريد له النجوع ـ بمعنى الاستجابة لرغبات الجمهور وحاجاته، وليس لما يتمناه معلمو الفرنسية ـ فيجب أن يكون وظيفيًا، أي أن يُنظَّم بشكل يتناسب مع الأهداف المحدَّدة. والتعليم غير الوظيفي هو بكل بساطة سيئ للفرنسية، إذ لا يتناسب مع السياق الذي يُمارس فيه، وليس بمقدوره أن يستجيب لرغبات مَن يُوجَّه لهم».

وهكذا فانطلاقًا من رغبات المتعلمين والمحيط الاجتماعي الثقافي، نصل إلى بناء الدّرس الوظيفي الذي عرَّفه بعضهم بأنه «ذلك الذي يُبْنى انطلاقًا من تحليل الجمهور، والمحيط الاجتماعي الثقافي الذي يعيش فيه المتعلم، والحالات التي يتفاعل فيها بغيره، والأدوار الاجتماعية التي أسندت إليه مهمة القيام بها، والوظائف اللغوية التي ينبغي أن يكون قادرًا على أدائها، والمفاهيم التي ينبغي معرفتها بدقة»(21).

التعليم الوظيفي يركز على الإفادة

يتضح من هذا أن مفهوم الدرس أو التعليم الوظيفي أصبح يتداخل مع مصطلح تعليمية

السياق لا ينبغي أن يوجَّه اهتمام المتعلمين إلى معرفة نظام اللغة، إنما إلى التحكم في استخدامها، فنجعلهم يعملون على اكتساب الملكة التبليغية، لا أن نحقق لديهم الملكة اللغوية التي هي معرفة علمية أكثر منها عملية، وهذا ما يفسّر معنى قول بعضهم: «نُعَلِّم اللغة لا عن اللغة»(23).

إن التعليم الوظيفي تبعًا لهذا المبدأ لا يهتم أصحابه بالقواعد النحوية الصريحة، وإنما يعملون على تحقيق القدرة لدى المتعلمين على فهم عدد لا نهائي من الجمل الصحيحة نحويًا وإحداثها، ولا يتوقفون عند هذا الغرض، بل يتعدّونه إلى إكسابهم القدرة على فهم القواعد النفسية ـ السيكولوجية ـ الاجتماعية والثقافية، لأنه من دون هذه القواعد يعجز المتعلّم عن استعمال اللغة في الوقت الذي يقتضيه حال الخطاب وما يتطلبه المقام المناسب(24).

إن الاتجاه الوظيفي المعرفي يسعى لأن تكون للمتعلم قواعد لغوية لا عادات لغوية يستطيع بفضلها استخدام جميع البنى اللغوية وفهمها،

في بعض الصّفات كالسّن واللغة الأصلية مثلا. فهناك أمور أخرى يختلفون فيها هي طرائق التعلّم، والمستوى الاجتماعي الثقافي، والحوافز والاحتياجات، وهكذا. فالتدرّج لا يكون واحداً لجميع المتعلمين، بل تدرّج لكل فئة أو لكل فرد أحيانًا.. وما دام الأمر كذلك، وجب أن نطوّعَ البرنامج بالشكل الذي يفي بجميع الاحتياجات، ويتماشى مع جميع المستويات. وبهذا الشكل تكون الدروس في البرنامج الوظيفي خاضعة للتغيير والتعديل المستمرين(28). والنحو بدوره ينبغي أن يصاغ بالكيفية التي يستجيب فيها لاحتياجات المتعلمين،وأن يوزّع حسب تصنيف أفعال الكلام(29) لا إلى أبواب كما هو الحال في البرامج الأخرى، وإن كان ينبغي أن يؤخذ التدرّج النحوي الصرفي بعين الاعتبار(30). وأحسن وسيلة لتحسّسِ المتعلمين بجدوى تعلّم القواعد النحوية هو ربطها بالتعبير عن حاجة ما في حال معينة. وبذلك يشعر الطلبة أنّ ما يتعلمونه يخدمهم في استقامة أساليبهم وصحة تعابيرهم وفي تنويعها حسب أغراضهم...

بهذا نكون قد أعطينا للوظيفة التعبيرية Expressive ما يلزمها من العناية والاهتمام، لأنها ناتجة من المتكلم، من غير التفريط في الوظائف الأخرى كالوظيفة الانفعالية Emotiveالتي تخصُّ المخاطب، والوظيفة الانتباهية Phatique التي تخصُّ قناة التواصل.

من هنا وجب على أصحاب هذا الاتجاه نقد الدراسات اللسانية التي اتخذت الجملة موضوعًا للتفكير وأكبر وحدة للدراسة والتحليل، وأهملت القول Enonce وهو حدث ناتج عن النشاط اللغوي لدى المتكلم، لأنها بكل بساطة لم تكن تهتمّ بالمتكلم وبما يمتلكه من قدرات تمكّنه من إحداث الكلام في حال من أحوال الخطاب(31). والنشاط اللغوي الذي يقوم به المتكلم لإحداث القول يسمى التلفظ أو التحدث Enonciation. والتحدث لا يكون إلا إذا وجدت الظروف التي تساعد على حصوله ـ المتكلمون، نواياهم، علاقاتهم ـ بمعنى جميع العوامل والأفعال المحدثة للقول(32).

إن المنهجية الوظيفية لا تتجه مباشرة إلى اللغة لتختار منها ما يُعلَّم وما ينبغي ألاّ يُعلَّم. إنما تتجه إلى المتعلمين وإلى الظروف الاجتماعية الثقافية المحيطة بهم أولاً، قبل أن يتضح لها نوع من اللغة التي تناسب المتعلمين.. وهذا ما جعل أصحاب هذه المنهجية لا يتحدثون عن لغة وظيفية، وإنما عن تعليم وظيفي تتوافر فيه المعطيات السابقة الذكر، يقوم على المعرفة والفائدة، ويعطي المكانة اللائقة للمتعلم والأولية للملكة التبليغية، ويحاول الاستجابة للحاجة الملحّة.

إن المنهجية الوظيفية بحكم هذه المميزات يصفها أصحابها بأنها(33):

ـ ديمقراطية: لأنها نابعة من التشاور بين المعلمين والمتعلمين، بغية توضيح الأهداف التربوية، ووضع الأساليب اللازمة لتحقيقها.

ـ إنسانية: تضع المتعلّم في مركز اهتماماتها وتحاول أن تلبي احتياجاته، وأن تطوّر من وضعه التعلّمي التعليمي.

ـ غير شمولية: بمعنى أنها تحاول أن تستجيب لكل فرد على حدة بأن تبحث له عن أساليب تعلّمية تعليمية ملائمة لقدراته الذاتية.

ـ متفتحة:لأنها تحاول أن تضع في اعتبارها كلّ مكونات الفعل التربوي «المتعلمون والمعلمون، وأداة التبليغ، والوضع، والمؤسسة، والسياق الاجتماعي الثقافي.. الخ».

الهوامش:

1ـ حلقة براغ اللسانية عُقدت سنة 1926م من اللسانيين التشيكيين، على رأسهم ماثزيوس، ومن الروس جاكوبسن وتروباتسكوي وكرسفسكي، وانضم إليها من الفرنسيين تيار وبنفنيست وقدرياس ومارتني.. انظر:
Julia, Kristeva; Le Langage, cet inconnu, seuil, 1981.

2ـ للغة وظائف أخرى غير التبليغ، فهي تعبر عن الفكر وتدعمه، كما أن الإنسان قد يعبر عن مشاعره وعواطفه باستخدام اللغة من دون أن يكون بحاجة إلى من يسمعه.

3ـ الكلمة Moneme عند مارتني هي أصغر وحدة دالة تقع في مستوى التقطيع الأول، فجملة «خرجت من البيت» تتألف من خمس وحدات دالة مقطعة كما يلي: خرجَ/ت من/ال/بيت. والكلم عند العرب القدامى مفهوم لا يتطابق تمامًا مع مفهوم Moneme عند الغربيين. فحروف المضارعة مثلاً هي مونيمات وليست كَلمًا؛ لأنّ الكلمة هي العنصر الذي يدخل ويخرج دون أي ضرر للوحدة التي يدخل فيها. فهي عناصر دالة فقط لأنها إذا حُذفت زالت الكلمة التي فيها. انظر: د. عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية في الوطن العربي، بحث تقدّم به إلى ندوة حول: تطور اللسانيات في الوطن العربي ـ الرباط من 8 إلى 11 نيسان/أبريل 1989م، ص 16.

4ـ وهي أنواع: إسنادية، ومستقبلية، ومقيّدة، ووظيفية، وقرينة.

5ـ انطلق جاكوبسن من نموذج بوهلر Buhler المعروف، المكوّن من الوظائف الثلاث الأساسية، وهي:
ـ الوظيفة التمثيلية: De Representation: وتشير إلى المحتوى المرجعي، أي الشيء المحدّث عنه.
ـ الوظيفة التعبيرية D'Expression وتشير إلى المتكلم، وتبين مثلاً المكانة الفكرية أو العاطفية للمخاطب.
ـ الوظيفة الندائية: D'Appel: وتخصُّ المخاطب بإدخاله في العملية التبليغية بحسبانه المعني المباشر بالرسالة. انظر: مادة Langue في:
Galisson, R/D. oste: Dictionnaire de Didactique des Langues.
وقد أضاف إليها جاكوبسن الوظيفة المرجعية، والوظيفة ما وراء اللغوية Metalinguistique.

6ـ Richards, Jand Platt and weber, H: Longman Dictionnary of Applied Linguistics - longman house, England, 1985. مادة Functionnal

7ـ Besse, H ey Galisson, R: {olemique en didactique. C.L.E. international, 1980, ص 41.

8، 9، 10ـ المرجع نفسه، ص 41.

11ـ Vigner, G.: Didactiquw Fonctionnelle du Francais, ص 13.

12ـ عبد الرحمن الحاج صالح، مشاكل اللغة العربية والبحوث العلمية الميدانية، ص 6.

13ـ انظر: VIGNER, G.، المرجع السابق، ص 15.

14ـ المرجع نفسه، ص 16.

15ـ انظر: Galisson, R/Besse, H: Dichionnaire de Didactique des Langues. مادة LANGUE.

16ـ المرجع نفسه، المادة LANGUE.

17ـ انظر: VIGNER. G، المرجع السابق، ص 15.

18ـ المرجع نفسه، ص 15.

19ـ المرجع نفسه، ص 18.

20ـ المرجع نفسه، ص 17.

21ـ انظر الهامش: ص 40 من: Besse, H/R. Galisson, Polemique en didactique

22ـ لا يمكن تحديد الأهداف ووضع الأساليب الملائمة للتعلم من دون تحديد حاجات المتعلمين اللغوية وتحليلها.

23ـ وازن هذا مع قول ابن خلدون: «... والسبب في ذلك أنّ صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة. فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة إنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علمًا ولا يحكمها عملاً...» المقدمة، بيروت، 1967، ص 1081 ـ 1082.

24ـ هذا ما تتطلبه الملكة اللغوية التي تجمع بين البعدين اللغوي وغير اللغوي خلافًا للملكة اللغوية التي تكتفي بالبعد اللغوي وحده.

25ـ انظر: Galisson, R: D'Hier a Aujourd'hui la Didactique des Langues etrangeres, C.L.E. ص 41. Paris. 1980,

26ـ يكون الكلام حسنا عندما يكون في الوقت نفسه مستقيما، فالاستحسان مرتبط بالاستعمال، والاستقامة مرتبطة بالقياس. وهو ما ذهب إليه سيبويه في أول كتابه: «فمنه ـ أي الكلام ـ مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومحال كذب». الكتاب جـ1، ص 2، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، ط3 ـ 1983م، بيروت. وهذا المعنى شبيه بما جاء به تشومسكي عندما ربط مفهوم الاستحسان بالقواعد النحوية.

27ـ انظر: ص 23. Galisson, R: D'Hier a Aujourd'hui. D.L.E.

28ـ المرجع نفسه، ص 30.

29ـ أفعال الكلام Acte de parole هي تلك التي يحدثها الكلام.. فعندما تتاول الكلمة شاكرًا، أو شارحًا، أو طالبًا، أو مستفهمًا، أو مستنكرًا، أو ناهيًا، فإن لكلامك ردود أفعال أي نتائج، فقد يُزعج، أو يحمّس، أو يدفع إلى الفعل، أو يمنع وقوعه، أو يقنع أو يغضب... الخ.

30ـ انظر: ص 31... Galisson, R, D'Hier Aujourd'hui D.L,E.

31ـ Marie Noelle/Gary prieur: De La Grammaire a la Linguistique - Armand colin, Paris, 1985, ص 46

32ـ انظر: مادة Dubois, J/: Dictionnaire De Linguistique Ennonciation

33ـ انظر: ص Galisson, R; D'Hier a Aujourd'hui D.L.E. 45/44

معنى أن الأرجل منصوبة في آية الوضوء



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

الحلقة الأولى

قال أبو عبدالرحمن: اختلف العلماء في إعراب الأرجل من قوله تعالى: *يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين.* **المائدة:6.**

كما اختلفوا في توجيه كل إعراب، واختلفوا كذلك فيما ينبني على كل إعراب ووجهه من حكم.

قال أبو عبدالرحمن: قراءة النصب والجر من آية الوضوء كلاهما حق من عند الله، وكلاهما على معنى العطف على الأيدي، ليكون المراد غسل الأرجل لا مسحها.

قال أبو عبدالرحمن: تحقيق أي مسألة شرعية مهما طالت ذيولها وكانت نتيجتها الاعتقادية أو القولية أو الفعلية موجزة، ومهما كان الخلاف فيها سهلاً من ناحية تبعية الحكم التكليفي: فإنها تجلب لطالب العلم لذة وبهجة مادام البحث متقصيًا، ومادامت النية سليمة من العصبية والهوى، خالصة لله ليس الغرض منها التباهي بالعلم، والغلبة بالجدل.

والخلوص إلى حكم أي مسألة يكون نتيجة استدلال، واعتراض، ومناقشة استدلال ومعارضة، وترجيح، وتحرير محل نزاع.

وسبب الاختلاف بين العلماء يعود إلى الاحتمالات اللغوية الجائزة تصحيحًا في أوجه الإعرابين، وفي مدلول الغسل والمسح.

كما يعود إلى الاحتمالات دلالة وثبوتًا في النصوص التي بينت حكم الشرع في توضئة الأرجل: أيكون غسلاً، أم مسحًا، أم هما معًا، أم على سبيل التناوب، أم على سبيل اختلاف الحالات.

ومراد المتكلم واحد، وينزَّل على الجائز الصحيح من دلالة اللغة واحتمالات العقل.

وما يصح لغة وعقلاً متعدد، وتفسير كل نص شرطه أولاً الصحة لغة وعقلاً، والبرهان على الصحة يسمى دليل تصحيح.

وتعيين مراد المتكلم من الأوجه الصحيحة يحتاج إلى برهان يسمى دليل ترجيح.

وإذا كان وجه الصحة واحدًا لا احتمال غيره، فبرهان التصحيح هو برهان الترجيح، لأنه لا يجوز حمل مراد المتكلم على غير الصحيح من لغة قومه، وعلى غير الصحيح عقلاً.

قال أبو عبدالرحمن: ولا ريب أن أبلغ أعضاء الوضوء في عمل الوضوء الوجه واليدان.. لايعذر المسلم عن غسلهما ألبتة إلا في حال ضرورة.

وأخف أعضاء الوضوء عملاً الرأس، لأن حكمه المسح دون الغسل في غير ضرورة.

والرِّجْلان بين بين، فحكمهما الغسل، ويجوز تخفيف العمل فيهما لغير ضرورة في حالتين:

أولاهما: أن مسح الخفين يغني عن غسلهما إذ لبس الخفين على وضوء غسلهما فيه.

وثانيتهما: أنه يجزئ مسحهما إذا جدد الوضوء بعد وضوء غسلهما فيه ولم ينتقض وضوؤه الأول بناقض.

ولما كان مبنى التيمم على التخفيف ورفع الجرح؛ فقد بقيت الأعضاء الأبلغ ـ وهي الوجه واليدان ـ يمسح عليهما في التيمم، فحكمهما على التخفيف بالمسح.

وسقطت الأعضاء الأخف، وهي الرأس والرِّجْلان.

إذن للرِّجْلين حالات من الغسل، والمسح

عليهما، والمسح على ما عليهما.

وتحقيق مسائل العلم الشرعي التي ينبغي إحاطة المكلف بها عن اجتهاد ليس بوسع طالب العلم الجاد أن يحققها كلها مكتوبة على هذا النحو من تحرير هذه المسألة، لأن مسائل العلم في العقيدة والفقه والآداب، وفي مصادرهن من التفسير والحديث واللغة والأصول والمعقول: تستوعب أعماراً.. بيد أن طالب العلم الجاد يملك منهجًا وأصولاً ترجحت عنده باجتهاد، ولا يسعه التعبد لله بغير ما أنتجته أصوله مادام بذل وسعه، وعنده الملكة، وقد أخلص النية، وسلمت من قوادح العصبية وشبهها.

ولهذا حرصت في كتاباتي ودروسي أن لا أستحضر مسائل كثيرة حفظًا ومذاكرة من المختصرات المحققة، وإنما اختار مسائل ضيقة، وأُشبعها بحثًا، لأن الغرض في هذا العصر بالذات التوسع في المسألة الصغيرة من أجل المساهمة في رسم المنهج لتلقي العلم، والترجيح عند الاختلاف، وطريقة الاستدلال والمعارضة، وفهم نصوص العلماء ومناهجهم، وتأمل دلالة النصوص قبل النقل عنهم بفهم سريع لعله لايوافق مرادهم.

أما الإشراف على مسائل العلم فقد كان ميسورًا بطبع كنوز العلم، وتسهيلها بالطباعة الجيدة، وتذليلها بالفهارس الفنية، وإشاعتها إهداء، وبأقيام غير شاقة، وبعرضها في المكتبات العامة.

ومنذ ثلاثين عامًا تقريبًا كانت أمنية الواحد من طلبة العلم أن يوجد بأرفف مكتبته الصحيحان والموطأ والسنن والمسند.

والآن بفضل الله وُجدت الصِّحاح، والسنن الكثيرة، والمعاجم، والمسانيد، والأجزاء، والفهارس، والأمهات والأجزاء في الفقه والأصول واللغة.. إلخ.

ووُجدت كتب فحول العلماء أهل الاجتهاد؛ كالتمهيد والاستذكار لابن عبدالبر.

وتيسر إحضار العلم بالتصوير والتسجيل، والفهارس الفنية، وإنما الأهم المنهج لتلقي العلم، والتأصيل الفكري والشرعي.. وطالب العلم إما حافظٌ لفقه غيره مستريح به عن النظر في الاختلاف والترجيح، فهذا يكفيه حفظ مختصر من المختصرات، وإما حامل لفقهه هو، متعبد لله باجتهاده، فهذا يلزمه تحرير أصوله ومنهجه ليتلقى به العلم الحاضر المذلل.

إذن نحن أحوج إلى المنهج والتأصيل لنتعامل مع نصوص العلماء ببصيرة علمية، فإذا أوشك طالب العلم على الكهولة - وقد كملت أداته العلمية وورعه - ساهم في تحقيق مسائل صغيرة أخرى، ولا يكرر جهد زميله.

قال أبو عبدالرحمن: ولايعني هذا أن حظ طالب العلم الجاد أن يفني عمره في تحرير مسائل صغيرة معدودة، بل يستوعب ما يلزمه شرعًا قراءة، ويعمل في خاصة نفسه وأهله - إذا لم يأذن له ولي الأمر بالفتوى - فيما أداه إليه اجتهاده.

وليس العسير وصول طالب العلم في قراءته إلى ترجيح اجتهاده وفق أصوله.

وإنما العسير أن يُقنع طلبة العلم باجتهاده بكتابة متقصِّية تشمل كل أبواب الفقه بحيث يقرر الحكم في كل مسألة وفق اجتهاده، فهذا لم يتأت إلا للأئمة، ثم جاء مجتهدو كل مذهب يحررون المسائل على مذهب إمامهم وينصرونها.

وذو المنهج والتأصيل إذا استفرغ وسعه في تحقيق مسائل صغيرة: دل أهل العلم على منحاه في التلقي، وفيما اجتهد فيه من مسائل لم يحرر فيها تأليفًا.

قال أبو عبدالرحمن: والدعوى الصحيحة قد تقوم على أكثر من برهان، وتقام بأكثر من استدلال، ويكون بعض من الاستدلال باطلاً، فرد الاستدلال الباطل لايعني فساد الدعوى الصحيحة القائمة على برهان صحيح، أو براهين صحيحة.

قال أبو عبدالرحمن: وأحب المراجع إليَّ كتب التفسير، والحديث وشروحه، والكتب التي تسند خلاف العلماء مثل مصنف عبدالرزاق، وابن أبي شيبة، وكتب ابن المنذر، وكتب البيهقي وإن كان دأبه نصر مذهب الشافعي رحمهما الله.

وكتب الفقه المقارن التي تحكي اختلاف العلماء، وينقاد مؤلفوها للدليل وفق أصولهم التي ارتضوها باجتهادهم ككتب ابن حزم وابن عبدالبر وشيخ الإسلام ابن تيمية والشوكاني.

والكتب التي تذكر الخلاف فترده إلى أسبابه وتحرر محل النزاع كبداية المجتهد.

والمفزع بعد الله عند الاختلاف إلى النصوص الشرعية، وعلم الدلالة من أصول اللغة وأصول الفقه، وإلى طرق التوثيق في فن مصطلح الحديث، وإلى المباحث الفكرية التي تؤصل نظرية المعرفة الشرعية والبشرية.

قال أبو عبدالرحمن: ومن المذاهب في هذه المسألة أن الأرجل منصوبة، وأن ناصبها الفعل اغسلوا، وأن امسحوا برؤوسكم جملة مقدمة فصلت بين العامل «اغسلوا» ومعموله «أرجلكم» فتكون الأرجل معطوفة على الأيدي، ويكون التقدير على التقديم والتأخير.. والنص بعد التقدير: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم.

ومنع من ذلك الإمام أبو محمد ابن حزم، لأنه لايجوز أن يحال بين المعطوف والمعطوف عليه بقضية واحدة.

قال أبو عبدالرحمن: عطف الأرجل بالنصب على الأيدي والوجوه جائز لأمور:

أولها: أن الفصل بين المتعاطفات جاء بجملة معترضة، وهي المسح بالرؤوس.. والاعتراض بالجمل جائز.

وثانيها: أن هذا الاعتراض لم يأت عبثًا، بل اقتضته ضرورة ترتيب العمل في أعضاء الوضوء، ومسح الرؤوس قبل غسل الأرجل.

وثالثها: أن الاعتراض بمسح الرؤوس اعتراض يناسب أحكام الأرجل بعض الأحيان، لأنها تُغسل، وتُمسح تارة، ويُمسح ما عليها تارة.

ورابعها: أن قراءة النصب تحتمل العطف على الرؤوس في المسح من ناحية الموضع لا اللفظ(1)، فلما جاءالبيان الشرعي القطعي

أن الأرجل تغسل: عُلم يقينًا أن المراد العطف على الأيدي والوجوه في الغسل.. فكان هذا بيانًا يمنع من اللبس الذي قد يحدثه الاعتراض بجملة.

ومن أهل مذهب النصب من لم يذكر الجر لا إعرابًا جائزًا لغة، ولا قراءة مأثورة، وإنما ذكر حكم المسح بنصوص من خارج الآية، وبغير توجيه على قراءة جر الأرجل.

وهذه النصوص هي الأحاديث الواردة في المسح والرش، وقد واجهوها بتضعيف بعضها، وترجيح نصوص الغسل على بقيتها دلالة وثبوتًا.

ولم يروا الجمع بين أحاديث غسل الرجلين، ومسحهما، ورشهما، لأن الوضوء المأمور به في الآية وضوءٌ واجبٌ شرطٌ لصحة الصلاة، فهو وضوء بعد حدث أو ناقض من نواقض الوضوء، فلابد فيه من غسل الأرجل.

أما جواز المسح على الرجل لغير ضرورة - إذا كان الوضوء وضوء تجديد عقب وضوء سابق ينتقض - فليس من معاني الآية أصلاً، بل هو مقتضى نص آخر فلا يجمع بين الآية وبين ما ليس هو من دلالتها أصلاً.

وجواز المسح على الخفين مثل ذلك لاتدل عليه الآية بل دليله من خارج؛ لأن المذكور في الآية الرجل فقط.. والرجل والخف غيران، ولاينوب مسح القدم أو رشها عن الغسل المأمور به المتوعد بالنار على الإخلال به.

ولا يمكن حمل أحاديث المسح على مسح الخف، لأن الأحاديث نص على مسح الأرجل.

ولا يتأتى عند الشافعي فعل الغسل والرش والمسح، لأن المسح والرش عند القائلين به يعني عدم إيجاب الغسل.

ووجه ترجيح الغسل عند الشافعي أن أحاديثه أصح ثبوتًا، وأنه يشهد لها ظاهر القرآن.

وزاد البيهقي في تنقيحه لمذهب الشافعي البيان بأن حديث عبد خير ليس نصًا في مسح الرجل المغني عن الغسل، لأنه اختلف عليه في رواية المتن، فمرة روي بمسح الرجل بإطلاق، ومرة روي بمسح الرجل في الوضوء على طهر، ومرة روي في المسح على الخفين.

وثبت عنه الغسل بنقل صحيح.

فيحمل المطلق على أحد المعنيين الجائزين الثابتين، وهما المسح على الخفين، أو مسح الرجل على طهر من وضوء سابق لم ينتقض، ولا يعتبر الوضوءالسابق إلا بغسل الرجلين.

كما أن الحديث الذي حَسَّنه الشافعي اختلف متن روايته أيضا، ففي رواية أنه رش على رجليه وهو متنعل، وأنه مسح أسفل النعلين، وورد في الصحيح أنه غسل الرجلين، ولم يذكر الرش.

فرواية الغسل مرجحة على الرش لأن رواتها أوثق، وراويا الرش لا يُقبل ما انفردا به، فكيف وقد خالفهما من هو أحفظ منهما؟!.. على أن روايتهما تحتمل التوجيه، وهو الغسل بعد الرش، وقد ورد النص على أنه صلى الله عليه وسلم غسل رجليه وعليه نعله.

قال أبو عبدالرحمن: فلا ينافي ذلك الرش، لأن الغسل إنما كان بالماء المرشوش.

واحتمل الماوردي أن الرسول صلى الله عليه وسلم مسح على النعلين لنجاسة فيهما.

واستدل أهل المذهب بدليل عقلي، وهو أن أعضاء الوضوء التي حقها الغسل جاءت محددة البداية والنهاية كالأيدي.

أما أعضاء الوضوء التي حقها المسح فجاءت غير محددة كالرأس.

فلما جاءت الأرجل محددة إلى الكعبين عُلِمَ أن حكمها الغسل،، قال ذلك الزَّجَّاج وغيره.

قال أبو عبدالرحمن: الدعوى صحيحة، وهي القول بأن حكم الأرجل الغسل.

والدليل غير منتج، لأنه لم يرد نص بأن التحديد علامة الغسل، ولأن تحديد ما يُغسل لاينفي تحديد ما يُمسح، وقد جاء بيان التحديد للممسوح من السنَّة.

والوجه يُغسل ولم تحدده الآية.

واستدل الجَصَّاص على الغسل بأن من غسل فقد أدى المطلوب، ولا يلام على المسح باتفاق، فصح أن المراد الغسل.

واستدل الجصاص بأن الحمل على الغسل حمل على الأعم الأكثر فائدة الذي يقتضي المسح، والمسح لايقتضى الغسل.

قال أبو عبدالرحمن: ولابد هاهنا من تحقيق معاني الغسل والمسح والرش.

فأما الغسل فلم يذكر له ابن فارس أصلاً غير تطهير الشيء وتنقيته(2).

وقال الراغب: غسلت الشيء أسلت عليه الماء فأزلت درنه(3).

وذكر ابن القوطية أن الغسل تمام الطهارة، وذكر غيره الغسل بضم الغين بمعنى الماء الذي يتطهر به(4) وذكر الله الغسل للوضوء، والاغتسال للجنب؛ لأن الافتعال يقتضي عملاً أكثر.

وعند ابن الأثير في النهاية أن الغسل بالضم: الماء القليل.

قال أبو عبدالرحمن: التقييد بالقلة غير مفهوم من اللغة، فلعل ابن الأثير رحمه الله لاحظ المقصد الشرعي فقيد به التعريف اللغوي، أو أنه أراد تعريف الغسل الشرعي.

وشاهد الغسل بمعنى مجرد الإسالة قول الكُمَيْت يصف حمارَ وحشٍ تحت شجرة ومطر:

تحت الألاءة في نوعين من غسل
باتا عليه بتسحال وتقطار

فالنوعان أن الماء يسيل عليه تقطارًا من الشجرة، وتسحالاً من المطر.

الهوامش:

(1) معنى العطف موضعًا أن يكون فعل «وامسحوا» هو العامل في الأرجل كما هو العامل في الرؤوس.
ومعنى أن العطف لم يكن لفظيًا أن المسح تعدّى للأرجل مباشرة فنصبها، وتعدى للرؤوس بالباء فجرها.
(2) مقاييس اللغة ص 848.
(3) المفردات ص 607، وقال في المغرب ص 339: غسل الشيء إزالة الوسخ ونحوه بإجراء الماء عليه، وقال قاسم القونوي في أنيس الفقهاء ص 50: «الغسل الإسالة».. واكتفى بالإسالة الكفوي في التعريفات ص 672.
(4) انظر: المصباح المنير ص 447.

حوار مع

د. عمر بن قينة

دور النقد يتراجع في حياتنا الأدبية!



أجراه: **محمد الصادق عبداللطيف**

الحوار مع مفكر متعدد الجوانب الإبداعية يحتاج إلى الغوص في أعماقه للوصول بالمعلومة إلى المتلقي. والدكتور عمر بن قينة مبدع شامل؛ يكتب الرواية والقصة والبحث والدراسة. خَبِرَ النقد وشؤون اللغة العربية تدريسًا وإبداعًا، وغدا وجهًا مشرقًا للثقافة المعاصرة في الجزائر اليوم. نشر بحوثه ومقالاته في دوريات عربية متعددة. من هنا كان هذا البوح «للفيصل» تواصلاً مع ما نشره بها من نتاج، لذا كان اللقاء عفويًا.

في البداية: كيف ترى تأثير الثقافة بشكل عام في حياتنا المعاصرة؟

* تأثير الثقافة في الحياة ينبغي أن يكون فاعلاً وإيجابيًا على كل المستويات، ارتقاء بحياة الإنسان، وفكره، في صلاته بالناس، وفي سلوكه، وفي نمط معيشته، في تعامله مع القضايا ومع الناس من مختلف المستويات، وفي الحكم على الأشياء، واتخاذ القرارات ابتداء مما يتعلق منها بشؤوننا في البيت، وانتهاء بمواقع المسؤولية، في مختلف المستويات. وهذا يعني أن الثقافة ذات إسهام جوهري فاعل ببعد إنساني حضاري، غير أن أشكال الحياة المعاصرة باتت تعاني تراجع الأثر الإيجابي للثقافة، وهو التراجع الذي أفسح المجال لثقافة طحلبية، ثقافة قشور وبريق، فغاب البعد الإنساني بغياب الجوهر الذي هو ثقافة الإخصاب والبناء في حضور ثقافة «الاستهلاك»؛ وهذا ما يجعلني أرى تراجعًا مخيفًا لتأثير الثقافة في الحياة المعاصرة، خصوصًا في مجتمعنا العربي. بل إن هذا التأثير يكاد يكون منعدما، بفعل الآفات الاجتماعية المختلفة التي انتشرت في جسم الأمة العربية، ببروز قيم الاستهلاك، والمصالح، والأنانية. وتأثير الثقافات أساسًا من أثر المثقف وتأثيره في محيطه، وتقديره من هذا المحيط، وهو ما يشهد انزواء فظيعًا في حياتنا المعاصرة، في معظم أقطارنا العربية. فبينما كان المثقف أو رجال العلم والتعليم هم الذين يوجهون الرأي العام، ويشيعون القيم، وهي أساسًا قيم الخير، والفضيلة، قيم الحب والعلم والعمل، والنزاهة والوفاء والإخلاص، بات المضاربون والمغامرون هم الذين يوجهون هذا الرأي العام، ويشيعون القيم السلبية التي تبدأ بمعاداة الثقافة نفسها، وتُمكّن للقيم الرخيصة التي تشيع الفساد والإفساد، وتُعلي المصلحة الشخصية على أشلاء الصدق والوفاء وحق الوطن، و«رفاهية العيش» المادي من دون مضمون روحي، أو قيم إنسانية،

جوامع

د. عمر بن قينة

إلى آخر ما هنالك مما قد يخرجنا أو يبعدنا من نطاق سؤالك.

ـ توجد علاقة جدلية بين النقد والإبداع. هل استفاد منهما الفكر العربي المعاصر؟

* تطور أي إبداع، مهما كان نوعه تطوراً مطرداً، مرهونٌ بحركية النقد وجديته، يقوم به ذووه من الموهوبين والمتخصصين بعيداً من النّزق والهوى، في منابر جادة بدورها. وأنا هنا أتحدث عن النقد بمصطلحه الصحيح، وغير معني ـ فيما أعتقد ـ بأشياء أخرى، مثل الانتقاد والتلميع؛ أي بعيداً من «تشهير» و«إشهار» بلغة الصحافة أو بأسلوب صحفيين، وأهداف صحف وأغراضها.

لا غنى للأدب عن النقد إذن إن كنّا نريد له تطوُّراً، ولا وجود لنقد من دون أدب، فعلاقتهما حتمية ينبغي أن تنهض على التعاون والإخلاص سعياً إلى الأفضل والأحسن. وإخلاص القصد من وحي العقل والضمير النقدي بناء على معايير علمية وجمالية وسواها يكون صمّام الأمان من الانزلاق مع الهوى، وهذا هو الذي جعل ذلك التعاون بين النقد والأدب يؤتي ثماره في حركتنا الأدبية والنقدية في عصور الأدب العربي الزاهية، كما حدث ذلك بالنسبة لنهضتنا الحديثة، حين شرع النقد العربي المعاصر يتعامل مع الأدب بروح من المسؤولية الفكرية الناضجة، سواء في تعامله مع الأدب القديم أو الحديث؛ ابتداء من محاولات حسين بن أحمد المرصفي، وجهد طه حسين والعقاد بوصفهم من أعلام الحركة النقدية في الوطن العربي مشرقه ومغربه.

ومثلما استفاد الأدب من احتكاكه بالآداب الأجنبية استفاد النقد، وكانت الإفادة واضحة في فكرنا العربي المعاصر، وبفعلها حدثت هذه الحركة الأدبية والنقدية، فنشأت أنواع أدبية جديدة، مثل القصة، والرواية والمسرحية، كما برزت أشكال في هذه الأنواع، وفي شكل القصيدة العربية نفسها، ابتداء من العشرينيات في الجزائر والأربعينيات في بغداد أو القاهرة وسواها.

وسرعان ما باتت للنقد أدواته العلمية ومناهجه المختلفة الكثيرة، بحسب النقاد وتكوينهم، والأنواع التي ينقدونها؛ مما أعطى حيوية بعيدة المدى في فكرنا العربي المعاصر، غير أن هذه العلاقة سرعان ما شرعت تهتز لغرباء عن أدب ونقد، ولأغراض مذهبية فكرية «أيديولوجية» وشخصية وسواها، وقد لاحت نذر ذلك في بداية نهضتنا الحديثة، فانتهينا في زوايا متعددة إلى ضروب من «مسخ» و«تشويه» في الأدب والنقد.

لكن تبقى الجامعات اليوم ـ على ما يقال ـ الملاذ النزيه لنقد بنّاء، على كل صور الانحراف التي قد توجد هنا أو هناك بفعل العوامل الذاتية والفكرية المذهبية التي كانت سبب كلّ البلاء في الأدب مثل النقد، لأنّها غير نابعة من صميم أرض عربية ذات عمق إسلامي مكين.

وهكذا تراجع دور النقد بوصفه موجهًا وأداة تقويم وحكم، بعد فرز، في حياتنا الأدبية العامة، ولاذ بالجامعات، واتسع المجال ـ في الوقت نفسه ـ لمختلف التجارب المخفقة في الأدب، وقد شجّعت صحافة الاستهلاك على ذلك، ولاسيما منها الصحافة اليومية.

ـ هل لديكم تحديد للعلاقة بين الشعر العربي القديم والحديث والتراث؟

* هي علاقة حميمة وطيدة يقرّها حتى الرافضون لها لأسباب قليلة عند بعض كثيرة عند آخرين.

فحداثة الشعر هي من رحم التراث، وظلال القصيدة العربية بموسيقاها، بمضمونها، بطموحها لا تبرح القصيدة الحديثة، وأعتقد أن استمداد التراث ضروري لإغناء التجربة الحديثة، من دون أن نسمح لأنفسنا أن نكون نسخًا حديثة لأشكال قديمة، وليس هناك إبداع يقبل أن يكون «لقيطًا»؛ لأن الأدب، ونموذَجَه عربيًا «الشعر»، ينبغي أن يحمل هوية الانتماء في نسيجه وصوره، تعبيراً وبناءً.

أما الثائرون على هذه العلاقة، فهم ثائرون على أنفسهم، يعانون اهتزازًا في التوازن والاتزان، ولا يختلف أمرهم عن أحد «ساخط» على «الرصافي» و«مدمن» قراءة شعره، أو آخر «ساخط» بدوره على «شوقي» وهو مرافق لديوانه.

وهذا يعني ـ باختصار شديد ـ أن العلاقة تكاملية، لا تناقض فيها، يستمد فيها الحديث قديمًا وتراثًا فيثريه، ويستفيد منه، موظفًا له بما يخدم الحياة المعاصرة، فنقبس من التراث ما يثري التجربة من دون أن يفقدها معاصرتها. بل إن تلك المعاصرة تأخذ عمقها في حسن توظيف التراث، وهي ظاهرة أدبية عامة منذ ازدهار الحركة الأدبية الإفريقية، وليست وقفًا علينا في الوطن العربي، تختلف المنطلقات والسبل والمناهج، ويبقى الحس الإنساني حاضراً بوجه ما.. حضاريٌ أو سواه.

ـ تعد حرية الفكر، ومن ضمنها الحركة الشعرية، انعكاسًا للحركة الواقعية المنقولة إلى الإنسان، كيف هذا؟

* كلّما ضاقت مساحة الحرية في واقع الناس ضاقت بالضرورة مساحة حرية التعبير، وربّما التفكير أيضًا، وينبغي هنا أن تُفهم الحرية في إطارها الطبيعي، فهي تلك المرتبطة بأمة وقيمها وقوانينها.

فالحرية على مستوى الواقع المادي ضرورة قصوى لأية إضافة فاعلة جادة على مستوى الفكر والإبداع في علم أو فن، وبالضرورة في الأدب ومنه الشعر، تطلعًا لمثل، وتبشيراً برؤى.

ـ كيف تفسرون ما وصلت إليه الواقعية في الشعر والقصة، وهل للسياسة دور في هذا؟

ربما جنّحتْ بعيداً واقعية الشعر، فانطلق في بداية نهضتنا من واقعية تسجيلية لينتهي تدريجيًا إلى واقعية فنيّة متطوِّرة، مع جنوحٍ الى واقعية نقدية وانتقادية، وحين أحسّ بعض بإخفاق ما يتربّص بهم هرعوا إلى غموض أقرب إلى «سوريالية» ميتة.

وحين تضيق مساحة الحرية يبدأ الشاعر في

الحرية المنضبطة على مستوى الواقع المادي ضرورة لأي إضافة جادة على مستوى الفكر والإبداع في أي علم أو فن

الفرار من كل أشكال الواقعية إلى ضروب من الرمز انطلاقًا من بذرة في واقعية ما، أما في القصة فهي أكثر ارتباطًا بالواقعية، بكل مستوياتها: تسجيلية، ونقدية، وانتقادية، وفنيّة، بل هناك أيضا الواقعية الرمزية.

وهذا يعني أن ظل السياسة مهيمن على كلّ ذلك، فهو إن لم يفسح المجال لواقعية ما في الأدب، لاذ بمستوى آخر من الواقعية، تأخذ من الواقع المادة الخام لتنسج واقعًا يتحاشى المواجهة، ويصل إلى الهدف، في تبليغ الرسالة للقارئ.

وهنا نوقن أن القصة العربية في المغرب العربي ومشرقه قد أدّتْ دورًا مهمًا في حياة الأمة العربية: اجتماعيًا، وثقافيًا، وسياسيًا، منذ فجر نهضتنا، ولاتزال تحاول الاستمرار في هذا الدور على الانتكاسة الكبيرة في الوطن العربي كله: كتابة، ونشرًا، وتوزيعًا، وقراءة، وتفاعلاً في النهاية.

ـ الآن هل لكم أن تحدّدوا وجهة لحركة نقدية واكَبَتْ الإبداع العربي وعملت على الوصول إلى مستواه؟

* التيار الانطباعي، والمنهج التاريخي التحليلي النقدي، أدّيا دورًا مفيدا جدًا في إثراء حركتنا الأدبية العربية، وإذا تراجع التيار الانطباعي مسافات كبيرة؛ فإن المنهج التاريخي التحليلي النقدي يبقى مهمًا في حركتنا النقدية، ولم تؤثر فيه كثيرًا التيارات الأخرى، ولاسيما الغربية منها، كالتيار النفسي والبنيوي لأنه المنهج الأنسب للثقافة العربية، أما على «المستوى» فالضعف اعترى النقد كما اعترى الأدب، فضعف أحدهما من ضعف الآخر، كما هي قوّته، فالأدب الجيد يمكنه أن يُظهر لنا نقدًا جيدًا، مثلما يخلق النقد الجيد أدبًا جيدًا، ومثلما يكون الأمر على مستوى النوعية يكون على مستوى الحركة واطرادها وتأثيرها.

ـ ما هو موقفك ـ بوصفك مفكرًا ـ من الثقافة السائدة الآن وتصوّركم المستقبلي للثقافة العربية؟

* موقف تشاؤم لأني أُعدّها ثقافة تشرذم وتنابز، اختفى الحسّ القومي الفاعل، وباتت أداتها الأساسية «العربية» تعاني تهاون أبنائها وتكالب أعدائها للنّيل منها، ولم تعد ثقافة بناء وتوحيد، فبدأت تسود لغة «الشّلل» وثقافة المذهبيات؛ ممّا أوهن الحسّ الحضاري في نفس المثقف، وربّما انتهى به في ظروف إلى اليأس.

أما بالنسبة للمستقبل فقد أتفاءل، لأن الجيل الصاعد من أبناء أمتنا العربية قد يدرك مسؤوليته من رؤية حضارية في صراع دولي رهيب، الثقافةُ، وأداتُها اللغة، في صميمه، لأنّ الأمة بلغتها، وثقافتها أداة حضارتها وعنوان وجودها.

ـ ماذا تعني الثقافة بالنّسبة لكم؟

* ومتى كانت الإجابة جامعة مانعة عن هذا السؤال؟ إنّه السؤال الدائم، الثقافة ليست التحصيل العلمي فقط، ولا المعارف الإنسانية الضرورية وحدها بأداتها أو أدواتها اللغوية المختلفة، إنها قبل ذلك وبعده أو معه بعبارة أخرى الموروث الاجتماعي، والعلاقات الإنسانية، والارتقاء بالعادات والتقاليد في الحياة المنزلية، ومع الجيران وفي الشارع وغير ذلك.



الرصافي

لم يعد ذلك التعريف الخاصّ بالروح وافيًا، إن الثقافة تستوعب الماديّ والمعنويّ، في حياة الإنسان ومحيطه، وأمته، وموقعها من التاريخ في مسيرته تقدمًا أو تقهقرًا، وهذا معناه أن التعريف يستعصي على الحصر، ويرفض أن يكون له ساحل.

لكن يبقى الأساس فيه انعكاس الجانب المعرفي على حياة الفرد، في رقيّه، وحسن صلاته وقدرته في الإبداع، وارتباطه بفضائه الحضاري.

ـ هناك تهمة يوجهها بعض النقاد لبعض الأشكال ولبعض الوجوه، وهذه التهمة تقول بأن مكانة الشعر أصابها الوهن والضعف، وتراجع المضمون، والمحتوي شابَهُ الغموض، هل لك رأي؟

* اهتزاز مكانة الشعر تعود إلى عوامل عدة مختلفة، بفضل الإنجازات السمعية البصرية. وقد أسهم في ذلك الشعراء أنفسهم، وقد انحرف بعضهم بالشعر من وظيفته الثقافية الاجتماعية إلى ضروب من التهريج طلبًا للنجومية وبعد الصيت؛ فأفرغ من روحه خصوصًا بعد ما أصبح الغموض مطلبًا مقصودًا لذاته لدى بعضهم حرصًا منهم على طلب وجاهة فكرية أدبية لم يظفروا بها بالطرائق الشرعية.

ـ وقصيدة النثر ما رأيك فيها؟

* قطعة نثرية، لا قصيدة، قيمتها الأدبية كقطعة نثرية يحدّدها المضمون، والإنسان ولغة التعبير؛ أي مستواها الفني. فإن كان هناك ذوبان بعض الحواجز بين بعض الأجناس الأدبية؛ فإنّ الشعر يبقى شعرًا قوامه الموسيقى. والنثر يبقى نثرًا مثل سواه وإن خضعت فيه الجمل لموسيقية كما في السجع.



عباس العقاد

ـ بحسب تجربتك الجامعية وتدريسك للّغة العربية وآدابها وتاريخها. هل القصيدة العموديّة ما تزال تختزن طاقة إبداعية كما كانت في أجيال متعددة، وإذا كان هناك تراجع في المضمون والأغراض فلأي سبب يعود هذا؟

* السبب يعود للمبدع أولاً ولمحيطه ثانيًا، قصور الأول وتقصير الثاني. فلا الأول ارتقى بأداته استيعابًا وإجادة تعبير عنها. ولا الثاني ساعده على ذلك. بل ربما كبّله، وأوغل في إعاقته له.

أما القصيدة العربية العمودية فهي تحتفظ بكلّ طاقتها التعبيريّة. والوجدان العربي مهيأ للانفعال بها والتفاعل معها؛ لأنها من صميم موروثه. مستوى الطاقة الإبداعية إذن لايعود إلى الشكل العمودي بل إلى المبدع الأول؛ وأخيرًا فالمخفق ينتهي بالقصيدة العموديّة إلى

جوامع

د. عمر بن قينة

منظومة باردة قوامها كلمات جاهزة مجترّة لا حياة فيها ولا يربطها بالشعر إلاّ الوزن والقافية، وبين الوزن والقافية «تأشيرة» لدخول حرم الشعر.

أما المبدع الناجح فإن القصيدة العمودية تستحيل على قلمه كتلة من نور وحياة تنبض حرارة؛ فتهزّ الوجدان، كما تأسر الأسماع وتتغلغل في الفكر. وهي تنهض بدورها الإنساني الاجتماعي... وسواه نفسيًا وفكريًا وفنيًا.

- ماذا يشغلك في عالمك؟

* مهموم بواقع بلدي الصغير «الجزائر» داخل الوطن الأكبر «الوطن العربي»، وهو يعاني صراعات هامشية اختلقها له الخصوم، فهل يزاح هذا الهمّ لأفرغ لِهَمٍّ آخر هو أن أحقق بعض مشاريعي في الإبداع والدراسة؟

هذه المشاريع كثيرة من أهمها وفي مقدمتها المضي في دراسات لإضاءة الجوانب المهمّة في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية، وتقديمها في الوطن العربي، عبر مجلاته وصحفه. أو في كتب داخل الجزائر أو خارجها.

- ما مشاريعك الإبداعية بعد الأطروحات الجامعية إلى جانب ما أنتجته إلى الآن؟

* أنا بصدد رواية أعدها للطبع بإذن الله، ويبقى بعد ذلك البحث عن ناشر. وهناك أكثر من مشروع في مجال البحث والدراسة في مقدمتها هاجس في أدب القرنين «18و19» بالجزائر، خصوصًا في النثر. وحصاد الجهد إلى الآن ثمانية عشر كتابًا، إبداعًا ودراسة ونقدًا.

- ماذا أعطتك كتبك وبحوثك؟

* أعطتني عناءً كثيرًا، وشقاء غير يسير، كما أعطتني في الوقت نفسه رضا الضمير وصداقات أعتزّ بها، وعلاقات إنسانية لا قيمة لحياة من دونها.

لكن عذابي الجوهري هنا مكمنه ضياع الجهد سدى، فقد سمحت لي جرأتي ذات يوم من عام 1978م بتسجيل دكتوراه الطور الثالث عن القصة الليبية بجامعة الجزائر، وتكبدت في سبيل ذلك عناءً مرًا في الذهاب والإياب بين الجزائر وطرابلس إضافة إلى عناء البحث والدراسة، حتى انتهيت من البحث سنة 1982م وناقشته في شهر تشرين الثاني/نوفمبر من السنة نفسها.

وكان غرضي أن يصل العمل إلى القارئ، وهو يتكوّن من زهاء 650 صفحة، فصعب على الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر تبنّيه لضخامته - حسب زعمها - واقترحت ثلثه فقبلت، وأعطيته عنوان «أشكال التعبير في القصّة الليبية القصيرة»، ونشرته سنة 1986م. القسم الآخر - أي ثلثا البحث - أعطيته عنوانًا آخر هو «القصة الليبية القصيرة نشأة وتطورًا»، وحملته إلى الدار العربية للكتاب في تونس في شهر أيار/مايو 1983م وأدرجته للنشر، حتى وصلتني التجارب المطبعية للتصحيح النهائي والتوقيع بالسحب، ففعلت ذلك في شهر كانون الثاني/يناير 1986م. وبينما كنت أنتظر صدور الكتاب اندلع الخلاف؛ بل الخصومة بين البلدين - تونس وليبيا - في أحداث «قفصة» فنام الكتاب.

وعدت لتحريكه في 1991م، وتكررت الوعود من دون جدوى، ولايزال نائمًا هناك في أدراج الدار العربية للكتاب. ولا أستبعد أصابع الشر، والأنانية، وفعل أصحاب السوء، الذين لايعملون ويغيظهم أن يعمل الآخرون.

فأي بؤس أكبر من هذا؟ «قاص» في ليبيا لا علاقة له بالبحث إطلاقًا - وإن كان مبدعًا - حين رآني انطلقت في الموضوع، وقد التقيته في رحلات عنائي بين الجزائر وطرابلس تحوّل بقدرة قادر إلى باحث في القصة الليبية يعدّ لدرجة دكتوراه في عاصمة أوربية تعطي «شهادات الأمية»! وهذا تعبير لفرنسي في جامعة السربون بمدينة باريس.

واسمح لي ألا أمضي في الحديث عمّا هو أسوأ وأنكأ للجراح.

- نلاحظ قطيعة أدبية بين أدباء المغرب العربي ومشرقه في مستوى التعارف، ونقد الإنتاج وجلبه وتدريسه.

* المسؤولية مشتركة، مع الإقرار بحقيقة جوهرية هي أن أدباء المغرب العربي أكثر حرصًا على مدّ قنوات الاتصال، جلبًا للإنتاج من المشرق العربي، وتصديرًا للإنتاج المغربي إليه. بينما يتسع عدم الاهتمام في المشرق بما يجري في المغرب لأسباب كثيرة، وهي ظاهرة سلبيّة تحاول صحف ودوريات عربية تجاوزها، كما يحاول ذلك نقّاد ومفكّرون.

- تطلعات تأمل تحقيقها؟

* أملي أن أتمكن من زيارة كلّ الأقطار العربية. ففي نفسي شوق إلى ذلك، كما آمل أن أعرف مناخاتها الفكريّة من قرب في ظروف ملائمة، كما يندرج في ذلك التوق لأداء فريضة الحج. هذا من جانب، والجانب الآخر لي عدة مشاريع فكرية وإبداعية أطمح لإنجازها في وضع ملائم بديل لوضع راهن، أدعو الله أن لا يطول في بلدي «الجزائر»، وقد كبرت معاناتها بفعل أعدائها وأنانية بعض أبنائها، والشعب وحده يعاني الضيق في معاشه وحياته ممّا ينعكس سلبًا على استقراره الفكري والنفسي.

- أدب الخليج ماذا يمثل لك، وماذا يُطلب منه، وهل هو قادر بمحتواه ومضمونه أن يتبوأ الريادة الأدبية في العالم العربي؟

* ينبغي أن نلغي مصطلح «الريادة» من حياتنا الأدبية العربية، بل هناك التكامل والتناغم. وأعترف أني لا أعرف كثيرًا عن أدب الخليج، اطّلاعي محدود في نماذج وشذرات، من سورية والكويت والسعودية والعراق، لايمكن أن تطفئ ظمأً إلى معرفة ماهناك.

المطلوب أن يصل إلينا أدب الخليج كسائر أقطار الوطن العربي، ليكون الرأي والحكم صحيحًا، كما أنّ المطلوب أن نوصل إنتاجنا من الجناح الغربي للوطن العربي إلى سائر أقطاره الأخرى.

المسؤولية مشتركة، تعاوننا ضروري، وتبادل الإنتاج والمطبوعات، مجلات وكتبًا واجب جبرًا لا اختيارًا؛ لكنها مسؤوليات السلطات في وطننا العربي أساسًا، فليزيلوا الحواجز لنتعارف أكثر ونتحابّ ونتعاون بشكل أفضل.

أسس في منهجية التفكير

د. عبدالكريم بكار



لم يبتعد من الصواب أولئك الذين وصفوا عصرنا بأنه عصر انفجار المعلومات، أو عصر الثورة المعلوماتية؛ فالمعلومات والأرقام تتدفق من كل حدب وصوب بشكل فاق كل تصور. ويبدو لأول وهلة أن هذا الوضع سوف يعزز من قدراتنا على التفكير المنهجي الذي يضع الأمور في نصابها الصحيح. إلا أن الملاحظ أن تأثير هذا الفيض من المعلومات في بناء منهجية فكرية قويمة أقل مما نؤمل؛ إذ إن لدى العقل البشري قدرة هائلة على تصنيف المعلومات المختلفة وتوجيهها وتوظيفها في أشكال وصور تلائم تركيبه الخاص، وتخدم أهواءه أيضًا!

وربما استُغلَّت المعلومات الكثيفة في قضية من القضايا لممارسة نوع من الهيمنة على المتلقي، وربما كان لها نوع من الإغراء والجاذبية الخاصة، فنستسلم لها، ولمن يوجهها نحو أهداف معينة.

إن علينا ألا ننسى أن كثافة المعلومات في أمر ما قد تكون مضلِّلة ومربكة، بحيث تؤدي غزارتها - في كثير من الأحيان - إلى شيء من البلبلة والتعارض بين معطياتها العامة؛ مما يؤدي إلى نوع من اهتزاز الثقة بها جميعًا. وإن مما يدفع إلى الحذر مرة أخرى أننا لا نعرف في كثير من الأحيان المعلومات التي تم حجبها مما يتعلق بقضية معيَّنة، كما أننا لا نعلم مدى الأهواء والتزايدات التي تحكمت في طريقة سردها. هذا كله - بالإضافة إلى اعتبارات أخرى - يدعونا إلى التركيز على بناء منهجية فكرية وعقلية صحيحة تمكننا من إدراك الأمور على وجهها، ومن وزن المعلومات وغربلتها والاستفادة منها بطريقة مثمرة.

ولا ينبغي أن يُفهم من هذا أننا نهوِّن من شأن المعلومات، أو ندعو إلى الاكتفاء بالإمكانات العقلية عنها، فهذا غير وارد إطلاقًا، لكن المراد هو لفت النظر إلى احتفاظ البنية الفكرية الجيدة بمكانتها المرموقة على الرغم من طوفان المعلومات الهادر.

إن من يملك معلومة كمن يمتلك قطعة ذهبية، لكن من يملك منهجًا صحيحًا فهو كمن يملك مفتاح منجم من الذهب!

إننا نجد في القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرًا من النصوص التي تساعدنا على تأسيس منهجية فكرية راقية؛ لكن المشكلة أن حالة «الوهن» التي نمر بها تجعل انتفاعنا بمبادئنا وأصولنا محدودًا، كما أن إدراك تلك الأصول بطريقة رتيبة أو مبتذلة يقلل من فعاليتها وزخمها في تحريك الحياة الفكرية وترشيدها!

وسأسوق هنا بعض الأسس والمنطلقات التي تمثل ركائز ركينة في البناء الفكري السليم، مع إيماني العميق بضرورة الاستمرار في اكتشاف المزيد، والتوسع الدائم في إيجاد التطبيقات الملائمة لكل ما نجتليه.

التثبت:

نعني بالتثبت تنظيم ردود الفعل والسيطرة عليها تجاه الأحداث والأخبار المختلفة التي تبلغ الواحد منا، وقد دلتنا الخبرة التاريخية على أن كثيرًا من التزايد والوهم والمبالغة والتفسيرات الخاصة والخاطئة؛ إنما يقع في الروايات الشفهية التي يتناقلها الناس، بالإضافة إلى ما تدفع إليه الأهواء، وتقتضيه المصالح الذاتية؛ ومن ثم فإن الموقف الصحيح يتمثل في الأناة والتريث أولاً، ومحاولة الاطلاع على الحقيقة ومعرفتها بشكل دقيق قبل إصدار الحكم. وفي هذا يقول جل وعلا: *يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.* **الحجرات**: 6.

جهاد الأهواء:

إبعاد عملية التفكير عن تأثيرات الأهواء والرغبات الخاصة أمر بالغ الصعوبة؛ لأن التركيب اللغوي على درجة بالغة من المرونة، وهذا يتيح لنا خيارات دلالية كثيرة، كما أن الأعراف الاجتماعية ذات أوساط متغيرة؛ مما يخفف من صرامتها في النهاية، وهذا كله يسمح للأهواء أن تختلط بالاجتهادات الخاصة، ويجعل كشفها عسيراً.

وحتى ينشأ المرء في بيئة تأصلت فيها عادات عقلية ونفسية تميل نحو الحياد في إصدار الأحكام، وتأنف من التحيّز؛ فإن ذلك ربما يكون أكبر مساعد له على التجرد من الميول الذاتية، ولا سيما في المواقف الصارخة. ومع هذا فإن المسلم مطالب دوماً بأن يحاول إيجاد نوع من الرقابة الشخصية على أحكامه التي يصدرها، واجتهاداته التي ينتهي إليها قياماً بأمر الله الذي نهانا في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز عن الاستسلام للأهواء والرغبات؛ إذ قال سبحانه: *ولئن اتبعت أهواءهم بعدَ الذي جاءك من العلم ما لك من الله من وليٍّ ولا نصير*. **البقرة**:120.

وقال سبحانه: *قل إني نُهيتُ أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين*. **الأنعام**: 56.

إن الأمر لا يقف في الحقيقة عند حدود محاربة المرء لهواه، وإنما يتعداه إلى ممارسة نوع من الضغط الأدبي على أولئك الذين يخضعون لأهوائهم بشكل سافر؛ حتى لا تنتشر في المجتمع أنماط ونماذج فكرية ونفسية مريضة.

الإنصاف:

الخير المحض نادر. والشر المحض أيضا نادر، والحق القطعي والباطل القطعي يكونان غالباً في الأصول الكبرى؛ أي في المسائل الخارجة عن دائرة الاجتهاد، وهي مهما تكن كثيرة فإنها في النهاية محدودة. أما المسائل والمواقف والأحداث التي يحكمها الاجتهاد فهي لا متناهية؛ ونحن نفرّق بين خطأ صدر عن مجتهد مخلص مؤهل، وبين خطأ سببه الجهل المفرط، أو الرعونة النفسية؛ فالأول مأجور على ما بذله من جهد ونَصَب في محاولة الوصول إلى الحق، وعلى الثاني وزر.

وحتى لا نقع في الحيف ونحن نقوّم الأشخاص والمواقف، فإن علينا أن نمتلك النظرة التفصيلية بعيداً من التعميم وإطلاق الأحكام الكبرى، وقد علّمنا القرآن الكريم ذلك في مواضع جمة، منها قوله سبحانه وتعالى: *ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمّةٌ قائمةٌ يتلون آيات الله آناءَ الليل وهم يَسْجُدُون*. **آل عمران**:113.

وقال سبحانه: *ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يُؤدّه إليك ومنهم مَن إن تأمنه بدينار لا يُؤدّه إليكَ إلا ما دُمتَ عليه قائمًا*. **آل عمران**: 75.

وعلينا - فضلاً عن ذلك - ألا نغفل الظروف المحيطة، وألا نقطع الأحداث عن سياقها التاريخي؛ فالنصر في معركة صغيرة - مثل بدر - قد يكون ذا أهمية بالغة بالنظر إلى كونه نقطة تحول خطيرة في حياة الدولة الإسلامية الوليدة، والقيام بقتل إنسان دفاعاً عن نفس، أو مال يختلف اختلافاً جذرياً في كل اعتبار عن قتل سببه نزوة من النزوات، وهكذا...

إن المشكلة أن كثيراً من الناس مصاب بعمى الألوان؛ فهو لا يبصر إلا الأبيض والأسود، مع أن بينهما ألواناً كثيرة يختلف فيها البياض والسواد على درجات كثيرة.

ويعلمنا الإسلام مرة أخرى أسلوباً عظيماً في الإنصاف يتمثل في أن نعامل الناس وفق مقاييس ومعايير نحب أن يعاملونا بها، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم: «... فمن أحب أن يُزحزح عن النار، ويُدخَلَ الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتَى إليه» رواه مسلم من حديث طويل لعبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم [ج3 ص1473، حديث رقم:1844] ت: محمد فؤاد عبدالباقي.

لكل شيء ثمن:

في عصرنا الذي نعيش فيه توازنات معقدة للغاية، وعلى الأصعدة كافة، وهذه التوازنات تؤدي باستمرار إلى ملء الفراغات وسد الثغرات، كما تدفع بكل شيء مجاني إلى أن يكون بثمن؛ وهذا يعني أنه صار من الصعب أن نحصد كل الميزات لمشروع أو خطة دون أن ندفع مقابلها ثمناً معيناً؛ قد يكون ثقافياً، وقد يكون اجتماعياً، وقد يكون اقتصادياً...

في عصر التواصل الكوني صار في الصعب تفادي آثار التغيرات العالمية التي تحدث في قلب العالم، أو على أطراف المعمورة؛ فعالم الأثرياء لا يستطيع أن يكون بمنجاة من شيء من معاناة عالم الفقراء، كما أنه ليس باستطاعة الشعوب المتخلفة أن تعزل نفسها عن إفرازات ثقافات العالم المتقدم، وهكذا...

حاولت بعض الشعوب أن تنفتح على الخبرات والمنتجات العالمية ظنًّا منها أن ذلك يحملها إلى عالم الرقي والرخاء، فاكتشفت أن ذلك عسير الحدوث، لكن الذي حدث هو انهيار بنياتها القديمة دون أن تتمكن من تشييد بنيات حديثة مناسبة؛ فانكشفت ثقافياً، وتأزمت اقتصادياً!!

وفي المقابل فإن بعض الشعوب اختبأت خلف أبواب موصدة من العادات والتقاليد والخصوصيات؛ ظنًّا منها أن ذلك يعصمها من طوفان الثقافة المادية المعاصرة، فكانت النتيجة أن ابتعدت عن عصرها وسادها شعور بالضعف والغربة، ثم ما فتئت أن انهارت السدود، وذهب الصالح والطالح.

> **بعض الشعوب شهدت نموا سريعا، وتحسنا في اقتصادها. لكن ذلك لم يكن من دون ثمن؛ بل حدث تفكك في بنيانها الاجتماعي**

بعض الشعوب المسلمة في جنوب شرقي آسيا شهدت نمواً اقتصادياً سريعاً، وتحسّنت حالتها الاقتصادية، لكن ذلك لم يكن من دون ثمن أيضاً؛ إذ حدثت هجرة واسعة من الريف إلى المدن للعمل في المصانع، وحدث نوع من التفكك الاجتماعي بسبب انتقال الشباب إلى بيئات واسعة انعدمت فيها الرقابة الاجتماعية.

وركّز بعض المصلحين على التنظير للقضايا العقلية والفكرية؛ فأحدث ذلك في أوساطهم نوعاً من الترهل الروحي والسلوكي، كما أن آخرين عُنوا بالجانب الروحي، وأهملوا الفكر والنظر العقلي، فكانت النتيجة الاغتراب عن العصر، والارتباك في التعامل مع أحداثه، وفهم متطلباته، وهكذا...

وإذا كان الأمر كذلك فإن الطريق الوحيد المتاح أمامنا وأمام غيرنا هو أن نعمد إلى القيام بحسابات وموازنات خاصة لكل اتجاه أو موقف أو خطة، وذلك ممكن مهما تكن الخيارات صعبة؛ والمهم آنذاك هو أن نمتلك الحكمة والخبرة الكافيتين لإدراك

حقيقـة الثمن الذي سيتم دفعـه نتيـجة الثـمار التي سوف نجنيهـا؛ وذلك حتى نقلصـه إلى أقصى حـد ممكن.

لكل قاعدة شواذ:

تميل القوانين المتعلّقة بمظاهر الطبيعة إلى الصرامة والدقة، وذلـك من رحمة اللـه - تعالى - بعباده حين سـخر لهم هذا الكون على وجـه يسهل معه فـهمـه والتعامل معه...

أما على الصعيد الإنساني فإن الأمر مختلف؛ إذ تكون القوانين التي تحكم قـضاياه غير صارمة، مـهما حاولنا أن نكون دقيقين في صياغتهـا؛ ونظراً لكثرة العوامل المكوّنة للظاهرة الإنسانيـة، فإن البـاحثين في مجالاتها يجدون صعوبات متزايدة كلما غذّوا السير في رحابها؛ ومن ثم فإن القواعد في المجالات التربوية والنفسيـة والاجتمـاعيـة تكون معبـرة عن اتجـاهات وانطباعات أكثر من أن تكون محدّدة لماهيات معيّنة.

بناء على ذلك فـإننا نعلـم يقينـاً أنه ليس كل من نشأ في بيت يتشاجر فيه الأبوان سيكون في المستقبل معـقّداً أو يـائسـاً، أو نزّاعـاً إلى الانتقـام. ونحن نعلم أيضـاً أنه لا توجد بـلدة، جميـع أهلهـا من النوابغ أو البُله، كـما أنهـم لا يكونون جميـعاً من الكرمـاء أو الأشحّـاء؛ والسبب في هذا أن العوامـل التي تتحكم في تكوين الظاهرة الاجتمـاعيـة كثيـرة جـداً، وهي موزعة على مجالات مرئية وغير مرئية، بعضها بيئي، وبعضـها وراثي، بعضهـا أساسي، وبعضهـا هامشي، ونسَبُ مشـاركة كل عامل في تـكوينها متـفاوتة بين شخص وآخر، مما يجعل التنبؤ بردود أفعـال شخص بعينه على التحديات المختلفة أمراً غير مقروء دائماً.

إن من المؤسف حقّاً أن لدينـا أعداداً ضـخمـة من الناس - ربما كانوا يشكلون الأكـثرية - يميلون إلى إطلاق الأحكام العـامة على كل شيء من حـولنا، مع أن لكل قاعـدة شواذاً تخرج عنهـا، ونسبة الشـذوذ قد تكون في بعض الأحيان عالية، وهذا التـعميم مخالـف لطبيعة الظواهر الإنسانية التي تتأبى على الحدود الصارمة.

وهؤلاء الناس أنفسهم يكررون الخطأ نفسه لكن بصورة أخـرى، وذلك حين يسقطون القاعـدة بالمثال الشـاذ الفـرد؛ فـإذا قلنا: إن الحـروب الـطاحنة تتـرك وراءهـا فـسـاداً أخـلاقـيـاً نظراً لـسـوء الظروف التي تخلّفـها وراءها، فـإن هذا يعني أن الوضعيـة العامـة تكون كـذلك، بدليل أن فـلاناً من الناس فـقـد أهله ومـاله في الحـرب، ولم يتـغيـر سلوكـه، بل هو الآن أحسن حـالاً!!

إن غياب «اللغة الكمية» عن استعمالاتنا اليومية أو ضـعفـه هو الذي يتيح لبعض النـاس إسقـاط القاعـدة بالمثال الشاذ، وهو الذي يدفعنا إلى التـعميم في مسائل تأباه طبيعـتهـا، ومن ثم فـإنه لم يكن غـريباً الارتبـاط المطرد بين الرقي الحضاري وتوافر الإحصاءات والأرقام الكثيـرة التي تعطي الأشياء مسـاحتها الطبيعية، كـما تعطي الشذوذات حجمها الحقيقي.

الوصول إلى اتفاقات نهائية:

إن تشـابك جـوانب حيـاتنا المعـاصرة وتعـقُّد قـضاياها جـعل الإمـسـاك بطرف الخيط لـكثير من المشكلات أمراً بالغ الصعـوبة، ونجـد هذا واضـحـاً كلما دخلنا في نقاش حول قضية تربوية أو اجتماعية أو أخلاقيـة..، حـيث تختلف العـوامل المؤثرة بشكل مخيف حتى إننـا لنظن أننا لا نستطيع أن نـتفق على شيء أبداً.

ولا ريب أن من الحـيـوي جـداً أن نوجـد في مجتـمعاتنا قدراً من مـساحات الاتفاق وقـدراً مناسباً من المسلّمات الفكريـة والثقافيـة، حتى يمكن تصفيـة كثير من المقولات وألوان الجدل وغربلتـه، ليتـحمل كلٌ مسؤوليته تجاه ما ينبغي عليه عمله.

ونعني بالاتفاقـات النهائية: المقـولات التي تحدّد تحديداً دقيقًا طبيعة قضية ما وارتباطاتهـا وتداعياتها، كما تحـدد ما ينبغي البدء به من معـالجات، والعناصر التي ينبغي التركيز عليها أكثر خلال تلك المعالجات.

ولنضرب مثالاً توضيحياً لما نقول:

إذا انتهى بنا النقاش إلى أن لدينا تخلـفاً صناعيًا، وانتهينا إلى ضرورة الخـلاص من هذه الحالة، وجب القول: من أين تكون البـداية؟ قد يقول قـائل: البداية تكون في توسيع التعليم المهني، وإقامة مراكز البحث العلمـي الرائدة من أجل نشـر الصناعـات وتحـسين جـودتها وخـفض كلفتـهـا. وإذا سلمنا بصحـة هذه البدايـة وجب القول: إن مركـز البحث والتـوسع في التـعليم المهني يحـتـاج كل منهـما إلى أمـوال طائلة، فـمن أين تـأتي الأمـوال؟ قـد يقـول قـائل: تأتي من الضرائب واسـتثمـارات الدولة. وهنا قد يقـول قائل: إن المتوافر لدى الدولة من أموال ينفق - مثلاً - على افتتـاح مدارس ابتدائية للأطـفال الجدد، ولا ريب أن لهـذا أولية مطلـقة. ثم إن الضـرائب التي ستـحـصل عليهـا الدولة ضئيلة مـا لم يكن الناتج القومي وفيراً، وإن التوسع في فرض الضـرائب سوف يصدّ الأموال الداخلية والخـارجية عن الانخـراط في دورة الإنتاج، مما يعني الدوران في حلقة مفرغة!!

في منهجية التفكير

ويمكن أن يقـال بعـد هـذا إن تدبير المال اللازم للتوسع في البحث العلمي قد يأتي من طريق تخفيض الاسـتهـلاك وشيء من التـدبيـر وفرض القيـود على السلـع الكمـاليـة إلى أن يتكوّن رأس مـال وطني مناسب. وهذا قـد يكـون صحيـحـاً، لكنه يتطلب مناخاً ثـقافيًا واجتـماعيًا معيّنًا حتى لا يشـعر الناس بالحرمان، وحتى لا ندخل في نفق مظلم كذاك الذي دخلته بعض الدول ذات الاقتـصاد الموجّه في يوم من الأيام.

وهنا يمكن القـول: إن الحل النهائي هو أن يـتغير الإنسـان لدينا من خلال تغييـر النسق القيـمي لديه، ومن خلال توافر القدوات الخيرة، ومن خلال الوعي الجيد بمطالب المستقبل.

ويكون الاتفاق الأخير آنذاك هو أن حل المشكلة الصناعيـة يتطلب أعمالاً جليلة على الـصعيد الثـقافي الأخلاقي.

ولا يشترط - بالطبع - أن يكون ما قلناه صـحيحاً في هذه الإحـالات والتداعيـات، وإنما قصدنا إلى أن من الضـروري تأسيس العـقليـة المنهجـيـة، وذلك لا يكون إلا إذا امـتلكنا الخيـال، وتحلّينا بفضيلة الصبر على متابعة المشكلة حتى مراحلها الأخيرة؛ وقليل منا من يفعل ذلك!

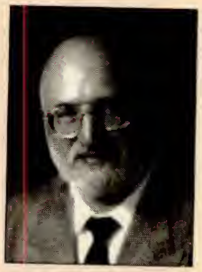
إن هناك أسـسًـا عـديدة يمكن أن نذكـرها، من نحو: «النظر إلى الأمام»، و«إدراك العـلاقات الجدلية»، و«فـهم طبائـع الأشيـاء ومنطقـها»، و«الـرؤية المتعـددة الأبعاد»، وغير ذلك مما قـد تضيق عنه هذه المسـاحة؛ لكن الذي لا بد من قـوله هو أن من المؤسف حـقـاً أن عـالمنا الإسلامي مـا زال عـازفًا عن الاهتـمـام بقضـايا الفكر على صعيد المناهج الدراسية، مع أنني أزعم أن التقدم الفكري شرط أساس لإحراز التقدم على جميع الأصعدة الأخرى حتى الروحية منها!

ومن هنا فـإن من الضـرورة بمكان أن نقـرر على طلاب المدارس الثـانوية مـادة في منهـجـية الـتفـكير يُشرح لهم فيها بعض المبادئ الأسـاسية فيها، ثم ترُقَّى مـوضوعـات المقـرر؛ ليدرس مـرة أخـرى في المرحلة الجـامعية بغـية تسـديد الفكر، وغـرس بعض مبـادئ المنطق والموضوعيـة والرشد العقلي. وقد سـبقتنا دول عــديدة إلى هذا، وعـندها ألـوف المدرسين الـذين يدرسون مقـررات تتناول قضايا تتعلق بـتعليم التفكير وطرائقه وركائزه وآلياته.

دروس في التاريخ

الاجتياح المغولي للع

نظرة تحليلية



د. خالص جلبي

كيف انهارت الحضارة الإسلامية؟ كيف سقط العالم الإسلامي؟ كيف غاب عن التاريخ؟ كيف فقد القدرة على تقرير المصير؟ كيف لم يعد يشترك في صناعة الأحداث؛ بل لم يعد يدري ماذا يحدث له؟ أصبح مصنوعًا ولم يعد صانعًا! أصبح يُخطَّط له، وينفَّذ فيه، وهو لايدري ماذا يحدث! كيف قفز الأوربيون إلى دفة قيادة التاريخ وصناعته؟ متى حدث هذا؟ هل له بدايات أو دلائل؟ وبكلمة مختصرة: هل يخضع المسلمون إلى قانون الله كما يحدث مع كل الحضارات والأمم، أم هم استثناء من القاعدة وشذوذ عن القانون وأبناء الله وأحباؤه المدللون: *فلم يُعَذِّبُكُمْ بذنوبِكُمْ بل أنتم بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ*. **المائدة:18.**

أما أن العالم الإسلامي سقط وتضرج بدمه في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي فلا أوضح فيه من استحضار الذاكرة الجماعية المروعة عن سقوط بغداد كعبة العلوم عام 656هـ/1258م الذي تلا سقوط إشبيلية عام 646هـ/1248م؛ أي بعد عقد من الزمن لايزيد، وبذا سقط جناحا العالم الإسلامي: الغربي تحت الاندفاع الإسباني في حروب الاسترداد ، والشرقي تحت الزحف المغولي المرعب. ولنذهب إلى أسوار بغداد لننظر ما يحدث في شتاء عام 1258م.

بداية المأساة

في الرابع من صفر من عام 656هـ الموافق 13شباط/ فبراير من عام 1258م بعد أن طُوِّقت بغداد من كل جانب ولم يبق أمام الخليفة العباسي إلا الاستسلام، ذهب لمقابلة عاهل المغول خارج بغداد.

دخل الخليفة العباسي مجلس هولاكو مرتاعًا، فابتسم الأخير بخبث ثم قال له: أنت المضيف ونحن الضيوف فانظر بماذا تكرم ضيوفك؟ فهرع الخليفة إلى دار الخلافة وأحضر الدنانير والخلع والجياد، فنظر هولاكو بسخرية وقال: هذه ليست لنا بل هي لعبيدنا! ما نريده الدفائن. فدلَّهم الخليفة على بركة من الذهب الخالص في القصر الملكي - وكان بإمكانه تجنيد مئات الآلاف بها - فحفروا البلاط والرخام وأخذوها. ثم أخذوا بعدها «روح» الخليفة، بوضعه في كيس، وإزهاق روحه بالرفس كي لايندلق دمه على الأرض فيؤخذ بثأره بزعمهم بموجب عقائد المغول، ثم قتلوا أولاد الخليفة الكبار أحمد وعبدالرحمن، ثم استاقوا الصغير مبارك وأخواته الثلاث خديجة ومريم وفاطمة إلى الأسر، ليُوزَّعوا في حصص أمراء المغول من أسرى الحرب. وكانت بغداد كعبة العلوم آنذاك قد استبيحت وقتل من أهلها في أقل التقديرات ثمانمئة ألف، في ظل استباحة للمدينة دامت أربعين يومًا(1).

يقول الحافظ ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»: «ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وقنيّ الوسخ، وكمنوا كذلك أيامًا لايظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة... وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة، فقيل ثمانمئة ألف وقيل ألف ألف وثمانمئة ألف، وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس - رقم المليون لم يكن معروفًا -. وكان الرجل يُستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيُذهب به إلى مقبرة الخلال تجاه المنظرة فيُذبح كما تُذبح الشاة، ويُؤسر من يختارون من بناته وجواريه. وقُتل الخطباء والأئمة، وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد. ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يومًا، بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم، وأنتن من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على

الم الإسلامي

الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقُنيّ والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضًا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى»(2).

محاولة فهم ما حدث

كيف يمكن أن يُفهم أو يُفسَّر حدثٌ في مثل هذه الضخامة، يفقأ العين، عن انهيار مروّع للحضارة الإسلامية، في نهاية الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي؟

عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحدث ابن لبيد عن زمن الانهيار المرتبط بـ «ذهاب العلم»، لم يستطع الصحابي رضي الله عنه أن يستوعب مثل هذه الظاهرة فكان يقول: وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن وسوف نُقرئ أبناءنا القرآن، وأبناؤنا سوف يُقرئون أبناءهم القرآن؟! لم يقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتكذبني وأنا رسول الله؛ بل أخذ بيده إلى الواقع، ليريه واقعة يومية مكررة عن أقوام آخرين انطبق عليهم القانون الإلهي: «أو ليس اليهود والنصارى بأيديهم التوراة والإنجيل ولاينتفعون مما فيها بشيء»(3).

هذا هو القانون النفسي الاجتماعي الذي تردى فيه الجماعات الإنسانية، والذي يوصلها إلى الوضع، الذي لاتستفيد فيه مما عندها، ولو كانت كنوزًا رائعة، وذخائر نفيسة، ومجلدات كثيرة، وعلم لاينتهي.

ويذكر القرآن أنموذجًا عجيبًا لذلك: الحمار الذي يحمل على ظهره أسفارًا من الكتب الرائعة، والمجلدات الثمينة. ولكن هل بإمكان الحمار أن يقرأ سطرًا واحدًا؟!

والمثل جاء في الأصل عن اليهود، ولكن لايخرج اليهود عن كونهم بشرًا انطبق عليهم القانون الإلهي، ويقبل أن يتكرر في أوساط إنسانية أخرى: *مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمَثَل الحمَار يحمل أسْفَارًا*. **الجمعة**:5.

كيف تسقط الحضارات؟ كيف تنهار الدول؟ كيف تصاب الأنظمة بالعقم بعد إبداع؟ هل هناك قانون تنتظم تحته مثل هذه الواقعات؟ أو هل هناك - في الأصل - سنة اجتماعية تسير بموجبها حركة التاريخ؟

لاشك أن الحريق المغولي كان كاسحًا ماحقًا مدمرًا.

يقول ول ديورانت في سفره الضخم «قصة الحضارة» مؤرخًا الإعصار المغولي: «وهلك في هذه المذبحة الشاملة آلاف من الطلاب والعلماء والشعراء، ونُهبت أو دُمِّرت في أسبوع واحد المكاتب والكنوز التي أنفقت في جمعها قرون طوال، وذهبت مئات الآلاف من المجلدات طعمة للنيران.. ولسنا نعرف أن حضارة من الحضارات في التاريخ كله قد عانت من التدمير الفجائي ما عانته الحضارة الإسلامية على يد المغول. لقد امتدت فتوح البرابرة لبلاد الدولة الرومانية قرنين من الزمان، وكان في استطاعة الدولة أن تنتعش بعض الانتعاش بين كل ضربة والتي بعدها، وكان الفاتحون الجرمان يكنون في قلوبهم بعض الإجلال للدولة المحتضرة، ومنهم من حاول المحافظة عليها. أما المغول فقد أقبلوا وارتدُّوا في أربعين عامًا لا أكثر؛ ولم يأتوا ليفتحوا ويقيموا، بل جاؤوا ليقتلوا وينهبوا ويحملوا ما يسلبون إلى منغوليا. ولما ارتد تيار فتوحهم الدموي خلف وراءه اقتصادًا مضطربًا، وقنوات للري مطمورة، ومدارس ودورًا للكتب رمادًا تذروه الرياح، وحكومات منقسمة على نفسها، معدمة ضعيفة لاتقوى على حكم البلاد، وسكانًا هلك نصفهم وتحطمت نفوسهم». ولكن حتى يمكن فهم كيف تحدث مثل هذه الواقعات، لابد من وضعها تحت التحليل، وسبر غورها بمعيار الحكمة، وعرضها على أصولها، ومقارنتها بنظائرها، وفهمها من خلال علاقة جدلية بين السبب والنتيجة، والعامل الخارجي والداخلي.

لكي يمكن فهم ما حدث للعالم الإسلامي من جراء الغزو المغولي؛ لا بد من وضعه تحت التحليل، وفهمه من خلال العلاقة بين الأسباب والنتائج

ولنتقدم بالبحث خطوة أعمق: هل يمكن فهم أي حديث من دون مقدماته ونتائجه؟ هل يحدث من غير قانون ينتظمه؟

وإذا كانت العناصر الخارجية والداخلية هي التي تتفاعل لتبرزه إلى الوجود، وتدفعه إلى عالم النور والظهور، فأي العناصر أهم في التأثير، وأبلغُ في التفاعل، وأثقلُ في الميزان؟ أي العناصر أشد حسمًا، وأعظم أثرًا، وأبلغ نتيجة؟

هل يسيطر هذا القانون، أو تعم هذه المعادلة مساحات شتى من الوجود، بحيث تنتظم شرائح متنوعة، وقطاعات شتى من الوجود المادي والعضوي والنفسي والاجتماعي والدولي والحضاري؟

انهيار المناعة.. سبب السقوط

إذا كانت جحافل المغول اجتاحت المشرق الإسلامي، فكيف يُعَلَّل سقوط الجناح العربي في قرطبة وبالنثيا وسرقسطة وطليطلة وأخيرًا إشبيلية حيث لم يكن هناك مغول؟

عندما يتلقى فرد ما صفعة فيسقط ميتًا نتساءل: هل الصفعة أودت به أم إن الصفعة أظهرت الموت الذي كان على وشك الظهور؟ لأن العادة تقول: إن المرء لايموت من الصفعة!

عندما تهب الريح على الغابة فتسقط بعض

الأغصان، وتطير بعض الأوراق، وتهوي بعض الجذوع، فإننا لانقول إن الريح هي التي أسقطت؛ إذن لسقطت كل الجذوع، ولهوت كل الأشجار، ولتناثرت كل الأوراق!

بل عندما يحدث المرض، لا يحدث لأن الجراثيم هي التي سبّبَتْه؟! فلو كان الأمر كذلك لكان الإنسان مريضًا من دون توقف، عليلاً من دون فواصل، يسعل قيحًا، وينفث دمًا، يجر أطرافه إعياءً، ويرفع رأسه وعينيه متثاقلاً. والسبب في هذا أن الجسم الإنساني، كما نعرف نحن الأطباء بصورة جلية واضحة، لا يخلو من الجراثيم التي لاتغادر البدن لحظة، ولاتتركه لثانية. ولطاخة من الأنف تعطيك المنظر المرعب عن حقول لاتنتهي، من قبائل الجراثيم، وعصابات الميكروبات، من أصناف شتى، وفصائل مختلفة.

وعشرين ساعة (اضرب رقم واحد في 48 مرة مضاعفًا).

تبدأ المعركة الحاسمة لصد الاجتياح المغولي الجرثومي، بأشرس أنواع القتال بالسلاح الأبيض، وجهًا لوجه، وعندما ترى، أيها القارئ، القيح فقف باحترام كبير، وارفع يدك بالتحية، لأن هذا القيح المنساب هو جثث الكريات البيض التي سقطت في معركة الدفاع عن البدن الحي!

بل إن مرض الإيدز المهدِّد للعالم الذي لم يكتشف له حتى الآن لقاحا مانعًا، أو عقارًا شافيًا، يُعدّ رحم الأمراض كلها، ورأس البلايا بأجمعها، وجذع المصائب من دون مبالغة، ذلك أن الفيروس يتسلل إلى الجهاز المناعي، فيفتك به، أي إنه بكلمة أخرى يخترق مركز المقاومة بل يحتله، ويكسر العمود الفقري للمدافعة.

يطل بقرن جديد، وبثورة عارمة من انفجار السرطان عندهم، وما أدراك ما السرطان!

إذن، مع فهم أعمق لفلسفة المرض، نخرج بقانون صارم، أشدّ حدة من مشرط الجراحين، هو أن العامل الداخلي هو الذي يبدأ في عملية توليد الحدث، وتهيئته، وتوليده بعد ذلك، وإبرازه إلى الوجود، ويبقى العنصر الخارجي هو الذي يكشف الغطاء عن التفاعل الداخلي، ويشير إليه، ويدلل عليه، ويقول: هذا هو.

قانون صارم

هذا القانون يخضع له الوجود المخلوق بكل شرائحه ومستوياته. فورقة الشجرة تسقط بسبب ضعف ارتباطها بالغصن، والمرض يحدث بسبب ضعف الجهاز المناعي أو انهياره. والفرد يختل بسبب أوهامه الداخلية، والمجنون المصاب بالبارانويا يظن أن الناس كلهم يتآمرون عليه، كما هو الحال عند كثير من الساسة والمفكرين بكل اتجاهاتهم في العالم، الذين يبحثون عن أكباش فداء تفسر واقع المسلمين والعرب غير السار ولا يبعث على البهجة. وهكذا فإن أكباشًا من أمثال: الصهيونية والاستعمار وقوى التدخل الخارجي والرأسمالية العالمية والماسونية والنورانيين والقوى الخفية والمنظمات السرية والحركات التبشيرية وحكومة العالم الخفية، حاضرة لدينا نلقي عليها تبعة ما يحدث لنا، وإذا لم يبق في الجعبة شيء؛ فالشيطان جاهز لنصب عليه كل مصائبنا التي نفعلها بأيدينا، وكل الكوارث التي نسعى إليها بأقدامنا. وإذا أعيت كل التفسيرات، فهناك التفسير الذي يُخرِس الجميع فلنقل القدر والحظ، ولا مانع من إدخال إرادة الله، التي شاءت أن ترفع غير المسلمين، وتنزل كفة المسلمين! لكن ليس هناك استعداد - ولو للحظة واحدة - للرجوع إلى فلسفة القرآن التي تنص على أن ما يحدث هو «من عند أنفسكم»، وأن الله لايظلم الناس شيئًا، ولكنَّ الناس أنفسَهم يظلمون، وأن ظلم النفس هو المناخ الملائم والمهيّئ لكل المصائب اللاحقة، وأن علينا أن نعتاد وندرب أنفسنا ألاّ نلوم أحدًا، بل أن نرجع فنلوم أنفسنا دومًا؛ لأن هذا هو مفتاح الحل. وتكوين مثل هذا الخلق، والوصول لتشكيل نفسية من هذا النوع جعلها الله موازية في الثقل ليوم القيامة: *لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة*. **القيامة**: 1-2. فإذا كانت القيامة هي للفصل بين الناس وبين

الحضارات تسقط بالانتحار الداخلي وليس بالهجوم الخارجي، وبالمرض الطويل الذي يسلمها إلى النهاية المحتمة: الانهيار والاندثار

بل إن ملجرامًا واحدًا من البراز يحتوي على ما لا يقل عن 140 مليون جرثوم، كل منه عنده قدرة مروّعة على التكاثر، وفتك مدمر للعضوية؟!

إذن كيف يحدث المرض؟

والجواب هو اختلال التوازن بين هجوم الجراثيم، وانهيار الجهاز المناعي. المرض هو في الحقيقة تعبير عن انهيار الجهاز المناعي أكثر منه عن سطوة الجراثيم واستفحال هجومها. وعندما يعود البدن إلى الحالة السوية؛ فإنه ينجز هذا الوضع الرائع المبدع والمعقد إلى أعلى غايات التعقيد عن طريق سيطرة جهاز المناعة. ولانريد أن نجعل من المقالة بحثًا طبيًا خالصًا، ولكن نشير إلى أن كل فعاليات البدن تمشي وفق هذا الناموس، وتُسبّح الله على هذه الطريقة.

إن دخول جرثوم واحد إلى البدن يعني استنفار الكريات البيض التي تمثل الفرق الانتحارية الاقتحامية لملاقاة الزحف المغولي الجرثومي، ويجب أن يتم هذا بسرعة، لأن الجرثوم ينقسم بما لا يقل عن مرة واحدة كل نصف ساعة، وهذا يجعلنا نجفل من الرقم المروّع للتكاثر في مدى أربع

بل أكثر من ذلك. فهو بوصفه مركبًا مشابهًا لتركيب الكروموسوم، فإنه يخترق الخلية، ثم النواة، ثم تركيب الأحماض الأمينية المشكّلة للجينات، ليصبح قطعة من دمنا ولحمنا، عصبنا وعظمنا، وتبقى مهمة الجسم أن يكاثره، ويزيد من عدده، باعتبار أنه قطعة من تركيب الكروموسومات المشكلة والمهندسة لتركيبنا بالكامل.

في الواقع أن الإيدز يعطي فكرة عن انهيار المقاومة، لأن انهيار الجهاز المناعي يجعل الجسم مستهدفًا من كل أنواع الجراثيم والفيروسات والفطريات، وكل الطبقات الممرضة من العضويات المجهرية الصغرى.

بل أقسى من هذا وأشد، أعني الإصابة بالسرطان، لأن السرطان هو وجه العملة الثاني لانهيار الجهاز المناعي، لذا كثرت إصابة متقدمي السن بالسرطان، وكاد أن ينتفي عند الأجنة في الأرحام! والإيدز المجرم، باعتبار أنه ينهك الجهاز المناعي عند الشباب العاكفين على شهواتهم، المخدِّرين بالملاذِّ المقلوبة المعكوسة المنكوسة، فإنه

الإنسان وعمله، فإن النفس المراجعة المنضبطة التي اعتادت النقد الذاتي هي المرشحة للنجاح في ذاك اليوم العصيب.

إن الفرق بين الشيطان الذي دخل اللعنة الأبدية وآدم الذي نال رحمة الله هو التوبة، وفلسفة التوبة تعني القدرة على المراجعة والاعتراف بالخطأ. *ربِّ إني ظلمتُ نفسي*. **النمل**:44، في حين أن لوم الآخرين هو طريق الشيطان الذي برأ نفسه وألقى اللوم على رب العزة أنه هو الذي أغواه: *بما أغويتني*. **الحجرات**:39. هذا الطريق الضلالي المفضي إلى عدم التوبة والمغلق هو الاستعداد للوم الآخرين، وإلقاء تبعة ما يحدث من مصائب عليهم؛ بل الاستعداد لقلب قوانين الكون وعدم الاعتراف للحظة أن هناك ولو (احتمالاً) أن تكون ذواتنا المنتفخة قد أخطأت، كما يروى عن ذلك المؤذن الذي حضر للمسجد لصلاة الصبح والناس منصرفون، فلما سئل عن سبب تأخره قال: أنا حضرت بحسب الوقت ولكن الشمس أشرقت اليوم باكرًا!

كذلك فإن العائلة تتفكك بالنزاع الداخلي، والدول تسقط بالعفن والمرض الذي ينخر في الداخل، والإمبراطوريات تموت بعللها الداخلية قبل كل شيء. فإذا جاء كمال أتاتورك ليوزع بطاقات النعي ولقراءة «الفاتحة» على روح الدولة العثمانية، فهو لا يمثل أكثر من «دابة الأرض» التي قضمت عصا سليمان وهو ميت جثة فانهارت الجثة، عندها علمت الجن بموت سليمان عليه السلام: *فلما قضينا عليه الموتَ ما دلَّهم على موته إلا دابَّةُ الأرض تأكلُ منسأته فلما خرَّ تبيَّنت الجنُّ أنْ لو كانوا يعلمونَ الغيبَ ما لبثُوا في العذابِ المُهين*. **سبأ**:14.

من أسباب الانهيار

والحضارات تسقط ليس بالهجوم الخارجي بل بالانتحار الداخلي والمرض الطويل الذي يسلمها إلى الموت في النهاية، وعندما تموت الأبقار فتصبح جيفًا، وتسقط على الأرض تأتي الغربان فتقعد عليها، فنعرف الموت من تسلط الغربان أكثر من الجثة المستلقية.

هذا هو التصور الشامل لصعود الأمم وسقوطها، هذا هو قانون التاريخ الذي لايستجيب للبكاء والأنين، ولا يتوقف على الصراخ والعويل: *وَكَمْ قَصَمْنَا من قرية كانت ظالمةً وأنشأنا بعدَها قومًا آخرين*. **الأنبياء**:11.

عند دراسة قيام الحضارات ثم انهيارها يرى المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي: أن الحضارة تبدأ بأقلية مبدعة تسوق الناس على أنغام المزمار بآلية المحاكاة، وتتوقف لتنهار بعد ذلك. عندما تتحول تلك الأقلية المبدعة إلى أقلية مسيطرة تسوق الناس بالسوط، وينشق المجتمع عند ذلك إلى طبقات، ويصاب بالمرض الفرعوني الذي لعنه الله في القرآن(4).

وحتى يمكن فهم هذه الظاهرة المروعة أكثر من تاريخنا؛ وهو يهوي تحت السيف المغولي، فإن التاريخ ينقل لنا قصصًا لاتكاد تصدق، سواء من مستوى القيادة، أو مستوى الأمة، بين اتصالات مريبة من السلطان العباسي الناصر لدين الله الذي راسل جنكيزخان يدعوه لغزو بلاد خوارزم، لتخليصه من منافسه هناك: جلال الدين، والذي كان يخشى من زحفه باتجاه بغداد، فجاءه طوفان يأجوج ومأجوج بعد ذلك ليعدم ولده المستعصم وأحفاده وحفيداته. أو في نفس حكايات جلال الدين الذي كان مغرمًا بطواشي له - خادم خصي -، وعندما مات فقد عقله وامتنع عن الطعام والشراب، وأنكر موته، وحمل تابوته على رقاب قواد الجيش [كذا](5)، أو في استعدادات الخليفة العباسي لمجابهة الحصار المغولي وهو مضطجع لجارية تلعب بين يديه وتضحكه، والنبال المغولية تتساقط على دار الخلافة كانهمار المطر، ثم يصحو الخليفة حينما تقتل هذه المحظية بين يديه بسهم جاءها من بعض الشبابيك! ويُعقِّب ابن كثير على الحادثة تعقيبا بين الحقيقة والأسطورة فيقول: إن السهم كان مكتوبًا عليه: «إذا أراد الله إنفاذ قضائه أذهب من ذوي العقول عقولهم!». أو في قصة التتري الذي أمسك مسلمًا ليذبحه، فلما أضجعه للذبح، استدرك أن سيفه قد سقط منه، فأمره بالبقاء حيث هو، ثم غاب التتري سويعة وعاد وهو لايكاد يصدق، فالمسلم مازال ينتظر الذبح (6) لأن غريزة التمسك بالحياة قد تلاشت، فأمَّة من هذا النوع لايحتفظ بها التاريخ، ولايوفرها الجنس البشري؛ بل يسري عليها القانون الإلهي: *وإن تتولَّوا يستبدلْ قومًا غيركم ثم لايكُونوا أمثالكُم*. **محمد**: 38.

يعقب ديورانت على الاجتياح المغولي في أسبابه الدفينة البعيدة فيقول: «واجتمع الانغماس الأبيقوري في الملذات، والهزال الجسمي والعقلي، وخور العزيمة والعجز الحربي، والانقسام الديني، والالتجاء إلى المراسم الغامضة الخفية، والفساد السياسي والفوضى الشاملة، اجتمعت هذه العوامل كلها وائتلفت لتحطيم كل شيء في الدولة قبل الغزو الخارجي. لقد كان هذا كله - لا تبدل المناخ - هو الذي بدل آسية الغربية من زعامتها على العالم فقرًا مدقعًا، وخرابًا شاملاً. وأحل محل مئات المدن العامرة المثقفة في الشام وأرض الجزيرة وفارس والقفقاس والتركستان ما تعانيه في الوقت الحاضر من فقر ومرض وركود»(7).

الهوامش:

1- البداية والنهاية لابن كثير، حوادث عام 656هـ.
2- المصدر نفسه.
3- ذكر الحديث ابن كثير في تفسيره وصححه، تفسير ابن كثير، المجلد الثاني، سورة المائدة، الآية 65 - 66 ص77 عند تفسير الآية: ولو أنّ أهلَ الكتاب آمنوا واتّقوا لكفّرنا عنهم سيئاتهم. وقد رواه الإمام أحمد ابن حنبل متصلاً موصولاً فقال: حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن زياد بن لبيد أنه قال: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا فقال «وذاك عند ذهاب العلم» فقال: قلنا: يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا وأبناؤنا يقرئونه أبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال: «ثكلتك أمك يابن لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولاينتفعون مما فيهما بشيء». هكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به نحوه وهذا إسناد صحيح.
4- مختصر دراسة التاريخ، توينبي، سقوط الحضارات.
5- راجع هذه الواقعة في الكامل لابن الأثير، ص 496، المجلد 12.
6- جاءت هذه الواقعة الغريبة أيضا في الكامل لابن الأثير ص 500، المجلد 12: «ولقد حكي لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي ألقى الله سبحانه وتعالى في قلوب الناس منهم، حتى قيل إن الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب وبه جمع كثير من الناس، فلايزال يقتلهم واحدًا بعد واحد، لا يتجاسر أحد أن يمد يده إلى ذلك الفارس، ولقد بلغني أن إنسانًا منهم أخذ رجلاً، ولم يكن مع التتري ما يقتل به، فقال له: ضع رأسك على الأرض ولاتبرح. فوضع رأسه على الأرض ومضى التتري فأحضر سيفًا وقتله به. وحكى لي رجل قال: كنت ومعي سبعة عشر رجلاً في طريق، فجاءنا فارس من التتر، وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضًا، فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم، فقلت لهم: هذا واحد فلم لانقتله ونهرب؟ فقالوا: نخاف فقلت: هذا يريد قتلكم الساعة، فنحن نقتله، فلعل الله يخلصنا. فوالله ما جسر أحد أن يفعل، فأخذت سكينًا وقتلته وهربنا فنجونا. وأمثال هذا كثير».
7- قصة الحضارة، ول ديورانت، 381.

قصة قصيدة

من عِبَر التاريخ

د. محمود جبر الربداوي

قال المعتمد بن عبَّاد:

فيما مضى كُنتَ بالأعياد مسرورا	فساءك العيد في «أغمات»(1) مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعةً	يغزلنَ للناس ما يملكْن قطميرا
برزْن نحوك للتسليم خاشعةً	أبصارهن، حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين، والأقدام حافية	كأنها لم تطأ مسكًا وكافورا
لا خدَّ إلا تشكَّى الجدبَ ظاهرُه	وليس إلا مع الأنفاس ممطورا
أفطرتَ في العيد، لا عادت إساءته	فكان فطرك للأكباد تفطيرا
قد كان دهرُك إن تأمره ممتثلاً	فَرَدَّكَ الدهرُ منهيًّا ومأمورا
مَنْ بات بَعْدَكَ في مُلك يُسَرّ به	فإنما بات بالأحلام مغرورا

ما أشدّ وقع أحداث الدهر، وما أثقل وطأة بطش الزمان، ولاسيما إذا جاءت أحداث الدهر مباغتة من حيث لا يتوقع الإنسان، وداهمته من مأمنه. وأشدّ ما يكون الحدث وقعًا وإيلامًا على نفس إنسان أمضى ردحًا من حياته في الدّعة والنعيم، ثم دارت به عجلة الزمان، فخفضته بعد علوّ، وحطته بعد ارتفاع، وسلبته كل مقومات العزة والرفاهية والمجد، كما هي حالة الملك القائد الشاعر المعتمد بن عباد، الذي أضحت سيرته عبرة من عِبَر التاريخ، وشاهدًا حقيقيًا من شواهد تقلب الدّهر. ولست بصدد عرض تاريخ حياته، فذلك شيء تكفّلت به كتب التاريخ، وأسهبت في سرده كتب الأدب، وإنما أكتفي من قصة ابن عباد - وهي طويلة - بعقدة الحبكة - كما يقولون - وبموضع العبرة كما يصفون، وأنطلق من نهاية القصة - كما تفرض عليَّ الأبيات التي سقتُها قبل قليل - لا من بدايتها.

فهذه الأبيات - كما لاحظنا، وكما تقول الكتب التي ترجمت لابن عباد - قالها في السجن، وأعني بالسجن سجن «أغمات»، تحديدًا في أيام عيد الفطر من عام 485هـ، والعيد من شأنه أن يحمل للنفوس البهجة والسعادة، وهكذا كان فعله في سالفات أيام المعتمد، أمّا هذا العيد فله طعمٌ آخر عنده، فهو الآن يتنزى وراء القضبان، وتزوره امرأته وأسرته، وقد حال بينهم الحديد الصدئ، ويطول اللقاء ساعة من وقت، ثم يرحل المهنئون، وينكفئ الأسد المحبوس في القفص يجترُّ آلام واقعه، فلا يجد إلا الشعر متنفَّسًا، ينفث فيه ما في الصدر من جوى، وما في النفس من حُرقة. يسرد صاحب «قلائد العقيان» مناسبة الأبيات بأسلوبه المسجّع فيقول: «وأول عيد أخذه بأغمات وهو سارح، وما غير الشجون له مسارح، فدخل عليه من بنيه، من يُسلّم عليه ويُهنّيه، وفيهم بناته وعليهن أطمار، كأنها كسوف وهُنَّ أقمار، يبكين عند التساؤل، ويبدين الخشوع بعد التخايل، والضياع قد غيّر صورهن، وحيّر نظرهن، وأقدامهن حافية، وآثار نعيمهن عافية، فقال: فيما مضى كنت... الخ»(2).

فهذه الأبيات الثمانية - على قصَرها - نفثة مصدور، تجسد عاطفة عميقة، فرضتها كآبة السجن. وتُقسم إلى قسمين متساويين، فالبيت الأول مع الثلاثة الأخيرة يبوح بها عن مكنونات نفسه في هذه المناسبة، فهي ذاتية المنزع في صميم الذاتية، والأبيات الأربعة التي بينها يرسم فيها صورة لبناته اللواتي جئن مهنئات، وهن بحالة يُرثى لها من الفقر والذل، ولّعلهن بُحْنَ له، أو باحت له أحوالهن وهيئاتهن بالهوان الذي يلاقينه، وهن يطرقن أبواب الناس يلتمسن عملا يتبلغن به لقمة العيش. وهذه صورة أخرى لزوجته «الرميكية» التي دام تقلُّبها في الرفاهية، يرسمها لنا صاحب «المعجب»، قال: «وبلغ من حال المعتمد بأغمات أن آثر حظيّاته، وأكرم بناته، أُلجئتْ إلى أن تستدعي غَزْلاً من الناس تسد بأجرته بعض حالها، وتصلح به ما ظهر من اختلالها، فأُدخل عليها، فيما أدخل، غَزْلٌ لبنت عريف شرطة أبيها كان بين يديه يَزَعُ الناس يوم يزوره لم يكن يراه إلا ذلك اليوم»(3). هذه المحظية التي أشار إليها صاحب المعجب هي الرميكية التي وصفتها كتب الأدب



بأنها: «مليحة الوجه، حسنة الحديث حلوة النادرة، كثيرة الفكاهة، لها في كل ذلك نوادر محكية»(4). وهي صاحبة القصة المشهورة بيوم الطين وما أدراك ما يوم الطين، وللذين لا يعرفون القصة أُلخصها على لسان «المقَّرى»، يقول: «والرميكية رأت الناس يمشون في الطين ـ أي في أيام عزها ـ فاشتهت المشي في الطين، فأمر المعتمد فسُحقت أشياء من الطيب، وذُرَّتْ في ساحة القصر حتى عَمَّتْه، ثم نُصبت الغرابيل، وصُبَّ فيها ماء الورد على أخلاط الطيب، وعُجنت بالأيدي حتى عادت كالطين، وخاضتها الرميكية مع جواريها». ويحلو لصاحب نفح الطيب أن يأخذ من القصة عبرة عن تنكُّر بعض الناس للجميل، فاتبع قصة يوم الطين بقوله: «وغاضبها في بعض الأيام فأقسمت أنها لم تر خيراً قط، فقال: ولا يوم الطين؟ فاستحيت واعتذرت، وهذا مصداق قول نبيّنا صلى الله عليه وسلم في حق النساء: لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيراً قط»(5). وهو في البيت الرابع من قصيدتنا هذه يشير إلى هذه الحادثة حيث يقول:

يطأن في الطين، والأقدام حافيةٌ

كأنها لم تطأ مسكًا وكافورا

إن الذي يقرأ قصة المعتمد بن عباد يتعاطف ـ مثلي ـ مع هذا الرجل الذي قلب له الدهر ظهر المجن، ويقول: ارحموا عزيز قوم ذل. ولكنني عندما تقصيت المزيد من أخباره تبدَّد في نفسي هذا التعاطف، ووقر في نفسي أن المصير الذي آل إليه أمره شيء من عدالة السماء، ونوع من القصاص الدنيوي الذي ربما يستحقه، ليس لسلوكه الأخلاقي والاجتماعي فحسب؛ إذ كان الرجل مسرفًا في اللهو والخمر ومعاشرة القيان، بل أيضًا لسلوكه السياسي، وهذا له منعكساتٌ جماعية خطيرة على الأمة. فإذا تركنا للعناية الإلهية عقابه على قتله للجارية التي أهداه إياها يوسف بن تاشفين، إذ قذف بها من قصر الزاهر إلى نهر إشبيلية، لأنها غنته أبياتًا منها:

حملوا قلوب الأُسْد بين ضلوعهم

ولوَوا عمائمهم على الأقمار

فظنها تعرّض به؛ وكذلك قتله لرفيق حياته وأدبه وزيره ابن عمار، وغير هذه القصص المشابهة، والتفتنا إلى سلوكه السياسي ألفيناه يتواطأ مع ألفونسو السادس ملك قشتالة على محاربة بني ذي النون المسلمين، وأبرم مع ألفونسو معاهدة سرية منفردة كان من نتيجتها أن سقطت طليطلة من أيدي العرب والمسلمين، وكان سقوطها كارثة كبيرة ذات أبعاد خطيرة في تاريخ العرب في الأندلس؛ حتى لقد شعر المعاصرون بفداحة هذه المعاهدة السرية وما ترتّب عليها من الانفراد بحلٍ سلميّ مَشين، فقال أحد الشعراء:

حُثُّوا رواحلكم يا أهل أندلس

فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسلُّ من أطرافه، وأرى

ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط

وعندما قهر ألفونسو السادس ملوك بني ذي النون وتمّ له احتلال طليطلة، التفت إلى المعتمد ليصفي حسابه معه، على المبدأ الذي نعرفه في مغزى قصة «الثور الأسود»، ذلك لأن ألفونسو الإسباني أصبح أكبر قوة في إسبانيا، وأخذت جيوشه ترحف باتجاه إشبيلية عاصمة المعتمد، ولولا أن المعتمد استنجد بحكام إفريقيا من المرابطين لابتلع ألفونسو مملكة المعتمد.

لو قُدّر لنا أن نقرأ الجانب الآخر من سيرة المعتمد، تلك السيرة التي سكتت عنها الكثرة الكاثرة من كتب التاريخ والأدب، لأعدنا النظر في المقولة: ارحموا عزيز قوم ذل، ولتلونا قول الله عز وجل: *فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.* **الروم**:9.

الهوامش:

1ـ اسم السجن الذي سُجن فيه المعتمد بن عباد بالقرب من مراكش في جنوب المغرب.

2ـ قلائد العقيان للفتح بن خاقان، ص 28.

3ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ص 217.

4ـ نفح الطيب للمقري، 272/4.

5ـ السابق نفسه، ص 273/4.

د. كريستين جاك هيلين:

دراستها للذرة قربتها من الله

عندما اطَّلعت على قصة إسلامها، وجدت لساني يردد وحده وكأنما ينطق من عقلي الباطن قوله تعالى: *إنما يخشى اللَّهَ من عباده العلماءُ*. **فاطر**:28.

فقصة إسلام عالمة الذرة البريطانية الشابة د. كريستين جاك هيلين تثبت أن العلم يقرب بين العبد والمعرفة الحقة لربه، لأن العَالِمَ يتعامل - عادة - مع حقائق الحياة والكون بنظرة موضوعية لا تحيُّز فيها ولا انحراف، وبذلك يستخدم - إلى جانب الفطرة الطبيعية - نعمة العقل الذي دعا الله - عز وجل - عباده إلى استخدامه للتعرف إليه - عز وجل - أكثر، فما من موضع في القرآن الكريم إلا وفيه دعوة إلى إعمال العقل، ومن ذلك قوله تعالى: *أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها*. **محمد**:24، وقوله تعالى: *سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق*. **فصلت**:53، وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تحث على اعتماد العقل وسيلة للوصول إلى يقين الحقيقة الساطع.

تخلقت بأخلاق الإسلام

في بريطانيا التي كانت إمبراطورية عظمى يومًا ما لا تغيب عنها الشمس مطلقًا، وُلدت كريستين جاك هيلين، لأسرة نصرانية ثرية، لم تبخل بشيء على طفلتها؛ إذ ألحقها والداها بأرقى المدارس وأغلاها، وحَرَصَا على تهيئة كل ما من شأنه أن يسهم في تفوقها دراسيًا على قرنائها، على أمل أن يفخرا بها يومًا، وقد صارت شيئًا مذكورًا.

ويبدو أن الخالق - جل وعلا - قد أراد لهذه الصغيرة منذ طفولتها أن تكون قريبة منه؛ إذ تخلقت منذ صغرها بأخلاق تدعو إليها شريعة الإسلام، فكانت تكره الكذب والنفاق والزيف في العلاقات الإنسانية.

وبالطبع لم تكن الطفلة التي وُلدت وتربت في مجتمع نصراني وأسرة نصرانية تعلم شيئًا عن الديانة الإسلامية؛ بل ربما لم تكن قد سمعت بها قط، إلى أن شاءت عناية الله - جلت قدرته - أن تذهب وهي دون العاشرة من عمرها في رحلة سياحية إلى بلاد الهند، وهناك في هذه الدولة التي تعادل شبه قارة، وتلتقي في أرضها أكبر مجموعة من الملل والنِّحل، عرفت كريستين - ربما للمرة الأولى - أن هناك دينًا عالميًا اسمه الإسلام، وشدها ما رأته من وجود علاقات من نوع فريد تربط بين الأسر المسلمة وبين المسلمين بعضهم بعضًا في ود وإخاء. ومع حداثة سنها إلا أنه لم يفتها أن تلحظ الفرق الشاسع بين ماتراه أمامها من تماسك المجتمع المسلم وتطبع أفراده بعادات واحدة، وإحساسهم ببعضهم بعضًا، في الأفراح والأتراح، وبين جفاف العواطف وأنانية العلاقات المتفشية في مجتمعها النصراني.

الميل نحو الإسلام

وكان أكثر ما شدها إلى المسلمين وقوفهم في صفوف متراصة في سكون وخشوع، حين يؤذن المؤذن للصلاة. وأحست في قرارة نفسها أن هذه الطقوس التي يمارسونها غير غريبة عنها، وأنها تعرفها منذ ولادتها أو ربما قبل ذلك، ووجدت نفسها منجذبة إلى تعلم صلاة المسلمين، وتؤديها معهم كأنها واحدة منهم، وبدا كأنَّ نداء خفيًا يدعوها للتردد على المساجد، التي تعلق بها قلبها دون أن تدري سر هذا التعلق، ولم تتوقف أسرتها طويلاً عند هذا الموضوع، إذ عدّته شقاوة أطفال، أو هواية يمارسها الطفل مثل جمع الطوابع أو لعب الكرة، يعشقها الطفل في مرحلة، ثم لا يلبث حين يكبر أن يوجد لنفسه هواية جديدة يمارسها تناسب مرحلته العمرية.

زيارة المساجد

إلا أن الأمر لم يكن مجرد هواية كما ظن أهل كريستين، بل كان أكبر من ذلك، فحب الإسلام كان قد تغلغل في أعماق الفتاة الصغيرة، التي غدت شابة يافعة، وكان طبيعيًا وقد مَسَّت الحقيقة شغاف قلبها أن تسعى إلى معرفة هذا الدين القيم، وأن تزداد قربًا منه كلما أوغلت في البحث فيه أو القراءة عنه، وبدأت تعرف طريق الهداية، بعدما انقشعت أمام عينيها الظلمات التي كانت تحجب عنهما نور الحق، بدأت تدرك أن الإسلام دين الحق، وأن الله - عز وجل - قد اختاره لعباده.

حين أحست أسرة كريستين - متأخرة - أن ابنتها قد تجاوزت مرحلة اللهو وأن تعلقها بالمساجد ليس هواية، بل صار عقيدة تؤمن بها، تملَّكها - أي الأسرة - الخوف من أن تهجر الابنة دين آبائها وأجدادها، وتعتنق ذلك الدين الوافد من الشرق، والذي لا يعلمون عنه سوى أنه دين أهل الصحراء، فأرادت الأسرة أن تنأى بابنتها عن هذا الدين بطريقة لا تحس بها، لكيلا يتملكها العناد. من هنا عمد الوالدان إلى اقناع كريستين بأن تتحول بدراستها إلى الجانب العلمي البحت، ظنًا منهما أن دراسة العلوم بما فيها من جفاف مادي ربما يبعد بابنتهما عن متابعة التعلق بالجانب الروحي للإسلام، وينأى بها عن خطر التحول عن دينها.

أراد أهلها شيئًا وأراد الله شيئًا آخر

لم يَجِدْ توجيه الوالدين معارضة لدى

كريستين، لأنها في أعماقها كانت تحب العلم وترغب فيه، فضلاً عن أن طلبها له لم يكن ليتعارض مع ميولها، لمعرفتها من خلال قراءاتها أن الإسلام يدعو إلى العلم ويحث عليه، ومن هنا كانت استجابتها لتوجيه والديها فورية، فاستراح قلباهما، وابتسما ابتسامة رضا، ظنًا منهما أنهما استطاعا أخيرًا أن يبعدا بها عن الإسلام.

إلا أن الأمور لم تجر بما اشتهى الوالدان؛ بل على العكس تمامًا؛ إذ إن دراسة كريستين العلمية ساعدتها أكثر في معرفة الله، فدارس العلوم يدرك أكثر من غيره نواحي العظمة والإعجاز في خلق الكون، ومن ثم يمكنه أن يبرهن من خلال تلك الآيات الكونية على وجود إله قوي عزيز مقتدر يسيِّر أمور العالم من عليائه، فزادها ذلك قربًا من الله ومن شريعته الخالدة.

وحين رأت أسرتها أن سعيها قد خاب، وأن كريستين قد زادت قربًا من الإسلام بدراستها العلمية، حاولت بشتى الطرق أن تعيدها إلى الظلمات مرة أخرى، لكن هيهات أن يدع القلب المؤمن النور إلى الظلمة مرة أخرى، فخاب مسعى الأسرة ولم تفلح محاولاتها المتكررة.

إسلامها

وكمحاولة أخيرة لردها عن الإسلام، أحضرت أسرتها لها شابًا نصرانيًا ليتزوجها لعل في زواجها منه مايردها إلى عقيدة النصارى، لكنها - أي كريستين - رفضت الشاب بشدة، وسَعَتْ لأن تجد زوجًا مسلمًا يحمي روحها من الردة التي يحاول أهلها دفعها إليها بشتى الطرق.

وجاء خلاص كريستين على يد مسلم هندي، تزوجته على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأشهرت إسلامها بعد أن غيرت اسمها إلى أمينة محمد كيرال.

وأمينة تحيا اليوم حياة زوجية آمنة مطمئنة، وتنعم روحها بالسلام والهدوء والسكينة، وقد أنعم الله عليها وعلى زوجها المؤمن بثلاثة ذكور أسمت أولهما محمدًا، وثانيهما عمر، والثالث عبدالله، وتحيا هذه العائلة المسلمة حياة سعيدة تملؤها المودة، وتحف بها الرحمة. وقد حرصت أمينة على أن تربي أولادها الثلاثة على قيم الإسلام وتعاليمه، يعاونها في ذلك زوجها، ليشبوا أقوياء العقيدة، مسلحين في حياتهم العملية بالإيمان الذي مادخل قلبًا إلا وزاده ثباتًا على الحق.

قصيدة

أصدقائي الصغار

د. غازي مختار طليمات

لا تصفّقْ من صَبْوةٍ يا جناحُ / لستَ ما كُنتَ، والرياحُ الرياحُ
فيك شوقٌ ترتدُّ دون مداه / ونزوعٌ إلى الصِّبا طمَّاح
كنتَ إذْ كنتُ أزغبَ الريشِ نَسْرًا / لا يُسامَى، وموجةً تجتاح
كنت تستصغرُ البحارَ، تراها / بِركًا من ضِفافِها تمتاح
وعلى الشمِّ، ليس يَثنيك عنها / عاصفٌ، كنتَ في الذرى ترتاحُ
فتهافتَّ مُذْ كبرتَ فأين الـ / ـعَدْوُ والنزوُ. أين أين الجماح؟
وتلوَّى مع الرياح ذراعـ / ـكَ، كما يلتوي بهن الوشاح
قيل: سيرُ الشيخ الهُوَينا صلاحٌ / والتنزّي رعونةٌ واجتراح
قلت: رُدُّوا صبايَ، ليس لدى الشيـ / ـخِ لشيءٍ غير الفناء صلاح
أطفأ الهمُّ روحَه، ورمادُ الشيـ / ـبِ واشٍ بيأسه فضّاح
كم توقَّرْتُ بين صحبيَ حتى / صرتُ وقرًا على الورى، لا يُزاح
يتنزّى الصغارُ حولي كأسما / كٍ. إذا راعَ سِربَها تمساح
أصدقائي الصغار، في كلِّ أرض / تحت أقدامكم جنانٌ فساح
ريُّها من خُطاكمُ لَمَساتٌ / مُمْرِعاتٌ فدربُكمْ أدواح
ما تدافعتمُ إلى الساحِ إلاّ / جاذَبتني إلى الزحامِ الساح
أصدقائي الصغارَ، ما أنا إلاّ / أنتمُ، ذابَ في الأصيلِ الصباح
وصباي النفورُ فرَّ إليكمْ / فامرحوا فيه، إنه نزَّاح
وخريفي ربيعُكم، عاد زهرًا / وهشيمي ريحانُكم والأقاحُ
كلُّ لَهْوٍ بعد الطفولة لغوٌ / كلّ شدوٍ بعد الشبابِ نواح
فارفلوا، واهزؤوا بكل وَقورِ / ما وقارُ الكهولِ إلاّ كُساح

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح بن فوزان الفوزان

التصوف مُبْتَدَعٌ

- صلاة الظهر يوم الجمعة أهي واجبة أم مستحبة؟

- هل صحت نسبة كتاب «الإمامة» لابن قتيبة؟

- هل للصوفية وطرقها المنتشرة حاليًا أصل شرعي في القرآن الكريم أو السنة النبوية؟

محمود بن تركي الداود
قرية جوباس - إدلب - سورية

من صلى الجمعة فإنه لايجوز له أن يصلي الظهر، لأن هذا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان. والجمعة هي فرض الوقت، أما من فاتته صلاة الجمعة أو لم يحضرها لمرض أو سفر أو عذر شرعي فإنه يصلي ظهرًا.

أما كتاب «الإمامة والسياسة» فهو لرجل شيعي اسمه ابن قتيبة، وليس لابن قتيبة السنى.

وفيما يتعلق بسؤالك عن الصوفية، فإن التصوف مُبْتَدَعٌ، وليس له أصل في دين الإسلام، فالواجب تركه والابتعاد منه، واتباع السنة في العبادات وغيرها.

اتباع الإمام

دخل شخص إلى المسجد والإمام في التشهد الأخير قبل السلام، والصف مكتمل، ماذا يفعل هذا الشخص، هل ينتظر أحدًا لكي يصف معه أم ينتظر بعد تسليم الإمام لكي يقيم صلاة جماعة أخرى!

عبدالإله بن محمد العسكر
الرياض - المملكة العربية السعودية

من دخل والإمام في الصلاة فإنه يدخل معه، ولا ينتظر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من جاء والإمام على حال فليكن معه على تلك الحال». والدين يحث على الاجتماع وينهى عن الفرقة.

النية عند الإحرام

أرادت إحداهن أن تهب عمرة لأخيها المتوفى، هل يجوز لها أن تنوي بتلك العمرة وهي في الكعبة بعد أن تكون قد أدت عمرتها - أي عن نفسها - .

فتحي خليل علي
الولاية الشمالية - السودان

النيابة عن الغير في الحج أو العمرة لابد أن تُنوى عند عقد الإحرام، فإن تأخرت عن عقد الإحرام فإنها لاتصح نيابة وتكون للمحرم.

نفقة الأقارب ليست زكاة

إذا قام الواحد منا بالإنفاق على أقارب له محتاجين، هل يمكن أن يعد ذلك زكاة مال؟

جاسم خلفان الحارثي
سلطنة عمان

لايجوز أن يحتسب نفقة أقاربه المحتاجين من زكاته؛ لأن نفقتهم واجبة عليه من ماله في هذه الحال، والزكاة لاتكون وقاية للمال من الحق الواجب فيه.

قضاء أم كفارة

كان عليّ قضاء ثمانية أيام من شهر رمضان ثم حملت وكان شهر رمضان موافق للشهر الأخير من الحمل، وبعد ذلك قضيت هذا الشهر، ولم أستطع قضاء الثمانية أيام الأولى من شهر رمضان الذي قبله، هل عليّ قضاء أم كفارة؟ وكيف يكون ذلك؟

سناء أحمد موسى
القاهرة - جمهورية مصر العربية

عليك قضاء الأيام التي من شهر رمضان الأول، ثم تقضين الأيام التي من شهر رمضان الجديد، وليس عليك إطعام لأنك معذورة بالتأخير.

سماع الموسيقى

لا تخلو المواد الإعلامية المفيدة كمقاطع الشعر، ونشرات الأخبار وغيرها من موسيقى تصاحبها.. ما حكم الاستماع إلى هذه الموسيقى أثناء إذاعة تلك البرامج؟

ممدوح إبراهيم صالح
طنطا - كفر عصام -
جمهورية مصر العربية

لايجوز الاستماع إلى الموسيقى والأغاني، وعلى من يريد سماع البرامج المباحة أن يغلق المذياع عند الموسيقى والأغاني.

على أسوار دمشق
بين الكيلاني وباكثير

أحمد فضل شبلول



«على أسوار دمشق» مسرحيتان نثريتان - من الأدب الإسلامي - للأديبين الراحلين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني. وأول ما يلفت الانتباه نحو هاتين المسرحيتين هو العنوان المتطابق تطابقًا كاملاً؛ فلماذا اختار الأديبان المتعاصران هذا العنوان المتطابق؟ ومن له السبق في اختيار هذا العنوان؟

إن التاريخ المدوّن في نهاية مقدمة المؤلفين يشي بأن الكيلاني هو السابق لكتابة مسرحيته، إذ كتبها عام 1958م. يقول الكيلاني «ومن يُمن الطالع أن أكتب هذه المسرحية وأنا نزيل بسجن القاهرة، ثم أقدّمها للقراء بعد أن خرجت إلى عالم الحرية في 25 نوفمبر سنة 1958»(1).

أما علي أحمد باكثير فيؤرِّخُ مقدمته بـ 15 ذي القعدة 1384هـ/ 18مارس 1965م.

وأعتقد أن باكثير - بصفته مهتمًا بالأدب المسرحي كان على علم بعنوان الكيلاني، وعلى ذلك فقد اختار العنوان نفسه ليطلقه على مسرحيته، وكان عليه أن يختار عنوانًا آخر ليكون هناك فارق بين العنوانين.

اختلاف الموضوع

هذا عن العنوان.. أما الموضوع، فيختلف موضوع مسرحية باكثير عن موضوع مسرحية الكيلاني.. فموضوع باكثير هو الفتح الإسلامي لدمشق في عهد عمر بن الخطاب، وقد كتب باكثير هذه المسرحية لتكون أول مسرحية في سلسلة الملحمة الإسلامية الكبرى عن عمر التي وصلت أجزاؤها أو مسرحياتها إلى 19جزءًا أو مسرحية(2).

أما موضوع مسرحية الكيلاني فهو كفاح مصر والشام ضد العدوان التتري في الأعوام (699 - 702هـ) «كما أنها تتعرض لوصف الصراع المذهبي والاضطراب السياسي والاجتماعي والعاطفي في تلك الآونة»(3).

الزمن الفني للكتابة

وعلى تقارب زمن كتابة المسرحيتين (1958- 1965م) فإن الزمن الفني لكتابتهما يبتعد زهاء ستمائة وتسعين عامًا، إذ نرى البطولات العربية والإسلامية المبذولة من أجل الفتح الإسلامي الميمون في مسرحية باكثير، في حين نرى العكس في مسرحية الكيلاني. نرى المسلمين يحاولون أن يصدوا هجومًا تتريًا من جهة الشرق.. بعد أن تكالبت عليهم الأمم.. وصارت أراضيهم مرتعًا خصبًا لجنون القادة الغزاة من كل لون وجنس.. نرى الفُرقة والاختلاف والتمذهب ومعاونة المعتدي والتشكيك والصراع على السلطة الذي يطيح بأمجاد الوطن العربي والإسلامي مع الجهود المبذولة من قبل المخلصين والأوفياء لله وللدين وللوطن من أمثال: أحمد بن تيمية وأخيه شرف الدين والتاجر المصري إبراهيم في مسرحية الكيلاني.

القصد من وراء الكتابة

لئن كان القصد من وراء مسرحية باكثير هو إبراز جوانب البطولة عند عمر بن الخطاب فضلاً عن حنكته السياسية ودهائه واهتمامه بشؤون المسلمين واهتمام أبي بكر الصديق بتوليته على

المسلمين قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، واجتماع الصحابة على ذلك.. ثم إبراز بطولات خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم من المسلمين في أثناء فتح دمشق.. فإن القصد من وراء مسرحية الكيلاني هو تأكيد ضرورة الوحدة بين مصر وسورية (ولنتذكر تاريخ كتابة المسرحية) وذلك لدفع الأخطار الخارجية ـ وبخاصة الخطر الإسرائيلي ـ ويبدو أن انفعال الكيلاني بخبر الوحدة ـ ورغبته في التصالح مع نظام الحكم في ذلك الوقت ـ على نحو سيأتي تفصيله فيما بعد ـ هو الذي جعله يفكر في كتابة هذه المسرحية متخذاً من أحداث الزمن الماضي مرآة للزمن الحاضر.. فقام باستدعاء الشخصيات التراثية واستدعاء التاريخ لإنطاقه بما هو كامن فيه وبما يتطلع إليه من شوق ورغبة في إعلان الوحدة العربية الشاملة.

يقول شرف الدين في المسرحية: «ما أجمل أن يمتزج شذا النيل بأنسام بردى»(4) ويقول ابن



نجيب الكيلاني



غلاف الكتاب

تيمية: «نريدها وحدة حقيقية بالمعنى الشامل الصحيح»(5)

المشاهد والفصول

وقعت مسرحية باكثير في عشرة مشاهد، بالإضافة إلى مشهدين في البداية بعنوان «الفاتحة» عرض فيهما المؤلف لمرض أبي بكر الصديق واستدعائه لعمر بن الخطاب وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختيار عمر خليفة له وإجماع الصحابة والمسلمين على هذا الاختيار.

أما مسرحية الكيلاني فوقعت في خمسة فصول، وكُتب على غلافها «مسرحية تاريخية من خمسة فصول».. ولكننا نرى أن الفصل الخامس يعدّ بأكمله فصلاً زائداً على المسرحية، ولو تم حذفه لما تأثر البناء المسرحي كثيراً.. ويبدو أن هذا الفصل تمت كتابته لأغراض سياسية تتعلق بتأكيد ضرورة الوحدة بين مصر وسورية ـ وإن كانت فصول المسرحية كلها تؤكد ذلك ـ ومع أن أحداث المسرحية توحي بأن أحلام التتار ومطامعهم قد تحطمت على أسوار دمشق، فإن المؤلف يعود ليؤكد ذلك في عبارة مباشرة وصريحة على لسان الفتى محمد (تلميذ ابن تيمية) قرب نهاية المسرحية فيقول: محمد: سيقول الناس في غد إن أحلام التتار ومطامعهم قد تحطمت على أسوار دمشق(6).

إننا نرى في هذا الفصل الخامس استشهاد التاجر إبراهيم المصري على أسوار دمشق من أجل العروبة والإسلام مع إخوانه (الأحرار).

إبراهيم: (بعد أن يشرب) الحمد لله.. ما أعظم.. أن.. يقال .. إن إبراهيم المصري .. قد مات شهيداً.. على أسوار دمشق.. من أجل العروبة والإسلام.. مع إخوانه الأحرار (7).

وكما نرى فإن العبارات والمواقف ـ في هذا الفصل ـ مفتعلة وزائدة على المسرحية فلو لم يستشهد إبراهيم لما حدث شيء في بناء المسرحية.. ولكن رغبة المؤلف في تأكيد أحداث معينة بغرض توصيل الفكرة التي تسعى المسرحية إلى تثبيتها في الأذهان أوقعه في التطويل والتزيّد في القول، فأضاف فصلاً كاملاً لم يكن البناء في حاجة إليه بل أسهم في تحويل العمل من الإيحاء الفني إلى المباشرة والتسطيح في التناول.

الشخصيات الجاهزة
وفن إدارة الحوار

وفيما يتعلق بالشخصيات.. فإننا نراها في مسرحية باكثير شخصيات جاهزة تماماً ومنتزعة من فجر التاريخ الإسلامي، وأبعادها النفسية والواقعية معروفة للجميع من خلال كتب التاريخ والتراجم والسير، ولم يحاول المؤلف إعطاءها أي أبعاد جديدة، كما أنه لم يحاول إجراء عملية الإسقاط النفسي أو السياسي على الشخصية أو العصر الذي يتحدث عنه، لذا فإننا لم نر أي جديد تأتي به هذه الشخصية أو تلك سواء في الحوار أو اللغة أو الرؤية، بل إننا نقرأ عبارات كاملة وكأنها منتزعة من بطون الكتب أو المراجع أو ممن ألفناه عن الشخصية المسلمة في ذلك الوقت، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب في ردّه على أبي بكر: عمر: يا خليفة رسول الله.. إن ابن الوليد لسيف من سيوف الله كما نعته بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لا يصلح أن يكون أميراً على المسلمين، وفيهم أبو عبيدة وأضرابه(8).

وكل ما في الأمر أن المؤلف حاول ببراعته المعهودة في التأليف المسرحي إدارة دفّة الحوار الجاهز على لسان شخصياته الجاهزة.. ومن هذه الشخصية حسب ظهورها في المسرحية (أسماء بنت أبي بكر، أبو بكر، عمر، عبدالرحمن بن عوف، عثمان بن عفان، أسيد بن الحضير، طلحة بن عبيد الله، سعيد بن زيد، عائشة بنت أبي بكر) في «الفاتحة»، أما في المشاهد التالية فنرى (أبان بن سعيد وزوجته أم أبان بنت عتبة (أخت هند بنت عتبة)، شرحبيل، رومانوس، خالد بن الوليد، عكرمة، القعقاع، أبو عبيدة بن الجراح، الزبير، هرقل، تيودور، عاتكة (زوج عمر)، حفصة (بنت عمر). وبالإضافة إلى هذه الشخصيات قدمّ المؤلف شخصيات مسيحية مثل (يونس، مارجريتا، يودوقيا، توماس) وذلك من خلال قصة حب جمعت بين قلبي يونس ويودوقيا، ولكن يرفض الأب توماس تزويج المسلمين بعد أن تم القبض عليه، ويقول خالد بن الوليد:

خالد: يا فتى ما أراك إلا صادقاً، وقد وعدتك أن أطلق سراحك، فاذهب حيث شئت(9).

شخصيات جديدة

أما الكيلاني فنراه يمزج في مسرحيته بين الشخصيات التاريخية الجاهزة والشخصيات المخترعة أو الجديدة، ومن شخصياته التاريخية أحمد بن تيمية الذي يقدمه لنا بقوله: «أبرز علماء عصره، ومن حملة السيف والقلم، لعب دوراً خطيراً في حروب التتار (699 – 702 هـ) وهو رجل في الثامنة والثلاثين» (10) ونضيف «إن تقي الدين أبا العباس أحمد بن تيمية الحرّاني (661 – 728 هـ/1263–1328م) فقيه ومتحدث، ومتكلم وناقد محقق ولد بحرّان.. وفرّ أبوه من عسف المغول، ولجأت أسرته إلى دمشق، وفيها أقبل أحمد على العلوم الإسلامية يحصّلها، ولُقّب بمحيي السنة وإمام المجتهدين وهو ابن ثلاثين سنة ـ كان له خصوم كثيرون أرجفوا به لدى الحكام فسُجن بمصر والشام أكثر من مرة، له مصنفات وفتاوى قيمة

كبرى في تاريخ الحياة الدينية والروحية والعقلية الإسلامية، وهو يعد من ألد خصوم الصوفية» (11).

وبالإضافة إلى الإمام أحمد بن تيمية نجد قازان - قائد التتار في هجومهم على دمشق - وأيًا كان اسم القائد التتري فهو يمثل شخصية جاهزة تؤدي دورًا معروفًا سلفًا على عكس مساعده أو نائبه الذي يعاني من اضطرابات نفسية تجعله ينفذ أوامر القائد، ولكنه بينه وبين نفسه يرفض منطقه وشراسته وشراهته وتعطشه للدماء، ويُحسُّ أن له ضميرًا يعذّبه، يقول النائب بعد أن قتل قازان فتاة عربية جميلة رفضت أن تخضع له:

النائب: قتلها الطاغية الملعون.. قازان أيها الحيوان (في تأثُّر) لم أكن أحسب أنها تموت مثلنا، وعلى هذه الصورة البشعة (يتحسس وجهها وشعرها، ثم ينظر إلى الخنجر المغروس في صدرها وقد أغرورقت عيناه بالدموع): قتلها بخنجري .. ما كان أحرى بهذا الخنجر أن ينغرس في صدره هو.. (إلى أن يقول): يا لنا من ذئاب .. نريد أن ننتصر على أي شيء ونقهر كل شيء.. حتى الجمال.. أنا القاتل.. الآن أشعر أن هناك شيئًا اسمه الضمير...الخ(12).

ومن الشخصيات الأخرى التي قدّمها المؤلف لتثري العمل المسرحي شخصية إبراهيم المصري التاجر المصري الذي يتردد بين القاهرة ودمشق ونجلاء ابنته التي أحبت الفتى محمدًا - أحد تلاميذ ابن تيمية - والذي يُتوج حبهما في النهاية بالزواج على اعتراض الأب والأم في البداية نظرًا لرغبتهما في تزويجها لابن عمها (ويلاحظ أن نجلاء فتاة مصرية ذكية وجميلة، ومحمد فتى سوري وبطل من أبطال المعركة ضد التتار، وأن مسألة زواجها في نهاية المسرحية رمز للوحدة بين مصر وسورية). وقد بارك الأب إبراهيم زواج ابنته من محمد وهو على فراش الموت بعد إصابته في الحرب، يقول إبراهيم المصري لابنته نجلاء، وهو يودّع الحياة:

إبراهيم:... أريد.. أن.. أقـــول.. إن.. محمدًا.. كان.. بطلاً.. في المعركة.. وإني.. وإني أفخر.. به.. كزوج لكِ.. نعم الصهر محمد يا نجلاء..(13)

ويختتم المؤلف مسرحيته بهذه الزيجة السعيدة تتويجًا لجهود نجلاء ومحمد في المعركة وإخلاصهما لدينهما وعروبتهما، ولعلنا لاحظنا أنه يستخدم النقاط أو التنقيط بذكاء في العبارة السابقة حيث النقاط الموزعة بعد كل كلمة أو لفظة مما يدل على الإجهاد الذي يعانيه إبراهيم وهو على فراش الموت أو الشهادة.. كما يدل على طول المدة الزمنية التي يتحدث خلالها.. ولكنه عندما أعلن رغبته في مصاهرة محمد كان الإعلان حاسمًا وقاطعًا وسريعًا.. ولاتتخلله الوقفات الزمنية التي رأيناها سابقًا عن طريق التنقيط «نعم الصهر محمد يا نجلاء».

وبالإضافة إلى الشخصيات السابقة، هناك بعض الشخصيات التي أدَّتْ دورًا في تثبيت فكر ابن تيمية إما من طريق التأييد أو المعارضة.. فقد عرفنا من قبل أن ابن تيمية يناهض الشيعة والصوفية، لذا فإن المؤلف يفصِّل في عرض أكثر من شخصية تعارض ابن تيمية وأفكاره، ومنها أبو عوف الشيعي المتطرف مدبر المؤامرات ضد ابن تيمية، وعفان الصوفي الساذج، ولنقرأ هذا



علي أحمد باكثير



غلاف الكتاب

الحوار:(14): عفان.. ابن تيمية سيعيد سيرته الأولى في حربنا نحن الصوفية الذين لايعرفون غير الصراحة والحب والفناء في اللهّ.

أبو عوف: وسيجرد سيفه لكي يذبّح فينا نحن الشيعة الأبرياء.

جرجس: أخاف أن أقول أنا الآخر أنه لن يألو جهدًا في الانتقام منا بحجة معاونتنا للهجوم الصليبي.. إننا إذا ما شكونا وتظلمنا رمانا شيخكم بالتعصب والخيانة.

عفان: هذا دأبه دائمًا.. الحدة والمغالاة.

أبو عوف: والتعصب لرأيه لدرجة مخيفة.

جرجس: مستخدمًا سيطرته على العامة، ومنزلته لدى ذوي السلطان في الوصول إلى أغراضه الخطيرة.

عفان: عجيب أمر هذا الرجل.. إنه يدس أنفه في كل شيء.. في التصوف ومشاكل التوحيد.. ورواية الحديث والتاريخ.. والمعارك الحربية.

البطل في المسرحيتين

وإذا أردنا الوقوف عند شخصية البطل في كلتا المسرحيتين، فسيكون وقوفنا عند خالد بن الوليد في مسرحية باكثير، وابن تيمية في مسرحية الكيلاني، وعلى أن ملحمة باكثير عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلا أن بطل الجزء الأول من هذه الملحمة هو خالد بن الوليد الذي يملك الأمر والنهي ويضع الخطط العسكرية لفتح دمشق، يسأله القعقاع ويجيب خالد(15):

القعقاع: ولكن ما هي الخطة؟

خالد: سنصنع حبالاً كهيئة السلاليم، ونتخذ أوهاقًا ونهبط إلى الخندق وعلى ظهورنا القرب تساعدنا في العوم، ثم نرمي الأوهاق إلى الشرف الناتئة على السور، حتى إذا علقت بها تسلق أحدنا إلى أعلى السور فأثبت تلك السلاليم من الحبال، فرقيناها واحدًا بعد واحد، ثم انحدرنا إلى الباب فأثمنا من يحرسه من الجند، وفتحناه ليدخل سائر الجيش.

رافع: لله درّك يا أبا سليمان! هذه خطة لاتعرفها الجن.

خالد: فإني أوصيكم بكتمانها سرًا لايتعدانا نحن الخمسة.

الجميع: سنفعل يا أبا سليمان.

خالد: لا أدعكم حتى تحلفوا معي والله العظيم..

وإلى جوار خالد بن الوليد توجد شخصيات بطولية أخرى لعل من أهمها أبا عبيدة الذي كتم نبأ وفاة أبي بكر عن خالد، وعزل ابن الخطاب له، ريثما يتم فتح دمشق، يقول أبو عبيدة لخالد:

أبو عبيدة: إني وجدتك حينئذ تستعد لمطاردة الخارجين، فلم أشأ أن أكسر عليك حربك. وقد حاولت أن أثنيك عن تلك السرية لأتفق معك على الرأي في إعلان وفاة أبي بكر وتولية عمر، فقد كنت أخشى أن يبلغ عمر أننا لم نعلن ولايته للمسلمين فيغضب، فوقعت في حرج، واضطرت آخر الأمر إلى إعلان الأمر غداة مسيرك، ولكني لم أعلن حتى الآن خبر عزلك(16).

مفهوم البطولة عند ابن تيمية

أما في مسرحية الكيلاني فإن مفهوم البطولة عند ابن تيمية يتمثل في ردّه على قازان، يقول:

ابن تيمية: البطولة في أن تسالم وتبني، لا أن تدمر وتسفك (17).

إن قازان يرى صورة البطولة والشجاعة مرتسمة على وجه ابن تيمية قبل أن يتحدثا معًا، فعندما يدخل ابن تيمية على قازان ضمن وفد سوري (يدخل ابن تيمية شجاعًا رافع الرأس، بينما يرتعد باقي أعضاء الوفد)(18) يميل قازان على نائبه هامسًا ومشيرًا إلى ابن تيمية(19):

قازان: يبدو أن هذا الرجل شجاع.

النائب: يؤكد جواسيسنا من الشيعة وغيرهم أنه رجل خطير.

قازان: إن سيفنا يؤدب المارقين.. لكن..

النائب: لكن ماذا يا مولاي؟

قازان: هذا الرجل أشعر نحوه بالتقدير والعطف.

وهو في نظر خصومه من الشيعة والمتصوفة والمسيحيين شيخ ساحر لايهزم في مناقشة ولاتعوزه الحجة، ويحاول أن يخلق للعامة مكانة ودورًا في التاريخ وتغيير مجرى الحوادث ويسميهم صنّاع التاريخ وعلى كواهلهم تقوم كل حضارة(20).

انسحاب البطل

ويتفق المؤلفان على انسحاب البطل من المسرحية قبل نهايتها - ولكن بعد أن يؤدي دوره البطولي المؤثر - فينسحب خالد بن الوليد - عند باكثير - بعد نجاحه في فتح دمشق مع نهاية المشهد الثامن وإبان خبر عزل عمر بن الخطاب له، ويبدو أن هذا الخبر أصابه بشيء من التأثر وخيبة الأمل، يقول خالد(21):

خالد: لو شاء الله لأسلمت يوم أسلم عمر. إذن لكان لي اليوم شأن آخر.

أبو عبيدة: أي شأن تعني يا أبا سليمان.

خالد: لا تُلق لها بالاً يا أبا عبيدة، فإنما هي أمنية جالت ثم زالت، وإني لأحمد الله على ما أنعم، فقد كان يسيرًا على الله أن يميتني على الكفر كما أمات الوليد بن المغيرة وعمرو بن هشام بن المغيرة وإن كانا لعظيمين.

أما ابن تيمية فعلى الرغم من عدم ظهوره على خشبة المسرح ابتداءً من المنظر الثاني بالفصل الثاني، وبعد مقابلة قازان وقوله في نهاية المشهد: لننتظر ما يأتي به الغد.. الأمر لله من قبل ومن بعد» (22) فإن تأثيره في بقية الفصول والمشاهد يعد تأثيرًا طاغيًا، فهو موجود بأفعاله وأقواله وسيرته على خشبة المسرح وعلى لسان بقية شخوص المسرحية. وعلى سبيل المثال يقول أبو عوف (الشيعي) وعفان (الصوفي) وجرجس بالمنظر الأول بالفصل الرابع(23):

شخصيات مسرحية باكثير جاهزة، ومنتزعة من التاريخ الإسلامي، بينما حاول الكيلاني المزج بين الشخصيات التاريخية والشخصيات المخترعة

أبو عوف: لاجدال يا جرجس في أن ابن تيمية قد فرغ من مشاكله التي تتعلق بالتتار وسيتجه وجهة أخرى..

عفان: ابن تيمية يستطيع أن يشعل الحرب والشقاق في أكثر من جهة.

جرجس: لكن ماذا يقصد أبو عوف بقوله إن ابن تيمية سيتجه وجهة أخرى؟

وتدور أحداث هذا المنظر حول الكيد لابن تيمية ومحاولة التخلص منه، تقول المرأة(24):

المرأة: لم أقصد سوى العمل على التخلص من ابن تيمية.

أبو عوف: ابن تيمية.. هيه.. إنه مشكلة المشاكل.

المرأة: أراه قد استعصى عليكم علاجه.

أيضًا لايخلو الفصل الخامس والأخير من ذكر ابن تيمية على لسان شخوص هذا الفصل، ويُسدل ستار المسرحية على استشهاد التاجر إبراهيم المصري وهو يقول لابنته نجلاء وخطيبها محمد:

إبراهيم: نجلاء.. محمد.. سلام عليكما.. بلّغا ابن تيمية... تحياتي... (25) ولئن كان عدد صفحات المسرحية بلغ 148صفحة، فإن ابن تيمية ظهر أمامنا فيما يقرب من ثلث هذا العدد من الصفحات أي 48 صفحة تقريبًا، في حين خلت بقية الصفحات المئة - أي ما يقرب من ثلثي المسرحية - من ظهوره المادي أو الجسدي، وعلى ذلك فقد نجح المؤلف في الحفاظ على صورة بطله ماثلة أمام أعيننا طوال صفحات المسرحية.

البطل مجاهدًا في سبيل الله

إذا كان د. حسين علي محمد نظر إلى البطل في المسرح الشعري المعاصر من عدة زوايا هي: البطل متمردًا، والبطل مقاومًا، والبطل مغتربًا (26) فإننا نستطيع من خلال هاتين المسرحيتين اللتين نحن بصددهما - وهما مسرحيتان نثريتان - أن نضيف صفة جديدة للبطل في المسرح الإسلامي وهي: البطل مجاهدًا في سبيل الله، ولعل صورة خالد بن الوليد وصورة ابن تيمية في هاتين المسرحيتين تؤكدان هذه الصفة.

أما قابلية المسرحيتين للتمثيل أو الظهور على خشبة المسرح فنعتقد أن مسرحية باكثير غير قابلة لهذا الأمر بسبب شخوصها الذين هم في معظمهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الخلفاء الراشدين ومن أمهات المؤمنين، وهي شخصيات غير مسموح بتجسيدها أو تشخيصها فنيًا، في حين أن مسرحية الكيلاني من الممكن أن تمثل على خشبة المسرح حيث لايوجد مانع فني أو ديني من ظهورها، ولم أدر هل مُثلت - بالفعل - على المسرح إبان كتابتها أم لا؟

الجانب الشعري في المسرحيتين

ومن المعروف أن كلا المؤلفين شاعر، فعلي أحمد باكثير بدأ حياته الأدبية بفن الشعر، وله أكثر من ديوان ما بين مطبوع وما هو في انتظار الطبع، بل إنه بدأ حياته المسرحية بكتابة المسرحية الشعرية (27) كما أن لنجيب الكيلاني أكثر من ديوان شعري مطبوع (28). وعلى ذلك فإن الحوار المسرحي على لسان الشخصيات في هاتين المسرحيتين يفتقد إلى اللمسات الشاعرية أو الهمسات الشعرية، ولعل موضوع المسرحيتين فرض على المؤلفين لغته الخاصة الأقرب إلى اللغة الإخبارية منها إلى اللغة الإنشائية، فالمؤلفان يقومان بإخبارنا بأحداث الماضي في لغة تقريرية تبلغ أحيانًا مرتبة الوعظ والإرشاد، وأحيانًا أخرى مرتبة الجفاف الأدبي، ولم تساعد أجواء المناجاة والعاطفة التي شبّت بين محمد ونجلاء في

مسرحية الكيلاني على إضفاء اللمسات الشاعرية بين الجيدين، ولننظر إلى هذا الحوار بين الفتى والفتاة في أثناء انفرادهما الواحد بالآخر وفي معية الخادمة(29).

نجلاء: تكلم.. ماذا تريد أن تقول؟ لقد مرّ علينا عام كامل، ونحن هكذا جامدان كالحجر.. ماذا تنتظر؟ ألم تتفق معي على إنجاز الزواج استكمالاً لسعادتنا وديننا؟؟ هل تحدثت مع أستاذك ابن تيمية كي يفاتح أبي في الأمر كما وعدت؟؟

محمد (مكتئبًا): إن الحرب هي السبب في كل هذا البلاء.

الخادمة: صدقت يا سيدي.. لعنة الله على التتار.

محمد: ولم يكن من المستطاع أن نقيم أعراسًا والناس في مأتم.

نجلاء: (في حدة): تكلم كلامًا غير هذا.. إن الحرب قد انتهت ففيم المساومة؟

محمد: نحن في أعقاب الحرب.. وقد يكون ذلك أشد بلاء من الحرب نفسها.

نجلاء: لو كان الناس يسيرون على هذا المنوال لما تزوج أحد.

أيضًا حينما يلتقي الحبيبان في نهاية المسرحية تظل هذه اللغة الجافة قائمة بينهما (30):

محمد: إن عواطفي علم الله لم يهدأ لها أوار.. ماذا كنت أعمل عندما صدمني أبوك هذه الصدمة، وقطع عليّ خط الرجعة؟

نجلاء: لأنك كنت كسولاً ضعيفًا.

محمد: قالوا إن ابن عمك سيتزوجك والتقاليد لاترحم.

نجلاء: كان في إمكانك أن تفعل الكثير.. أن تعمل وتكسب وتبني مستقبلك.. ولا تيأس أبدًا، فأجد أنا ما يبرر تمسكي بك.. ولكنك قنعت بوضعك، وانطويت على نفسك باكيًا حزينًا، وأنا أكره القانعين الهاربين من سوق الحياة.

محمد: إنك تقسين عليّ.

نجلاء: بل تلك هي حقيقتك.

لغة باكثير أقل حدة

غير أن لغة باكثير تظل أقل حدة من لغة الكيلاني في مثل هذه المواقف العاطفية، ولنقرأ هذا الحوار بين يونس ويودوقيا(31):

يودوقيا: (تفتح عينيها) يونس أين نحن؟ وماذا نصنع هنا؟ (يلدغها الألم) آه آه قتلني أبي.. أبي قتلني.

يونس: سنعيش يا يودوقيا وتكونين لي وأكون لك.

يودوقيا: (تسعل سعلة شديدة) هيهات يا يونس، انتهيت.

يونس: هل لك أن تجيبيني إلى طلب صغير؟

يودوقيا: تريدني أن أسلم مثلك؟

يونس: نعم، بحق حبنا الطاهر يا يوديقيا.

يودوقيا: وما الفائدة الآن؟

يونس: لعلنا نجتمع يا يوديقيا في الجنة.

يودوقيا: أَلَهُمْ جنة ولنا جنة؟ أليست جنة الله واحدة؟

يونس: أسلمي يا يودوقيا مثلي.

ويتذكر الكيلاني أنه شاعر وهو يكتب مسرحيته، فيقوم بنظم نشيد يقحمه على عمله المسرحي من دون مسوغ فني، ففي المنظر الثالث من الفصل الخامس تقوم الفتيات (سمية ونجلاء وليلى) بمداواة جنديين دخلا خيمتهن للحصول على معلومات عسكرية، وهددوا نجلاء بالقتل إذا هي لم تبح بما لديها من معلومات، ولكن محمد المكلف بحراسة خيمة الفتيات ومعه جندي آخر، ينقضّان على الجنديين ويغرسان خنجرين في ظهرهما فيتوسلان لمحمد أن يطلق سراحهما، ثم تنحني نجلاء على الجريحين

يتفق المؤلفان على انسحاب البطل من المسرحية قبل نهايتها، بعد أن يؤدي دوره البطولي المؤثر

وتتفحص جراحهما وتناشد الفتاتين مساعدتها في مداواة جرح الجنديين وتنظيفه، ويعد هذا الفعل من المفارقات الغريبة في هذا المشهد، ويبدو أن المؤلف أراد بهذا الصنيع أن يُظهر كرم العربي وشهامته وخاصة عندما يكون منتصرًا، وفي عزّ انشغال الفتيات بمداواة الجنديين يترنم بهذا النشيد(32):

يا شباب العرب
جاء يوم النضال
يا فخار الحقب
يا أسود النزال
احفظوا التاريخ وضاء الجبين
وابذلوا الروح فدى الحق المبين
نحن شعب الخالدين
من قديم الزمن
عزمُنا عزمُ مكين
لا نبالي بالمحن
في ثرانا أنبت الله السلام
فبعثنا النور في دنيا الظلام

أما باكثير فهو يورد عدة أبيات شعرية في أماكن مختلفة من المسرحية، ولكنها ليست من نظمه، كما فعل الكيلاني، وإنما مستقاة من التراث العربي، وبما يلائم الموقف المسرحي ففي المشهد الثالث يعقد خالد بن الوليد اجتماعًا مع خاصة رجاله ويطلب من القعقاع أن ينشده شعرًا فيقول القعقاع(33):

القعقاع:

للهِ در رافع أنّى اهتدى
فوّز من قراقرٍ إلى سوى
خمسًا إذا ما سارها الجيش بكى
ما سارها من قبلة إنسٌ يُرى

خالد: ولكني يا قعقاع أقول:

لا درّ در رافع أنّى ثوى
بباب جلّقٍ على غير جدًى

رافع: وماذنبي أنا يا أبا سليمان؟

أيضًا يجري على لسان عائشة بنت أبي بكر بيت من الشعر عندما تلاحظ أن أباها يثقل لسانه ويدخل في السياق فيقول: الله الله! اللهم اغفر لي وتب عليّ، تقول عائشة(34):

عائشة: (تتمتم والدموع في عينيها):

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجتْ يومًا وضاق بها الصدر

وكما نرى فإن هذه الأبيات تناسب الموقف الذي قيلت فيه وتخدم الغرض العام الموضوعة من أجله.

صورة الآخر في المسرحيتين

وإذا أردنا أن نتعرف صورة الآخر في هاتين

على أسوار دمشق
الكيلاني وباكثير

المسرحيتين، فسنرى أن مسرحية باكثير تدور حول حصار مدينة دمشق لفتحها، ويرى خالد بن الوليد - أمير جيوش الشام - مقيمًا - في المشهد الثاني - في خيمته أمام الباب الشرقي من أبواب دمشق(35) وعنده رومانوس - أحد جنود الروم الذين أشهروا إسلامهم - وقد جدَّ الروم في البحث عنه ورصدوا مكافأة لمن يأتيهم برأسه، وقد كان متعاونًا مع خالد في وضع خطة محكمة لفتح دمشق. وبالإضافة إلى رومانوس رأينا الفتى يوسف المسيحي الذي تم القبض عليه ثم أطلق سراحه عندما عرف القائد خالد أنه لايتجسس على معسكر المسلمين وأنه كان يود الفرار من دمشق مع حبيبته يودوقيا لأن أباها يرفض تزويجها منه، يقول الفتى:

الفتى: ... ولكن الفتاة تحبني وأنا أحبها، وقد تعاهدنا في كنيسة مريم العذراء وأمام تمثالها المقدس، ألا يتزوج أحدنا إلا من الآخر حتى نموت(36).

وبالإضافة إلى يوسف ويودوقيا اللذين أعلنا إسلامهما يوجد توماس أبو الفتاة وأمها مارجريتا الحائرة بين زوجها وابنتها، فضلاً عن هرقل ملك الروم والقائدين تيودور وباهان ومارتينا - زوجة هرقل - التي تجبره على الرحيل إلى أنطاكية بعد أن عرفوا بنجاح المسلمين في فتح دمشق بقيادة خالد بن الوليد وإخفاق جنود الروم في صد الزحف الإسلامي على المدينة.

أما عند الكيلاني فإن الأعداء هم التتار «فئة من الرعاع المتبربرين يدوسون على كرامتنا بكل احتقار»(37) أخذت تسلب وتنهب وتظهر بـ «أبشع مظهر للحيوانية المجنونة»(38) وليس التتار وحدهم هم الأعداء ولكن ظهر إلى جانبهم طوائف من «الشيعة المقيمين في الجبال خارج دمشق»(39) وبعض المتصوفة وبعض المسيحيين الذين يتمنون زوال الإسلام، والذين كانوا عونًا للصليبيين في هجومهم على المشرق العربي قبل هجمة التتار. والعدو الخارجي يتمثل في قازان قائد التتار، ونائبه وطبيبه، غير أن المسوغ الفني لرحيل قازان عن دمشق - بالسرعة التي رأيناها في المسرحية - لم يكن قويًا. لقد قام قازان بجولة ميدانية سريعة في معسكره عاد بعدها ليقرر الرحيل عن دمشق، فهل إحساسه بعدم مناعة جيشه أو تمرده وترهله وتعبه وضعفه هو الذي أجبره على الرحيل، أم إن حديث ابن تيمية معه كان له صداه العميق في نفس قازان - وإن كنا نستبعد ذلك - أم خوفه من الهزيمة والفرار على أبواب مصر وعلى أسوار دمشق، وظنه أن جيش العرب مازال قويًا؟ يقول قازان(40):

قازان: لقد نما إلى سمعي أن الهمس والتمرد منتشر بين الجنود

النائب: إنه مجرد نوع من القلق لطول المدة وعدم قيام معركة جدِّية

قازان: (صاخبًا) إنك تحاول خديعتي

النائب: كلا يا مولاي.. إن جنودنا أعظم جنود العالم طاعة ونظامًا وشجاعة

قازان: (مهددًا) إني أعلم كيف أؤدب هؤلاء الكلاب النجسة بسيفي.

التعاون بين مصر والشام

وأخيرًا.. يبدو أن نجيب الكيلاني كتب تلك المسرحية وهي الوحيدة من جنسها فيما ألف من أدب شمل الشعر والقصة والرواية والدراسات الأدبية - ليصالح بها النظام الحاكم وقتها (41) ويمجِّد الوحدة بين مصر وسورية عام 1958م، ذلك أنه دخل السجن في بداية عهد جمال عبدالناصر، فكتب مسرحيته تلك واختار لقب السلطان الناصر ليكون لقب حاكم مصر زمن أحداث المسرحية (42) يقول في مقدمته «ومن يُمن الطالع أن أكتب هذه المسرحية وأنا نزيل بسجن القاهرة، ثم أقدمها للقراء بعد أن خرجت إلى عالم الحرية في 25 نوفمبر سنة 1958»(43).

الخذروف وخيوط الحياة

أما علي أحمد باكثير فقد كتب مسرحيته تلك لتكون جزءًا من تسعة عشر جزءًا في بنائه المسرحي الضخم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه «الملحمة الإسلامية الكبرى» ليمجِّد بها عمر ويشرح من خلالها رسالة الإسلام إلى العالم بطريقة فنية ربما تكون أكثر تأثيرًا من العديد من المؤلفات التاريخية وكتب السيرة والتراجم، وقد قام المؤلف بتوظيف لعبة الخذروف توظيفًا جيدًا واتخذ من خيوطه رمزًا لخيوط الحياة، حيث تبدأ المسرحية بسؤال الصبي - محمد بن أبي بكر - عن خذروفه (44):

الصبي: يا أمه، أين خذروفي يا أمه؟

أسماء: (بصوت خافض) صه.. اسكت ياغلام، لاتزعج أباك من نومه

الصبي: أين وضعت خذروفي! أسماء: خبأته

الصبي: أ لأنَّ أبي مريض تمنعينني من اللعب؟

أسماء: نعم

الصبي: لن ألعب في البيت.. سألعب في الطريق

وقبل أن يلفظ أبو بكر أنفاسه الأخيرة يدني محمدًا منه ويسأله عن خذروفه (45):

أبو بكر: أين خذروفك فإني لا أراه معك؟

محمد: تقطعت خيوطه فلم يعد يدور - قلت لأمي أصلحيه لي فأبت. هل آتيك به يا أبت لتصلحه لي؟

أبو بكر: (يثقل لسانه ويدخل في السياق) الله الله! اللهم اغفر لي وتب عليّ

محمد: هل آتيك به لتصلحه لي؟.

الهوامش

(*) على أسوار دمشق، نجيب الكيلاني، القاهرة: مكتبة دار العروبة د. ت (150صفحة)، على أسوار دمشق، علي أحمد باكثير.. الملحمة الإسلامية الكبرى - عمر - القاهرة: مكتبة مصر، د. ت (120صفحة).

1- الكيلاني، ص3.

2 - انظر الغلاف الخلفي لمسرحية باكثير.

3 - 7- الكيلاني ص 3، 72، 25، 145، 147.

8 - 9- باكثير، ص 10، 62.

10- الكيلاني، ص 5 .

11 - انظر، الموسوعة العربية الميسرة، مج1، ص 12، القاهرة: دار الشعب ط 1407هـ- 1987م.

12- 14- الكيلاني، ص 64 - 65، 147، 98 - 99.

15 - 16- باكثير، ص 66، 97.

17 - 20 - الكيلاني، ص 43، 40، 41، 99.

21 - باكثير، ص 99.

22 - 25 - الكيلاني، ص 48، 97، 109، 148.

26 - انظر، البطل في المسرح الشعري المعاصر، د. حسين علي محمد، كتابات نقدية 6، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة 15 يناير 1991م.

27 - انظر مقالنا: علي أحمد باكثير رائد الشعر التفعيلي، مجلة الفيصل، ع 220، مارس 1995م شوال 1415هـ، ص ص 100-102.

28 - انظر قائمة مؤلفات الكيلاني الملحقة بالكتاب ص 149، 150.

29 - 30 - الكيلاني، ص 78- 79، 144- 143.

31 - باكثير، ص 92 ، 93.

32 - الكيلاني، ص 139.

33 - 36- باكثير، ص 64، 39، 55، 61.

37 - 40- الكيلاني، ص 8، 9، 10، 48، 49.

41 - انظر قائمة مؤلفات الكيلاني الواردة بنهاية الكتاب ص 149، 150 حيث يلاحظ وجود قصة عنوانها «في سبيل الحرية» وقد كُتب أمامها «القصة التي بدأها الرئيس جمال عبدالناصر عام 1935م وأكملها المؤلف عام 1958م وهي تصور أحوال مصر إبان حملة فريزر الإنجليزية على رشيد».

42 - مما يذكر أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون (1285 - 1341م) حكم مصر وسورية زهاء 32 سنة، وهي المدة نفسها التي عاش فيها ابن تيمية (1263- 1328م) لذا فقد كان المؤلف بارعًا في اختيار العصر الفني الذي نسج فيه مسرحيته، وكان ناجحًا في اختيار شخصيات هذا العصر.

انظر، الموسوعة العربية الميسرة مج 1ص 12، مج 2 ص 1816، 1817.

43 - الكيلاني، ص 43

44 - 45 - باكثير، ص 6، 39.

أنطون تشيخوف: حياته من مؤلفاته 1860- 1904م



محمد جميل فضلية

قرأت له قبل ثلاثين عامًا. وما تزال تلك النكهة عالقة بذهني .. شيء خاص جذبني إليه آنذاك، إنه ـ على الأرجح ـ الأسلوب وطريقة العرض والسرد، وملامح نبل إنساني.

حين تقرأ له لا تحس بظل الكاتب بين السطور. إنه مستتر كالنسغ في عروق الشجر. وهذا ما يضع تشيكوف في القمة الفنية القصصية.

وتخيلت أنه يشبه آلة تصوير متناهية الدقة والحساسية. يديرها ويحركها عقل مفكر. وكان هو ذلك العقل المفكر الذي ينقلها بين زوايا الدائرة، وتلتقط من هنا وهناك..

الدائرة هي الحياة والمجتمع. وقلب الدائرة هو تشيكوف الرائع المبدع. وبلا ضجة ينفعل العقل المفكر وراء الصور والأحداث.. يحلل ويشخص ويحتفظ بالنتائج في مختبره الذاتي الإنساني إلى حين.

تتكرر المحاولات وتتكاثر الصور على شكل قصص واقعية، تنسقها موهبة أصيلة فياضة، وقلم ساحر متواضع في أسلوب ذكي يمزج بين الجد والفكاهة.

كل هذا كان يشكل القاعدة التي انطلق منها تشيكوف. الكاتب الشاب الأنيق المبدع الوقور في كل شيء، وبلا غرور.

كتب على مدى أربعة وعشرين عامًا.. زمن قصير لا يساوي أكثر من عمر شجرة كرز زرعها في حديقة بيته بيديه.

أول أعماله الأدبية قصة قصيرة عام 1880م، قد تكون قصة: الصبيّ الشرير.. وآخرها مسرحية بستان الكرز عام 1904م.

ظهرت مؤلفاته المختارة في أربعة مجلدات.

المجلد الأول بين عامي 1880- 1886م، قدم له الكاتب مكسيم غوركي.

المجلد الثاني بين عامي 1887- 1891م، قدم له الكاتب فلاديمير كورولنكو.

المجلد الثالث بين عامي 1892 - 1903م، قدم له الكاتب ألكسندر كوبرين.

المجلد الرابع بين أعوام 1887 ـ 1904م، قدم له المخرج العالمي قسطنطين ستانلافسكي.

وتضم أعمال تشيكوف الدرامية التي كتبها في مراحل مختلفة مسرحيات الدب ـ النورس ـ الخال فانيا ـ الشقيقات الثلاث ـ بستان الكرز.

مؤهلات تشيكوف: شهادة في الطب، موهبة كتابية أصيلة مبدعة، ثقافة متنوعة. بالإضافة إلى ذلك أسلوب قصصي رائع متميز إلى درجة أنه أصبح قدوة تحتذى.

قال مكسيم غوركي: «لقد عاش أنطون تشيكوف حياته كلها على موارد روحه. لقد كان دائمًا صادقًا مع نفسه. كان حرًا داخليًا. وكان جميلاً في بساطته، فأحب كل ما هو بسيط حقيقي وصادق»(1).

القلم بدلاً من المبضع

هذا الصدق وهذا التحرر أوقفاه يومًا عند مفترق الطرق.. وهو في مقتبل العمر. عليه أن يختار بين الطب والكتابة... كلاهما علاج. وبلا تردد اختار طريق الكتابة عملاً أساسيًا. وانتصرت لديه الموهبة الأصيلة العميقة الجذور.. أمسك القلم بدلاً من المبضع منسجمًا مع ذاته، واثقًا من إمكاناته، وافتتح العيادة الكبرى!! وراح هو بنفسه يبحث عن الأمراض والمرضى.. وغرق في هموم البشر.. يحلل ويشخص

ولا يصف العلاج المباشر.. وأي علاج مباشر يفيد في أمراض اجتماعية مزمنة تأقلم الناس معها واستسلموا لها غير مبالين؟!

لجأ إلى تصوير الواقع بأمانة وإخلاص. ووضع الناس أمام صور واقعهم المؤلم المرير، والمضحك أحيانًا.

قال مكسيم غوركي: «كان تشيكوف يتمتع بفن اكتشاف الجوانب المبتذلة وإبرازها أينما كانت، هذا الفن الذي لا يمتلكه إلا شخص متشدد المطالب إزاء الحياة. وكان دائمًا قاضيًا قاسيًا حادًا للابتذال.

في الصبا يبدو الابتذال مضحكًا، ثم يحيط بالإنسان تدريجيًا، فيصبح مثل لافتة قديمة أكلها الصدأ» (2).

لقد أدرك تشيكوف حقيقة الابتذال على أنه آفة بشرية مزمنة. وهو أول الأمراض الاجتماعية التي صمم على معالجتها بعناد وإصرار من بداية أعماله إلى آخرها.

في قصصه يصف الحقارات بلغة الشاعر النبيلة؛ أي إنه في صميمه يحب البشر ويشفق عليهم، وقد رفض مسبقًا أن يمد يده إلى مبضع.. وكان مبدؤه هذا نابعًا من طبيعته الإنسانية؛ ويفهم أنه ليس بالسكين يُشفَى التافهون والمدمنون على الوضاعة والمبتذلون، والقانعون بلقمة عيش تُرمى لهم كالكلاب المشردة.

إذًا بأيِّ دواء أو علاج كان يفكر هذا الطبيب الاجتماعي؟!!

من البداية إلى النهاية كان لا يصف ولا يقترح.. واستمر على أسلوبه التصويري.. إنما كان يأمل.. أن يجد الناس علاجًا لأنفسهم بعد أن صوّر المرض وأبرزه لهم.

قال غوركي: «كان نقيًا في تواضعه، ولم يكن يسمح لنفسه أن يقول للناس فلتكونوا أكثر استقامة، بل كان يأمل عبثًا بأن يفطنوا بأنفسهم إلى حاجتهم إلى الاستقامة» (3).

ويتابع غوركي: «وفي كل قصة من قصصه، أسمع آهة خافتة عميقة من قلب حيٍّ إنساني حقًا، آهة إشفاق بائسة على الناس الذين لا يعرفون كيف يحترمون كرامتهم» (4).

«لم يدرك أحد بمثل هذا الوضوح والرهافة مثلما أدرك تشيكوف مأسوية تفاهة الحياة ولم يستطع أحد قبله أن يرسم للناس صورة مشينة وكئيبة لحياتهم» (5).

كان حبه للناس وإشفاقه عليهم يفرض عليه أن يعد الابتذال عدوه طوال حياته.

وهل غفر له الابتذال هذا العداء؟!

إذًا فالمعركة بينهما ميدانها واسع ومتشعب والصراع طويل، وما فكر بالانسحاب. كان صيادًا للتفاهة، والأداة قلم حاد رصين، ولكنه حزين حزنًا خفيًا.

قال غوركي: «كتب تشيكوف في إحدى رسائله: ليس هناك ما هو أكثر مللاً ولا شاعرية من الصراع العادي في سبيل البقاء، والذي يحرمك من بهجة الحياة ويدفع بك إلى الكآبة» (6).

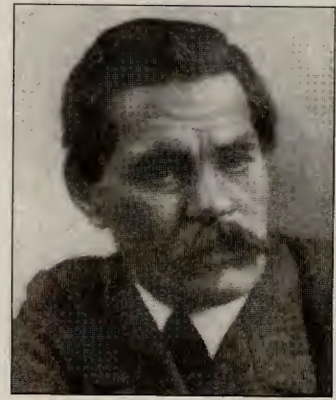
هذا ما كان يحزنه ويحز في نفسه. وينخره ببطء شديد. ويقول تشيكوف: «هذا أنتم. افهموا أنفسكم».

تلك كانت موعظته الوحيدة الفريدة، واللافتة التي لم يأكلها الصدأ.

لم يكن تشيكوف منبريًا ولا خطيبًا.. كان معلمًا في مدرسة اسمها المجتمع.. ولا يملك إلا القلم..!!

وماذا تنفع الموعظة. وأغلب الناس أسقطوا رؤوسهم في المعالف يعيشون ليومهم فقط. وما فتيء يبحث عن العلاج!!.

قال غوركي: «بالنسبة له كانت المآسي تختبيء تحت طبقة سميكة من الواقع العادي. وعندما تحرر من مشاغل رؤية الناس الشباع.. عندها فقط نظر ببصر ثاقب إلى جوهر المآسي وأدرك أهمية العمل كأساس للثقافة» (7).



مكسيم غوركي

كان حياده الفكري يتطور بين مرحلة وأخرى في حياته الفكرية. وتحول من مصور لاقط إلى معلق ومقترح... لقد أدرك أهمية العمل، هذا الإدراك نقله من مرحلة الأمل إلى مرحلة الاقتراح. ولكن بحذر شديد من دون حماس وبأسلوب الإيحاء...

وشمل التحول طبيعته الفرحة المرحة... وأصبح الضحك غلافًا لمشاعره وأفكاره الحقيقية الحزينة؛ إذ أصبحت انعكاسًا لواقع مرير.

قال فلاديمير كورولنكو: «أتذكر الآن أنني أحسست في تعابير وجهه آنذاك وفي حركاته نوعًا من الازدواجية» «لحظة طمأنينة وسعادة على عتبة دراما توشك أن تبدأ» (8).

«أما الآن فقد حدث تحول مفاجيء في هذا المزاج الصافي» (9).

«لأول مرة ظهر ذلك في مزاج تشيكوف عندما كتب أول مسرحية» (10).

«وللحقيقة لم يكن في إيفانوف (بطل أول مسرحية) تلك التلقائية الخالية البال التي كانت تبدو في مؤلفات تشيكوف السابقة. لقد شدّت دراما الحياة الروسية إلى دوامتها الواسعة ذلك الكاتب الذي خرج إلى ساحتها. وبدا واضحًا أن روح اتجاه جديد ظهرت في مؤلفاته. وبدا محسوسًا أن الكاتب يهاجم شيئًا ما ويدافع عن شيء آخر» (11).

أعمال جديدة عبرت عن مزاج تشيكوف الجديد.

وهي: عيد ميلاد ـ الأضواء (وقد تعقد المزاج فيها إلى حد كبير). والأرجح أنه ازداد قتامة وحزنًا وتشاؤمًا.

ثم مجموعة قصص متنوعة: في الغسق ـ أناس متجهون. ثم قصة: العنبر رقم 6؛ ذلك العمل المذهل. وبات واضحًا للجميع هذا التحول المفاجيء.

رأى وانفعل ودفع أكثر مما يجب!!

هذا الكاتب كان منذ زمن يتعامل مع الحياة بالضحك، والذي كان بلا هموم، أحس بنفسه فجأة متشائمًا عندما دقق النظر إلى أعماق الحياة.

لقد رأى أكثر مما يجب.. وانفعل أكثر مما يجب. وهو الآن يدفع أكثر مما يجب؛ لأنه كان يسعى إلى الأفضل عن طريق الكلمة، وما كانت كلمته إلا شمعة ضعيفة في كهوف التخلف المزمن. وسيطر على كتاباته الأخيرة إحساس حزين بدنو النهاية؛ وغاب بالتدريج تشيكوف الفرح المرح. وظهر تشيكوف الجديد القلق المريض الحاد المزاج، وراح يأمل، ويلوح هذا الأمل كقباب الصوامع في مدينة بعيدة غارقة في بحار الضباب. ويقول في شاعرية حزينة:

أسفًا. في هذا العهد الرائع.

لن يكتب لي أو لك أن نحيا.

في هذه المرحلة بدأت تظهر على تشيكوف أعراض إرهاق نفسي شديد. ربما كانت متزامنة مع أعراض المرض. ولكن من يستطيع أن يحدد مدى الدور الذي أداه ذلك الحزن العميق في مرض تشيكوف. هذا الحزن الذي جرت على خلفيته كل العمليات الروحية...

ويتساءل فلاديمير: «هل صحيح أنه في الضحك الروسي شيء مشؤوم؟!! (12).

مراحل حياته الأدبية

شبهوه بسنديانة فتية خضراء يانعة متشعبة الفروع. وتمر السنديانة الفتية في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: ويمكن أن نسميها مرحلة استطلاع وجس نبض. وبدأت بعض قصص تحت اسم مستعار - أنطوشا تشيكونتي - ونشرت بعضها إحدى المجلات الفكاهية. إلى أن عرف القراء اسمه الحقيقي..

المرحلة الثانية: وهي الأهم في حياته الأدبية. وقد آلت إليه فيها الشهرة ووقف على أرض ثابتة، ودخل في هذه المرحلة حلبة الصراع الحقيقي، ورسم الناس بصدق لا يرحم سقوطهم في الابتذال والتفاهة والوضاعة. وظهر تشيكوف وحيداً في المعركة التي بدأها وحيدًا لا ينتمي إلى مجموعة أو حزب. لم يسانده أحد ولا يعتمد على أحد. وأعتقد أنه في نهاية هذه المرحلة لم يضحك أبداً. وقد تضافر الألم النفسي مع الألم الجسدي، وجثما على صدر هذا الكاتب المتوحد، المتحفظ في كل شيء والكتوم.

لم يكن يبوح لأحد بانطباعاته. وكذلك لم يكن يبوح عما ينوي أن يكتبه. وكان يحافظ على كنوزه في نفسه. ولم يعط قلبه لأحد. وكان يحدث ذلك من دون إرادة منه، وهذه إحدى خصائص موهبته وطبيعته.

المرحلة الثالثة: كانت استمراراً لسابقتها ولا تختلف عنها، إلا أن تشيكوف كان فيها أقرب للموت، أي كانت بداية النهاية لحياته العضوية. وزمن إبداع الفكر التشيكوفي الحقيقي المكتوم.

وأحس فيها أنه قد آن الأوان للخروج من قوقعة التأمل إلى ساحة الأمل.. ولكن واقع مجتمعه لم يسمح لهذا الأمل أن يتحقق!!.

قال ألكسندر كوبرين: «عندما أفكر في سنوات حياة تشيكوف الأخيرة وفي أيامه الأخيرة أتذكر لا إراديًا هذا القول المأثور: موت الإنسان يشبهه.. بل إن القدر أضفى بمنهجية مشؤومة على جنازة تشيكوف كثيراً من الملامح التشيكوفية المحضة» (13).

تحمل المرض طويلاً بشجاعة، ولكنه مات ببساطة كما عاش ببساطة..

نعته أمه وهي تخاطب فلاديمير بقولها:

انظر أية بلية أصابتنا، انطوشا راح.

يا لهذا العمق المذهل للكلمات العادية البسيطة التشيكوفية حقًا.

لم يفلسف تشيكوف الحياة أبداً، ولم يعطه القدر عمراً أطول ليفعل هذا. ولكن مآسي الحياة التي صورها وأبرزها وكتب عنها ومات بسببها، نسجت حوله هاله فلسفية حزينة رقيقة شفافة، ظهرت تحتها تلك المآسي، كأنها قاع البحر الموحل القبيح المعتم في أوقات صفاء الماء البلّوري..

وكان الرأي أن تشيكوف كاتب كلاسيكي من الطراز الأول، لأن كل كلمة في مؤلفاته لها رائحة التراب والعفن ،الرطوبة وبخور الموتى وأنين المرضى وصراخ المصروعين والسكارى.. وكل ما يندرج تحت كلمتي مأساة وملهاة.

لقد جذب الأنظار إليه من خلال هذه المعروضات في أسلوب ساحر.. لقد كان بارعًا في تعرية السلبيات. وكان أبرع حين غلفها بغشاء مضحك. فكانت ردة الفعل مخالفة لما كان ينتظر ويأمل. وفاتته حقيقة لم يفهمها، هي أن الجريمة والعقاب شيئان متلازمان، كالأبيض والأسود، والداء والدواء. كان يأمل أن يفهم الناس بالإيحاء!! هذه ثغرة يأتي تعليلها ضعيفًا.. بجواب غير مقنع.

هو مَن صوّر وأبرز وفضح.. وتصدى لأعمق سلبيات الشعوب وعرّاها وتركها من دون غطاء!!.

وقال: داروا عوراتكم.. لقد قتلته تلك العورات..

كانت أسلحته الموهبة والأسلوب الفذ والحس المرهف والفهم العميق للحياة

في البداية دخل تشيكوف ميدان القصة تحت اسم مستعار.. ولم يكن في جعبته الفكرية نظرية إصلاحية أو حتى التصور الإصلاحي، بدليل أن أسلوبه كان مجرد تصوير لواقع سيّئ وبصورة مضحكة. ثم تحول بعد ذلك إلى متألم. ولم يكن باستطاعته أن يقدم شيئًا إصلاحيًا مقنعًا. ومن خلال مؤلفاته لم تظهر أية بادرة أو حماسة لاقتراح نمط اجتماعي جديد. بمعنى أنه لم تكن لديه الأحاسيس الثورية، خصوصاً في مسرحياته التي عدّها صرخات عالية هادفة وانتظر أن يفهم الناس تلقائيًا، وكانت هذه أقصى طاقاته.

قال قسطنطين ستانلافسكي: «ولكن، ربما كان أسلوب تشيكوف في الكتابة والإبداع ناعمًا جداً بالنسبة للإنسان المعاصر. إن الطرق المعترف بها لتقديم الإنسان الثوري الطليعي على خشبة المسرح تتطلب احتجاجًا مسرحيًا مؤثرًا ونشيطًا، ومطالبة قوية. وهذا بالفعل غير موجود في مؤلفات تشيكوف» (14).

أما ما حققه فهو أن الابتذال والتفاهة انتقما منه وقتلاه!!.

لا يعيب تشيكوف أنه غير ثوري. ولا ينقص من قيمته الأدبية شيئًا. كاتب انطلق من ذاتية متحفظة مهذبة وقور متواضعة إلى أبعد الحدود.

كان يملك سلاحين أساسيين. هما الموهبة والأسلوب الفذ، بالإضافة للحس المرهف والفهم العميق للحياة. والسبب القوي الذي دفعه لمحاربة السلبيات إحساس إنساني رقيق صادق. كان يعرف قدراته، ويعرف بالمقابل حجم الواقع السيّئ.

لم يواجه هذا الواقع وجهًا لوجه بنفسية وسلاح المقاتل. ولم يهيّئ الاقتراح البديل المباشر. كان يمثل مرحلة استطلاع لا طليعة..

مات تشيكوف بمرض السل، وليس أبشع من موت طبيب بالسل، وإن لم يمت بهذا المرض فسيموت بمرض آخر هو الكآبة، وأظن أنه مات بالاثنين معًا..

وأتصور أن تشيكوف بكل تفصيلات حياته وتفصيلات حياة شعبه آنذاك يتضمنان مقومات حلم رومانسي بشري كبير، والغارقون في المآسي لهم الحق أن يحلموا بالخلاص. ولن يكون الخلاص إلا بسيف كلاسيكي وقلم رومانسي.. في هذا الوطن أو ذاك..

وقد حصل مع تشيكوف العكس تمامًا.. وتلك مشيئة قدر..

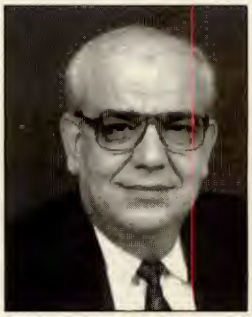
مزج تشيكوف بين الملهاة والمأساة. امتشق القلم بدلاً من السيف. وقد فعلها قبل ذلك حين تخلى عن المبضع.. ولنقطة ضعف أساسية في تكوينه جعل من القلم حصانًا غير جامح، حصان سيرك استعراضي، يتقن المهنة مثل أسلوب تشيكوف.

كل الحزن على تشيكوف هو في الحقيقة العميقة حزن على ذلك الحلم الرومانسي البشري الكبير الأبتر، ومن حسن الظن بتشيكوف أقول: لم يكن باستطاعته أن يكون إلا كما كان..

الهوامش

أنطون تشيكوف مؤلفات مختارة 4 مجلدات، ترجمة د. أبوبكر يوسف، الناشر: دار رادوغا - موسكو.
1- 7 مكسيم غوركي جـ1/11- 15-16-16-17-21-21 - 22
8 - 12 فلاديمير كورلنكو جـ 2/ 12- 13-18-18- 25.
13- ألكسندر كوبرين جـ 3/ 37.

مدرس لغة.. بين المد والجزر



محمد وليد سابق

كانت مدينتي ـ اللاذقية ـ أيام طفولتي وأول شبابي، مدينة هادئة ناعمة متواضعة، تستلقي في استرخاء على الشاطىء الجميل للبحر المتوسط، شتاؤها دافىء، وصيفها هادىء، والناس فيها طيبون، يتعاملون بعضهم مع بعض بثقة ومحبة ومودة. كان في الحياة ـ حينئذ ـ بركة وخير.. والناس يعرف بعضهم بعضاً.. يحس الواحد منهم بالآخر ويتعاطف معه في أفراحه وأتراحه.. وأكثر ما كان يميِّزها الهدوء الغالب عليها، وعربات الخيل التي تتنقل بين الأحياء والشوارع ونهرع لنركبها فرحين... وثمة سيارات قليلة العدد نسبيًا تسير في شوارع المدينة... والأهم من ذلك كله أن مدينتي المتواضعة لم تكن في تلك الأيام تحوي ماتحويه اليوم من الدراجات النارية التي باتت في يومنا هذا مصدر إزعاج للمقيم وللزائر على حد سواء... ولم تفلح جهود الكثيرين في كبح نمو عددها وتكاثره.

صحوت على الدنيا بشكل حقيقيّ يوم دخلت مدرستي الابتدائية التي كان اسمها «مدرسة الشهداء» وتقع في مكان غير بعيد من منزلنا... والتحقت بها في الصف الثاني الابتدائي متخطيًا الأول بعد امتحان أجراه لي مدير المدرسة ـ رحمه الله ـ، وبعد أن كنت قضيت سنتين في مدرسة الحضانة.. وأول ما أذكر من كلمات قالها مدير المدرسة لوالدي هي: «ولدك متفوق ويجب أن تتيح له المجال لمزيد من التفوق».

وصادف خروج المستعمر الفرنسيّ من بلادنا سنة التحاقي بالمدرسة الابتدائية، ولا يغيب عن ذاكرتي أبدًا منظر والدي ـ رحمه الله ـ حينما جاء في يوم وفتح باب المنزل، ثم دخل مناديًا لنا جميعًا وأتبع ذلك بقوله: «جئتكم ببشارة عظيمة.. اليوم يخرج الفرنسيون من بلدنا».. وهللنا جميعًا لذلك الخبر العظيم.. ويومها سهرنا جميعًا كبارًا وصغارًا نحتفل بالمناسبة الطيبة، ودامت سهرتنا حتى الفجر والسرور يلفّنا والفرح يغمرنا.

وكان أساتذتي في مدرستي الابتدائية من خير الأساتذة، أذكر منهم على وجه التحديد مدرس اللغة العربية في الصف الخامس.. وهو ما يزال حيًا إلى اليوم، وكلما رأيته بالغت في إكباره احترامًا وتقديرًا لفضله الذي أسبغه عليَّ بسخاء؛ إذ كان يلحظ اهتمامي الشديد باللغة وولعي بها.. وكان يطلب مني دائمًا أن أتولى شرح بعض الدروس لرفاقي ويبدي إعجابه بما أقوم به.. وذات يوم كان أستاذي ذاك قد أعطانا واجبًا منزليًا.. ولا أدري ما الذي أنساني أن أنجز ذلك الواجب، فغضب أستاذي غضبًا شديدًا وانهال بعصاه على يديَّ الصغيرتين بعشر ضربات شعرت بعدها بألم مبرح.. وقال لي أستاذي في سورة غضبه: «أنا أضرب المقصرين خمس ضربات ولكنني ضربتك عشرًا؛ لأن التقصير غير مسموح به لك أنت بالذات». وكان ذلك آخر عهدي بنسيان واجباتي المدرسية وبداية اهتمام شديد باللغة ما زال يلازمني حتى اليوم بعد أن شاب ماتبقى من شعر رأسي!

بدء الدراسة: وير ياطير!

مرت الأيام والتحقت بالمدرسة الإعدادية حيث كان أول عهدي بدراسة اللغة الإنجليزية التي كنت أتحفز لدراستها وأتشوق لذلك كثيرًا.. غير أن مدرس تلك اللغة في صفي لم يكن ـ مع الأسف ـ على المستوى المطلوب؛ إذ كان يقضي الحصة في إلقاء النكات والسخرية من هذا الطالب أو ذاك.. ولم يكن يُعنى بإعطائنا الدروس كما يجب.. وانتهى العام الدراسي ونحن لا نعرف من اللغة الإنجليزية إلا بضع كلمات كان أكثرها رسوخًا في أذهاننا ما كان المدرس يردده دائمًا لنا: «وير يا طير.. واظ يا عيواظ!»

غير أن أمر اللغة الإنجليزية تحسن في الأعوام

التي تلت، وبتُّ مولعًا أشدَّ الولع بها، وصممت على أن أتخصص لها حين أصل إلى مرحلة الدراسة الجامعية.. وهكذا كان.. بيد أني شقيت كثيرًا في سبيل ذلك... فبعد أن اجتزت المرحلة الثانوية بتفوق أراد بعض أهلي أن أعمل موظفًا في أحد المصارف، ولكنني رفضت ذلك بشدة مبديًا رغبتي الفائقة في متابعة دراستي بالجامعة. وعلى إلحاح الكثيرين، ومنهم والدي - رحمه الله - على أن أعمل، تمسكت بموقفي وقلت لوالدي: «لن أكلفك شيئًا.. وسأدرس على حساب الجامعة».

وكان ثمة مسابقة لاختيار تسعة طلاب من المتفوقين لتدريسهم في الجامعة على نفقتها وبراتب شهري مقطوع تدفعه. وتقدمت لتلك المسابقة وكنت - والحمد لله - الثاني بين التسعة الناجحين، وبدأت رحلتي في الدراسة الجامعية.

وأكثر ما أراه جديرًا بذكره خلال دراستي الجامعية هو نظام الامتحانات القاسي الذي كان يجري اتِّباعه حينذاك، وأذكر أنه كان على الطالب أن ينجح كتابيًا في ثلاث عشرة مادة، ثم يخضع لامتحان شفهي في المواد نفسها. فإذا لم يسعفه الحظ في امتحان شفهي لمادة واحدة رسب رسوبًا كاملاً وأعاد السنة برمتها! وكثيرًا ما أتساءل: تُرى، لو تم تطبيق هذا النظام على طلاب هذه الأيام فكم ينجح منهم!؟

وكنت في أواخر مرحلة دراستي الثانوية قد بدأت أجرّب قلمي في كتابة الأقصوصة والمقالة والشعر، وأعرض ما أكتبه على مدرس اللغة العربية، آنذاك، الذي كان يقرأ ما أكتب ويرى رأيه فيه. وكثيرًا ما قام بتمزيق ما أكتبه قائلاً: جرِّب مرة أخرى! ومازلت إلى اليوم أفعل ذلك؛ إذ أكتب ثم أمزق إلى أن أجد أن ما كتبته لا يستحق التمزيق.

أولى خطواتي في التدريس

تخرجت في الجامعة من دون أن أتعثر.. وعُيِّنت مدرسًا في بلدة صغيرة في محافظة حلب؛ ولما كان عمري إذ ذاك لا يتجاوز اثنين وعشرين ربيعًا؛ فقد كان عليَّ أن أثبت وجودي وأبني مكانتي منذ اللحظة الأولى، وإلا تعرضت للخسران المبين طوال عمري. وكان ذلك في فكري حين دخلت أول صف دراسي في عمري كله، ومرّت التجربة بسلام، وكان امتحانًا رهيبًا آخر تعرضت له، ولكنني استطعت بإرادتي أن أتخطاه بأمان. وذات ليلة من ذلك العام، فوجئت بباب منزلي الصغير يُقرع، ونظرت إلى ساعتي، وكانت قد تخطت الثانية عشرة، وفتحت الباب لأجد أمامي أحد طلابي الذي بادرني قائلاً: اسمح لي يا أستاذ أن أقضي هذه الليلة عندك لأن أبي قد ضربني وطردني من المنزل، فوجئت وقلت له: و ماذا فعلت ليطردك أبوك؟ قال: لأنه وجدني أقرأ وهو لا يريدني أن أتعلم ويريد أن أعمل معه؟ قلت: وماذا يعمل أبوك؟ قال: هو فلاح يا أستاذ! وأدخلته المنزل إلى أن هدأ، ثم ذهبت معه إلى والده الذي لم يكن بادئ ذي بدء راغبًا في استقبالي، وبعد جهد استغرق مني أكثر من ساعتين بين أخذ ورد، استطعت أن أقنع والده بالسماح له بمتابعة دراسته، ويومها شعرت بأنني قد حققت انتصارًا آخر!

وفي العام التالي نقلت إلى محافظة اللاذقية وتم تعييني في إحدى ثانويات البنات، وكان عليَّ يومها أن أواجه امتحانًا آخر؛ إذ كيف يتاح لهذا المدرس الصغير العمر الذي لا يزيد على ثلاثة وعشرين عامًا أن يقف بقدمين راسختين أمام مجموعة من الطالبات في سن المراهقة مع كل مايحمل ذلك من صعاب وحساسيات؟ وكان الامتحان صعبًا؛ إلا أنني - مرة أخرى - نجحت، فيه واستطعت أن أمضي عامين في تلك المدرسة من دون أية مشكلة!

من التدريس إلى الإدارة

أما قصتي مع الإدارة، فأكثر ما يبرز فيها هو ماشهدته بعد أعوام؛ إذ صرت مديرًا لإحدى إعداديات مدينة اللاذقية، وكنت جالسًا في مكتبي أمام باب الغرفة الذي يشرف على الممر المؤدي إلى باب المدرسة الرئيسي، وفجأة لقيت طالبين يتجهان صوب باب المدرسة وقد حملا حقيبتيهما، وكنا حينذاك في الحصة الثالثة، مما يعني أنه قد تبقى حصص ثلاث إلى نهاية الدوام، وقلت في نفسي: «لعلهما حصلا على إذن من الوكيل أو أمين السر». وما لبث أن تبعهما ثالث ورابع وخامس، وهنا أصبح الأمر مثيرًا للاهتمام، فأسرعت خارجًا من غرفتي، وناديت أحد أولئك الطلاب فجاء إليّ. سألته عن سبب توجهه إلى باب الخروج، فقال: «إن أستاذ التاريخ قال لنا إنه سيرسل إلى البيت كل طالب يجلس بهدوء!». وجنَّ جنوني وتوجهت إلى الصف الذي خرج منه أولئك الطلاب، فوجدت في طريقي اثنين آخرين أعدتهما معي إلى الصف، وقلت للمدرس إن ما يفعله خرق للنظام وخروج على قانون المدرسة، فأجابني إجابة وقف لها شعر رأسي - الذي كان غزيرًا حينذاك - إذ قال: «إن هذه خطة تربوية لتعويد الطلاب الجلوس بهدوء في الصف!!».

ولم أستطع - بالطبع - الإبقاء على ذلك المدرس في مدرستي، وتقدمت بتقرير إلى مدير التربية طالبًا التصرف، وكان ذلك آخر عهدي بذلك المدرس!

عود إلى التدريس

وفي العام التالي اختارتني وزارة التربية مع مجموعة من المدرسين للالتحاق بدورة لمدرّسي اللغة الإنجليزية تجرى في المملكة المتحدة، وهناك عرفت كيف ينجح المرء بتقيده بالنظام والمواعيد تقيدًا تامًا، وكيف ينعكس ذلك على حياته وعمله انعكاسًا إيجابيًا، وتعلمنا كثيرًا من وجودنا هناك، واتسعت مداركنا في ميدان اللغة، وكان في ذلك فائدة عظيمة لمن أراد ذلك. وزرنا أماكن كثيرة جدًا في تلك البلاد، ورأيت ذلك المقعد الصخري الذي كان يجلس عليه الشاعر الإنجليزي الشهير «وردز ورث» وقلت في نفسي: إن جمال المنظر الذي يطل عليه ذلك المقعد يجعل الأصم شاعرًا. كما قمنا بزيارة منزل الشاعر الكبير شكسبير في مدينته الجميلة «ستراتفورد»، وحضرنا مسرحيتين في المسرح المعروف باسمه، وكانت لي تجربة لا تنسى!

عرب يتفاهمون بالإنجليزية!!

انقضت عدة أعوام وأنا أقوم بتدريس الإنجليزية في اللاذقية إلى أن أُعرت إلى إحدى البلاد العربية عضوًا في البعثة التعليمية السورية إليها، ومالبثت بعد وصولي إلى هناك بمدة وجيزة أن عُيِّنت رئيسًا للبعثة، وكان عليَّ أن أقوم بمهمات شاقة، ولاسيما أنه لم يكن لسورية سفارة في ذلك البلد حتى ذلك الحين. وكنت أبذل جهودًا مضاعفة لأداء واجبي نحو زملائي وأسرهم والجالية السورية هناك. ومن أطرف ماوقع لي أنني حين وصلت إلى مطار عاصمة تلك الدولة استقبلني أحد موظفي وزارة التربية فيها، وراح يتحدث معي فلم أستطع أن أفهم شيئًا، وكنت كلما طلبت منه أن يعيد ماقاله علّني

مدرس لغة ..

بين المد والجزر

أستطيع فهمه، أعاد قوله بسرعة أكبر، حتى يئست من قدرتي على فهمه، فسألته إن كان يتحدث الإنجليزية، فأجابني بالإيجاب، وتنفست بارتياح، وتحادثت معه بتلك اللغة!

وعدت إلى بلدي بعد انقضاء مدة الإعارة، غير أنني مالبثت بعد عامين أن سافرت معارًا إلى بلد عربي آخر ذي طابع مختلف عن ذاك الذي قضيت فيه ثلاث سنوات معارًا، وبعد أن قضيت سنتين مدرسًا في ذلك البلد هجرت التدريس لأعمل مترجمًا في هيئة ثقافية اعتبارية ذات شأن، وفيها مررت بتجربة مهمة جدًا، هي أن تلك الهيئة نظمت وأقامت ندوة ثقافية ذات موضوع حيوي، وتم تكليفي أعمال أمانة سر ـ سكرتارية ـ الندوة التي شارك فيها مجموعة كبيرة من الباحثين وهم من خيرة المثقفين في الدول العربية.

وكان عليّ ـ بصفتي سكرتيرًا للندوة ـ أن أراجع البحوث المقدمة لقراءتها والإشراف على طباعتها وتهيئتها. وأمسكت بالبحث الأول متهيبًا؛ لأن المشاركين كانوا ذوي أسماء رنانة في دنيا الثقافة، وواجهت أول خطأ في أول بحث، ثم تبعه الثاني، فالثالث حتى وصلت الأخطاء إلى رقم غير معقول في كثير من البحوث التي قُدِّمَت، فانتابني العجب، ورجعت إلى المخطوطات محاولاً التأكد مما إذا كان الخطأ في المخطوط لا المطبوع، فوجدت عجبًا، ذلك أن الأخطاء كانت جميعًا في المخطوط! وأسقط في يدي.. ماذا أفعل؟ هل أصحح أم أبقي الأمر على حاله؟ خفت أن أصحح فأُتهم بالغرور، وخشيت أن أدع التصحيح وشأنه فتتم قراءة البحوث وهي مملوءة بالأخطاء، فما الحل؟ وهرعت إلى صاحب الحل والربط في ذلك الموضوع وعرضت عليه الأمر، فشجعني على إجراء التصحيح وليكن مايكون، وهكذا فعلت.

والأشد غرابة مما سبق أن أحدًا من أولئك الباحثين لم يلاحظ ماجرى! ويومها ترحمت على أيام التدريس على ما كان فيها من مواقف وتجارب صعبة، ومواقف أخرى لم تخل من طرافة.

ومن تلك المواقف أنني كنت ذات يوم أقوم بتدريس اللغة الإنجليزية للصف الثالث الثانوي في مدينة صغيرة بمحافظة اللاذقية، وكان من طبعي أن أتجول في أرجاء قاعة الصف لأرى طلابي عن كثب وأرى مايفعل كل منهم في أثناء الدرس، وكنا مانزال بعد في أول العام الدراسي، وكنت أدخل ذلك الصف في ذلك العام لأول مرة، ووقعت عيني على أحد الطلاب وهو يضع كتابين أمامه، ولعلمي أن الكتاب المقرر واحد وليس اثنين، اقتربت من مقعد الطالب لأرى الأمر، فوجدت أن أحد الكتابين كان هو الكتاب المقرر، أما الكتاب الآخر فلم يكن كتابًا بالمعنى المفهوم؛ وإنما كان مجموعة أوراق طويت ونظمت في شكل كتاب، فاسترعى ذلك اهتمامي، وأمسكت بالكتاب الآخر مستوضحًا مافيه، ووقف شعر رأسي حين وجدت أنه لم يكن سوى كتابة لنصوص الكتاب المقرر بأحرف عربية، أي إنه لم يكن يمت إلى اللغة الإنجليزية بحال! وسألت ذلك الطالب عمن أعطاه ذلك الكتاب، فقال إنه اشتراه من أحد الأساتذة الذي كتب منه عدة نسخ وباعها للطلاب!

ولم أكن أستطيع أن أترك الأمر يجري على ما كان عليه؛ فأخذت الكتاب من الطالب وشرعت أشرح له كيف أن اللجوء إلى أمور مثل تلك في دراسة اللغة أمر خاطئ، وأن اللغة يجب أن تُدرس بطريقة صحيحة وبأحرفها وكلماتها هي، حتى يستطيع الطالب أن يحقق الغاية منها، ووجدت صعوبة في إقناع الطالب بوجهة نظري، إلا أنه استسلم في النهاية ووعدني أن يفعل مانصحت له أن يقوم به في ذلك المجال.

والحقيقة أن كثيرًا من الطلاب قد يفعلون ذلك أو جزءًا منه بين حين وآخر، وبعضهم يكتب بالرصاص على كتابه لفظ الكلمات الإنجليزية بأحرف عربية، غير أن الأدهى من ذلك أنني صادفت كثيرًا كتبًا تباع في الأسواق على أنها تبسيط أو شرح وحلول للكتب المقررة والتمارين الموجودة فيها، وأكثر ما كان يغيظني منها كتاب كان يصدره محام اكتسب اسمه شهرة بين الطلاب بسبب ذلك الكتاب الفاسد الذي كان يصدره ويباع بكميات كبيرة تحت سمع وزارة التربية وبصرها، واستمر الحال على ذلك أعوامًا إلى أن تنبه المسؤولون عن التربية على خطورة مثل ذلك الكتاب فصادروه ومنعوا تداوله.

ولو نظرنا إلى الأمر من زاوية أخرى لوجدنا أن السبب في لجوء الطلاب إلى هذه الكتب يكمن في نوعية الكتب المقررة والطريقة التي يجرى تدريسها بها. فأنا أعلم مما شاهدت وسمعت أن كثيرًا من المدرسين لا يقومون بتدريس الكتب المقررة تدريسًا صحيحًا، وأن كثيرًا منهم يلجأ إلى الطريق السهل فيحضّر الدرس مسبقًا، ويتحول في الحصة المدرسية إلى مترجم يشرح الدرس بالعربية فيختصر الطريق على نفسه، وينتهي الأمر بالطالب إلى فهم ما يقوله النص بلغة غير اللغة التي هو موجود أصلاً كي يتعلمها! فما الفائدة من معرفة معاني الكلمات إذا كان الطالب لا يستطيع استعمال واحدة منها في جملة مفيدة؟ وثمة جزء من العيب يقع على الكتاب نفسه؛ إذ إنه ـ في قناعتي ـ ليس كتابًا تعليميًا بالمعنى المفهوم، وقد تقدمت وزملائي بعدة تقارير إلى وزارة التربية تتضمن ملاحظاتنا على ذلك الكتاب وأمثاله للصفوف الأخرى، ولكن لم يتغير شيء حتى الساعة!

جهاز التسجيل.. عدُّوه بدعة!

في أحد الأعوام الدراسية، وبعد أن كنت قد عدت من رحلتي إلى المملكة المتحدة، حاولت أن أطبق في الصفوف التي كنت أدرّسها بعض القواعد التي تعلمتها في أثناء وجودي في ذلك البلد، ومنها استعمال جهاز التسجيل بصفة عامل مساعد لتعليم اللفظ الصحيح للغة، ويومها حدث مهرجان في المدرسة، إذ كان الطلاب جميعًا في عجب من أمري، وكان واحدهم يقول للآخر: «انظروا كيف أحضر المدرس فلان جهاز التسجيل، حسنًا، سنضع شريط رقص ونرقص!». وكان رد الفعل ذاك عجيبًا وشديدًا عليّ في الوقت

لو أن طالب اليوم واجه في امتحاناته ماواجهه طالب الأمس لما نجح أحد؛ ذلك أن طالب الأمس كان عليه أن يجتاز الاختبار ـ كتابيًا وشفهيًا ـ في ثلاث عشرة مادة!

نفسه، ولكنني تحملت ذلك كله وأصررت على اتباع أسلوب التعامل مع جهاز التسجيل في تدريس اللغة، ووجدت كثيراً من المصاعب في البداية، وحاول كثير من المدرسين أمثالي وضع العراقيل أمامي دون تطبيق تلك الطريقة قائلين إنها بدعة، وإنها ستفتح الباب أمام بدع أخرى إن لم يجر إيقافها ومنعها. وتابعت خطتي على الرغم من كل ما حصل، وفي نهاية العام اكتشف طلابي أنهم قد استطاعوا الحصول على فائدة عظيمة، وشكروا لي ذلك.

ومن أطرف ما شهدته في ميدان تدريس اللغة الإنجليزية أنني عاصرت مديراً لإحدى الثانويات مولعًا إلى حد الهوس بشيء اسمه اللغة الإنجليزية، علمًا بأنه لا يعرف هذه اللغة، ولغته الأجنبية كانت الفرنسية، وكان مهتمًا أشد الاهتمام بتدريس الإنجليزية، وكان يطوف على الصفوف التي كانت لها نوافذ على ممرات عريضة، وبيده عصا طويلة يتجاوز طولها أمتارًا ثلاثة، ويقف إلى جانب النافذة يراقب فعاليات الصف، وحين كان يجد أن طالبًا ما قد تحوّل بنظره عن المدرس أو تلهى بشيء معين صرفه عن متابعة الدرس؛ يهوي بطرف عصاه على ذلك الطالب الذي يجفل ويروح واقفًا يتساءل من أين جاءته تلك الضربة، إلى أن اعتاد الطلاب ما يفعله المدير وراحوا يتابعون الدروس بجدية، خوفًا من عصاه! إلا أن ذلك لم يعف المدير من الاحتكاك بالمدرسين والشجار معهم بسبب ما كان يفعله، وما كان المدرسون يعدونه تدخلاً في شؤونهم!

اسمهم جميعا: علي!

أما ما شهدته في أول عام لي في تولي منصب مدير إعدادية في اللاذقية فكان مضحكًا مبكيًا. فقد كنت أواظب على حضور بعض الحصص لمتابعة المدرسين، وهم يقومون بتدريس اللغة الإنجليزية؛ لأنها تخصصي ولأنني أشعر أن واجبي المسلكي يحتم عليَّ مراقبة ما يفعله المدرسون في هذا الشأن.

وكنت مهتمًا ـ في المقام الأول ـ بالصف الأول الإعدادي، وهو أول صف يقوم فيه الطلاب بدراسة تلك اللغة، وكان قد التحق بالمدرسة منذ أيام قليلة مدرس جديد لم أكن أعلم عنه شيئًا، فقررت أن أحضر له إحدى الحصص لأرى ماذا يفعل ولأوجه له بعض النصائح إذا لزم الأمر.

ولكي أعطي صورة واضحة عما حصل سأضطر مرغمًا إلى استعمال الحروف العربية للتعبير عن كلمات إنجليزية، فعند دخولي إلى الصف صاح الأستاذ: ستاند أبْ! فوقف الطلاب جميعًا، ثم صاح: ستْ داون! فجلسوا. وإلى هنا كان الأمر عاديًا، ولكن الذي حصل بعد ذلك كان غريبًا عجيبًا!

التفت المدرس إليَّ وهو يرمقني بنظرة غريبة لمحت فيها شيئًا من الاعتداد بالنفس والجرأة، ثم تحول إلى أحد الطلاب قائلاً: وات إز يور نيم! قال الطالب: ماي نيم إز علي! وأشار المدرس بيده إلى الصف كافة موجهًا السؤال نفسه؛ فاذا بالصف جميعًا يقف وقفة واحدة ويقول: ماي نيم إز علي!

وأسقط في يدي، وأشرت للمدرس أن يقترب مني ففعل، فهمست في أذنه: «هل اسم علي مشترك بين الطلاب جميعًا؟»

فردَّ ساخرًا: «كلا يا أستاذ، هذا مستحيل، أنا أعلمهم اسم علي أولاً ثم أعلمهم أسماءهم!»

ولم أستطع البقاء في ذلك الصف أكثر من ذلك، كما لم أستطع الإبقاء على ذلك المدرس في مدرستي!

غير أن مشكلة تدريس اللغة الإنجليزية لم تُحَلّ، وثمة كثير من المدرسين يدخلون إلى الصفوف وهم غير قادرين وغير أكْفَاء، فتكون المحصلة الحتمية أن الطلاب لا يجنون أية فائدة؛ بل إنهم على العكس من ذلك يصبحون كارهين لحصة اللغة الإنجليزية، ومن ثم يفقدون اهتمامهم بها، وهذا هو السبب في أن الكثرة الكاثرة من الطلاب لا يدرسون هذه المادة لأنهم يحبونها؛ بل لأنها واجب ثقيل عليهم يجب أن يؤدوه، وأنهم يجب أن يدرسوها ليجتازوا الامتحان ليس غير.

ورحم الله مدرس اللغة الذي قام بتدريس صفي حينما كنت في الثانوية العامة؛ إذ كان يبذل جهوداً جبارةً ليجذب الطلاب إليه وإلى مادته، وكان حديثه عذبًا وأسلوبه سهلاً لطيفًا، وكان يشجع المتفوقين من الطلاب تشجيعًا عظيمًا، كما كان يلجأ إلى طريقة مازلت أُعدها حتى الآن من أعظم الطرائق فائدة في التدريس، وهي أن يطلب من بعض الطلاب شرح أجزاء من الدروس لزملائهم ويقوم هو بدور المصحح والموجه. وحدث أنني بعد عامين من تخرجي في الجامعة عُيِّنت في المدرسة التي يدرس فيها أستاذي الفاضل ذاك، وما إن دخلت من الباب الرئيسي حتى وجدته أمامي فسلمت عليه باحترام شديد، وسألني عن أحوالي وعما جئت أفعله، ولما أخبرته بأنني قد عُيِّنت في تلك المدرسة طفرت دمعتان من عينيه وهو يقول لي: «إنني سعيد وفخور بأن أحد طلابي النجباء قد أصبح زميلاً لي!»

أحضرت جهاز تسجيل إلى طلابي كي أعودهم النطق الصحيح للإنجليزية ، فاقترح أحد الطلاب « أن نضع فيه شريط رقص ونرقص» !

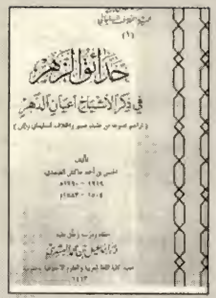
وأذكر حادثة أخرى في كلية التربية العليا ببلد شقيق حيث كنت أقوم بتدريس مادة الشعر في الأدب الإنجليزي، وطرق باب القاعة أستاذ في جامعة لندن جاء زائرًا للكلية التي أدرّس فيها وطلب الإذن بالحضور، وحضر لي محاضرتين كاملتين، وبعد انتهاء الوقت المحدد سألني سؤالاً واحدًا، قال: «لقد حضرت لك محاضرتين كاملتين وكنت تتحدث بطلاقة، وكان في كلامك فائدة جلّى للطلاب، كيف استطعت ذلك ولم أجد أمامك في القاعة كتابًا أو مرجعًا أو حتى دفترًا تنظر إليه؟». قلت مبتسمًا: «لو لم أكن واثقًا من أنني أستطيع ذلك لما دخلت القاعة أصلاً!». ولم يكن من العسير عليه بالطبع أن يفهم ما أعنيه.

وأجد أنه لا بد لقلمي أن يقف هنا، فما يمر به المرء في حياته كثير، ولكنني حاولت أن أذكر ما توسمت فيه الفائدة والمتعة للقارئ الكريم ولعل الأيام القادمة تحمل مزيدًا من التجارب تزيدني وتزيد الآخرين خبرة في الحياة وتفهمًا لما فيها.

العنوان: حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر.
المؤلف: الحسن بن أحمد عاكش الضمدي.
المحقق: د. إسماعيل بن محمد البشري.
الناشر: من دون، ط1، 1413هـ/ 1992م، 327 صفحة.



د. إسماعيل البشري



غلاف الكتاب

انجهت الدراسات التاريخية والأدبية الحديثة عن مناطق الجزيرة العربية، أو التحقيق في الدراسات والكتب القديمة، اتجاهًا موسوعيًا، بحيث لم تدع شاردة أو واردة للموضوعات الدراسية إلا وتناولتها بشيء من الدقة والإفاضة، ولا سيما في تراجم الأعلام الفكرية والأدبية.

وها هو ذا الشيخ الحسن بن أحمد عاكش الضمدي، يترجم لنا مجموعة من علماء عسير والمخلاف السليماني واليمن، ترجمة تجمع مختلف المعارف عن الأعلام المترجم لهم وثقافاتهم واهتماماتهم.. بحيث تمنحنا صورة واضحة لعصرهم، وما فيه من مظاهر دينية وسياسية وتاريخية وأدبية ولغوية، وغيرها من علوم توّجت القرن الثالث عشر الهجري، وأبرزته بأنصع صورة. ولهذا كان مجهود عاكش الضمدي - الذي كانت ولادته عام 1219هـ ووفاته عام 1290هـ - كبيرًا؛ لما حواه مؤلفه من زخم الفكر والمعرفة والثقافة، والنصوص الدينية والشعرية.

وإذا كان مجهود الضمدي كبيرًا - كما ذكرنا - فإن مجهود المحقق الدكتور إسماعيل البشري لا يقل عنه؛ لأنه كان حيال مخطوطة واحدة راقدة علتها كدرة الأيام والسنين، وإيقاظها وبلورتها بهذه الصورة التي بين أيدينا تتطلب ذلك المجهود العظيم.

ولهذا علينا أن نسير وفق ذاك المجهود من التحقيق الذي زخر بالإيضاح والشرح والتعليق والتصحيح.. فضلاً عن الدراسة لتلك المخطوطة التي استغرقت زهاء أربعين صفحة؛ جاءت مضيئة لمعالم الكتاب المخطوط، ومدخلاً طيبًا لحدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر. ومن المعلومات التي يجدر الإشارة إليها في هذا المقام، وما أكثرها، هي أن هذا الكتاب يأتي في الدرجة الثالثة من الأهمية بعد كتابي الضمدي: تيسير المنان بتفسير القرآن، والديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني.

وإن المؤلف الضمدي سار على نهج سابقيه ومعاصريه من العلماء، من حيث العمل على تخليد ذكرى شيوخه وعلماء عصره.. وفاءً بحقهم، وبرًا بهم. وقد بلغ أساتيذة وأشياخه الذين أخذ العلم عنهم ثمانية وثلاثين علمًا، أما زملاؤه من طلبة العلم المشهورين في عصره، فكان عددهم اثني عشر علمًا. وكان أسلوب الترجمة لديه يميل إلى التأنق في عباراته، والحرص على التزام السجع. والضمدي شاعر بطبعه، وقد انعكس ما درسه من علوم البلاغة، وما يتمتع به من قدرة أدبية على طريقته وأسلوبه، ومع ذلك فقد صحح الدكتور البشري له الكثير من الأخطاء النحوية والإملائية، كما غيَّر بعض الألفاظ.

واعتمد المحقق البشري في ترجمته عن المؤلف بكتب الضمدي نفسه، وبعض الوثائق الخاصة، كي يمنحنا الصورة الوافية عن نسبه، ونشأته، وشيوخه، وحياته العلمية والعملية، ومذهبه، ومؤلفاته التي بلغت تسعة عشر مؤلفًا في التفسير والتاريخ والتراجم والأدب.

ولقد بدأ المؤلف بترجمة حياة والده، وتكاد تكون نموذجًا لسائر أعلام التراجم، وإن شابها شيء من المبالغة والإعجاب الفائق، وليس ذلك بمستغرب، ولكن أن تصل إلى درجة التهويل في الكرامات؛ فهذا فيه نظر، وأمثلته عن والده كثيرة.. منها قوله:

«وكان رحمه الله تعالى إذا اشتبه عليه أمر من مشكلات الشرع، رأي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم، وسأله عما أشكل ويجيبه، ثم يخبر بما رأي، ويعمل على ذلك الدليل الخاص به»، ويورد أمثلة على ذلك. ولم نجد للمحقق تعليقًا مع أنه لا يترك أية شبهة أو استنكار أو غرابة إلا ويقف عندها، أو يشير إليها في هوامش الكتاب.

ومما علق عليه، نص الضمدي وهو يترجم لوالده قائلاً: «وعاد مرة أخرى إلى صنعاء المحمية، وأخذ عن العلامة المحقق القاسم بن يحيى الخولاني في فنون من العلم، وارتحل إلى جبل كوكبان، ولقي هناك جماعة من السادة الأعيان، الذين يشار إليهم في جميع المعارف بالبنان، وأقام بصعدة مدة، مع حصول الفتن في جهاتنا من آثار الدعوة النجدية، وقد ذكرت تفصيل ذلك في تاريخي المسمّى: الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني». ويأتي التعليق في الهامش على الشكل التالي: «يظهر هنا موقف المؤلف من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتهامها بأنها سبب للفتن في المنطقة ..، ولكن هذا الموقف يتغير في تاريخه المشار إليه.. حيث نجده يقول بعد أن تحدث عن وصول الدعوة إلى المنطقة،

وموقف علمائها منها: «.. ولكن هذا خروج عن الإنصاف، وركوب متن الاعتساف، فإن عامة ما هم عليه هو الدعوة إلى التوحيد، وترك ما عليه الآباء والجدود من التقليد... فإن بدعوتهم زالت بدع كثيرات، وارتدع الناس عن المنكرات، فجزاهم الله خيرًا».

العنوان: رسالة عن أبي تمام الشاعر الفنان.
المؤلفة: د. نورة الشملان.
الناشر: دار مصر للطباعة، 123 ص.



غلاف الكتاب

يبدو أن المؤلفة د. نورة الشملان قد اقتطعت جزءًا من رسالتها العلمية المستفيضة عن «المتنبي الإنسان والشاعر.. بين أبي تمام وأبي فراس»، وأضافت إليه ما كان يعوزها عن أبي تمام «الشاعر الفنان»، ليستقيم لها ما تقوم بتدريسه لطالباتها في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، وترجو «أن يكون فيه بعض النفع للمتخصصين من طلاب قسم اللغة العربية». وجاءت رسالتها بمنهج درج عليه طلبة البحوث الأكاديمية، وهم يتناولون شخصية أدبية. وذلك من خلال ثلاثة فصول: الأول: تناول بيئتين: عامة، اشتملت على الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في القرن الثالث، وخاصة، اشتملت على نشأة أبي تمام وحياته. وكان الفصل الثاني عن شخصية أبي تمام من خلال شعره، أما الفصل الثالث فكان عن أبي تمام الفنان الشاعر.. ودرسته الباحثة الشملان من خلال شعره أيضًا.

وإذا كان ثمة تداخل بين الفصلين، أو المحورين الأخيرين، فإن د. الشملان قد أوردت كلامًا في مقدمتها يشي بالتباعد بينهما لا التداخل. إذ ذكرت أن الفصل الثاني يتناول شخصية أبي تمام، كما يعكسها شعره، لذلك تحاول أن تجيب عن جملة من التساؤلات أو المفارقات حول تلك الشخصية.. منها مثلاً: هل كان أبو تمام طموحًا أم خاملاً؟ هل كان محدود الثقافة قانعًا بما تيسّر له أم كان ساعيًا إلى الارتواء؟ هل كانت علاقته بالممدوحين علاقة حب وإعجاب أم علاقة مصلحة وتكلّف؟ هل كان أبو تمام عزيز النفس أم كان بائعًا متجولاً يقدم شعره لكل مشترٍ؟! هل كان جادًا في حياته أم كان لاهيًا فيها؟ وما موقفه من المرأة؟ هل كان موقفه متوحدًا في جميع قصائده، أم أنه عرض علينا أنماطًا مختلفة من النساء، وله مع كل نمط موقف؟! هل كان رقيق القلب أم شديد القسوة؟ هل كان مسالمًا أم ثائرًا؟ وحين كثرت جولاته وحياته اللاهثة التي لاتعرف الاستقرار.. هل كره الاغتراب أم أحبه؟!

ولقد حاولت الباحثة - كما تقول - الإجابة عن تلك التساؤلات كلها، معتمدة على ديوان أبي تمام، «واستنطاق ما فيه من نصوص، وربط النصوص بالأخبار المتواترة عنه». ومما ينفي ذلك التداخل بين فصليها، هو أن الفصل الثالث جعلته يقوم على التواصل بين الشعراء، وتأثير السابقين في اللاحقين، أي تأثير أبي تمام فيمن جاء بعده، وخصوصا المتنبي. وهذا ما كان جزءًا كبيرًا من رسالتها العلمية، عن المتنبي بين أبي تمام وأبي فراس. فدرست هذا التأثير في بعض الأغراض الشعرية من حكمة ومديح، كما أبرزت هذا التأثير من خلال السرقات الشعرية، والمعاني الأخرى التي وجدتها عند أبي تمام في هجائه، وعتابه، وغزله. فضلاً عن وقوفها عند «أسلوبه ومعانيه» التي جاءت مبعثرة، لخلل في الطباعة وترتيب الصفحات، مما انعكس على وضوح ما أرادته في ذلك القسم من الأسلوب والفن الشعري لدى أبي تمام. ومع ذلك كله فقد بدا لنا أن الباحثة الشملان درست الأسلوب من خلال الصنعة البديعية كالطباق والجناس؛ والمعاني من خلال الغموض الذي تقرنه دومًا بمقولة أبي سعيد المكفوف حين سأل أبا تمام: لم لاتقول ما يُفهم؟ فأجابه: ولم لا تفهم ما يُقال؟ ومع ذلك فقد وجدنا الباحثة في سائر النصوص الشعرية الغزيرة التي استشهدت بها لأبي تمام، تبدو لنا غامضة على مستوى طلبة الجامعة، وقد أوردتها من دون شرح أو تفسير هامشي لبعض المفردات أو المعاني.. اللهم إلا في هامش واحد من ص 78 عن كلمتين هما: «الكلى، والمفاصل»، وقبلها في ص 77 أوضحت معاني خمسة أبيات، وفي ص 89 ثمانية أبيات. لأن الشرح أو الوقفة الأدبية من النص، هي التي تمنح المتلقي التجاوب والمتعة الفنية والأدبية، ولاسيما أن الرسالة أو البحث كان عن أبي تمام «الشاعر الفنان»، والفن الشعري يستوجب الدراسة للصورة الأدبية المتمثلة برسم المعنى بصياغات بيانية لا بمحسنات لفظية بديعية لاتمنح تلك الصورة إلا زخرفًا من الشكل الظاهري.

علاقة الأدب المغربي بالتيارات العربية في المشرق

عبد السلام فزازي

إن الموقع الجغرافي للمغرب وظروفه السياسية اقتضت من مثقفيه الانفتاح على الثقافات الخارجية والتفاعل معها لتطوير إنتاجهم تطويرًا يعطيها نفسًا من شأنه أن يجعلها أقدر على التعبير عن مضامين مستجدة تتميز بالتنوع والتنوير، وتطمح إلى التغيير شكلاً ومحتوى. وقد بينت أن هذا الانفتاح أو الاتصال كان له تأثير كبير أتاح للكتّاب والمبدعين المغاربة أن يستوعبوا في ظرف وجيز ما يجري هنا وهناك. وفي هذا المجال يحق للمرء أن يتساءل عن مدى تفاعل واتصال الأديب المغربي بذلك الأدب المشرقي الذي لا يحق لدارس أن يتجاهل الدور الريادي الذي لعبه في باقي الأقطار العربية، واعترافًا بهذه الريادة يحق لدارس المتن المغربي أن يتساءل قائلاً: إن كان هذا الاعتراف حقيقة ما دونها حقيقة، فإلى أي حد يمكن القول بوجود علاقة أو اتصال بين هذين الشقين من الوطن العربي؟ وماذا استفاد هذا من ذاك؟

لا حاجة إذن لإطالة الحديث عن الروابط التي تجمع الشعوب العربية الإسلامية من لغة ودين وظروف سياسية... فالكل يعلم الاتصالات التي كانت قائمة بين المشارقة والمغاربة منذ القديم، لكن الظروف السياسية المريرة التي تجرعوا كؤوسها من جرّاء القهر الاستعماري، كان لها الأثر الكبير في إحداث تغيير في العلاقات كثيرًا كان أو قليلاً، ومع ذلك، ظل الاتصال قائمًا بالرغم من ظروف الاستبداد والاستعباد، لكنه عرف ضعفًا أو تقلصًا لأسباب أو أخرى. والذي يهمنا من هذه الاتصالات هو العلاقة الأدبية في المرحلة السبعينية؛ فمن خلال ما نشر في الملاحق الثقافية للجرائد الوطنية يبدو أن هذا الاتصال كان مهمًا، على شيء من التعالي من طرف المشارقة نتيجة شعورهم بوفرة الإنتاج، واعتبار موطنهم منبت الثقافة العربية. وإزاء هذا الشعور أحس المثقفون المغاربة بالغربة والتشتت، وكابدوا آلام العزلة عن إخوانهم في المشرق. وقد طرحت هذه المشكلة في عدة لقاءات وندوات، نظرًا لما تشكله من خطورة لا على مستوى الأدب فحسب، بل على مستوى الثقافة الإنسانية عامة. فهذا الأستاذ محمد برادة ينبه على أن هذا الاتصال لم يصل بعد إلى المستوى المطلوب: «ومن ثم فإن التصورات عند الناس في هذين الشقين من الوطن العربي لا تعدو أن تكون تصورات عامة وغير دقيقة سواء فيما يخص المكونات الاجتماعية أو التاريخية، أو السياسية الثقافية» (1).

وهذا الرأي أدلى به معظم المثقفين بوصفه القاسم المشترك بينهم، الشيء الذي مكنهم من تعميق الصلات بين الطرفين. لأنهم يعون أنه، مهما كان ارتباط الثقافة المغربية بنظيرتها الأوروبية، فإن الأولى تبقى توّاقة إلى الارتباط التاريخي بالأصالة، لكن النتائج كانت عكسية، فكلما تهافتوا على الثقافة المشرقية لهضمها ،وربطها بثقافتهم لاقوا استعلاء من طرف إخوانهم هناك. وهذا الشعور المؤلم استطاع «بول وول» أن يستنتجه من خلال حواره مع مجموعة من المثقفين المغاربة: «ولعل هذا ما يفسر أقوال معظم الذين التقيناهم [ما ينفع المغربي إذا ربح أوروبا والعالم كله... وخسر جذوره المشرقية؟] » (2). لكن هذا لا يعني إهمال المشارقة للثقافة المغربية قطعًا ـ وهذا ما نستشعره مع الأسف الشديد ـ. فهناك بحوث يعدها كتّاب عرب عن الأدب المغربي الفني بين الفينة والأخرى، غير أنها قليلة. وعلاوة على قلتها، فأصحابها لم يتمكنوا من استبطان الإبداعات المغربية لعدم معايشتها، وإدراك الواقع المغربي في عمقه؛ وبذلك يمكن القول بأن هذه البحوث والمقالات المنشورة في المجلات والصحف ـ إلا فيما ندر ـ لا تثري الممارسات الإبداعية المغربية. وعلى هذا كله فإن الأدب المشرقي استطاع أن يؤثر في نظيره المغربي تأثيرًا واضحًا، خاصة في الإنتاج الشعري، وقد تجلت أهمية هذا التأثير في إطلاع الجيل الجديد على معظم إنتاجات الرواد المشارقة، واستيعاب تجربة الشعر العربي الحديث. وهذا إنما يدل على اهتمام المغاربة بالحركة الأدبية في المشرق، وتتبع ما ينشر هناك، وهو الأمر الذي جعل الكثير من اهتمامات الشكل والمحتوى مشاعًا بين الشعراء الطلائعيين والمجددين. إذًا، على المثبطات والعراقيل التي عملت إلى حد كبير على تسطيح الصلة بين الطرفين، فإن الشعر المغربي ـ كما يقول البشير الوادنوني ـ : «مرتبط بحركة الشعر العربي خاصة، والأدب العالمي عامة. ومن هذين المصدرين يستمد كثيرًا من مقوماته، وإن كان يسعى جاهدًا إلى تأسيس شخصيته المتفردة وملامحه الفاصلة، ومن هنا كان فهم هذا الشعر يتوقف في أحيان كثيرة، على استيعاب الأسس والبواعث التي قامت عليها حركة الشعر العربي، وعلى الوعي التام بظروفه الذاتية والموضوعية» (3). وإذا اتفقنا مع «الودانوني» على عدّ الشعر العربي مصدرًا يستمد منه الشعر المغربي كثيرًا من مقوماته فإن هذا يعني ضمنيًا وجود علاقة وطيدة بين الطرفين، من شأنها أن تمكن الأدب في هذا الجزء من الوطن العربي من الوقوف على قدميه، والتخلص من اجترار ما قاله وأنتجه الآخرون. وهذا ما عبّر عنه «نجيب العوفي» في موضوع القصيدة المغربية ـ الحقيقة التي تقود خطاها: «ولا غرو في أن علاقة الشاعر الوطيدة بالشعر العربي تليده وجديده، وسياحاته الخصبة عبر آفاق هذا الشعر، ساهمت في شحذ وعيه الشعري، حصنته ضد الاجترار والتعال أحذية الغير، وردت عليه صوته ـ في نهاية المطاف ـ أكثر ما يكون أصالة واستقلالاً، ذلك أن القليل من الاطلاع يؤدي فعلاً ـ كما يقول رتشاردز ـ إلى البغاوية، وافتقاد الذات، لكن الكثير من الاطلاع يشد أزر هذه الذاتية ويعطي للأثر الفني دُسومة معينة. وعلاقة الشاعر المزدوجة بالشعر العربي/القديم والجديد/هي التي جعلته ـ من نحو آخر ـ يقف في شعره موقفًا وسطًا، وليحافظ على حد أدنى من الرؤية والاعتدال» (4).

ومجمل القول، إن علاقة الأدب المغربي بالتيارات الخارجية موجودة فعلاً، بحجة تفتح مثقفينا على الاتجاهات الأدبية الأوروبية وتطويرها اقتناعًا من مثقفينا بضرورة التلاقح والتفاعل مع مختلف الثقافات؛ لأن الثقافة الوحيدة لا تستطيع بمفردها أو بانغلاقها على نفسها أن تتطور كمًا وكيفًا، خصوصًا إذا عددنا أن حصيلة الإنتاجات الأدبية المغربية قليلة بالنسبة لما ينشر في الشرق العربي وأوروبا.

لكن العبرة لا تكمن في الكم إنما في الكيف، لأن الأول يمكن أن يخفي في ثناياه ما يشكل خطرًا على هذه الثقافة، مما يحتاج إلى القيام بعملية تصفية الإنتاجات.

وتلك مهمة موكولة بالدرجة الأولى إلى النقد الأدبي الذي يتحمل مسؤولية تطوير الثقافة وتوجيهها، ولاسيما حين يدرك أن العطاءات عندنا تعددت مشاربها واختلفت منطلقاتها وأهدافها، فبدت بضاعة مطروحة تنتظر التوجيه والتقويم. فهل استطاع النقد الأدبي المغربي أن يتحمل هذه المسؤولية، ويواكب التطور الإبداعي، ويستبطن النصوص، أم ظل مشتتًا في دروب الاتجاهات الثقافية المطروحة في الساحة المغربية بما تحويه من صراعات وتناقضات، وعاجزًا عن سبر أغوار التيارات النقدية الخارجية، فحدث ما سمي أو اصطلح على تسمية بـ: «أزمة»؟ كلها تساؤلات احتلت مكانة الصدارة في المجلات والصحف الوطنية، فدوّى صداها في أجواء الثقافة المغربية.

هوامش

1 ـ محمد برادة: مشروع ثقافي ونقدي جديد أخذ في التبلور بالمغرب/جريدة المحرر الثقافي 1978/9/10.
2 ـ بول شاوول: علامات من الثقافة المغربية الحديثة، ص: 6.
3 ـ البشير الوادنوني: الرؤيا المأساوية في الشعر المغربي: المحرر الثقافي 19767/7/4
4 ـ نجيب العوفي: القصيدة المغربية ـ الحقيقة التي تقود خطاها ـ المحرر الثقافي 1976/6/20.

مدخل لدراسة الحركة النقدية في المملكة العربية السعودية



د. حسن بن فهد الهويمل

النَّقدُ.. وَالاتجَاهُ اللغَوِيُّ

الحلقة الثالثة

إن محاولة تحقيل الحركة النقدية في الوطن العربي تُواجَه بتعدد الاهتمامات، وتعدد المناهج التي يستخدمها النقاد، وتعدد المشارب الثقافية، وإذ لاتتحقق الدقة في ذلك على مستوى العالم العربي فهي على مستوى المملكة أشد صعوبة، ولما لم يكن مثل هذا التحقيل دقيقاً فإن ذلك لايمنع من محاولة فرز النقاد إلى مجاميع بحسب طغيان تيار أو منهج أو قضية على غيرها في سياق العمل النقدي لناقد أو لمجموعة من النقاد، وهو ما سنفعله تمهيداً لدراسة الرموز. إننا لانعدم اهتمام بعض النقاد مثلاً باللغة، كما هو عند طائفة من الأكاديميين، ولانعدم اهتمام بعضهم الآخر بالإيقاع أو بالخيال، أو بالبعد الموضوعي. هذا على مستوى الشعر، ويقال مثل ذلك على مستوى النثر.

وتعدد الاهتمامات لايمنع طغيان اهتمام معين على هذه التعددية، إننا لانتردد في الجمع بين العوّاد وأبي مدين في الاهتمام بالموسيقى، فالعوّاد يراها على شكلٍ في حين يراها أبو مدين على شكل آخر، ولكنهما يتفقان في إثارة الموسيقى الشعرية، قضية نقدية. ولك أن تقول مثل ذلك عن كل ظاهرة.

ونحن حين نلفت النظر إلى وجود تيارات فنية أو دلالية سنتناول ذلك بالتفصيل عند دراسة الشخصيات النقدية كأفراد وعند دراستهم كمجاميع متناظرة. وبتتبع الظواهر والقضايا نجد أن النقد اللغوي على المستوى الأكاديمي، أو الشخصي أخذ أبعادًا متباينة، فعلى مستوى التنظير نجد الصبَّان، والعطّار، وعلى مستوى التطبيق نجد أنها بدت محاولات متواضعة تمثلت في البحث عن شاعرية الكلمة، من جهة، ونشزها أو انسجامها في سياقها، وشيوعها وغرابتها من جهة أخرى، ولم تشكل في البدايات ظاهرة لافتة للنظر، وقد عرض لها النقاد في سياق التنظير والتطبيق. وفي دراستنا الموسعة للنقاد ومناهجهم وأدواتهم حاولنا تقصي هذه الظاهرة ومرجعيتها، فبدت عند الرواد تراثية بلاغية، كما هي عند الأوائل كالجاحظ وقدامة، والعسكري، والخفاجي، والجرجاني، وكما هي عند الأواخر كالبغدادي والسكاكي والقرطاجني والعلوي والقزويني، ولهذا تسمع منهم مصطلحات تراثية؛ كالتنافر، والغرابة، والابتذال، والجزالة، والرِّقة، وثقل الكلمة على السمع واللسان، بسبب الحركات الثقيلة أو الحروف المتقاربة المخارج أو ما شابه ذلك، أو الموقع المستكره. على أننا لانستطيع أن نغفل بعض إلمامات لم تكن تراثية ولاسيما فيما يتعلق بشاعرية الكلمة، وإن كان في بعض ذلك شيء من التمحل. نجد ذلك عند الفلالي وأبي مدين، وابن إدريس، ولربما تكون هذه الظاهرة عند الشعراء النقاد أكثر، فهم الأدرى بمضائق الشعر كما يقول أبو نواس.

أما غيرهم وبخاصة الأكاديميون فقد تناولوها عبر منهجية دقيقة وإن لم ينفصلوا عن تراثيتهم كثيرًا. ومن الدراسات التنظيرية التي حاول بها صاحبها التوجيه والتعليم ما كتبه العطار تحت عنوان «التجديد في اللغة»، ويبدو لي أنه تناول هذا الموضوع بحكم اهتمامه اللغوي وحرصه على سلامة اللغة العربية؛ فهو يضع الضوابط ويحدد أبعاد التجديد في الانتقاء والبناء وإن كان قد ألمح إلى سمتين أخريين تتسمان بالعمومية بحيث لايمكن ضبطهما وهما «الرشاقة، والغزارة».

والسمات الأربع التي أدار حولها رؤيته في اللغة الفنية هي «الانتقاء، والبناء، والرشاقة، والغزارة» يمكن إرجاعها إلى سمتين: «براعة الانتقاء، وبراعة البناء» وتكون الرشاقة والغزارة من مسوغات الانتقاء، ولهذا ساق مواصفات أخرى كملاءمة اللفظ للذوق، وعدم نُبُوّه على السمع وعدم ثقله على اللسان، على أنه اشترط مواءمة الكلمة لذوق العصر. والعطار يمتلك حسًا أدبيًا ووعيًا لغويًا، ولا عبرة بما يثار حوله من اتهام نال أمانته العلمية، وهي إثارات قد تنال العمل ولكنها لاتمس اقتداره وتمكنه من اللغة العربية ومعرفته التراثية بدقائقها وأوجه عبقريتها،

ومن ثم جاءت معالجته للغة الفن على جانب من الدراية والتراثية وشيء من المعاصرة المشروطة. وسنتناول كتابيه «آراء في اللغة» و«الزحف على لغة القرآن» في الدراسة التفصيلية لجهوده النقدية. أما العواد فعلى النقيض من العطار، ومن عجب أن له رأيين متباينين: رأيه الذي عرضه جوابًا لسؤال طرحه الصبان على أدباء الحجاز حول ما أثاره ميخائيل نعيمة عن اللغة - وجمعه الصبان مع بقية الإجابات في كتاب «المعرض» - وكان رأيًا متزنًا ومعقولاً وإن كان يرهص لدعوة الحكيم للغة الثالثة؛ إذ يجعل للأسلوب ثلاثة مستويات، ويميل إلى المستوى العصري الرشيق المتمثل بأسلوب الجرائد، ومن ثم يتحفظ على الأسلوب الجاهلي والأسلوب العامي، ويدعو إلى الألفاظ المصقولة، ويعني بها المتداولة، وآراؤه الأخرى التي جاءت فيما بعد وكانت أكثر تطرفًا. فعندما تناول لغة الفن بدت هلاميات وشطحاته، وردد كلمات الاتباعية والجمود، التي تفقد الرشاقة، والخفة، والجاذبية والوضوح وذلك لون من الحشد الإنشائي، فهو لايقدر على تحقيق ذلك إبداعًا ولايبرزه في الدراسات التطبيقية، إنه مجرد هم وتطلع ومسايرة للحملات الجائرة على شعر المحافظين ولغتهم، وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل عند حديثنا عنه كناقد شديد الوطأة على التراث.

المنهج اللغوي من أهم المناهج الجديدة التي تعلق بها النقاد المحدثون، وبالغوا في أهميتها

وباستعراض الدراسات التطبيقية للنقاد الروّاد والجيل الثاني لا نقف على نقد لغوي متميز، وكل ما هنالك محاولات تقف عند كلمة أو جملة أو عبارة ولايكون الوقوف علميًا يستند إلى مرجعية معرفية، وإنما هو مجرد ذوق شخصي وانطباع آني.

وممن بدت هذه السمات في دراساتهم التطبيقية، الفلالي، وأبو مدين(1)، أما الدراسات الأكاديمية التي أعطت للغة الفنية أهمية ونفو لتها بدراسة علمية منهجية، فتتمثل بدراسة الدكتورة نوره الشملان لأبي ذؤيب الهذلي، ودراسة آمنة عبدالحميد عقاد لشعر العواد، ودراسة الدكتورعبدالله الغذامي لشعر حمزة شحاته، ودراسة الدكتور مسعد العطوي لشعر الغزاوي، ودراسة أحمد المحسن لشعر حسين سرحان. ولعل من أدق الدراسات وألصقها بالدرس اللغوي على مناهجه الحديثة دراسة الدكتورة سعاد بنت عبدالعزيز المانع لسيفيات المتنبي، إذ قامت على الدراسة النقدية للاستخدام اللغوي. وهو عمل إحصائي تحليلي استنتاجي، وتعد دراستها تلك من أنواع الدراسات الأسلوبية الإحصائية، وفي ذلك تتبع للإشارات الكمية والاستدلال بنتائجها، وهو منهج تحمس له بعض الألسنيين أمثال الدكتور سعد مصلوح، وتحفَّظ عليه آخرون أمثال الدكتور صلاح فضل وشفيع السيد(2). ودراسة سعاد المانع تقع في خمسمئة صفحة، تناولت بالتحليل الإحصائي ثمانيَ وسبعين قصيدة ومقطوعة تتراوح أبياتها بين بيتين وستة وستين بيتًا، وهي مجمل سيفيات المتنبي كما هي عند العكبري والواحدي، وقد أفرغت الكلمات ضمن حقول: الحرب، والسلاح، والطبيعة والحيوان، والإنسان، والزمن والحياة، والموت(3). ولأهمية هذه الدراسة ستكون لنا وقفة تفصيلية عند دراستنا للاتجاه اللغوي في الدرس الأدبي.

أما دراسة المحسن لسرحان فقد قامت على محورين: المفردة والتركيب، واستغلت خمس الكتاب تقريبًا الذي يقع في خمسمئة صفحة. وقد ركن إلى الأسلوب الإحصائي والجداول بحيث حصر الألفاظ، والمجموعات التي تدور حول معنى معين والمحاور الدلالية المتمثلة «بالظلام، والهبوط، والموت، والإخفاق». أما في دراسته للتركيب اللغوي فقد اقتصر على القضايا التراثية، كالتقديم والاستفهام، والمقابلة، واستخدام الأفعال، ولم يفطن لحركية وتغاير الدلالة من خلال الفعل وجموده ومركزيته من خلال الاسم. وتناولت دراسته خصائص أسلوبية، كالجمل الجاهزة، وهذه المحاولة قربته من النقد الألسني وإن لم يكن على فهم دقيق بمناهج هذا الدرس(4).

وتعد دراسته ودراسة الغذامي وسعاد المانع من الدرس اللغوي الحديث، وسنغطي هذا الجانب عند الحديث عن النقاد ومناهجهم النقدية؛ لأهمية هذا الاتجاه واختلاف الرأي فيه وتفاوت مستويات النقاد في ذلك واقتصار «البعض» على التنظير.

وبشيء من التواضع وعلى الشاكلة نفسها تأتي دراسة الدكتورة نوره الشملان لشعر أبي ذؤيب الهذلي؛ فقد تناولت، على مدى عشرين صفحة، اللغة والأسلوب، وليست في دراستها اللغوية على شيء من الأساليب المعاصرة إذا استُثنيت إشارة خاطفة لما تنبه إليه نوري القيسي عندما درس حروف العطف عند أبي ذؤيب بحيث اطرد نسقها تناسبًا وتماشيًا، ومن ثم وفرت وحدة عضوية ووحدة موضوعية لبعض القصائد(5).

ومن الأكاديميين الذين قاربوا الدرس اللغوي الحديث الدكتور سعيد مصلح السريحي في دراسته لشعر أبي تمام. وفي سبيل استخلاص الخصائص الأسلوبية استخدم المنهج الإحصائي حيث خرج بنتائج مهمة. فأبو تمام من أكثر الشعراء استخدامًا للأسماء، وأكثرهم استخداماً للإضافة، وأكثرهم استخدامًا للوصف، كما أدرك ظواهر أخرى كظاهرة «الإضمار قبل الذكر» وصيغ المثنى(6)، وقد اعتمد على العينات ومن ثم فإن نتائجه احتمالية. وعلى غير هذا المهيع جاءت دراسة باقازي لشعر ضياء الدين رجب، فالدرس اللغوي انطوى على عموميات بحيث نظر إلى ملامح العذوبة الشعرية، ومزيج الرقة والجزالة، والإيقاع الحسي ونبرة الذاتية. وحين التمس الخصوصية اللغوية لجأ إلى التعميم ولم يحدد هذه الخصوصية بالشاهد والإحصاء كما فعل غيره، ولهذا تجد أن عناوينه باذخة وغير مستكملة لمتطلباتها، وهو كذلك في حديثه عن جمالية الديباجة وجمالية الألفاظ وأناقتها وتراسل الحواس. غير أنه حين يتناول الظواهر القديمة يقترب من الموضوعية. لقد تحدث عن الطباق والجناس، والتصريع وحسن التقسيم والترصيع. والدارس يخلط بين اللغة والبلاغة(7) من دون وعي تام بدواعي الخلط والتفريق، ومرد ذلك، في نظري، رلى التسرع وتداخل الأعمال والحرص على الكم التأليفي لا على الكيف. وعلى خلافه الدكتور عالي القرشي الذي يستخدم المنهج اللغوي والأدوات البلاغية بوعي تام، لولا تلك المبالغات وذلك الإغراب في بعض تناولاته مع شيء من التمحل. وهو عند إمعانه في تقويض الدلالة ينقصه الوعي التراثي وآليات التفكيك. ومحاولة القرشي قد يكتب لها النجاح إذا استطاع تجنيبها الادعاء وركز فيها على ما يملك من آليات حديثة وتراثية، وإذا ما تجنب استكمال ما تعجز عنه لغة النص استكمالاً لايتوافر في لغة النص، وهذه المبالغة يقع فيها كثير من النقاد الآخذين بآليات البنيوية والتفكيكية إذ يحملون لغة النص مالا تحتمل لتكون متسعة لآلياتهم التي تبحث في تقويض اللغة.

لقد حظي النقد الحديث بمناهج جديدة تعلق بها النقاد المحدثون ومحضوها حبهم وحماسهم وبالغوا في أهميتها ونعوا على غيرهم العزوف عنها أو الأخذ منها بمقدار، ومن أهم هذه المناهج المنهج اللغوي على اختلاف تحولاته، يقول الدكتور القرشي: «فلا تقاس القصيدة بحدة انفعالها، كما لاتقاس بكثرة أفكارها ومعارفها، ولاتقاس أيضًا بسمو الموضوعات التي تتناولها، كما لا تقاس بدقة الوصف والتصوير، وإنما قياسها ينبعث من حركة اللغة داخل النص الشعري»(8). ولست أعرف نوع هذه الحركة إذا استبعدنا الأفكار، والمعارف، وسمو الموضوعات، والدقة في الوصف والتصوير. المعروف أن اللغة مادة أولية أو قل هي نظام للكلام، ومن ثم فليست مقصودة لذاتها كمادة الذهب والفضة والأحجارالكريمة، فتلك لها قيمتها قبل الصياغة وبعدها، لأنها جواهر ثمينة وحسية جسمية، أما اللغة فهي مادة غير جسمية وغير مثمنة تكتسب الجمال من الصياغة والقيمة من الأفكار. فلا قيمة لها من دون الأفكار ولا جمال لها من دون الصياغة، كما أنها تقبح وتسف لا بذاتها وإنما بالصياغة الرديئة والفكرة الخاملة. ومثل هذا القول ناشئ عن

النقد والاتجاه اللغوي

الاندفاع غير الواعي بهذه السبل والاستسلام غير المشروط لها، وهي موجة من الانفعال العاطفي غير المتزن وغير المركز، وإذ تكون اللغة من الأهمية بمكان، فإن تلك الأهمية ليست هي كل شيء، ولا تسوغ إسقاط أهميات أخرى ليست بأقل أهمية من اللغة.

لقد طرأت على الساحة النقدية مناهج لغوية حديثة نشأت لخدمة اللغة، ثم تحولت أدوات نقدية على يد الشكلانيين الروس، ومارس بعض النقاد العرب في ضوء تلك المناهج العملية النقدية. كالمنهج البنيوي، وتحولاته التفكيكية.. والتحويلية، أو مترادفاته كالألسنية، والأسلوبية. ولسنا بصدد تحديد موقفنا منها أو كشف عيوبها، فذلك موضعه عند دراسة الشخصيات التي مارست النقد في ضوء تلك المناهج وعند دراسة التيارات النقدية. وإذ نختلف مع تلك المناهج أو نتحفظ عليها فإن ذلك لايعني الاعتراض التام أو الرفض المطلق فهي أدوات لها وعليها، كما لايستدعي موقفنا منها رفض رموزها أو النيل من كفاءتهم واقتدارهم.

إن هناك فرقًا واضحًا بين الموقف من المنهج، والموقف من مطبقه، وإذ نعترض على خطأ الممارسة فإن هذا لايعني الاعتراض على أداة الممارسة، وفي الوقت نفسه فإن نجاح المنهج في المجال اللغوي لايكفل له النجاح في المجال الأدبي، واستجابة المنهج لأدب أمة أو لغتها لايعني تحقيق الاستجابة نفسها لأدب أمة أخرى ولغتها. وهذا بعض ما وقع فيه المندفعون الذين لايلوون على شيء.

لقد برع بعض النقاد المغاربة في فهم هذه المناهج وتطبيقها، وأخفق بعضهم ولم يدركوا عجزهم، وحين لانعترض على معالجة النصوص بأي أداة تسهم في كشف جمالياتها ودلالاتها، لانفكر في المفاضلة بين المناهج أو إلغائها في سبيل الأحادية التي يبشر بها بعض النقاد. إننا لكي نثري الساحة النقدية يجب أن نتيح الفرصة لكل المناهج ولكل الأدوات، مع ملاحظة ما تقتضيه خصوصية الأمة، ومتطلبات هذه الخصوصية، ومع ملاحظة أن يمتلك الآخذون بهذه المذاهب ناصيتها ويتقنوا تطبيقها.

لقد اهتم النقاد في المملكة باللغة في وقت مبكر وأثارهم ما ذهب إليه بعض الأدباء العرب من دعوة إلى مواجهة اللغة، فالصبان أول من تنبه لتجاوزات ميخائيل نعيمة في مقاله «نقيق الضفادع» المنشور في كتابه «الغربال»، وأول من تصدى لهذا التطرف وألف في سبيل ذلك كتابه «المعرض»، حيث طرح سؤالاً حول اللغة على ناشئة الحجاز، ثم جمع الإجابات في كتابه «المعرض»، واستمر هذا الاهتمام باللغة حتى إذا تبدلت المناهج، وتحولت الآراء، وطُرِحَ المشروع الاستشراقي في مصر، وقامت الدعوة إلى العامية وتساقط في أتون هذه الريبة عدد من أدباء العروبة؛ تحركت أقلام العلماء والأدباء، وتصدت أقلام مأجورة أو مخدوعة، واختلطت الأصوات، وعلا الضجيج، وأصبحت القضية بعد إخفاقها رقمًا في تاريخ الأدب، ولكننا لانفتأ نسمع من يعيد القضية بثوب آخر يتمثل بالدعوة إلى وضع قسم للأدب الشعبي في جامعاتنا، وهذا سيفضي في النهاية إلى تحويل هذه اللهجة إلى لغة، وسيؤدي إلى الازدواج اللغوي. وتعد ظاهرة الأدب الشعبي من الظواهر النقدية في بلادنا، حتى لقد أشار إليها طه حسين حين تحدث عن الحياة الأدبية في جزيرة العرب فقال: «إن في جزيرة العرب أدبين مختلفين أحدهما شعبي يتخذ لغة الشعب أداة للتعبير» إلى أن قال: «هذا الأدب - وإن فسدت لغته - حي قوي» وقال: «وهو في موضوعاته ومعانيه وأساليبه مشبه كل الشبه للأدب العربي القديم الذي كان ينشأ في العصر الجاهلي»(9).

لقد التقط الأستاذ عبدالله بن خميس هذه المقولات يرددها فيما يكتب وفيما يقول، وألف تبعًا لذلك كتابه «الأدب الشعبي في جزيرة العرب»، ونظرًا لخطورة هذا الاتجاه وانطوائه على مغالطات، فقد تناولته بالتفصيل في دراستي للأستاذ عبدالله بن خميس بصفته ناقدًا لا بصفته شاعرًا(10). وسيسبق ذلك تناوله ضمن التيارات النقدية ذات الاتجاه اللغوي.

وإذ نشير إلى الاهتمام اللغوي وبداياته على يد الصبان في كتابه «المعرض»(11)، ثم تطوره كعلم يخدم النقد ولا يكونه على يد أحمد عبدالغفور عطار وبخاصة في كتابيه «الزحف على لغة القرآن»(12) و«آراء في اللغة»(13) نجد أن هناك اهتمامًا بالموسيقى الشعرية، ويأتي محمد حسن عواد رائدًا لهذا الاتجاه وذلك حين أخرج كتابه «الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجية» لتبسيط البحث وتجليته في علم العروض.

وقد حاول أن يخدم بذلك الشعر الحر الذي يراه منطلقًا من عروض الخليل إذ يلتزم التفعيلة، وقد عمد إلى وضع ميزان عروضي سماه ميزان التقاطع أملاً في أن يغني عن ميزان التفاعيل، ويرى أن ذلك خطوةً تجديديةً وفكرة جديدة. لقد حاول اختصار الأسباب، والأوتاد والفواصل والتفعيلات التي وضعها الخليل من أربعة عشر مقياسًا إلى ثلاثة مقاييس فقط تمتاز بالمرونة والثبات والسهولة على حد قوله عن مشروعه(14).

وتبعًا لذلك فقد ابتكر المؤلف رموزًا وعبارات تدل على ذكاء، ولكنها لاتحقق فائدة ولا تحل إشكالية، فهي أشبه بمن غير اسم ابنه من زيد إلى عمرو، لقد استبدل برموز الخليل رموزًا ليست أسهل منها دفعه إلى ذلك الاقتدار وحب المخالفة.

والعواد حين قسم موسيقى الشعر إلى قسمين: داخلية وخارجية، لم يستطع أن يعطي مصطلح الموسيقى الداخلية تعريفًا جامعًا مانعًا. فهي في نظره «نوع داخلي يحس به الشاعر الموهوب داخل أعماقه»(15) أو «إنه تموجات نفسية تحركها موهبة إلهية خاصة بالشعراء» (16).

وهذا الكلام مخالف كل المخالفة لتعريف الموسيقى الداخلية، إنها صياغة متميزة تمنح الكلمة إيقاعًا خافتًا يدركه الانسان المتلقي أو القارئ، وسنتناول ذلك بالتفصيل عند حديثنا عن العواد ناقدًا. ومشروع العواد العروضي إسهام يضاف إلى إسهامات النقاد أمثال نازك الملائكة والنويهي وإبراهيم أنيس ممن شغلهم الشعر الحر وأثارتهم تلك الفوضوية في الإبداع الشعري على تلك الأشكال الجديدة، ولكن كتاب العواد لم يثر جدلاً ولم يكن له حضور مثلما هو لمشروع نازك الملائكة وخصومها. على أن التحرر من الموسيقى الشعرية تجاوز ما بشرت به نازك وما دعا إليه العواد، لقد نشط المتمردون على عروض الخليل وعلى تفاعيل نازك وجاءت القصيدة النثرية، وحين أوغلت في النثرية بدأ المحتفون بها يضعون تحفظاتهم ويشيعون قلقهم من فوضويتها وعدم انضباطها.

الهوامش:

1- قدم الأستاذ علي الشرود شواهد لهذا اللون من النقد وخص القلالي وأبي مدين بذلك التطبيق، راجع المخطوطة ص 132 وما بعدها.

2- راجع «في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية» للدكتور سعد مصلوح وراجع كذلك «علم الأسلوب» لصلاح فضل، «والاتجاه الأسلوبي في النقد» لشفيع السيد.

3- سيفيات المتنبي، دراسة نقدية للاستخدام اللغوي، تأليف د. سعاد المانع، جامعة الرياض 1401هـ.

4- شعر حسين سرحان، دراسة نقدية، إعداد الطالب أحمد عبدالله المحسن، ط نادي جدة الأدبي عام 1411هـ.

5- أبو ذؤيب الهذلي: حياته وشعره، نوره الشملان، الناشر عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض 1400هـ.

6- شعر أبي تمام: بين النقد القديم ورؤية النقد الجديد، سعيد مصلح السريحي، ط نادي جدة الأدبي عام 1404هـ/1983م.

7- شعر ضياء الدين رجب بين الموقف والصياغة، تأليف د. عبدالله أحمد باقازي، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي 1412هـ.

8- ملف نادي الطائف الأدبي، العدد السادس عشر لعام 1412ص 46 من محاضرة ألقاها الدكتور عالي سرحان القرشي تحت عنوان «ظواهر في لغة الشعر السعودي الحديث».

9- الحياة الأدبية في جزيرة العرب ص 23 وقد نشرت في كتابه «ألوان».

10- راجع كتاب الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية للدكتور بكري الشيخ أمين ص 555 وما بعدها، وراجع كتاب «الأدب الشعبي في جزيرة العرب» للأستاذ عبدالله بن خميس.

11- المعرض أو آراء شبان الحجاز في اللغة العربية، جمعه ورتبه محمد سرور الصبان، المطبعة العربية في مصر 1926/1345م.

12- الزحف على لغة القرآن، أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت 1966م.

13- آراء في اللغة، أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية، جدة 1964م.

14- الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجية ص 167.

15- المصدر السابق ص 22.

16- المصدر السابق ص 22.

انقذوا الأطفال

م. درويش إبراهيم يوسف

الطفولة، المرحلة التي يفترض أن تكون مخصصة للتعليم والتقدم إلى النضج في كنف أسرة محبة، أصبحت كابوسًا لملايين من الأطفال، كابوسًا لن يفيق منه الكثيرون أبدًا. ففي يوم نموذجي من التسعينيات كيومنا هذا، سيقاتل 200 ألف طفل في حروب العصابات، 100مليون طفل في سن الدراسة لن يذهبوا إلى المدرسة، 150مليون طفل سيأوون إلى الفراش جياعًا، 30 مليون طفل سينامون في الشوارع، و 40 ألف طفل سيموتون.

إذا بدت الأرقام السابقة مروِّعة، فالوجوه المختبئة خلف هذه الأرقام تنفطر لها القلوب. ولكن هذه المأساة الفظيعة التي يعانيها الأطفال، والتي دعيت «الكارثة الصامتة» لم تسترع انتباه العالم.

وهكذا

ناح بيترتيلي، مندوب الولايات المتحدة في القمة العالمية من أجل الأطفال: «لو أن 40 ألفًا من الأبوام الرقطاء ماتت كل يوم لحدث سخط شديد. ولكن 40 ألف طفل يموتون، ولا أحد يلاحظ ذلك».

ولكن الأمر لم يعد كذلك، ففي السنوات الأخيرة ركزت وسائل الإعلام الدولية الضوء على ورطة الأطفال، السر المخزي المكتوم للأسرة البشرية. فماذا كشف؟

المرض

تقتل ثلاثة أمراض قرابة 8 ملايين طفل في العالم النامي سنويًا. وهذه الأمراض هي ذات الرئة والإسهال، والحصبة. ويظهر تقرير لليونيسيف «صندوق رعاية الطفولة الدولي التابع للأمم المتحدة» أن أمراضًا كهذه يمكن معالجتها أو الوقاية منها بوسائل متوافرة يمكن شراؤها. مثلاً، ذات الرئة، القاتل الأكبر للأطفال، مسؤولة عن وفاة ٤ ملايين طفل في السنة. وفي معظم الحالات تكون المشكلة جرثومية ويمكن معالجتها بسلسلة من المضادات الحيوية التي تستخدم لخمسة أيام وتكلف نصف دولار أمريكي. ويحصد الإسهال حياة ثلاثة ملايين طفل في السنة، ويمكن تجنب نحو نصف هذه الوفيات إذا استعمل الأهل معالجة رخيصة بالإمهاء عن طريق الفم. وتسبب الحصبة وفاة مليون طفل كل سنة، ويشير التقرير إلى أنه يمكن تجنب ذلك بالتلقيح، ويكلف اللقاح ضد الحصبة أقل من نصف دولار أمريكي للطفل.

نعم، لسنوات كانت الأدوية والعلاجات متوافرة للوقاية أو للشفاء من أمراض كثيرة طالما جلبت البلوى على الأسرة البشرية، ولكنها لم تصل إلى الملايين الذين يحتاجون إليها. ووفقًا لتقرير حالة أولاد العالم سنة 1990م لليونيسيف «يشبه ذلك علاجًا للسرطان وجد أخيرًا لكنه بعد ذلك قلما استعمل طوال 20 سنة».

وللفقر، وسوء التغذية، ومياه الشرب الملوثة أثر في انتشار هذه الأمراض بين الأطفال، فنصف أطفال العالم فقط في العالم النامي يستطيعون أن يحصلوا على ماء نقي للشرب. وفي أمريكا اللاتينية وحدها. هنالك 50 مليون طفل من دون ماء شرب نظيف كاف. ووفقًا لمندوب اليونسيف هناك «الأطفال يموتون من الكوليرا أكثر من أيّ مرض آخر».

الجوع وسوء التغذية

لم يسبق أن أنتجت الأرض كمية كبيرة من الغذاء لإطعام البشرية كما تنتج اليوم، ومع ذلك لم يسبق أن ابتُلي هذا الجزء من البشرية بالمجاعة إلى هذا

الحد. ووفقًا لإحصائيات البنك الدولي، أثّرت المجاعة بشدة في حياة نحو بليون شخص في السنة، أكثر من أي وقت مضى، وفي كل العالم النامي يعاني 200 مليون طفل من المجاعة. وجميعنا عارفون على نحو مؤلم بالصور المأساوية لأطفال جياع ذوي أجسام شبيهة بالهيكل العظمي، بطون منتفخة، وعيون كليلة تحدق إلى لا شيء.

ولكنّ هؤلاء الأطفال المثيرين للشفقة يمثلون مجرد جزء صغير من مشكلة سوء التغذية. يقول بيان صحفي للأمم المتحدة، «في السنة 1993م مات ما يقدر بأربعة ملايين طفل بسبب سوء التغذية، إما مباشرة أو لأن ذلك جعل تأثير الأمراض الخمجية أسوأ».

يقول الباحث وليم شاندلر: «إن سوء التغذية الذي تسببه عادات إطعام الطفل الزهيدة يتطلب أكثر من 10 أضعاف الأنفس التي تتطلبها المجاعة الفعلية»، ففي العديد من البلدان يُفطم الأطفال باكرًا جدًا عن حليب الأم الذي يزوّد بالغذاء الكامل ويُكسب الطفل المناعة ضد الأخماج الشائعة. ويعطى هؤلاء الأطفال الأطعمة الجامدة في هذا الوقت المبكر، مما يزيد من خطر الأخماج الشائعة. يقول الدكتور شيزوا وكيودو مدير صحة الأطفال في نيجيريا «الجهل من جهة الأهل يساعد على خلق أوضاع مؤاتية للأمراض».

وسوء التغذية المستمر يمنع الأطفال من بلوغ مقدرتهم العقلية والجسدية الكاملة، فمعظم الأطفال الذين تُساءُ تغذيتهم هم هُزالى، بُلَداء، ذوو عيون عديمة البريق، إنهم يلعبون أقل، ويتعلمون أبسط من الأطفال الذين يجري إطعامهم جيدًا. وهم أيضًا معرضون أكثر للخمج، العامل الرئيسي الذي يسهم في وفاة نحو ثلث الـ 14 مليون طفل في البلدان النامية كل سنة.



الطفولة: وقت للفرح أم للكدح

الحرب

في الأزمنة الماضية، كان معظم ضحايا الحرب جنودًا. لكن الأمر ليس كذلك الآن، فمنذ الحرب العالمية الثانية، و80 في المئة من الـ 30 مليون الذين قُتِلوا، و الـ 60 مليون الذين جُرِحُوا في مختلف النزاعات كانوا مدنيين من النساء والأطفال في الغالب.

وخلال العقد الماضي، قتل زهاء 15 مليون طفل في الحرب. وأربعة ملايين آخرين صاروا معاقين مشوهين، أو عميانًا. وفي إحدى المراحل خلال الثمانينيات كان 25 طفلاً في إفريقية يموتون كل ساعة نتيجة النزاعات. وأعداد لاتحصى من الأطفال جرحوا، أو تُخُلِّي عنهم، أو يُتِّمـوا، أو أُخِذوا رهينة.

وفي السنة قبل الماضية أرسلت الحرب أربعة ملايين طفل إلى مخيمات اللاجئين. وهؤلاء الأطفال غالبًا ما يحرمون من الهوية بالإضافة إلى الطعام الملائم، والعناية الصحية، والتعليم. وبالإضافة إلى ذلك يؤذي التوتر الدولي الأطفال غير المشمولين مباشرة بالصراعات. فالقوة العسكرية تلتهم الأموال التي يمكن إنفاقها لرعاية الأطفال.

لكن الأطفال ليسوا فقط ضحايا الحروب، إنهم أيضًا مقاتلون فيها. تأملوا «سامو» الذي يبلغ من العمر 13 سنة فقط، جندي متمرس في وسط إفريقية، وله خبرة ست معارك. كان «ساموا» يعمل في الحقول قبل أن يصير محاربًا ـ في العاشرة من العمر. أما الآن، فهو يستخدم بندقية اقتحام آلية ببراعة وهو لايتردد في استعمالها. وفي إحدى المناوشات قتل جنديين من



المجاعة ـ الوجه الأقسى لمأساة الأطفال

العدو من مسافة قصيرة. ويوضح الضابط المسؤول عنه أن الأطفال هم أصلح لأن يكونوا جنودًا «لأنهم لايخافون». وليس هذا الجندي الصغير حالة نادرة. ففي السنوات الأخيرة، جُنِّد 200 ألف طفل دون الـ 15 من العمر، زُوِّدوا بالأسلحة، ودُرِّبوا على القتل، وبينهم كان أولئك الذين فقدوا الحياة أو أطرافًا فيما كانوا يطيعون الأوامر لفتح طرق عبر حقول الألغام الأرضية.

العنف

ليست الحرب هي الوحيدة التي تحصد هذه الأرواح البريئة الصغيرة. ولكن الجريمة والعنف لهما ضريبتهما الثقيلة أيضًا، ففي العديد من المجتمعات الصناعية، كما تخبر مجلة THE NEWYORK TIMES يكون العنف والجريمة في الشوارع هو النمط الذي يسود الحياة. ففي الولايات المتحدة، يموت سنويًا خمسة آلاف طفل، ويتأذى 25 ألفًا آخرون نتيجة لإطلاق النار. ووفقًا للمركز الأميركي للإحصاء «من كل 4 وفيات بين الأميركيين الأطفال، تشمل واحدة مسدسًا»

وإذ يسود العنف الشوارع، وتزخر أفلام (السينما) ومسلسلات قنوات التلفاز المختلفة بالمشاهدة العنيفة، ينعكس ذلك على الأطفال أيضًا، فيصبحون مسهمين في العنف لا ضحايا فقط. تخبر مجلة TIME: «هناك مليون طفل في الخارج ليس لديهم مهارات سوى القتال، إنهم لايخافون الشرطة أو السجن أو الموت ففي السنة 1988م أطلقَ أكثر من 3آلاف طفل النار على أطفال آخرين».

ووفقًا لإحصائية نشرت في بداية السنة الماضية، تبين أنه تحدث زهاء ثلاثة ملايين جريمة سنويًا في حرم المدارس الأميركية أو قربها. وكل يوم يُهاجم جسديًا 40 معلمًا ونحو 990 يهدَّدون بالأذية الجسدية. واستنادًا إلى رابطة التعليم القومي، يحمل 100ألف تلميذ مسدسات إلى المدرسة كل يوم، ويشهد كل يوم نموذجي 40 طفلاً يُقتلون أو يتأذون بالأسلحة النارية. «إن احتمالنا العنف يفوق ما هو عادي. والمدارس ليست سوى انعكاس لذلك». «يقول جون ريكنرز من المعهد القومي للصحة العقلية، وأحد أساتذة اللغة الإنجليزية، الذي نجح قبلاً بنسبة 10٪ فقط على حمل تلاميذه على كتابة موضوع إنشاء، نجح 10٪ عندما عين لهم موضوع «سلاحي المفضل».

ولكن الولايات المتحدة ليست وحدها بهذا العدد، ففي الإحصائيات الإيطالية التي نشرت في سنة 1992م تبين أن «جرائم الأطفال هي في ازدياد؛ فقد تضاعفَتْ في السنوات الخمس الأخيرة». وفي ألمانيا كشف استطلاع واسع النطاق في 169 مدرسة، في هامبرغ، عن نمو في العنف في مؤسسات التعليم وفي كوينزلاند الأسترالية، عندما فُرِضَ حظر التجوّل بعد الساعة 11ليلاً على الأطفال دون الـ 15 سنة، أبلغت الشرطة عن انخفاض واضح في الجريمة المنظمة.

التشرد

يطوفون في زمر جوّالة، ينامون في أنابيب البناء، في أقبية مهجورة تكثر فيها الجرذان أو في زوايا الشوارع في أكوام بائسة، أسرّتهم صحف ممزقة، ولباسهم مجرد قصاصات من القماش، لا أسرة لهم ولا أقرباء ولا رجاء للمستقبل. إنهم يعيشون كل يوم كما لو أنه الأخير. وهم لايضيعون أي وقت. إذ يسلبون في ثوان، ساعة يد من رجل، ينتزعون قلادة امرأة، أو يسطون على محفظة رجل مسنّ. وهم لايضيعون الوقت أيضًا في الاختفاء بين الجموع. من هم هؤلاء؟ أطفال الشوارع الذين يسكنون في أية مدينة في أميركا اللاتينية، كما تخبر مجلة

TIME. ولكن من الممكن أن يكونوا الأطفال المشردين لأية مدينة رئيسية في العالم. ووفقًا لمنظمة الصحة العالمية «إن أكثر من مليون طفل حول العالم يعيشون في الشوارع.» ولكن لماذا يعيشون في الشوارع؟!

لاشك أن الاقتصاد الضعيف في بلدان كثيرة هو سبب مهم لازدياد عدد أطفال الشوارع. فالأهل يدفعون بأطفالهم إلى الشوارع ليكسبوا كل ما يمكنهم كسبه وكيفما يمكنهم ذلك. ولكن يبقى السبب الأساسي للعدد المرتفع من الأطفال هو الهجر، أو الإساءة من قبل أهلهم. وإذ تنهار الأسرة بشكل رهيب في المجتمع الغربي، يعاني هو أيضًا من أزمة أطفال الشوارع المتنامية. ووفقًا لدراسة أجرتها جمعية إيواء الأطفال المتشردين في أستراليا، تبين أن عدد الأطفال المشردين يزداد هنالك. وأن الأطفال يصيرون مشردين بعمر أبكر.

وعندما يكون الشارع هو بيتهم، فأيّ نوع من الشخصيات يتوقع أن تتاح للأطفال المشردين؟ وفقا لدراسة أجرتها اليونيسيف، فإن 60٪ من الأطفال المشردين يستعملون مواد طفل الهلوسة، 40٪ يستعملون المشروبات الكحولية، 16٪ مدمنون على المخدرات، 92٪ يستعملون التبغ.

استغلال الأطفال

يعمل «ودكابي» البالغ من العمر أربع سنوات، في جزيرة كاريبة أجيرًا في بيت، إنه ينهض في السادسة صباحًا ليهتم بأعماله المنزلية اليومية: كالطبخ، وجلب الماء وتنظيف بيت سيده وهو لايحصل على أي أجر، ولم يدخل المدرسة أبدًا. وينهي «ودكابي» يومه في التاسعة والنصف مساءً، وإذا سارت الأمور معه على مايرام. فلن يأوي إلى الفراش جائعًا.

في الكثير من البلدان الفقيرة يجعل الفقر الوالدين يبيعون أطفالهم مقابل لاشيء تقريبًا لتجنب الجوع أو دفع ديونهم، فماذا يحدث لهؤلاء الأطفال؟ وفقًا لتقرير لليونيسيف يُجبر كل يوم نحو 80 مليون طفل بعمر 10 إلى 14 سنة على الكدح في أعمال شاقة، غير صحيّة، وذات راتب زهيد. وفي دراسة أجراها المعهد البرازيلي للجغرافيا والإحصاء، تبين أنه من بين 60 مليون طفل برازيلي، ينتمي 30 مليونًا منهم إلى عائلات يبلغ فيها متوسط دخل الفرد سنويًا أقل من نصف الحد الأدنى للأجور البالغ 40 دولارًا أميريكيًا تقريبًا.

مع أن كمية الغذاء المنتجة اليوم تكفي لإطعام البشرية، إلا أن 200 مليون طفل يعانون من المجاعة في العالم

وبدلاً من الذهاب إلى المدرسة فإن 20 في المئة من الأطفال البرازيليين الذين تتراوح أعمارهم بين الـ 10و 14 سنة لديهم عمل دنيوي لمساعدة عائلاتهم المتألمة. وكم يبلغ عدد هؤلاء الأطفال؟ عشرة ملايين.

في الواقع، شهدت الثمانينيات انخفاضًا واضحًا في التسجيل في المدارس في دول العالم الأفقر. ففي كولمبيا مثلاً، بينت إحصائيات السنة 1993م وجود 2,5 مليون طفل في سن التعليم هناك. ولكن تخلّف عن المدرسة 750 ألف طفل منهم. وتضيف الإحصائيات أنه من بين الذين سجلوا توقف 150 ألف طفل عن الذهاب إلى المدرسة في تلك السنة سعيًا وراء عمل ما.

وبالكدح بجد ينجز هؤلاء القاصرون العمل نفسه الذي يقوم به الراشدون. ولكن، بما أنهم غالبًا ما يتقاضون أجرًا دون المستوى، فهم لا يسهمون إلا بالقليل في دخل العائلة. وإذا هجروا المدرسة سيبقى هؤلاء الصغار نصف أميين وفقراء أيضًا كوالديهم، من دون فرصة لتغيير وضعهم الاجتماعي. ولكن ثمة نتيجة أسوأ أيضًا. فالقاصر الذي يعمل ينتزع الوظائف من رؤوس العائلات الآخرين لأنه مستعد أن يتقاضى نصف أو ثلث أجر الراشد. وأرباب العمل يفضلونهم لأنهم يعملون تحت أقسى الظروف مع أقل الضمانات من دون تشكٍّ أو تذمّر.

المشكلات البيئية

فيما تصير الأزمة البيئية العالمية أشد وطأة على الجنس البشري عمومًا، يتلقى الأطفال ضرباتها الأكثر إيلامًا. ووفقًا لتقرير نشرته منظمة الصحة العالمية، مؤسس على دراسة علمية لـ 30 مدينة رئيسية، يشير إلى أن «تلوث الهواء يسبب مشكلات صحية خطيرة على نحو متزايد في بعض دول العالم الكبرى. وهو الآن جزء لا مفر منه تقريبًا من حياة كل مدينة كبرى «والأطفال هم الأكثر تأثرًا بهذا التلوث. فدون سن الثالثة يستنشق الطفل من حيث النسبة عندما يكون في وضع الراحة ضعف مقدار الهواء، وبالتالي ضعف مقدار التلوث الذي يستنشقه الراشد المستريح. وبما أن الأطفال ليس لديهم بعد كلى وأكباد، ومجموعات أنزيمية نامية على نحو كامل، فإنهم غير قادرين على معالجة الملوثات بفعالية كما يستطيع الراشدون».

وتؤكد هذا الأمر دراسة أجريت مؤخرًا في البرازيل تظهر ارتباط تلوث الهواء بوفيات أطفال المدن الذين هم دون الخامسة من العمر. ووفقا للدكتور «بارلو سالدينا»، الباحث في كلية الطب، إنه كلما كان الهواء يحتوي على كمية أكبر من أكسيد النتروجين، الذي ينتج عن احتراق الوقود، كان هنالك ازدياد في عدد الوفيات الناتجة عن مضاعفات تنفسية. فزيادة مجرد عشر الجزء من هذا الغاز في كل مليون جزء من الهواء تعني وفاة ثمانية أطفال إضافيين أسبوعيًا في مدينة سان باولو. وبما أن الأطفال الفقراء الذين يعانون نقصًا في التغذية، هم الأكثر تأثرًا. يلاحظ «سالدينا» «أن الذين يدفعون ثمن التلوث من السيارات هم بالتحديد الذين لايتمتعون بالراحة التي توفرها المركبة».



أولاد يعيشون قرب مصنع غاز خطر يتدربون على النجاة في حالة وقوع حادث

والتسمم بالرصاص هو وجه مأساوي آخر لتأثير التلوث في الأطفال. وفي حين أن بلدانًا كثيرة منعت في السنوات الأخيرة بعض استعمالات الطلاء التأسيسي الذي يحتوي على الرصاص، لايزال الطلاء موجودًا في البيوت القديمة، ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال، لاتزال هنالك مستويات عالية من الرصاص في 57 مليون بيت تقريبًا، وبسبب سلوكهم ونشاطهم، من المرجح أكثر أن يلتقط الأطفال الرصاص من بيئتهم. ووفقًا للدكتور «فرنون هوك»، من مركز مكافحة الأمراض في الولايات المتحدة فإن «التسمم بالرصاص هو أكثر الأمراض البيئية شيوعًا أو تخريبًا اجتماعيًا للأطفال الصغار». وفي ظل المقاييس الجديدة، من ثلاثة إلى أربعة ملايين طفل دون السادسة من العمر في الولايات المتحدة وحدها لديهم مستويات من الرصاص في دمهم عالية إلى حد يكفي لإعاقة النمو الطبيعي. وذلك يمكن أن يعني أي شيء، من الضعف الطفيف في مهارات القراءة، إلى التخلف العقلي الكامل. وإذا كانت هذه هي الحال في بلد واحد، فلابد أن تكون الأرقام العالمية صاعقة. ففي جنوب شرق آسيا، وفي إفريقية، والمكسيك، لايزال الرصاص يستعمل أحيانًا دواء من قبل أولئك الذين لايدركون أخطاره. إنه يستعمل للتخفيف من الإمساك، وأخماج الحبل السري، وأيضا مادة مسكنة لألم اللثة عند ظهور الأسنان.

والتلوث بالإشعاعات النووية، التلوث البيئي الأكثر إهلاكًا،إنما يصيب الأطفال أيضًا. فبعد سبع سنين من حادث تشرنوبيل النووي في أوكرانيا، يخبر الأطباء في روسيا البيضاء عن ازدياد كبير في عدد سرطانات الغدة الدرقية لدى الأطفال. فقد ارتفعت حالات سرطان الغدة الدرقية المخبر بها بين الأطفال من معدل ٤ حالات في السنة بين 1986 و 1989 إلى 114 حالة في السنة بين 1990 و 1992م.

وفي بلد بعد بلد آخر، يكون الأطفال هم الخاسرين الرئيسيين فيما الغابات تتقلص، الصحارى تنمو والأراضي الزراعية المستخدمة كثيراً تتآكل وتصير أقل خصبًا، وتنتج طعامًا أقل فأقل.

جهود لإنقاذ الأطفال

توضح الإحصائيات المأساوية هذه كيف هي الحياة لدى كثيرين من أطفال العالم. ولكن «لم يعد الجنس البشري يستطيع احتمال الواقع، إن ملايين الأطفال يموتون كل سنة». كما ذكر ميخائيل غوربا تشوف في القمة العالمية من أجل الأطفال، التي عقدت برعاية الأمم المتحدة في المقر الرئيسي في نيويورك سنة 1990م. وقد اجتمع هناك رسميو الدول والحكومات من أكثر من 70 بلدًا، في 29 و 30، أيلول سبتمبر لمناقشة الحالة السيئة لأطفال العالم. واتفق الجميع على ضرورة التحرك بسرعة. فأخذوا على عاتقهم «التزامًا جديًا بإعطاء الأولوية لحقوق الأطفال لنجاتهم وحمايتهم. وقد رحبت اليونسيف باليوم الأخير للقمة بصفته «اليوم الأهم على الإطلاق للأطفال حول العالم». ولماذا مثل هذه الحماسة؟ لأن قادة العالم تبنوا «خطة عمل» لتخفيض معاناة وموت الأطفال في كل الأرض. فأية اقتراحات قدموها؟.

كان الهدف إنقاذ حياة أكثر من 50 مليون طفل يحتمل أن يموتوا في تسعينيات الـ 1900. ومن الممكن إنقاذ الكثير من هذه الأنفس الضعيفة بتنفيذ الإجراءات الصحية التالية:

- إذ تم إقناع جميع الأمهات في البلدان النامية بإرضاع أطفالهن من الثدي من أربعة إلى ستة أشهر على الأقل فستنقذ حياة مليون طفل سنويًا.
- يمكن للاستعمال الشامل لعلاج الأمهاء عن طريق الفم ORT أن يخفِّض إلى النصف معدل الوفيات التي يسببها الإسهال المسؤول عن موت أربعة ملايين طفل كل سنة.
- يمكن للتلقيح الواسع الانتشار واستعمال المضادات الحيوية غير المكلفة أن يحولا دون وقوع ملايين الوفيات الأخرى بسبب أمراض كالحصبة، والكزاز، وذات الرئة.
- خفض سوء التغذية الشديد والمعتدل بين الأطفال الذين هم دون الخامسة من العمر إلى نصف مستويات سنة 1990م.
- تزويد إمكانية عالمية للحصول على مياه شرب آمنة.
- حماية الأطفال في الظروف الصعبة بشكل خصوصي، ولاسيما في حالات النزاع المسلح.
- التأكد أنه بحلول نهاية العقد ستكون لكل طفل فرصة الذهاب إلى المدرسة.


أطفال مرضى في «مشفى» للاجئين في إفريقيا

انقذوا الأطفال

وفي ظل التعاون الدولي جرى تحقيق بعض الإنجازات في العناية بالأطفال. ففي كل أنحاء العالم يحدث تقدم هائل في مجال تلقيح الأطفال الصغار ضد الأمراض الأكثر شيوعًا. فقد منّعت بنغلاديش أكثر من 7 في المئة من أطفالها ومنّعت الصين أكثر من 95 في المئة. وعالميًا، 4 من كل 5 أطفال هم الآن ذوو مناعة ضد ستة أمراض قاتلة، الخانوق، الحصبة، شلل الأطفال، الكزاز، السل، الشاهوق. وقبل 12 سنة، كانت النسبة نحو 1 من كل 5، والآن يجري إنقاذ حياة نحو ثلاثة ملايين طفل كل سنة. ومع ذلك استنادًا إلى منظمة الصحة العالمية، فإن أمراضًا يمكن تجنبها لاتزال تودي بحياة نحو مليوني طفل كل سنة. ولو تمكنت كل دولة نامية من الوصول إلى تمنيع 90 في المئة من أطفالها، لأدى ذلك، كما يعتقد الخبراء الصحيون، إلى مناعة جماعية، فعندما تُمنّع الأغلبية الساحقة، يصير انتقال المرض أمرًا صعبًا جدًا.

ويجري تحسين أوضاع مئات الآلاف من الأطفال عن طريق المرشدين الصحيين الذين تدربهم المنظمات الدولية.

فباتباع توصيات اليونسيف، فإن ولاية سييرا البرازيلية «خفضت من نسبة وفيات أطفالها، من ٩٥ وفاة لكل 1000 طفل إلى 65»، كما تذكر NEWSWEEK، ويقول ممثل لليونيسيف «لم يحصل أي بلد أو ولاية على النتائج المثيرة ذاتها في المدة القصيرة نفسها من الوقت مثل ولاية سييرا». «وتخبر المجلة أنه بعد 80 ساعة من التدريب، ذهب 4 آلاف عامل في مجلة الصحة إلى الريف ليعلموا الأمهات الاعتناء الأساسي بالطفل. مثل الإرضاع وكيفية تحضير وصفة إعادة الإمهاء بالفم المنقذة للحياة المؤلفة من السكر، والملح، والماء.



الأطفال المشردون ـ مَنْ ينقذهم؟

وتخبر مجلة NEWSWEEK عن إنجازات مماثلة في ضواحي بومباي الهندية والعديد من المناطق الافريقية.

ولكن يشمل تأمين «مستقبل أفضل لكل طفل» أكثر بكثير من مجرد إنقاذهم من موت سابق لأوانه.

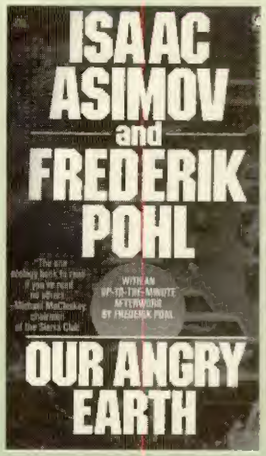
توضح ساندراهفمان، رئيسة مركز وقاية الطفولة من سوء التغذية، في مجلة TIME «إعادة الإمهاء لا تمنع الإسهال، إنها تنقذ فقط من الموت منه ـ وما يلزمنا فعله ـ هو التركيز على كيفية منع المرض، لا الموت فقط». وهكذا بالتعاون بين منظمة رعاية الطفولة ومنظمة الصحة العالمية جرى تنفيذ العديد من المشاريع التي تؤمن الماء النظيف للمناطق الإفريقية التي تعاني من هذه المشكلة. كما جرى سن العديد من القوانين التي تمنع، أو تحدّ، من تشغيل الأطفال. وفي كولومبيا، ابتكرت اليونيسيف نظامًا تعليميًا مصممًا خصوصًا لسد حاجات المجتمعات الريفية الفقيرة. إنه يدعى (اسكويلانويفا)، أو المدرسة الجديدة، وهي مدرسة ذات برنامج مرن مصمم لمساعدة الأطفال على اللحاق بالتلاميذ الآخرين إذا اضطروا إلى التخلف عن المجيء إلى المدرسة لأيام قليلة ـ وهذا الأمر شائع الحدوث، وخصوصًا عند جني المحاصيل. ويشجع بعض الأطفال على مساعدة بعضهم الآخر في ما لا يفهمونه. وهم أنفسهم يقومون بمعظم العمل المتعلق بإدارة المدرسة، ويجرب هذا الترتيب في بلدان كثيرة أخرى. ولكن الواقع المحزن هو أنه في حين جرى إحراز تقدم في العناية الصحية والتعليم، تبقى المشكلات الأخرى متمكنة كالسابق: الفقر والحرب والتشرد هي ثلاث من أصعب المشكلات معالجة.

هل ننجح؟

في القمة العالمية من أجل الأطفال، قدرت الكلفة الإضافية من أجل إتمام الأهداف التي يمكن أن تمنع موت 50 مليون طفل في التسعينيات بـ 2,5 بليون دولار أمريكي في السنة.

وليس ذلك كمية كبيرة من المال على الصعيد العالمي. ففي السنة الواحدة تنفق الشركات الأمريكية 2,5 بليون دولار أمريكي على إعلانات السجائر فقط. ذكر «بيتون ادامون»، محرر التقرير حالة أطفال العالم «لم يعد الموت والألم على هذا النطاق أمرين لامفر منهما، لذلك لم يعودا مقبولين، فالمقدرة موجودة والأخلاق تفرض ذلك». نعم، الأمم قادرة على تحقيق الأهداف الطموح التي عرضت في القمة. فهي تملك المعرفة، التقنية والمال. ويبقى السؤال، هل تفعل ذلك؟ هل تفعل؟.

في كثير من البلدان الفقيرة يدفع الفقر الوالدين إلى بيع أطفالهم مقابل لاشيء تقريبًا لتجنب الجوع أو دفع ديونهم



عرض وتلخيص:
د. توفيق علي منصور
تأليف:
إسحق آسيموف
فريدريك بول

أرضنا الغاضبة

صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى باللغة الإنجليزية في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1991م، وفي طبعته الثانية في نيسان/ أبريل 1993م عن دار النشر (TOR) TOM TDOHERTY ASSOCIATES, INC. في نيويورك. ويقع في 429 صفحة من القطع المتوسط وينقسم إلى مقدمتين و 25 فصلاً وخاتمة للمؤلف الثاني كتبها بعد وفاة الأول في نيسان/أبريل 1992م عن عمر يناهز 72 سنة.

وموضوع الكتاب البيئة ومشكلات التلوث وطرائق الوقاية منها: تلوث الهواء، وطبقة الغلاف الجوي المحيطة بالأرض، وطبقات الفضاء العليا؛ وتلوث الماء في الأنهار والبحيرات والبحار والمحيطات وخزانات المياه الجوفية؛ وكذلك تلوث اليابسة.

وكل هذا التلوث الذي يحدث بفعل الإنسان يرفع درجة حرارة الغلاف الجويّ المحيط بالأرض بحيث يجعل الكرة الأرضية أشبه شيء بالبيوت الزراعية المحمية التي تُدفّأ صناعيًا لإنبات محاصيل في غير مواسمها، والتي يسميها المتخصصون «الصوبات». ويترتب على ذلك اختلاف في درجات الحرارة المألوفة، وذوبان الجليد في المحيطين المتجمدين الشمالي والجنوبي، وما يصاحب ذلك من اختلاف في الظواهر الطبيعية كالرياح والأمطار والأعاصير والتيارات البحرية والبراكين وغيرها.

مقدمة إسحق آسيموف ISAAC ASIMOV

يُذكّر إسحق آسيموف في مقدمته بالكوارث التي حاقت ببني آدم بما قدمت أيديهم من دون الاكتراث بالمحاذير والنذر التي أتاهم بها الأنبياء والمرسلون نزلاً من السماء. ويَذْكُر فيما يذكر نبوءة كاساندرا CASSANDRA ابنة برايام ملك طروادة التي تقول:

«إن مدينة طروادة المحاصرة منذ عشر سنوات سوف ينتهي بها الأمر بالاستسلام والدمار»؛ ولكنَّ أحدًا لم يصدقها.

ومن قبل كارثة طروادة حاقت بالمصريين والبابليين واليهود كوارث أنذرهم الرسل بحدوثها: فالطوفان حذّر منه نوح عليه السلام قومه ولكنهم كَذَّبوه وعصوه. والدمار لحق بقوم لوط في سدوم وعمورة على تحذير لوط عليه السلام لهم. وليست هذه إلا أمثلة للدمار المحدق بالبشرية من واقع البحوث والدراسات العلمية. وفي هذه الدراسة ينبه آسيموف عالَمَ اليوم على الكارثة القادمة من جرّاء التلوث في الهواء والماء واليابسة. ويأمل أن ينصت إليه الناس ويستجيبوا لندائه. فهو يبلغ القارئ أن هذا الكتاب ليس رأيًا شخصيًا ولا نُبوءة عرّاف؛ ولكنه دراسة

علميـة لموقف الكون الذي يتـهـدده الخطر في كل مكان من جراء تجاوزات الإنسان. فـهو كتاب لايبث اليأس، ولكـنه يبعث الأمل في إيجاد حلول جادة إذا حزم كل امرئ أمره قبل فوات الأوان.

مقدمة فريدريك بول FREDERIK POHL

يبدو بول في مقدمته أكثر تشاؤمًا من زميله حين يقرر أن الوقت متأخر لدرء الخطر عن كوكبنا الأرض. فكثير من المزارع تصحَّرت، والغابات اجتثت من فوق الأرض و تحـولت الأرض من بعـدها إلى خـرائب. والوقت الآن متـأخر لإنقـاذ أرواحنا من التهلكة بـفعل الآثار السيئة لسلوك الإنسان التي تؤدي إلى رفع درجة حرارة طبقة الجو المغلفة للأرض بما يبدد طبقة الأوزون التي خلقـهـا الله لوقـاية الإنسـان والحـيـوان والنبـات والفطريات من مثالب الأشعة فوق البنفسجيـة المنبعثة من الشـمس، وهو لذلك يدعو الناس إلى تغـيير أنماط حياتـهم الاجتماعـية والاقتصادية والـسياسية لـتفادي الخطر الداهم.

وفي محاولته توضيح مـعالم هذا الكتاب يضرب الأمثلة التالية:

- كـانت حرب الخليـج الثانيـة أكـبر كـارثة على البيئة، لا من الحـرائق التي اضطرمت في حقول بترول الكويت فحـسب، بل من الحشد الهـائل من الأسلحة والمعـدات التي تسـتخدم البـترول وقـودًا وتضخ ثاني أكسيـد الكربون وغيره من الغـازات السامـة في الجو كذلك.

- إن مـصـادر الطاقـة ومـحطـات القـوى النووية والحـرارية ومعـظم المصانع الـدائرة بالوقود الـعضـوي تضخ سمـومها في الجـو باستـمرار من دون هوادة ولا رحمة بالإنسان والحيوان والنبات فـيما يستنشقونه من هواء، ومـا يشربونـه من ماء، ومـا يحـفظ رمقـهـم من أطعمة أو أعلاف أو أسمدة.

- إن وسـائل المواصـلات من سـيـارات وطائرات وقطارات وبواخـر هـي أكـبر العناصـر إسـهـامـاً في التلوث.

ولا سبـيل إلى اجتناب هذه المخـاطر إلا من طريق الحكومـات والعمل الـسيـاسي وسن التـشريعـات في المقام الأول. وعلى المنظمـات الاجتمـاعية والتـجارية الوطنيـة والدوليـة أن تدرك الخطر وتـتخذ الإجـراءات الكفيلة بالحـد مـن الآثار الضـارة، ومـراقبـة تنفـيذ القرارات اللازمة لتطهير البيئة.

لقد أصبـحت المدن غرقًا للغاز الخـانق. وللحفاظ علـى طبـقـة الأوزون OZONE LAYER بادرت الولايات المتحدة إلى حظر إنـتاج المعلبات الرذاذة التي تنشر جـزيئات الغـاز المركب الكلوروفـيـورين المكربن CHLORO FUORIN CARBON (CFC) الـتـي تتـصـاعد إلى طـبقـة الغـلاف الجـوي التـروتوسفـيـر TROTOSPHERE وتدمـر طـبـقـة الأوزون المغـلفـة للأرض لتحـميـها من نفاذ الأشعة فوق البـنفسجية المدمرة لكثير من مظاهر الحياة على سطح الأرض.

ويلقي بول بـاللائمـة على الآباء الـذين لا يزالون يستـمتعـون بالأشجـار الخـضر في حـدائق منازلهم، وبأشـعة الشمـس المشرقة الـدافئة، ويـسخِّرون الطـاقة المخزونة في باطن الأرض وعلى سطحـها، من دون أن يتركـوا لأبنائهم وأحفادهم إلا النذر اليسـير من الموارد والمزارع المتصحرة، وأشعة الشمس الحارقة الخبيثة التي تسبب سرطان الجلد الذي يكمن فيه الموت.

أهم المشكلات في تلوث البيئة

أهم المشكلات التي عرضها متن الكتاب تتلخص في تلوث الهـواء وتلوث الماء والـفضـاء الجـوي، ومـا يترتب عليه من آثـار سلبية في حياة الإنسـان والحيوان والنبات والفطريات. ويضرب الأمـثلة بلغة الأرقام عن حالات بذاتها كفيلة بإقناع القـارئ بصدقها للتأثر بها والتفاعل معها.

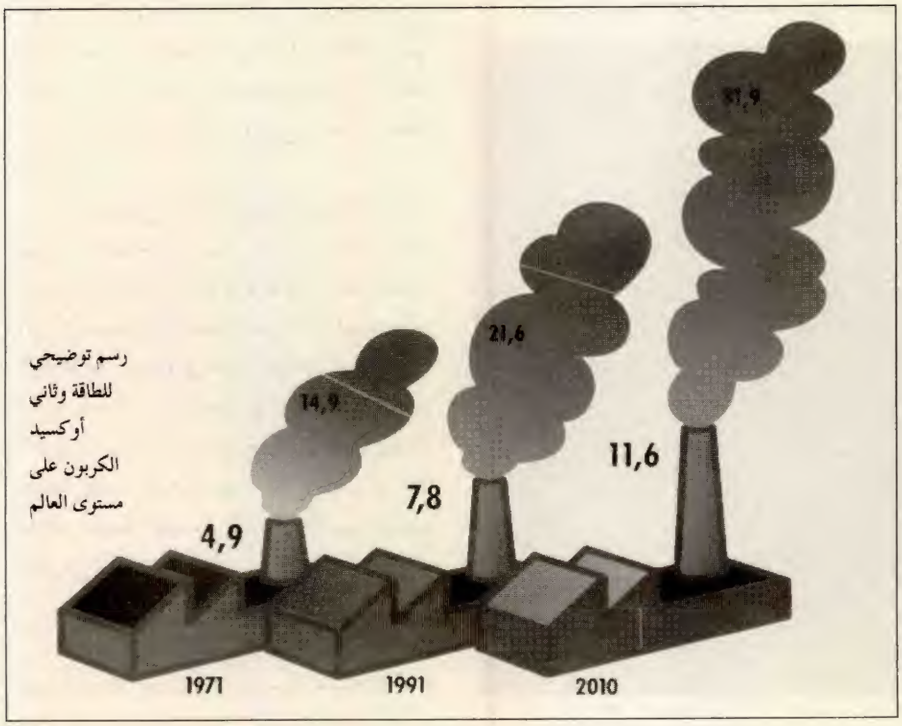
تلوث الهـواء: يؤدي تجـمع الأبخـرة والغـازات والعوادم إلى ارتفاع درجة حـرارة المحيط الجوي للكرة الأرضية. والمكونات الأساسية لهذه الأبخرة والغازات هي بخار الماء وثـاني أكسيـد الكربون وغازات الميثان والأوزون والغـازات التركـيبـيـة المسمـاة كلورو فلورو كربون CFC. القاتلة لـلأوزون. وهذه الغازات بدأت تتصـاعد في الجـو مع بداية الثورة الصناعـية في أوروبا منذ أواسط القرن الماضي.

ارتفاع درجة حرارة المحيط الجوي: نتيجة لارتفاع درجة حرارة المحيط الجوي للكـرة الأرضية تزداد نسبة التبخر من مياه الأنهار والبحيرات والبحار والمحيطات. وتتجـمع في سحب تختلط مـعها الأبخـرة والغازات الأخرى المتصاعدة، وتدفعها التيارات الهوائية للهطل بغـزارة في مناطق السيـول التي تدمـر السدود وتهـدم القـرى وتشـرد آلاف البـشـر. وربما تكون مـحـملة بغازات حامضية بما فيها من مركبات الكبريت السامة وأكاسيد النيتروجين المتولدة عن حرق البترول والفحم وغيرهما فتهطل في صورة أمطار حامضية.

ونتيجة لارتفاع درجـة حرارة الغلاف الجويّ عن معـدله المعتاد في العـقدين الثـامن والتاسع من الـقرن العشرين تغيرت الظواهر الطبيعية كالآتي:

- زادت حدة الأعـاصير التي اجـتاحت الولايات المتحـدة حتى بلغت سرعتـها 200 ميل في السـاعة، وسـببت دمـارًا أضعـاف ما كـانت تحدثه الأعـاصيـر السـابقة وسـرعتـهـا لـم تكن تتجـاوز 160 مـيـلاً في الساعة مثل الإعصار هوجو HURRICANE HUGO.

- حـدث العديد من حـالات الجـفاف والقـحط



رسم توضيحي للطاقة وثاني أوكسيد الكربون على مستوى العالم

وندرة الأمطار في أمريكا وإفريقيا، بينما زادت حدة الفيضانات في جنوب آسيا: في سريلانكا والباكستان وبنجلاديش وإندونيسيا، ودمرت الكثير من السدود، وأغرقت القرى، وشردت مئات الألوف من البشر.

- تغيرت مسارات التيارات المائية في المحيطات ما بين عامي 1959و 1989م نتيجة ارتفاع درجة الحرارة بمقدار ربع درجة فهرنهايت . وارتفاع درجة الحرارة في المنطقة المتجمدة الجنوبية درجة واحدة أذاب كتلاً جليدية من المحيط المتجمد الجنوبي، فانفصلت جبال الجليد المتشابكة وانطلقت عائمة في المحيطات. وزادت حركة المدّ على السواحل سبعة أقدام في جزر المالديف عن معدلها العادي، كما ارتفع منسوب المياه في البحار، وزادت نسبة التبخر المتصاعد من مياه المحيطات.

ويتوقع خبراء الأمم المتحدة بناء على دراسات أجريت في نيسان/ أبريل 1990م استمرار ارتفاع درجة حرارة الغلاف الأرضي بمعدل درجة واحدة كل 10سنوات منذ بدء هذه الدراسة حتى عام 2030.

ثاني أكسيد الكربون

يتولد هذا الغاز من حرائق الغابات وبقايا فضلات المدن والمصانع حتى ولو لم تشعر به حاسة الشم عند الإنسان - وحرق الفحم والمحروقات البترولية والغاز الطبيعي - وتتزايد نسبة ثاني أكسيد الكربون 3,6٪ سنويًا في الهواء. وكلما استهلكت السيارة جالونًا من الوقود ضخت في الهواء ما يعادل 20 رطلاً من ثاني أكسيد الكربون. وتمتص المحيطات جزءًا من هذا الغاز كما يمتص النبات جزءًا آخر وتبقى الفضلات عالقة في الهواء.

والشجرة في الغابة التي يبلغ وزنها طنين تمتص طوال حياتها ما يقرب من سبعة أطنان من ثاني أكسيد الكربون من الجو وتحولها إلى مادة خشبية. وفي كل عام تزال الغابات من 25 مليون إيكر (4047 مترًا مربعًا) أي فدان تقريبًا وذلك في منطقة البرازيل وشمال غرب المحيط الهادي في سيبيريا حيث تشتري شركة هونداي الكورية الجنوبية أشجار غابات روسيا بالعملة الصعبة. وبهذا يحرم العالم من أحد العناصر المهمة لامتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون العالق في الجو.

غاز الميثان

يتولد غاز الميثان من البكتيريا المتولدة في المستنقعات، كما يتولد من روث الماشية وخاصة الأبقار. ويقدر حجم الميثان المتولد من قطعان الماشية في العالم بحوالى 5٪ من حجم الأعشاب والأعلاف التي تتربى عليها، وهو ما يقدر بحوالى مليون طن سنويًا.

وفي قاع المحيطات يكمن مصدر هائل لغاز الميثان هو الكربون العضوي الذي تفوق كمياته جميع مصادر الفحم المعروفة على سطح الأرض وفي باطنها. فإذا ارتفعت درجة حرارة مياه المحيطات تبخرت الغازات على شكل فقاقيع من الميثان على سطح الماء. وكذلك الأمر في ثلوج سيبيريا وخليج هدسون في شمال كندا حيث تقوم البكتيريا بعد ذوبان الثلوج بتحويل الكربون إلى غاز الميثان.

غاز الأوزون

الأوزون غاز سام ولكنه ضروري للحياة، إذ يتجمع في طبقة الغلاف الجوي المسماة شتراتو سفير، ويمنع نفوذ الأشعة فوق البنفسجية الفتاكة التي تنبعث مع أشعة الشمس. ويأتي الأوزون من عوادم السيارات التي تتفاعل مع ضوء الشمس وتتحول إلى أوزون.

والأوزون غاز عديم اللون يتكون من ذرات الأوكسجين الذي نستنشقه. والفرق بين الأوزون والأوكسجين هو أن جُزَيء الأوكسجين يتكون من ذرتين من الأوكسجين ويرمز له بالرمزO2 بينما يتكون جزيء الأوزون من ثلاثة ذرات من الأوكسجين نفسه ويرمز له بالرمزO3.

ويغلف الأوزون الأرض في طبقة زنتها خمسة بليونات طن بعمق 20 كيلو مترًا. وهذه الطبقة تعكس الأشعة فوق البنفسجية A,B,C، والنوعان الثاني والثالث يتسببان في مرض السرطان الجلدي.

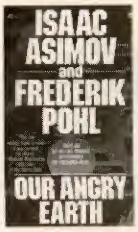
وتعمل أشعة الشمس على شطر جزيء الأوزون إلى جزيئين: أحدهما يتكون من ذرتين من الأوكسجين O2 والثاني يتكون من ذرة أوكسيجين واحدة O لاتلبث أن تتحول إلى حرارة. وهذا ما يفعله غاز CFC في حضرة الوسيط وهو كريستالات الجليد.

ويؤدي نقص الأوزون بنسبة 1٪ عن معدله إلى إصابة 30,000 ثلاثين ألفًا من البشر بسرطان الجلد، وستة آلاف بحالات العمى؛ كما يؤدي إلى ضعف جهاز المناعة بالجسم المعروف بمرض ACQUIRED IMMUNE DEFICIENCY:AIDS SYSTEM ويتلف كذلك المصنوعات البلاستيكية والمنسوجات والدهانات والإطارات والمطاط.

غاز الكلورو فلورو كربون CFC

يشكل هذا الغاز 25٪ من الغازات التركيبية غير الطبيعية الناتجة عن استخدام الإنسان. ويستخدم هذا الغاز في صنع الرغويات البلاستيكية مثل الوسائد والمراتب وغيرها، تضغط في البلاستيك السائل لتنشر الفقاعات بداخله وتزيد حجمه. ويستخدم كذلك في أجهزة التبريد في الثلاجات والمكيفات وغيرها، وتعبأ به زجاجات العطر البخاخة لتحدث رذاذًا معطرًا. كما يستخدم في صناعة الإلكترونيات لتنظيف شرائحها





أرضنا الغاضبة

ودوائرها ومكوناتها الأخرى نظرًا لخاصيتها في التبخر من دون أن تترك آثارًا في المنتجات.

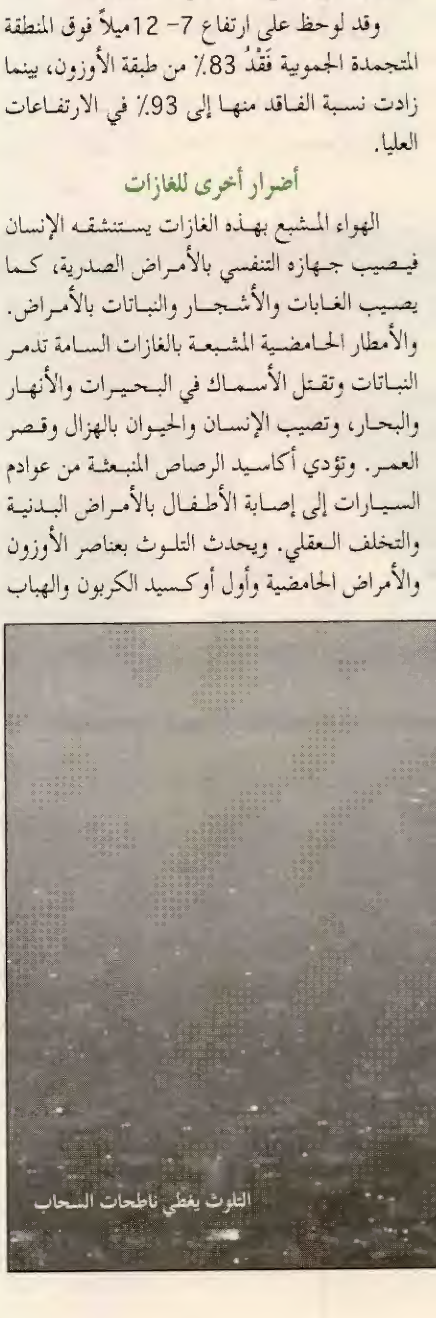
وتتصاعد غازات CFC إلى الطبقات العليا وتهاجم جزيئاتها جزيئات الأوزون فتدمرها وتعرض الحياة على الأرض للخطر.

وعندما تداهم جزيئات الكلوراين من المركب المذكور جزيئات الأوزون الثلاثية تستقطب ذرة الأوكسيجين الثالثة في وجود وسيط هو بلورات الجليد. وتتحلل بذلك جزيئات الأوزون وتفقدها خاصيتها الواقية من الأشعة فوق البنفسجية.

وقد لوحظ على ارتفاع 7- 12ميلاً فوق المنطقة المتجمدة الجموبية فَقْدُ 83٪ من طبقة الأوزون، بينما زادت نسبة الفاقد منها إلى 93٪ في الارتفاعات العليا.

أضرار أخرى للغازات

الهواء المشبع بهذه الغازات يستنشقه الإنسان فيصيب جهازه التنفسي بالأمراض الصدرية، كما يصيب الغابات والأشجار والنباتات بالأمراض. والأمطار الحامضية المشبعة بالغازات السامة تدمر النباتات وتقتل الأسماك في البحيرات والأنهار والبحار، وتصيب الإنسان والحيوان بالهزال وقصر العمر. وتؤدي أكاسيد الرصاص المنبعثة من عوادم السيارات إلى إصابة الأطفال بالأمراض البدنية والتخلف العقلي. ويحدث التلوث بعناصر الأوزون والأمراض الحامضية وأول أوكسيد الكربون والهباب


التلوث يغطي ناطحات السحاب

والمركبات الكيماوية السامة والغازات المشعة والبراكين.

وأول أوكسيد الكربون يقتل أصحاب السيارات الذين يديرون سياراتهم في أماكن توقيفها المغلقة. وهو يفقد الدم قدرته على نقل الأوكسجين إلى الدماغ وإلى أجزاء الجسم الأخرى. ويؤدي استنشاقه بتركيز إلى الموت.

والسخام المتصاعد من عوادم المصانع والسيارات يظل عالقًا في الهواء من دون أن تراه العين المجردة حتى يدخل نوافذ البيوت ويترسب في رئات الإنسان والحيوان، وخاصة في أوقات الذروة المرورية حين تتوقف حركة المرور في الشوارع وعلى الطرق بينما المحركات مستمرة في ضخ الهباب.

وتتولد مركبات كيماوية سامة أخرى من حرق القمامة، وخاصة عندما تحتوي على فضلات من المواد البلاستيكية والزيوت وإطارات السيارات والمركبات الصناعية الأخرى.

تلك هي الغازات الضارة بصحة الإنسان والحيوان والنبات والفطريات بطريق مباشر أو غير مباشر - بتدمير طبقة الأوزون الواقية للأرض. وهناك خطر داهم آخر على صحة الإنسان والكائنات الحية يتمثل في الإشعاعات النووية.

الإشعاعات النووية

تنبعث هذه الإشعاعات من المواد النووية المشعة في المفاعلات النووية ومولدات الطاقة والغواصات النووية وحاملات الطائرات النووية وفضلاتها. وفي نيسان / أبريل عام 1986م انفجر مفاعل تشرنوبيل chernobyl فأحدث سحابة ملوثة بالإشعاعات النووية غطت معظم دول أوروبا وبعض الدول الأخرى في العالم. ومازالت آثارها الضارة ملموسة حتى اليوم.

ولم يكن هذا الانفجار النووي أول انفجار يحدث من هذا النوع بل سبقه انفجار آخر في أيلول / سبتمبر من عام 1957م في مستودع ضخم للمواد النووية في كيشتيم في جنوبي جبال الأورال في الاتحاد السوفييتي السابق ومات فيه المئات، وأصيب عدد كبير في إثره بأمراض السرطان. وكان السوفييت يتسترون على هذه الفضيحة النووية، ولم يكشفها أخيرًا إلا أحد العلماء الروس في عام 1990م.

تلوث الماء

تعد بحيرة بايكال - التي تبلغ عمقها ميلاً تحت مستوى سطح البحر في سيبيريا بروسيا - أعظم مصدر للمياه العذبة في العالم؛ وتأتي بعدها البحيرات العظمى في الولايات المتحدة. وتتدفق مياه الأنهار العذبة بعد ذوبان الجليد في قمم الجبال العالية في وقت الربيع وفي مواسم هطل الأمطار على منابع الروافد التي تغذي الأنهار. والمياه الجوفية أحد المصادر التي تتفجر منها الينابيع، وتستمد منها الآبار، وترتوي بها الأودية والشعاب.

وقد لوحظت زيادة نسبة الوفيات بأمراض سرطان الرئة والجهاز الهضمي والمثانة بين الناس الذين يقبلون على شرب مياه الأنهار أكثر ممن يشربون المياه الجوفية والمياه الصحية المعبأة في الولايات المتحدة. والبحيرات العظمى مياهها ملوثة، ولذلك ينصح الأطباء بعدم تناول أسماك هذه البحيرات أكثر من مرة واحدة في الأسبوع. ويأتي هذا التلوث من إلقاء فضلات المصانع والصرف الصحي للمدن المجاورة فيها، بالإضافة إلى ما تقذفه السفن العائمة فيها من فضلات بترولية وعضوية. وتقدر تكاليف تطهير هذه البحيرات بحوالى مئة بليون دولار أمريكي.

وفي أوروبا الشرقية تبلغ نسبة التلوث أقصاها؛ حيث تلقي ألمانيا الشرقية فضلاتها النووية في المياه السطحية كالبحيرات والأنهار، ولا يُعَدّ صالحًا للشرب منها أكثر من 3٪ فقط من مياه البحيرات. وفي روسيا لاتجدي عمليات غلْي المياه في تطهيرها وجعلها صالحة للاستخدام الآدمي.

وفي الصين نضبت المياه الجوفية من كثرة سحبها للري. وفي مصر تعتمد الزراعة والشرب على نهر النيل، وتعاني الحكومة المصرية اليوم من زيادة إقبال دول نهر النيل على استخدام المياه بوفرة للري في مشروعات استثمارية جديدة وللشرب، الأمر الذي يؤدي إلى تناقص مخصصات مصر من مياهه. ولهذا دعت الحكومة المصرية إلى إبرام عدة اتفاقيات تنظم بمقتضاها مخصصاتها من المياه.

ولتوسيع الرقعة الزراعية حول بحيرة السد العالي بدأت مصر في حفر قناة لري الأراضي الواقعة حول البحيرة بالاشتراك مع السودان ولكن المشروع توقف.

وتتلوث المياه من الشوائب والبكتيريا

والفيروسات والطفيليات والمواد الكيماوية والمبيدات الحشرية التي تتسرب إليها من المصانع والمزارع وفضلات المدن وخزانات البترول فضلاً عن بقايا البترول الذي يتسرب في الصرف الصحي من المواد البترولية المتنوعة.

وتصب مدينة لندن صرفها الصحي في نهر التيمز. وتصب مدينة فينيسيا (البندقية) صرفها في شوارعها البحرية. وكثير من المدن الأمريكية التي تقع على المحيطين الأطلنطي والهادي تصب مجاريها في أنابيب طويلة تدفعها إلى عرض البحر بعيداً عن الشاطئ، ونتيجة لهذا تموت الدرافيل والحيتان وتتسمم الأسماك.. وكثير من المصانع تصب فضلاتها من الزنك والكاديوم بكل ما فيها من آثار ضارة بالصحة العامة للإنسان والحيوان والنبات والحياة الفطرية في البحيرات والأنهار والبحار المجاورة. وحين تتسرب هذه المواد عند سُقْيا الأراضي من الأنهار أو البحيرات أو حتى من المياه الجوفية تتخلل خلايا النبات وتؤثر في الحيوانات التي تأكلها، والإنسان الذي يتغذى عليها، وتصيب الجهاز الهضمي للإنسان والحيوان وكذلك الكلى والكبد بصفة خاصة.

وفي قاع المحيطات ترقد خمسون رأسًا نووية، وتسعة مفاعلات نووية في مناطق متفرقة من جراء حوادث غرق الغواصات والسفن المزودة بها. وقد صرح أحد رجال البحرية السوفييت في يوم 4 تموز/يوليو عام 1961م بأن المحرك النووي لإحدى الغواصات السوفيتية انفجر وراح ضحيته ثمانية أفراد من الطاقم، وتمكن الباقون من إنقاذ المواد المشعة الأخرى من الانفجار. وعندما تصدأ أغلفة هذه القنابل النووية المفقودة في عرض المحيطات وتتآكل تتعرض المواد المشعة للماء وتلوثه بالإشعاعات القاتلة التي تحملها التيارات البحرية إلى آفاق بعيدة من العالم بأسره.

تلوث الفضاء الخارجي

وحتى الفضاء الخارجي ـ الذي تدور فيه الأقمار الصناعية على ارتفاع تبلغ ثمانمئة كيلو متر حول الأرض ـ لم يسلم من التلوث.

فالفضلات الناتجة عن سفن الفضاء التي انقضى عمرها الآن، وبقايا الأقمار الصناعية والصواريخ المتحطمة وفضلات الإنسان تدور جميعها في مداراتها حول الأرض. وتجرى حسابات لتأمين الرحلات الفضائية تفاديًا لاصطدام مركبات الفضاء بهذه الفضلات التي تدور بسرعة عالية.

مظاهر تلوث البيئة

تنحصر المظاهر المهلكات الدالة على وجود تلوث في البيئة في العناصر التالية:

ـ انقراض فصائل من الحيوانات مثل الفيلة والفراشات والحيتان والببغاوات، وقد زاد من حدة فعل التلوث في قتل هذه الكائنات رعونة الإنسان وجشعه.

ـ القضاء على الغابات وكثير من الأعشاب والنباتات الطبية التي ثبتت فوائدها الطبية فيما مضى ومن الممكن إثبات فوائد أخرى في المستقبل.

ـ ارتفاع حرارة المحيط الجوي للكرة الأرضية من كثرة ما في الجو من أبخرة وغازات ناتجة عن حرق المواد العضوية وغيرها ـ حتى أصبحت الأرض مثل المزارع المحمية ـ وما يتبع ذلك من تغير في طبيعة الطقس من رياح وأعاصير وبراكين وفيضانات وغيرها من الكوارث الطبيعية.

ـ انتشار الأمراض وظهور أمراض جديدة في مناطق أخرى تهدد بانقراض البشرية بأكملها، لا بسبب القنابل النووية والهيدروجينية فحسب، بل بمحتويات علب المعطِّر البلاستيك الرغوي التي تحتوي على غازات CFC المبيدة لطبقة الأوزون الواقية للحياة على سطح الأرض.

أكثر الدول تدميرًا للبيئة والحياة الفطرية

يقول المؤلفان إن الولايات المتحدة الأمريكية أكثر الدول تدميراً للبيئة والحياة الفطرية. ففيها ٥٪ من التلوث العالمي، وتنتج أكبر قدر من ثاني أكسيد الكربون الذي يرفع حرارة المحيط الجوي للكرة الأرضية، وتبث أضخم كمية من غاز CFC المدمر لطبقة الأوزون، وتنفث أعلى كثافة من عوادم السيارات والطائرات ومولدات الطاقة من البترول، فهي بحق أكبر عبء على البيئة في العالم. ومعدل انتشار المهلكات للبيئة فيها أعلى بكثير من معدل علاجها.

العلاج التقني لأمراض البيئة العصرية

تناول الكتاب بالشرح المفصل الدراسات التي أجريت لحل المشكلات التي طرحها في الفصول السابقة والتي تلوث البيئة. ومن هذه الحلول نوجز ما يلي:

ـ ترشيد استهلاك الطاقة الحرارية المتولدة عن الفحم والبترول. وتلجأ بعض الدول إلى فرض رسوم إضافية على أسعار البترول حتى يضطر المستهلكون إلى الحد من استهلاكهم.

ـ استخدام طاقة بديلة تخلو من الآثار الجانبية الضارة، كاستغلال الطاقة الشمسية والأمواج وارتفاع منسوب المياه في حالات المد في البحار وانخفاضه في حالات الجزر في تخزين هذه المياه وإعادة تسريبها بالتحكم في محركات يديرها تدفق الماء لتوليد الكهرباء. واستغلال الرياح والشلالات والأمواج في إنتاج الطاقة المحركة KINETIC ENERGY التي تتولد منها الكهرباء أو تدار بها المصانع مباشرة.

وتقوم الصين الشعبية بتشغيل 40 مليون وحدة لتوليد غاز الميثلين للاستخدام المنزلي بوصفه وقوداً من روث الأبقار.

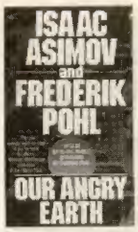


البيت الزجاجي يستعمل في التجارب على المناخ

ـ إعادة استخدام مياه الصرف الصحي بعد تطهيرها ومعالجتها في الزراعة.

ـ لما كانت وسائل النقل والمواصلات مثل السيارات والطائرات والقطارات والسفن من أكثر العناصر تلويثًا للبيئة في العالم نظرًا لاستخدامها الوقود العضوي، فهي في مسيس الحاجة إلى دراستها واستخدامها بأنماط متغيرة من التطوير، تقابلها أنماط متغيرة كذلك في السلوك الإنساني ونظم الانتقال والمعيشة، بما يحفظ للبيئة نقاءها وطهارتها. وسنورد فيما يلي بعض أنماط تمت دراستها:

ـ في إثر خطر ضخ البترول من دول الخليج إلى دول الغرب في حرب رمضان 1393هـ/ تشرين الأول أكتوبر 1973م فرضت الولايات المتحدة حظراً



على تجاوز سرعة السير بالسيارات على الطرق 55 ميلاً في الساعة، وهي السرعة الاقتصادية لاستهلاك الوقود بالسيارات الأمريكية. كما فرضت قيوداً على كميات الوقود المنصرفة لكل سيارة.

وبدأت شركات إنتاج السيارات في استثمار طاقة الشمس والبطاريات لتحريك السيارات.

وبدأت شركات إنتاج السيارات في تقليل أحجامها وتخفيف وزنها لخفض معدل استهلاك الوقود. ولكن أعداد السيارات المنتجة لم تخفض.

ومنذ عام 1950م وأعداد السيارات تتضاعف كل 10سنوات.

وقد فرضت بعض الدول رسومًا إضافية على أسعار السيارات للحد من أعدادها، كما فرضت دول أخرى رسومًا إضافية على أسعار الوقود للحد من استهلاكه.

وتعدّ السيارات الصغيرة أكثر اقتصادًا في استهلاك الطاقة عند تصنيعها وعند إدارتها. ولهذا تنافس السيارات اليابانية الصغيرة الحجم والخفيفة الوزن نظيراتها الأمريكية الكبيرة الحجم والثقيلة الوزن. فالأولى تستهلك وقودًا أقل من الثانية وإن كانت الكماليات مثل المكيفات والمذياع متوافرة في النوعين.

وللبرازيل تجربة رائدة في استبدال الكحول بالبترول في تحريك سياراتهم. فالكحول الذي ينتجونه بوفرة من قصب السكر وغيره من النباتات تقل في العادم الناتج من حرقة عناصر تلويث البيئة الناتجة عن عوادم حرق البترول.

ابتكر مصممو السيارات نماذج لا تستهلك طاقة بترولية على الإطلاق، بل تعتمد في تحريكها على حداقة ضخمة تختزن الطاقة الحركية طوال الليل بأدوات أخرى مساعدة. كما قدموا نموذجاً آخر يحمل خزانًا للهواء المضغوط يكفي لدفعه عدة كيلومترات. وأنتجوا نماذج أخرى تستمد طاقتها من مكثفات لحرارة الشمس مركبة فوق السطح. وهناك نماذج أخرى تستخدم الغاز الطبيعي [وهو ما تفعله مصر الآن: إذ تحول نظم التغذية بالبترول في حافلات النقل العام إلى نظم للتغذية بالغاز الطبيعي]. ولشركة جنرال موتور جهود موفقة في هذا الشأن.

ولتقليل أضرار عوادم السيارات داخل المدن تعمد بعض الدول مثل اليونان إلى منع دخول السيارات الخاصة داخل مدينة أثينا، ويصير الانتقال بوسائل النقل العام المسيطر عليها جيدًا. كما تفرض سنغافورة رسومًا إضافية على السيارات التي تحاول دخول وسط المدينة. وفي نظير ذلك تعمل الدول على النهوض بمركبات النقل العام في المدن وعلى الطرق وتوفر على الناس مشقة الزحام في الشوارع والطرقات والتعرض للتلوث الزائد في أوقات الذروة المرورية عند استخدام سياراتهم الخاصة.

وتعتمد كثير من الدول الإسكندينافية وهولندا على الدراجات في التنقلات بين القرى والمدن وفي داخلها من دون حاجة إلى وقود ومن دون صلف أو خيلاء. وقد حذت الصين ودول كثيرة في شرقي آسيا حذوهم.

وفي مجال النقل الجوي بالطائرات ثبت من خبرة حرب الخليج الثانية أن الجسر الجوي الأمريكي بالطائرات العملاقة كلف كثيرًا من النفقات ولوث كثيراً من المناطق عند نقل القوات بأسلحتها ومعداتها من الولايات المتحدة إلى منطقة الخليج. ولهذا بدأت شركات الطيران الكبرى في إنتاج نماذج من المناطيد التي ترتفع بغاز الهيليوم المتوافر في الولايات المتحدة؛ ولا تحتاج إلا إلى أقل قدر من الوقود لدفعها إلى الجهة المطلوب الوصول إليها. ومن هذه النماذج منطاد عملاق يسمى سفينة الجو AIR SHIP يبلغ طولها 450 متر ويمكنها حمل 4 دبابات وزن الواحدة 60طنًا بكامل أطقمها وأجهزتها المساعدة.

ابتكر العلماء الروس وقود الهيدروجين التربيني الذي يقل في الوزن بنسبة 10٪ من الوقود العادي؛ ولا تحتاج الطائرات إلى قدر كبير منه لاستهلاكه عند الإقلاع والتحليق. ومن جهة القطارات تستخدم كثير من الدول في القطارات التي تنقل الركاب والبضائع الطاقة الكهربائية منعًا لتلويث البيئة.

وفي مجال حماية البيئة من التلوث بالغازات المتصاعدة من آبار البترول تقوم الدول النامية بحرق هذه الغازات من دون استثمار، فترى الشعلات مشتعلة فوق مناطق مضخات البترول. ولكن الدول المتقدمة تهتم بإنشاء صناعات ومصانع تكميلية لاستغلال هذه الطاقة الحرارية المهدرة - مثل صناعة الأسمدة والمخصبات والمواد الأخرى. ويقاس مدى تقدم الدول المنتجة للبترول بقدرتها على استغلال هذه الشعلات.

والحفاظ على الثروة المائية واجب وطني يتحتم على كل ذي وعي رشيد القيام به ومراقبته. والتصرف في القمامة كذلك من الأمور التي يمكن أن تلوث البيئة إذا أسيء التخلص منها بالحرق. فالأوراق يمكن إعادة تصنيعها والمعلبات يعاد سبكها، والزجاج والمعادن يعاد صهرها وتصنيعها، والمواد الكيماوية ومنتوجات البلاستيك تصبح عملية حرقها خطيرة للغاية إذ تتكون منها غازات CFC القاتلة للأوزون.

- والحروب أدواتها ونتائجها تسبب 30٪ من التلوث في جميع المجالات البرية والبحرية والجوية والفضائية.

ولهذا ينبغي العمل على نبذها وخفض موازنات التسليح ونفقات الدفاع. وعندما يعم السلام وتتوقف عجلة الحرب يتخلص البشر من ثلث عوامل التلوث، ويسهل بعدئذ التغلب على بقية المصادر.

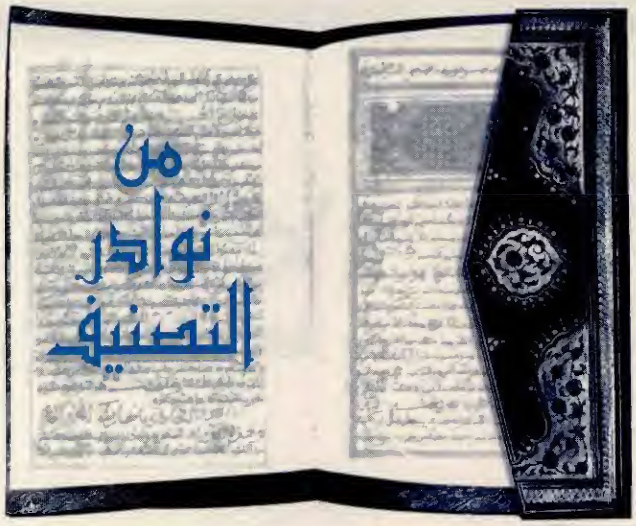
وقبل حرب الخليج الثانية انفقت الولايات المتحدة 15- 45 بليون دولار أمريكي لحراسة شواطئ الخليج البترولية بالأساطيل والطائرات وحاملاتها.

نداء المؤلفين

يناشد المؤلفان جميع الشعوب وضع عبارة «الأرض أولاً» على جميع المنتوجات التي يتم تصنيعها تحت إشراف الجهات المعنية، بحيث تكون خالية من المواد المضرة بالبيئة وبالغلاف الجوي. ويدعوان هيئة الأمم المتحدة إلى التدخل لدى الدول للحد من التلوث البيئي. وعلى الجماهير أن تطمئن إلى هذه المنتوجات وأن تقبل عليها؛ لأنها أكثر من غيرها حفاظًا على نقاء البيئة.

ولهذا فهما يطالبان أجهزة الإعلام بالمضاعفة من جهودها لإشاعة الوعي لدى الجماهير للمحافظة على البيئة وترشيد استهلاك المواد التي تؤدي إلى تلوثها. ويتوجهان إلى رجال الدولة وأعضاء الحكومة والمهتمين بالسياسة العامة لبذل مزيد من الاهتمام بالبيئة ومشكلاتها.

واقترح المؤلفان إنشاء نواد خاصة تسمى «نوادي البيئة» تهتم بمراقبة البيئة وإرشاد الجماهير بالحسنى، والسعي بالجهود الذاتية لبذل المساعدة المادية والمعنوية والأدبية للتعاون على التغلب على مشكلات التلوث وإيجاد الحلول البديلة، ووضعا نموذجًا للائحة تنظيم عمل أحد هذه النوادي.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

المراح في المزاح

خصّ الشيخ بدرالدين الغزي المرح والمزاح بمؤلَّف لطيف جمع فيه أقوال العلماء مبينًا موقف الإسلام منه، وحشد فيه كثيرًا من الأخبار والقصص والحكم والأثر، فجاء رسالة لطيفة في موضوعها أو كما يقول الجاحظ عن هذا الضرب من التأليف: «وعاءٌ مُلئ علمًا، وظَرْفٌ حُشي ظُرْفًا»، وقد طبع الكتاب غير مرة، منها طبعة بتعليق الدكتور السيد الجميلي هي معتمدنا في هذا العرض.

ومؤلف الكتاب الإمام العلامة الشيخ بدر الدين محمد بن رضيِّ الدين محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، فقيه شافعي، عالم بالأصول والتفسير والحديث، ولد سنة 904هـ بدمشق، وتوفي بها سنة 984هـ عن ثمانين عامًا، وقد بلغت مصنفاته نحو مئة وعشرين كتابًا، وكان العلماء وطلاب العلم والعفاة يقصدونه، فكان لا يردُّ طالبًا ولا يوصد بابه أمام أحد. وفي أخريات عمره - وقيل: في أواسط عمره - اعتزل الناس واحتجب عنهم، لكن برَّه وإحسانه وعطفه على الكثير من الناس جعلهم يسعون إليه، ويختلفون إلى صومعته فلم يرد سائلاً بل كان يجزل لهم البذل ويكثر لهم العطاء.

ويتحدث المؤلف عن سبب تأليفه الكتاب فيقول: «فقد سُئلت قديمًا عن المزاح وما يُكره منه وما يُباح، فأجبت بأنه مندوب إليه بين الإخوان والأصدقاء والخلاَّن، لما فيه من ترويح القلوب والاستئناس بالمطلوب، بشرط أن لايكون فيه قذف ولا غيبة، ولا انهماك فيه يسقط الحشمة ويقلل الهيبة، ولا فُحش يورث الضغينة، ويحرك الحقود الكمينة. ثم طلب مني السائل بعد مُدَّة بسط الكلام في ذلك وإيضاح الدلائل». ثم بعد ذلك بسط المؤلف الحديث في المزاح بين المدح والذم مبينًا مزاح النبي صلى الله عليه وسلم وأنه هو الحق، وذكر نماذج من مزاحه صلى الله عليه وسلم ومزاح أصحابه، ورأي علي بن أبي طالب في المزاح، وقصصًا عن ممازحة أبي سفيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أفاض القول في مقتضيات المزاح وعلاقته بحسن الخلق والهيبة.

ومما أورده من أقوال القدماء في المزاح مبتدئًا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «لا تمار أخاك ولا تمازحه، ولا تعده موعدًا فتخلفه». وقول عمر بن عبدالعزيز: اتقوا المزاح فإنها حمقة تورث ضغينة. وقوله: إنما المزاح سباب إلا أن صاحبه يضحك. وقيل: «إنما سمي مزاحًا لأنه مُزيح عن الحق، وقال إبراهيم النخعي: المزاح من سخف أو بطر. وقيل في منثور الحكم: المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب. وقال بعض الحكماء: من كثر مزاحه زالت هيبته، ومن كثر خلافه طالت غيبته. وقال بعض البلغاء: من قَلَّ عقله كثر هزله. وذكر خالد بن صفوان المزاح فقال: يصك أحدكم صاحبه بأشد من الجندل، وينشقه أحرق من الخردل، ويفرغ عليه أحر من المرجل، ثم يقول: إنما كنت أمازحك.

ثم يورد أقوالاً في مرح المزاح ضابطها خُلُوُّه مما ذكر في ذمه لأن العاقل يتوخى بمزحه إحدى حالتين: إما إيناس المصاحبين والتودد إلى المخاطبين، وهذا يكون بما أنس من جميل القول وبُسط من مستحسن الفعل، يقول أبو نواس:

أروّح القلب ببعض الهزل
تجاهلاً مني بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل
والمزح أحيانًا جلاء العقل

وعلى ذلك كان مزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين والعلماء والأئمة.

- روى بكر بن عبدالله المزني أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إني لأمزح ولا أقول إلا الحق»، وفي رواية «إلا حقًا»، وعن أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: «إني لا أقول إلا حقًا».

- روى زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لزوجها، فقال لها: «من زوجك؟» فقالت: فلان، فقال: «الذي في عينه بياض؟» فقالت: أي رسول الله ما بعينه بياض، قال: «بلى إن بعينه بياضًا»، فقالت: لا والله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما من أحد إلا بعينه بياض». وفي رواية: فانصرفت عجلى إلى زوجها وجعلت تتأمل عينيه فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في عينيك بياضًا، فقال لها: أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها.

- كان لايدخل المدينة رُسُل ولا طرفة إلا اشترى منها نعيمان الأنصاري ثم جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أعط هذا ثمن متاعه، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو لم تهده لي؟» فيقول: يا رسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله، فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه.

- رُوي أن خياطًا مرَّ بالشعبي وهو مع امرأة في المسجد فقال: أيكما الشعبي؟ فقال الشعبي مشيرًا إليها: هذه.

- جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر اغتسل فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال أبو حنيفة: الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تُسرق.

لادو.. وكاكا

محيي الدين فارس

كان هناك شاب يسمى «لادُو» أحب فتاة جميلة ذات أخلاق حميدة، وطباع هادئة تسمى «كاكا». وبعد قصة حب طويلة سارت مسارها الطبيعي تُوِّجَ هذا الحب بالزواج. وكانا سعيدين في أحضان عش الزوجية ولم تنغص عيشهما منغصات الحياة، وبالرغم من أنهما كانا يشتاقان إلى الإنجاب؛ إلا أنهما لم ينجبا رغم تكرار محاولاتهما واتباع أنجع السبل للعلاج؛ تارة بالطب المدني، وأخرى بالاعشاب والعقاقير، غير أن مساعيهما باءت بالفشل.. وأخيراً رضيا بالمقسوم وسلّما أمرهما إلى خالقهما.

ظلت حياتهما صافية لا تكدرها المكدرات.. إلى أن تدخل بعض الناس لإفسادها، وفكّ عرى المحبة بينهما. مع مرور الأيام كثر لغطُ الناس، وامتد رواق القيل والقال حتى شمل كل القرى. ولم يترك الناس البحر الهادئ في هدوئه، وإنما عكّروا صفوه، وسمّموا جوه؛ فأخذ مزاج «لادوُ» يتغيَّر وانفعالاته تزداد وتطغى، وطبعه الهادئ يعتريه الاهتزاز، والزوجة تلاحظ كل ذلك، بيد أنها كانت تواري أحزانها تحت ابتسامتها الحانية التي لا تفارق شفتيها، مرجعة تصرفاته إلى عدم الإنجاب، وتزداد يقيناً بذلك كلما ملأ أطفال الجيران الغابات من حولها بالصياح واللعب.

كانت تحلم في منامها أنها أنجبت دستة أطفال «حلوين»، فإذا فرّ «الحلم» من جفنيها، ورأت الواقع كما هو؛ ذرفت دموعًا حارة وتناولت مغزلها في صمت.

كثر كلام الناس، ونشط الحُدّاث وزينوا للشاب المسكين جمال الحياة القادمة، وصورَ الأطفال وهم يتسلقون كتفيه العريضتين كالعصافير، وأكدوا له أنها «عقيم» ومن الحكمة أن يتزوج «عليها»، أو يطلقها ليقترن بأخرى علّها تنجب له غلاما زكيا أو طفلة تندّي جفاف حياتهما. المهم أن تلد.

أخذ الشاب «لادو» يسمع مايقال دون أن يلقي إليه بالا.. ففي جمال زوجته.. ووفائها.. وطيبتها مايغنيه عن الولد.

سيطر «لادو» على مشاعره، وإن بدرت منه بين الحين والحين هفوات وسأم، سرعان مايحتويها حفاظًا على مشاعر زوجته حتى لا يجرح إحساسها المرهف. ومع أنها كانت تقرأ أحاسيسه إلا أنها كانت تكتم ذلك. وبقي على موقفه هذا مدة من الزمن لا يسمع كلام الناس ولا يلتفت إليه.

ثم كثرت محاولات من نوع آخر.. من رفاقه وأنداده وممن مروا «بمثل هذه الحالة»؛ فقد تزوجوا ولم ينجبوا ثم تزوجوا مرة ثانية فأنجبوا «بغزارة».

انتابته الحيرة.. وأصابه شيء يشبه الغثيان.. وقرر ـ وهو يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى ـ أن يتخذ القرار الصعب والنهائي. لكنه تريث بعْض الوقت. ولشدة حبه «لكاكا» قرر أن يبقيها في عصمته.. وآثر أن يجد الأسباب الكافية والمقنعة ليكون هذا القرار منطقيًا ومقبولاً.

رسم له أحد الخبثاء خطة محكمة.. مفادها أن يسلمها بعض المال لتحفظه في مكان أمين ثم يتبعها خفية دون أن تراه أو تحس به حتى يعرف المكان الذي دسّت فيه المال.. ثم يغافلها ويحمل «صُرَّة» المال، ويلقي بها في النهر ليتسنّى له بعد ذلك أن يتهمها بالتقصير وإضاعة ماله «وعرق جبينه» إذا طلب منها الوديعة بعد فترة معقولة من الزمن.

كان «لادو» يفعل ذلك وهو يحس بوخز الضمير متظاهراً بالاقتناع بما يفعل، وإن كان في دخيلة نفسه غير مقتنع بما يجرى.

مرت الأيام هادئة.. والشاب لادو بعد عودته من الغابة كل يوم يلاطف زوجته كاكا.. ويسلّيها كالعادة ويقص عليها ماحدث في الغابة.. وأخرى يقص عليها قصص الحب والغرام وهي تهيئ له كل أسباب الراحة، وألوان المتع التي يحبها وهي لاتدرى مخبآت القدر وإن كانت تحس بأن شيئًا ما لابد أن يقع.



كـانت كـاكـا الوفيـة تعـرف أن لادو يحب وجبـة السـمك النيلي، وتعرف الأنواع التي يألفها أكثر والوجبات المحببة إليه.

ذهبت إلى النهـر، وابتاعت مـن الصيـادين سمكة كـبيـرة من فصيلة الأسـماك التي يشتهي لحـمها.. ولاحظت أثناء تنظيـفها تكوراً في بطنهـا.. ظنت أولاً أنهـا حبلى فـتذكـرت الحـمل.. وظنت ذلك التكوّر «بطاريخ» وهـو بيض السمـك فأطرقت هنيـهات. وتسـاقطت دموعـها كحبات الفـضة حتى بللت نحـرها.. ثم واصلت في هدوء شق بطنها، وتنـاولت الشيء المكور على أنه بطاريخ، ولكنها فـوجئت بوجود «الصـرة»!! نفس صرة المال التي حـفظت فيـها نقود زوجـها.. دُهشت وانتابتها الحيرة.. ولتتأكد أكثر ذهبت إلى الحفرة وقلبتها ذات اليـمين.. وذات الشـمال؛ فلم تجـد الصـرة. تأكـدت أن هذه الصـرة الموجـودة في أحشـاء السمـكة هي هي نفسـها الـتي دفنتهـا في ذلك المكان المحدد.

دارت بخلدها خيالات كثيرة. وتصورت أن لصّاً سرق الصرة ووقعت منه في النهر فـابتلعتها هذه السـمكة المباركـة.. وفي هدوء تام أرجعتها إلى مكانهـا في الحفرة نفسها.. وأعدت وجبـة الطعام الشهية لزوجها.

عاد الزوج مـن الغابة هاشّـا.. باشّا.. مـرحًا.. وهو يُـبيّت أمرًا ويُغنّي بعض أغاني الطقـوس. وبعد أن التهم وجبته المـفضلة طلب منها أن تحـضـر له الصــرة وهو واثق من أنهـا لن تجـدها.. واسـتـرخى على «عنقريبه»(1) استـعداداً لاتخاذ القرار الصـعب؛ إلا أنه كان يحس أن شيئًا كالضـباب يغلِّف الأفق من حوله.. وأن المرحَ الظاهريَّ أخذ يزايلُهُ شيئًا فشيئًا لإحساسه بأن شيئًا قد يـقع ويغير كل الحسابات ويقْلب الموازين.. وقد صحَّتْ «نبوءته».

شرد بذهـنه بعيـداً، ولكنه استيقظ من شـروده عندما لمح زوجـته مقبـلة في تؤدة وهي تحمل شيـًا في يديها.. تراقصت على شـفتيه ابتـسامةٌ غامضة..زئْبقية.. تلوح وتختفى كلما قربت نحوه.. واعتْدل في «عنقريبه» على الرغم منه، والعـرق البـارد يتصبب من جـبينه في غـزارة.. بحث عن ريقـه فلم يجـد له أثرًا.. وفي خطوات مـوزونة وثقـة كاملة، أحضـرت له الصّرة.. وجففت عرقه متسائلة في حنانٍ وبراءة: ما الذي أصابه؟

هرب الكلام من شفتيه.. واحتبس في حلقه.. وفي صمت فتح الصرة وهو لا يصدق عينيه ليجدَ نفس الصرة ذات الأطراف المنقوشة.. نفس النقـود كما هي بالـتمام والكمـال.. ساد صـمت كمـيازيب الماء البـارد، وماتت الكلمـات على الشـفاه.. وفـجأة بكى في نشـيجٍ طويل تردَّدَ صداه في الغـابات المجاورة.. وكاكـا في حيـرةٍ من أمرها.. لزمت الصمت دون أن تنبس ببنت شفة.

خطَّ «لادو» على الأرض بعض الرسـوم والنقوش ممتطيًا صـهوة التأمل العـميق، وتراقصت على أسـاريره تعابيـرُ تريد أن تفْضِي بشيء.. ثم واصل بكاءَهُ في حرقة مرة أخرى.

دهشت كاكا مرة ثانية من هذه الحالة فظنت أن المال في الصرة قد نقص شيـئًا.. وحتى لو نقص المال.. فـإن ذلك لا يستـدعى صدور هذه التصرفات التي تتسم بالغرابة.

لفّهـا الارتياب.. وذهبت بـها الظنون مـذاهب شتى.. وتركـته دون أن تستـفـهم وشـغلت بصنـع «الجبنة»(2) مـسلِّمــة أمرها إلى خالقها..

وبعد أن رشف عـدة رشفات من الجـبنة، وبدأ مزاجه يعـتدل.. عاد إليه جأشه وهدأت نفسه، وحكى لها بصوت عميق كأنه صادر من مغارات «الحِكْمـة» قصته.. ثم قـصت هي قصتها مع الـسمكة.. ثم ما لبثا أن تعانقا وانخرطا في بكاء طويل.

الهوامش:

* حكاية من جنوب السودان، تُروى بلغة «جُوبَا»، وهي لغة عربية ذات طابع خاص، ولكنه متأثر بلسان القبائل غير العربية في الجنوب.. وقد وضعتُ لها هذا القالب باللغة العربية.

1- عنقريب أو عنجريب: سرير شعبي ارضيته من حبال مفتولة

2- الجبنة: بفتح الجيم والباء والنون: القهوة.

طب
وعلوم

النعناع...

مذاق ونكهة ودواء

د. محيي الدين لبنية

نبت عطري عرفه الصينيون القدماء، واستخدمه الإغريق والرومان منشطا عاما للجسم، وفي تعطير الحمامات، وأضافوه إلى مشروباتهم. وأدخل الرومان زراعته في إنجلترا. وفي القرن التاسع الميلادي زرعه الرهبان في حدائقهم، وشاع استخدامه في إنعاش رائحة الغرف والمفروشات. وأوصى العشّاب الشهير كالبير CULPEPER باستعماله كمسكن للصداع ومقو للذاكرة. كما تحدث الأطباء العرب الأوائل عن فوائده في مؤلفاتهم.

وجاء ذكر النعناع في الأقربازين الأيسلندية، واستعمل في القرن الرابع عشر الميلادي لتبييض الأسنان ولايزال يستخدم كأحد مكونات بعض مساحيق الأسنان لرائحته الذكية، وشاع الحديث عن استعمالاته الطبية في أوربا الغربية في منتصف القرن الثامن عشر، وكان النعناع ومايزال من أكثر النباتات شعبية واستعمالاً في بعض المجتمعات البشرية، وينتشر استخدامه كأحد الخضروات في تزيين بعض أطباق الطعام، كما قد يضاف أحيانًا إلى مشروب الشاي لإكسابه رائحته ونكهته المستحبين.

في اللغة

جاء في لسان العرب: أنشد ابن الأعرابي:

لا مال إلا إبلٌ جمَّاعهْ
مَشْرَبُها الجيأةُ أو نُعاعهْ

والتنعع: التباعد، ومنه قول ذي الرمة:

على مثلها يدنو البعيد، ويبعد الـ
ـقريب ويُطوَى النازحُ المتنععُ



نعناع مغربي

وذكر لسان العرب نقلاً عن أبي حنيفة الدينوري: النُعنُع، هكذا ذكره بعض الرواة بالضم: بقلةٌ طيبة الرائحة والطعم، فيها حرارة على اللسان، قال: والعامة تقول: نَعنَعٌ بالفتح، وفي الصِّحاح: ونَعْنَعٌ مقصور منه ولم ينسبه إلى العامة. اللسان: مادة: نعع.

وقال ابن السكيت النعاعةُ: اللُعاعة، هي بقلة ناعمة، وقال ابن بري: النَّعناعُ: البقلُ، والنعاعةُ: موضع. ويقول القاموس المحيط: النَعنَاعُ والنَّعنعُ: كجعفر وهدهد وهما للجوهري: بقلٌ - وهو الذي قال إنّ النَّعنَع مقصورٌ عن النعناع، والنَّعاعةُ بالضم: النبات الغض الناعم، والجمع نُعاع، والتنعع: رتة في اللسان - الرتة : العجمة - أو هو إذا أراد قول: لع ذهب لسانه إلى نَعَ.

أنواعه

هناك نوعان رئيسان لنبات النعناع البري والبستاني، ويتبعهما أصناف عديدة وجميعها من الفصيلة الشفوية LABIATAR وهما:



نعناع حساوي

الأول: النعناع الفلفلي PEPPERMINT ويضم عدة أنواع نباتية أهمها:

* النعناع الفلفلي الأسود MENTHE PIPERTA وهو يشابه النوع M,ARVENSIS VAR PIPERCENA وهو النوع المفضل لاستخلاص الزيت العطري من أوراقه وقمم أزهاره. ومنه أصناف عديدة يعرف منها أهل المملكة العربية السعودية النعناع المغربي ونعناع الدوش.

* النعناع الفلفلي الأبيض MENTHA PIPERITA VAR. OFJICINALIS

* نعناع بوليو M. HALOCALY X.

وينمو بريا في المناطق الرطبة والمستنقعات والسبخ وعلى جوانب جداول المياه، ولاسيما في منطقة حوض البحر المتوسط، ويكون هذا النبات أغنى نكهة وأشد حرافة من الأصناف الأخرى للنعناع الفلفلي..

الثاني: النعناع القرنفلي SPEARMINT ويسمى أيضا نعناع الحدائق GARDEN MINT.

ويضم عدة أنواع نباتية مثل:

* النعناع القرنفلي العادي MENTHA SPICATIA (M.VIRIDIS L: ويعرف سكان المملكة العربية السعودية منه النعناع الحساوي، وتكون أوراقه طولية رمحية الشكل لاطئة - ليس لها عنق -، ويُفَضَّل استخدامه مع مشروب الشاي.

* نعناع الماء: M. AQUTICA وينمو بريا في المناطق المحيطة بحوض البحر المتوسط.

* النعناع القرنفلي الياباني: M. CANADENIS VAR. PIPERASCENS ويستخلص منه زيت عطري.

* النعناع القرنفلي الاسكتلندي: M. CARDICA

موطنه ومناطق زراعته

الموطن الأصلي للنعناع هو جنوب أوربا ودول حوض البحر المتوسط مثل مصر، ثم انتشرت زراعته بوصفه أحد محاصيل الخضروات، ولاستخلاص زيته في مناطق كثيرة من العالم كشمال أمريكا وأوربا والمنطقة العربية. وهو عشب معمر يزدهر في المناطق الزراعية الرطبة والتربة الغنية ذات الطقس المعتدل والظليلة إلى حدٍّ ما، ويحتاج إلى رعاية مستمرة نظرا لسرعة انتشار جذوره داخل التربة.

وصف النبات

عشب معمر أو حولي قائم له رائحة عطرية. يصل ارتفاع بعض أصنافه إلى 40 سم أو أكثر. ساقه مربعة الشكل وله جذور أفقية تنتشر داخل التربة بسرعة خلال فصل الربيع وتخرج منها فروعه الهوائية. أوراقه خضراء متقابلة في ترتيبها على فروع النبات تختلف في شكلها وحجمها ولونها بحسب أصنافه، وأزهاره على شكل نورة لونها أزرق أو بنفسجي توجد في نهاية ساق النبات. وتقطع الفروع الخضرية للنبات وتبقى جذوره داخل التربة؛ لتعاود نشاطها في إنتاج فروع جديدة. ويفيد فحص الأوراق في تحديد أنواع النعناع وأصنافه؛ فتكون أوراق النوع الفلفلي قلبية الشكل أو بيضية وحوافها مسننة بشكل غير متساو، أما في النوع القرنفلي فتكون أوراقه غالبًا ليس لها عنق ولونها أخضر لامع خال من اللون القرمزي.

الأجزاء المستعمَلة من النبات

تستخدم الأوراق والقمم الزهرية لبعض أنواع النعناع لاستخلاص الزيت العطري منها، لذا تزرع بعض الدول - كالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا - مساحات كبيرة من هذا النبات، كما تضاف أوراق النبات في صورتها الطازجة أو على شكل مسحوق بعد تجفيفها إلى بعض أطباق الطعام وسلطة الخضروات والتبولة في بلاد الشام وغيرها.

مكوناته الفعالة

تحتوي أوراق النبات على زيت عطري تتراوح نسبته بين 7, و 1,5٪، وتانين بنسبة 6 - 12٪ وكاروتينات مولدة لفيتامين أ، وفيتامين ج، وفيه نسبة مرتفعة من الألياف الغذائية. والأوراق لها مذاق خاص ورائحته

عطرية، وتختلف شدة رائحتها بحسب أصنافه، كما يتأثر تركيب أوراق النعناع بالعوامل الوراثية والأصناف واختلاف المواسم، ولاتحتوي أوراقه على مركب أوكسالات الكالسيوم، وتشترط الأقربازين في الولايات المتحدة احتواء الأوراق الجافة والقمم الزهرية للنعناع الفلفلي M.PIPERITA على نسبة لاتقل عن 1,2 من الزيت العطري.

زيت النعناع

يُحَضَّر زيت النعناع المعروف تجاريا بروح النعناع بوساطة التقطير البخاري للأوراق والقمم الزهرية لبعض أنواع النبات MENTHA SP، ويتركز معظم إنتاجه في شمال أمريكا وأوربا، ويشترط احتواء الزيت القياسي على نسبة لاتقل عن 55٪ كارفون CARVONE. والزيت لا لون له أو أصفر باهت أو أصفر مخضر له رائحة مميزة ومذاق مر قليلاً، يعطي شعورا بالبرودة،و ويحتوي على مركب المينثول MENTHOL، وعلى مركب ليمونين LIMONINE وكارفون وفيلاندرين PHELLANDRENE وأسترات. وتختلف نسبة الزيت في النعناع بحسب أصنافه وعمره ووقت جمعه، وعمومًا تتشابه خواص الزيت المستخلص من النعناع الفلفلي مع النوع القرنفلي، لكن نكهة النوع الأول تكون أشد حدة منها في النوع الثاني.

وزيت النعناع له فعالية مطهرة ومهيجة للجلد إذا لامسه، ويسبب تفاعلات حساسية وحرقة في المعدة HEARTBURN عند دخوله إليها، ولاحظ العلماء حدوث رجفان في القلب عند الإدمان على استخدام زيت النعناع وتختفي عند التوقف عن تناوله.

في الطب القديم

استخدم الصينيون القدماء النعناع في علاج بعض أمراض المعدة والأمعاء وفي الصداع، وقال عنه عالم الطبيعة والفيلسوف الإغريقي ديسقوريدس: «له قوة قابضة مسخنة مجففة؛ لذلك إذا شربت عصارته مع الخل نفعت نفث الدم ويقتل الدود الطوال، وإذا شرب طاقتان أو ثلاث بماء الرمان الحامض سكن الفواق والغثي والهيضة، وإذا تضمد به مع السويق حلل الأورام، وإذا وضع على الجبهة سكن الصداع، وكذا الثدي الوارمة من تعقد اللبن فيها سكن ورمها».

وقال الطبيب جالينوس عنه: «اليونانيون يسمون هذا النبات مثنى لأنه طيب الرائحة، وههنا نبات يسمونه مثنى وهو غير طيب الرائحة وهو الذي يسمونه فالامني، وهو فوذنج نهري، وهما نباتان كلاهما حار المذاق، وقوتهما حارة في الدرجة الثالثة من درجات الأشياء المسخنة؛ إلا أن النعنع أضعف من الفوذنج البري وأقل سخونة منه». وذكر الأطباء المسلمون الأوائل جملة من الفوائد الطبية للنعناع في مؤلفاتهم؛ كقول صاحب القانون ـ ابن سينا ـ: «فيه رطوبة فضلية وقوة مسخنة قابضة تمنع، وهو من ألطف البقول المأكولة جوهرًا، وإذا ترك طاقات منه في اللبن لم يتجبن، وإذا شربت عصارته بالخل قطعت سيلان الدم من البطن، ويضمد به الجبهة للصداع خصوصًا مع سويق الشعير، ويقوي المعدة ويسخنها، ويسكن الفواق ويهضم ويمنع القيء البلغمي والدموي، وينفع من اليرقان خصوصًا شرابه». وذكر القاموس المحيط بعض فوائده: «أنجع دواء للبواسير ضمادًا بورقه، وضماده بملح لعضة الكلب وللسعة العقرب». وقال العشاب العربي ابن البيطار عنه: «فيه قوة مسخنة ويضمد به الجبهة من الصداع ويقوي المعدة ويسخنها ويعين على الباه».

مسكن للمغص ومهدئ

ينتشر استعمال مغلي أوراق النعناع الطازجة أو الجافة في تخفيف آلام المغص بأنواعه عن طريق تقليل حدوث التقلصات



نعناع مغربي من صنف آخر

في جدران الأمعاء أو في القنوات المرارية أو في الجهاز البولي أو أسفل البطن أثناء الحيض، ويفيد شرب المستخلص المائي للنعناع في تقليل حدة المغص المعوي في الأطفال والبالغين نتيجة الفعالية العلاجية لزيت النعناع، ولقد اكتشف حديثًا خاصية زيت النعناع الفلفلي المعروف تجاريًا بـ كولبرمين COLPERMIN المضادة لنشاط الكولين ANTICHOLINERGIC ويشابه في عمله فعل مركب الأتروبين في تقليل حدوث التقلصات ANTISPISMIC، وكمهدئ. وفي ألمانيا لازال بعض الناس يستخدم الزيوت الطيارة المستخرجة من النباتات، ولاسيما المستخرج من أوراق النعناع M. PIPERITA في علاج المغص والتقلصات المعوية.

قاطع لرياح البطن

النعناع هو أحد النباتات ذات الفعالية الطاردة لرياح البطن CARMINATIVE وهي خاصية علاجية مميزة لزيته العطري الذي يسبب ارتخاء في المعصرة المريئية القلبية فيسمح بخروج الغازات المتجمعة داخل المعدة، وفي قطع تكوُّن الغازات داخل القولون وتجمعها فيه.

في علاج الإسهال

تحتوي أوراق النعناع على نسبة تتراوح بين 6 و 12٪ من التانين ذي التأثير القابض للأنسجة الذي يفيد في تقليل حركة العضلات الملساء الموجودة في جدران الأمعاء، كما أن المينثول ذا التأثير المطهر الموجود فيه له فعالية أقوى من مركب الفينول، لذا يفيد شرب منقوع أوراق النعناع الطازجة أو الجافة في الماء الساخن في تخفيف حدة الإسهال والنزلات المعوية...

زيته طارد للحشرات

اكتشف العلماء أن زيت نعناع بوليو له خواص طاردة أو مُنفِّرة للحشرات كالبعوض الذي يحذر من الاقتراب من هذا النبات. ويستعمل بعض الناس أقراصًا مشبعة بهذا الزيت توضع داخل جهاز مزود بمسخن حراري؛ فيتطاير الزيت تدريجيًا فتهرب الحشرات من رائحته.

مدر للطمث

في الماضي استعمل مستحضر نعناع بوليو، ولاسيما زيته المحتوي على نسب مرتفعة من مركب بيوليجون PULEGONE الذي له تأثيرات مدرة للطمث للمرأة EM MENAGOGUE عند تأخر حدوثه، ويؤدي تناول الأم الحامل جرعات كبيرة من زيت هذا النوع من النعناع إلى حدوث الإجهاض، وقد يصاحبه تسمم شديدة يتصف بتشنجات وتسمم كبدي ينتهي بالموت.

شاي النعناع

مشروب شاي النعناع مُنعش ومريح للمعدة، ويستعمل في الوقاية من أمراض البرد في مراحلها الأولى، ويحضر بوضع ملء ملعقة صغيرة من مسحوق الأوراق في كأس ثم يضاف إليه الماء في درجة الغليان ويترك 5 دقائق ثم يُصفَّى قبل شربه. ويكثر تناول شاي النعناع الساخن في فصل الشتاء.

الفوائد الطبية للمينثول

يستعمل مركب المينثول MENTHOL وهو المكون الرئيس لزيت النعناع من النوع الفلفلي بشكل خاص في تحضير العديد من العقاقير، وهو يفيد في علاج أمراض التهاب القصبات الهوائية، والتهاب الجيوب الأنفية، أو يستعمل على هيئة مرهم مع الكافور ودهنه على الصدر، كما يفيد دهنه على الجلد في توسيع الأوعية الدموية، ويسبب الإحساس بالبرودة يليها قلة الشعور بالألم. وعند استعماله على هيئة مرهم أو LOTION يفيد في حالة الحكة PRURITUS والشرى URTICORIA. كما يفيد إعطاء مركب المينثول عن طريق الفم في طرد رياح البطن CARMINATIVE، ويسبب حدوث ارتخاء عضلي في الأمعاء الغليظة عند استعماله في علاج تناذر القولون المتهيج (القولون العصبي) IRRITABLE COLON SYNDRONE والمينثول أيضا هو أحد مكونات أدوية تقليدية كثيرة تستعمل في علاج السعال والبرد وغيرها.

مستحضراته الصيدلانية

هناك عدد من المستحضرات الدوائية لزيت النعناع الفلفلي مثل: ماء النعناع المركز، وروح النعناع «عطر النعناع»، وماء النعناع وهو محلول لزيت النعناع في الماء.

كما أن هناك بعض العقاقير المحضرة من زيت النعناع مثل: MINTEC COLPERIUM تباع في الصيدليات على شكل مضغوطات تحتوي على 2, ملليلتر من الزيت.

المراجع:

1- BALBAA, S.I, ETAL (1981). MEDICINAL PLANT CONST:TUENTS. PS. 71,107,134 - 135 GENERAL ORGANIZATION FOR UNIV, AND SCHOOL BOOKS, UNIV. OF CAIRO, CAIRO, EGYPT.
2- COLIN, J. (1980). HERBO AND SPICES FOR HEALTH AND BEAUTY. P. 1, 3. AIRLINGTON BOOKS, LONDON, ENGLAND.
3- LAURENCE., D.R. AND BENNET, P.N. (1987) CLINICAL PHARMACOLOGY. PS. 626, 637. CHURCHILL LIVINGSTME, LONDON, ENGLAND.
4- REYNOLDS, J.E.F. ETAL (EDS) (1989). MARTINDALE. THE EXTRA PHARMACOPOEIA. PS. 1067, 1586 - 87. THE PHARMACEUTCAL PREM, LONDON, ENGLAND.
5- TREASE, G.E AND EVANS,W.C. (1985). PHARMACOGNOSY. PS. 217,415, 421 - 23 BAILLIERE TINDALL, EAST BOURNE, ENGLAND.
6- WALLIS, T.E (1985) TEXTBOOK OF PHARMACOGNOSY. P.328 - 40 INDIAM ED., PITMAN TINDALL, EASTBOURNE, ENGLAND.
- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. ج 2، ص479، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن سينا، القانون في الطب ج1، ص375، دار صادر، بيروت، لبنان.
- أحمد العودات، جورج لحام، النباتات الطبية واستعمالاتها، ص280، 1987م. دار الأهالي، دمشق، سورية.
- أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، ص 183، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- داود الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب، ج1، ص 378، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.


إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التى تهم كل أفراد الأسرة

النظام الجنائي في الإسلام: العقوبات

د. تماضر حسون

يختص القسم الثاني في دراسة التشريع الجنائي بالعقوبات. ويلاحظ من العرض السابق أن العقوبات تقسم قسمين: عقوبات مُقَدَّرةٌ شرعًا لا يصح المساس بها عندما تكتمل شروط التجريم، وهي عقوبات الحد والقصاص. وعقوبات متروك تقديرها للحاكم أو من ينوب عنه يحددها تبعًا لكل حالة على حدة انطلاقًا من نوع كل جرم وظروف ارتكابه وشخصية المذنب والدوافع التي حملت عليه، وهي العقوبات التعزيرية.

كما أنه من الملاحظ في العقوبات المقدَّرة، أنها اتصفت بالعقوبة البدنية، انطلاقًا من مفاهيم معينة أهمها: أن الإنسان حريص على سلامة جسده يدفع عنه الأذى ما استطاع إلى ذلك سبيلا. ومن ثم فإن العقوبة البدنية تحمل تهديداً مباشراً لسلامة الجسم الذي يحرص عليه الإنسان حرصًا تامًا، مما يجعله ينثني عن فعله الضار خشية أن يلحق به الأذى الجسدي.

فالعقوبة البدنية ترمي إذن، إلى ممارسة مفعول رادع وقائي بتأثيرها مباشرة في نفسية من تُسوِّل له نفسه الإجرام بأن تخاطبه في ما هو حريص على حمايته من الأذى، وهذه لغة يفهمها كل إنسان مدرك؛ يفقه معنى الأذى الجسدي.

وإن التشهير الذي يصحب العقوبة البدنية وتنفيذها يشكل أيضًا عاملاً رادعًا ووقائيًا، إذ يحمل الإنسان الحريص على كرامته على تجنب كل ما يؤدي به إلى التشهير مما ينتقص من مكانته الاجتماعية.

ولكن العقوبة الجسدية - كما ذكرنا آنفًا - ليست غاية في ذاتها، ولا تنزل جزافًا بالمذنب، بل يجب أن تلتئم بعض الشروط ليقوم التجريم، وهذه الشروط خاصة بكل جرم ولا مجال للتوقف عندها هنا.

أما العقوبات التعزيرية فليست حتما عقوبات بدنية، بل يمكن أن تتناول الناحية المالية، أو أن تشتمل على وجوب القيام بأعمال ذات منفعة عامة، كأعمال التنظيف والصيانة أو أداء خدمات اجتماعية أو التصدق بمال وما شابه ذلك.

كما يمكن أن يكون التعزير بالقول مثل: التوبيخ والزجر والوعظ. ويكون بالفعل بحسب ما يقتضيه الحال، كما يكون بالضرب والحبس والقيد والنفي والعزل والرفت. ولا يجوز التعزير بحلق اللحية، ولا بتخريب الدور أو قلع البساتين والزروع والثمار والشجر.

كما أجاز بعض العلماء التعزير بالقتل، ومنعه بعض آخر، وله تفصيل يُنظر في موضعه من كتب الفقه.

وقد أعطى التشريع الإسلامي مكانة مهمة للتوبة، وهي العودة إلى الطريق السليم، واستغفار الله تعالى عما بدر من ذنب، قال تعالى: *يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحًا عسى ربُكم أن يُكفِّر عنكم سيئاتكم ويُدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار*. **التحريم**:8.

كما حدَّد القرآن الكريم الحالات التي تقبل بها التوبة، قال تعالى: *إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوبُ الله عليهم وكان الله عليما حكيمًا. وليست التوبة للذين يعملونَ السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموتُ قال إني تُبتُ الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما*. **النساء**:17- 18. وقال عز وجل: *قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سَلَفَ*. **الأنفال**:38.

فالتوبة إذن، هي السبيل للانتهاء عن متابعة السلوك الخاطئ، واستغفارٌ مما حصل على أن يكون ما حصل نتيجة جهالة، أي سفاهة وحمق، لا أن يكون الإنسان متعمداً إلحاق الأذى بالغير، وبعد إتمام فعلته المنهي عنها شرعًا يلجأ إلى التوبة تفاديًا للعقاب.

وقد ميز الفقه بين أنواع التوبة فقسمها أربعة أقسام:

1- التوبة قبل ارتكاب الجريمة: وفي هذه الحالة فإن الجريمة لم تقع، وتكون التوبة بالرجوع عن الفكرة الجرمية ذاتها، وهي طلب المغفرة عما بدا من فكرة سيئة، وهي أمر تتطهر به النفس مما طرأ عليها من أفكار سيئة. وهذا أمر بين الإنسان وخالقه ولا أثر قانونيًا له.

2 - التوبة بعد ارتكاب الجريمة، ولكن قبل وصول علمها إلى السلطة: في هذه الحالة يجب التمييز بين توبة في جرم وقع في حق الإنسان وجرم وقع في حق الله. ففي الجرم الواقع في حق الإنسان فإن التوبة وعفو المجني عليه يزيلان الذنب ولا يقع العقاب. أما في الجرم في حق الله فإن الفقهاء مختلفون حول تأثير التوبة في إقامة الحد. فمنهم من يقول بعدم إيقاعه انطلاقًا من الآية الكريمة: *واللذان يأتيانها منكم فآذُوهُما فإن تَابَا وأصلحا فأعرضوا عنهما*. **النساء**:16.

وفي حد السرقة: *فمن تاب من بعد ظُلْمه وأصلَحَ فإنَّ اللهَ يتوبُ عليه*. **المائدة**:39. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «التائب من الذنب كمن لاذنب له» [انظر: المغني لابن قدامة، ج10].

ومن الفقهاء كمالك وأبي حنيفة وسواهما من يقول: إن التوبة لاتسقط الحد.

3 - أما إذا حصلت التوبة بعد بلوغ خبرها إلى السلطة، فقد اتفق الفقهاء على أن حد الحرابة يسقط - إلى حد قاطع الطريق - انطلاقا من الآية الكريمة: *إلا الذين تابوا من قبل أنْ تقدروا عليهم فاعلموا أنَّ الله غفورٌ رحيمٌ*. **المائدة**:34. وأما في سائر جرائم الحدود فإن الفقه مختلف حولها. وأما في جرائم التعزير فإنه من المتفق عليه أن العقوبة تسقط.

4 - أما حصول التوبة بعد حصول الجرم وإيقاع العقوبة على الفاعل، فإن التوبة هي غاية من غايات العقوبة؛ إذ تحمل الإنسان على التفكير فيما فعل، ومن ثمَّ الارتداد إلى الطريق القويم. ومن المتفق عليه أيضًا أن العقوبة هي وسيلة لتطهير النفس، ففي رواية عن عبادة بن الصامت قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «تبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تزْنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّم اللهُ إلا بالحق؟ فمن وَفَى منكم فأجرُهُ على الله. ومن أصاب شيئًا من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب شيئًا من ذلك فستره الله عليه فأمْرُهُ إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه».

يتبين مما تقدم، أن الغاية من العقوبة في الإسلام ليست الاقتصاص من المذنب؛ بل الإصلاح والتوبة والعودة إلى الطريق المستقيم. وهذا هو هدف السياسة الوقائية، فالعقوبة مانعةٌ قبل حصول الجرم، ومُصْلِحةٌ بعد وقوعه.

كتب التراث بين السلب والإيجاب:

اقتراحات وحلول

الحلقة الأخيرة

محمد سعيد المولوي

والقضية كما ذكرنا سابقًا لا تعدو في مجملها سيطرة للروح التجارية على أصحاب دور النشر والمكتبات تجعلهم يتجاوزون الواجب العلمي نحو التراث والكتب.

ومن آثار الشغف المادي وتحقيق الربح، وانعكاس ذلك سلبًا على كتب التراث؛ أنَّ أصحاب دور النشر يرون كتابًا نافقًا قد أقبل الناس عليه ويمكن أن يحقق أرباحًا، ويرون أن بعض دور النشر قد طبعَت هذا الكتاب فلا يتورعون عن طباعته أيضًا، ونأخذ على ذلك مثالاً كتاب: رياض الصالحين للنووي؛ فقد طُبع الكتاب أربع طبعات من أربع دور للنشر في آن واحد. ولست تجد في هذه الطبعات تفاضلاً كبيرًا يدفع إلى تعددها.

وبالطبع، فإن هذا الأمر ينعكس على كتب التراث سلبًا؛ إذ يحول دون طباعة كتب أخرى قيمة. وكم من دار للنشر اعتذرت من عدم طباعة كتاب تراثي قيم بحجة عدم وجود اعتمادات مادية كافية، أو أن الكتاب لا يجد رواجًا لدى الناس، وإذا ما نُظر إلى القضية نظرة تجارية بحت وُجد أن بعض المكتبات تبيع عشرات النسخ من القصص المتداولة بين المراهقين والشباب ولا تكاد تبيع بضع نسخ من كتب علمية أو أدبية تراثية.

إن طباعة الكتب الخفيفة وكتب القصة والكتب الهابطة التي تلائم نوازع الشباب الجنسية أمر يبدو لبعض الناشرين ضرورة لا بد منها لاستمرار وجودهم التجاري؛ حيث تقوم هذه الكتب بتغطية المكتبة أو دار النشر بمردود ربحها الناجم عن مبيعاتها الجمة. بينما تعجز كتب التراث عن مثل ذلك وتحتاج إلى زمن طويل حتى يتم تسويقها ونفادها، فضلاً عن أنها تكلف كثيرًا في طباعتها وتحقيقها. وهذه الحال تعود بالطبع على كتب التراث بأثر سلبي معاكس فلا تكون معينًا على طبعها؛ بل تكون عاملاً مثبطًا.

مزاعم.. وتفنيدها

ومن العوامل السلبية التي تحد من نشر كتب التراث ذلك الارتفاع الكبير في أسعار الكتب مما دفع كثيرًا من القراء إلى التأني والتفكير في شراء هذه الكتب. فسعر الكتاب حين يكون معقولاً يحرض القارئ ويدفعه إلى شرائه. وعلى العكس من ذلك فإن القارئ يتردد أكثر من مرة في شراء الكتاب حين يرى سعره مرتفعا، وبالطبع فإن دار النشر حين تجد إقبالا على شراء الكتب التراثية فإنها تبادر إلى طبع المزيد منها وتنشط بذلك حركة خروج هذه الكتب من الخزائن إلى النور.

ولكن القضية في الواقع عكس ذلك: فالكتب التراثية باهظة الثمن، والإقبال على شرائها محدود، ومن أجل ذلك فإن حرص أصحاب دور النشر على نشر هذه الكتب محدود أيضًا.

وحين نناقش الموضوع مع أصحاب دور النشر ونحي عليهم باللائمة تجدهم يدافعون عن أنفسهم بأن أسعار الورق مرتفعة، وأجور الطباعة باهظة، والمؤلفين يتقاضون مبالغ كبيرة، والموزعين يحصلون على حصة الأسد، وأنه لا يبقى لهم من ثمن الكتاب بعد هذا كله إلا القليل، الأمر الذي يدفعهم إلى رفع أسعار الكتب.

ولكن هل الصورة كما يعرضونها صافية وصحيحة؟ إن الحق والواقع يقولان خلاف ذلك، فأسعار الورق لم تعد كما كانت قبل عشر سنوات؛ بل اعتدلت، وأجور الطباعة يمكن أن تقل حين تطبع الدار أعدادًا كبيرة من الكتاب، المغبون الوحيد هو المؤلف أو المحقق الذي يبذل الجهد الكبير في التحقيق والدراسة والفهرسة وتصحيح المسودات، ثم لا يكاد ينال أكثر من عشرة بالمئة من سعر الغلاف في أحسن الظروف.

وتنظر بعد ذلك فترى أن أكثر الناشرين هم الموزعون لكتبهم، فإذا هم ينالون الحصة مضاعفة والربح مرتين.

ولو أردنا دليلاً واقعيًا يبين صحة ما نذهب إليه؛ فإن هناك مؤسسات ثقافية قائمة في الوطن العربي تطبع من الكتب الشيء الكثير، وتبيعه بثمن معتدل ولا يكاد يكسد لديها شيء من هذه الطبعات لاعتدال ثمنها، ولو وضعت هذه المؤسسات مطبوعاتها بأيدي أصحاب دور النشر ليضعوا لها سعر مبيع لكان ذلك مضاعفًا أربع أو خمس مرات عما تباع به.

إن حكومة دولة الكويت تطبع عددًا من المجلات والكتب الثقافية كمجلة عالم الفكر ومجلة عالم المعرفة وسلسلة المسرح العالمي، ومجلة العلوم ومجلة الكويت، ومجلة العربي وغيرها، ثم تبيعها بسعر معتدل فتنفد مطبوعاتها سريعًا ويستفيد قراء العربية منها فائدة كبيرة علمية وأدبية من دون إرهاق ماديّ للقارئ. كما أن هناك مطبوعات أخرى تقوم عليها مؤسسات ثقافية أو جهود فردية تباع بأسعار معتدلة وتجد رواجًا كبيرًا وتيسر سبل المعرفة للقراء دونما إرهاق، ومن هذه المطبوعات: مجلة شؤون عربية، والمجلة العربية ومجلة الفيصل، ومجلة باسم ومجلة ماجد....الخ.

ونحن إنما نضرب أمثلة ولا نقدم إحصاءً، وهمنا الأول أن تتشابه الجهود فيما يبذل لمجلات معاصرة، وما يمكن أن يبذل ويقدم لكتب التراث، وهو ما سنشير إليه

بإذن الله في باب الحلول.

ومن الضروري أن نشير إلى أن ظلم المحقق أو الدارس قد يعود على كتب التراث بشكل سلبي. فقد يدفع هذا الأمر المحقق إلى العزوف عن خدمة كتب التراث والانصراف إلى نوع آخر من العمل الثقافي يعود عليه بأجر أو مال أكبر. وإذا استمر في خدمة التراث فقد لا يوفي عمله حقّه من العناية والدقة والإتقان، وقد يصبح عمله تجاريًا بعيدًا من العمل العلمي المختص، وهذا من شأنه أن يسيء إلى كتب التراث.

الحلول والمعالجة

بعد أن استعرضنا المظاهر الإيجابية والسلبية التي خضعت لها كتب التراث دون ادعاء بأننا قد أحصينا كل شيء، فإنه حريٌّ بنا أن نعرض بعض الاقتراحات التي قد يكون لها دور في إنقاص بعض السلبيات وزيادة بعض الإيجابيات مما يخدم تراث الآباء والأجداد ويجعل الأمة تستفيد منه أكثر.

ونحب أن نشير بدءًا إلى أن المسؤولية في معالجة السلبيات وزيادة الإيجابيات مسؤولية مشتركة بين الأفراد والمؤسسات والحكومات في البلاد العربية والإسلامية، وأن هذه المسؤولية يتمم بعضها بعضًا؛ فلا بد من تضافر الجهود الفردية مع الجهود الجماعية لخدمة هذا التراث.

وهذه المسألة لا ترتبط بقرارات ومناقشات وتوصيات فحسب، بل لا بد من إحساس الجميع بالتبعة الحقة والواجب الملقى على الكواهل.

ولسنا ندعي أننا نضع حلاً حاسمًا وجازمًا لكل ذلك، فالمشكلات أوسع من قدراتنا، ولكننا ندعي أننا نضع معالم على الطريق، ونسأل كل المهتمين بأمور التراث أن يدلوا بدلائهم، وأن يسهموا في واجب الحفاظ على التراث ونشره.

إن مسؤوليتنا الظاهرة نحو الآباء وما خلفوه من كتب وتراث يجب ألا تجعلنا ننسى الأبناء، فإن واجبنا نحوهم عظيم وكبير، فهذا التراث الضخم بما نضيفه إليه من جهد وعمل وكتابة وتأليف يجب أن يصل إلى الأبناء محفوفًا بالعناية والرعاية والمعرفة، فما أشبه قضيتنا مع الآباء والأبناء بأولئك الجنود الذين يتلقون اللواء عمن سبقهم ويوصلونه إلى مَنْ بعدهم حتى يبقى تيار الحياة متدفقا بالخير.

والمسؤولية هذه التي قلنا إنها فردية وجماعية تتبدى باديءَ ذي بدء على كاهل أولئك المحققين والمؤلفين، فهم اللصيقون بهذا التراث الضخم، وهم المعنيون المباشرون به، وإن خدمة هذا التراث بالنسبة إليهم أمانة عظيمة لا يجوز الاستهانة بها أو التقصير تجاهها.

وأول مظاهر هذه التبعة حفظ كتب التراث وتعهدها ومنع تسربها إلى خارج البلاد العربية، والوقوف في وجه أولئك المتاجرين بهذا التراث. وليس يكفي الحفاظ على هذا التراث؛ بل لا بد من إعطائه حقه من التحقيق والدراسة والخدمة العلمية الكاملة التي تؤدى لأمانة العلم وليس من أجل الكسب والربح، والسعي نحو إبراز ما ندر من هذه الكتب وكان ذا قيمة وأهمية خاصة، والدفع بها نحو أيدي القراء والمستفيدين.

وإن من مظاهر التبعة نحو هذا التراث أن نقنع الأفراد الذين يملكون مكتبات تراثية خاصة أن يبيعوا هذه المكتبات، أو يقدموها هدية إلى المكتبات العامة الموجودة في العالم العربي والإسلامي. فنحن بذلك نحفظ هذه الكتب من الضياع ونبقيها فيما بيننا، تستفيد منها الأجيال الحاضرة والقادمة، بدلاً من أن تصبح حبيسة خزائن لدى أقوام ليسوا من أهلها.

كما نهيب بأصحاب الغيرة ممن حباهم الله من فضله مالاً ألاّ يتأخروا عن شراء كتب التراث وإهدائها إلى مكتبات الجامعات أو المكتبات العامة، أو إقامة مكتبات خاصة عامة كما فعل غيرهم من أصحاب المروءة والشهامة (1).

وفي ظننا أن إجزال العطاء لمن يملك بعض كتب التراث سيساعد على إنجاز المهمة، ويغري أصحاب هذه الكتب بالتنازل عن كتبهم إلى المكتبات العامة.

ومن مظاهر التبعة نحو كتب التراث أن تخفف دور النشر من أسعارها، وأن تكافئ المجيدين من المحققين بما هم أهل له حتى يحسوا أن جهودهم تلقى الإنصاف.

وإنه ليحسن أن يكون هناك تنسيق بين دور النشر؛ فلا تقدم أكثر من دار على طباعة كتاب واحد طبعات متشابهة تؤدي دورًا متشابهًا. بل إنه لمن الأفضل أن تتوزع الجهود على كتب متنوعة، ولا سيما تلك التي لم تحظ بالطباعة بعد.

فإذا أردنا أن نتحدث بعد هذا عن الجهود غير الفردية التي تقع على كاهل المؤسسات العلمية والخيرية والحكومية، فإن في هذا الجانب أنشطة كبيرة يمكن أن تعود على كتب التراث بالخير والبركة.

وأول ما يمكن أن ندعو إليه أساتذة الجامعات الذين يشرفون على الرسائل الجامعية، ويمنحون درجات الماجستير والدكتوراه، أن يركزوا جهودهم على تكليف طلابهم العناية بكتب التراث وجعلها ميدانًا لدراستهم وموضوعًا لدرجاتهم العلمية. وإذا كنا نسمع أحيانًا بعض التساهل من بعض الأساتذة المشرفين مع طلابهم في منهج التحقيق والدراسة؛ فإننا نأمل من هؤلاء أن يولوا الموضوع حقه من الأهمية حتى تكون هذه الرسائل الجامعية نموذجًا حيًا وحقيقيًا للدراسة العلمية الجادة التي تستحق عن جدارة أن يحمل صاحبها اللقب العلمي.

وإذا أضاف هؤلاء الأساتذة الأفاضل، إلى جانب مناهج التحقيق والدراسة، العناية بالنقد والتعريف والفهرسة والجمع للمتشابه من هذه الكتب، وإقامة الموازنة بينها، فإن ذلك سيغني هذه الكتب تعريفًا ويغني قراء العربية علمًا ومعرفة.

ويمكن أن تؤدي المكتبات دورًا فاعلاً أيضًا، وذلك إذا تولت إصدار نشرات عن مطبوعها من كتب التراث والتعريف بها وبالواقفين عليها، فإن هذه النشرات تنبه على كتب قد نُشرت فلا يكون هناك تزاوج في طباعة كتاب واحد، كما أنها تنبه الباحثين والدارسين على كتب قد نُشرت فلا يبذلون جهدًا فيما يكون قد سبقهم إليها غيرهم.

وفي الحقيقة فإن هناك فائدة كبيرة من التوسع في هذه النشرات وتعميمها واعتماد المكتبات ودور النشر لها. وكم من كتاب بذل صاحبه فيه عمره وجهده ووقته وماله وأمضى الأوقات الطويلة في تحقيقه ودراسته وخدمته، وإذا به يفاجأ بعد حين بذلك الكتاب قد طبع دونما كبير عناية لأسباب فصلنا الحديث عنها.

إصدار نشرة متخصصة في أخبار التراث يمنع ازدواج التحقيق، وإهدار الوقت والمال، وبذلك يمنع ازدواج النشر

ويمكن أن تشارك في هذه النشرات معاهد المخطوطات ومراكزها، فتشير في نشراتها إلى ما صدر من المخطوطات محققًا، وإلى من حقق المخطوط وطبعه. وقد بادرت هذه المراكز إلى إخراج فهارس لمصوراتها ومخطوطاتها. فإذا أُتبعتْ ذلك بنشرات وفهارس عن المطبوعات الحديثة لكتب التراث فإن ذلك إتمام لجهودها وإكمال لمساعيها.

ويكون الأمر أفضل لو اتسعت الدوريات والمجلات التي تصدر عن مراكز المخطوطات ومعاهدها والتي تعرف بهذه المطبوعات. صحيح إن بعض المجلات تخصص صفحات للتعريف ببعض المطبوعات والإشارة إليها؛ إلا أن ذلك لا يغني ولا يمكن أن يكون إحصاءً علميًا. وكما يمكن أن يعتمد الباحثون والدارسون على فهارس المخطوطات والمصورات؛ فإن فهارس هذه المطبوعات تقدم خدمة كبيرة متممة فيما لو نفذت على شكل واسع.

لقد تعودت بعض المراكز العلمية ـ كالمجامع العلمية ودور النشر ـ نشر كتب بأسماء مطبوعاتها، وهذه تجربة جيدة ورائدة ومفيدة، ولكنها ستكون أكثر فائدة لو اتسعت دائرتها؛ فعمت أكثر المطبوعات لكتب التراث، بحيث تتكامل المنظومة مع معاجم المطبوعات التي أشرنا إليها في بداية بحثنا هذا. وإن الأمور يمكن أن تكون أفضل بكثير لو أن وزارات الثقافة أو التربية أو المعارف أو من يقوم مقامها من المؤسسات الثقافية في كل بلد عربي عمدت إلى إصدار دورية متخصصة في أمور التراث المخطوط منه والمطبوع، تطبع وتوزع وتباع بسعر كلفتها، وتنشر فيها مستجدات اكتشافات الكتب المخطوطة وأخبارها المهمة، وتشير إلى ما طبع منها وما هو قيد الطبع، منوهة بطبيعة الكتاب واسم من عمل فيه أو يعمل، أو يحققه أو يعلق عليه.

وتتلاقى هذه الدوريات في المكتبات الحكومية العامة التي يردها المثقفون في قسم خاص لها، حيث إن المهتم بأمور التراث يستطيع أن يشتري هذه الدوريات إن شاء من هذه المكتبات الحكومية، أو يستطيع أن يقرأ ويطالع فيها ويحصل على ما يشاء من معلومات دون أن يرهق نفسه ماديًا.

ولعل من الأمور التي ستعود على كتب التراث بالخير والبركة أن تعمد دور النشر الكبيرة أو المجامع العلمية أو الجامعات أو مراكز حفظ المخطوطات إلى تكليف عدد من العلماء والباحثين المختصين إتمام تحقيق الكتب التي صدرت أجزاء منها (2) ولم تتم كتفسير الطبري وإمتاع الأسماع للمقريزي، ثم يصار إلى طبعها حتى تتم تلك الطبعات الجيدة ويستفيد منها القراء والمالكون للأجزاء السابقة.

ومن الأمور المهمة المقترحة للحفاظ على كتب التراث أن تعمد الحكومات العربية إلى سَنّ تشريع جزائي يعاقب كل من يُخرج من البلاد أيًا من كتب التراث مهما كانت درجة أهمية هذا الكتاب. ونحن نعلم أن هناك تشريعات في كثير من البلدان العربية تمنع إخراج الآثار والعاديات من البلاد وتعاقب على ذلك من يخالف، وما نظن كتب التراث أقل أهمية من تلك الآثار والجرار والأصنام، بل هي أشد أهمية، فهي نتاج العقول وخلاصة الأفهام والتجارب. وبينما يمضي العلماء السنوات في استنطاق الآثار والحجارة واستخلاص النتائج منها، فإن هذه الكتب تتكلم مباشرة عن نفسها وأهلها ومؤلفيها دونما جهد.

وما كان لنا أن ننسى الدور المتصوَّر لمعهد المخطوطات يوم إنشائه، فقد كان أملاً ليكون مركزاً ونواة لشجرة تنمو وتكبر وتورق بأخبار المخطوطات العربية وصورها وواقعها وتطوراتها، وأن هذا الدور يجب أن يوضع رهن التطوير والتنفيذ وتعميم الفائدة منه. وما أظن أمة قادرة على أن تطبع وتوزع في أسبوع واحد قرابة خمسين مجلة تتحدث عن أخبار الفن والفنانين حديثًا هو ـ في غالبيته ـ غثاء وهراء وإضاعة للوقت والمال، عاجزة عن إصدار مجلة واحدة جامعة لأخبار ماضيها وتراثها الفكري وتصدر كل ثلاثة أشهر مرة.

ولقد جرت الإجراءات على أن تقدم دور النشر بعض نسخ مما تنشر إلى المكتبات العامة الحكومية، ولكن هذا الإجراء ضعف مع الزمن وخف تطبيقه. ولو أن إجراء جديداً قضى أن تسلم بعض النسخ إلى إدارة المجلة المتخصصة التي تحدثنا عنها قبل بضعة أسطر فتجد الدورية المادة ميسرة أمامها، وتجني دار النشر فائدة أيضًا إذ تنشر أخبار مطبوعاتها ويتعرفها القراء وتعم الفائدة بذلك.

ونحب ـ قبل أن ننهي بحثنا هذا ـ أن نطرح اقتراحًا على بعض المؤسسات الحكومية كوزارات الثقافة والإرشاد أو المجامع العلمية أو الهيئات الثقافية العامة أو وزارات الأوقاف، وهو أن تشكل هذه المؤسسات لجانًا متخصصة تقوم بالتفتيش عن الكتب العربية المخطوطة النفيسة وتصويرها وتحقيقها وإجراء الدراسة عليها، ثم تقوم هذه المؤسسات بطباعة هذه الكتب وبيعها بسعر يقارب سعر التكلفة أو يزيد قليلاً، وهي بهذا الإجراء تحقق أهدافًا عدة منها: أنها تسهم في نشر كتاب تحتاج إليه العقول العربية، وتحافظ على التراث من الاندثار أو الضياع، وتقرب الكتاب من يد محتاجيه، فهي حين تطرح الكتاب بسعر مقبول تسهم في إقبال الناس عليه واقتنائه والاستفادة منه، وهي بذلك تحقق فائدة أخرى لا يستهان بها، فإن سرعة نفاد الكتاب تتيح الفرصة لكتاب آخر أن يرى النور، وهكذا دواليك.

خاتمة القول

إننا نحس بدين كبير للآباء في أعناقنا، ونرى تراثهم موزعًا في أنحاء الأرض لا يستفاد منه إلا قليلاً، ونحس بما يشبه الانقطاع الثقافي بين أنحاء العالم الإسلامي؛ فالنشاط الأدبي أو العلمي في المغرب العربي يكاد يكون مجهولاً من أبناء المشرق العربي، وما يجري في اليمن مجهول لدى أهل الشام والعراق. ومن يدري على وجه التحديد بعد انهيار الاتحاد السوفياتي أية كتب مخطوطة وتراث عربي إسلامي موجود في الدول الإسلامية الشرقية مثل طاجيكستان وقازاقستان وانغوشستان..الخ، وهل نستطيع أن نقول إن الجهود قد بلغت غايتها ومنتهاها فأمكن إحصاء كل الكتب المخطوطة الموجودة في أمريكا وروسيا والسويد وهولندا وبلجيكا وألمانيا والبرتغال وإسبانيا وفرنسا والنمسا وإيطاليا....إلخ، وهل نعرف ما خلف الحكم الشيوعي من كتب تراثية في ألبانيا ومقدونيا ويوغوسلافيا، وهل استطعنا أن نعرف الكتب الموجودة في أفغانستان أو كشمير أو باكستان أو الصين؟!

إن الجواب لا ريب بالنفي، وما يغنينا النفي ولا ينقع غلة ولا يشفي علة.

إن الحكومات العربية ـ وهي أولى الناس بالمسؤولية ـ مطالبة أن تستعين بمنظمة اليونسكو العالمية وأن تقيم مع هذه المنظمة سنة دولية لكتب التراث تتضافر فيها جهود الناطقين بالعربية جميعًا في إنشاء جهاز تشرف عليه منظمة اليونسكو، ويرجع في أموره إلى البلاد العربية ممثلة في منظمة التربية مثلاً أو في منظمة لحفظ التراث وجمعه وخدمته تقام في الوطن العربي، ويقوم هذا الجهاز في هذه السنة الدولية باستنفار الطاقات العالمية في شتى أنحاء الأرض للتعاون في تقديم معلومات وافية كافية شافية عما لديها من كتب التراث. وتنظم هذه المعلومات استعانة بالأجهزة المتطورة العاملة في هذا النطاق فتوضع لها الفهارس، وتكتب عنها التعريفات وتنشر عنها النشرات والكتب والمجلات.

ولا يُكتفى بذلك؛ بل يُسعى بكل جهد إلى تصوير هذه الكتب وإقامة مركز تخزين عام لهذه الصور، وتزود المكتبات العربية بكل جديد يدخل على هذا المخزن بلا استثناء وبشكل عام ومن دون اختيار، ثم ترسم هذه المصورات على أوراق وتجلد وتزود بها المكتبات لتكون تحت يد المطالعين والباحثين.

الهوامش

1ـ كما صنع السيد جمعة الماجد والشيخ محمد نصيف وأحمد تيمور.

2ـ عمد أحد الأفاضل ـ مشكوراً ـ إلى إتمام مسند الإمام أحمد، وحبذا لو تم بقية هذه الكتب.

المراجع:

1ـ تراث الإسلام، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

2ـ الوصف فيما ثبت للنبي صلى الله عليه من الوصف، الكويت.

3ـ زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحق الحصري القيرواني، بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر 1953م.

4ـ صحيح الإمام مسلم، طبع مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر.

5ـ مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد الأول، السنة الأولى، محرم 1414هـ، إصدار مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي.

6ـ مجلة الزهراء، محب الدين الخطيب، المكتبة والمطبعة السلفية 1342هـ، مصر.

7ـ مجلة التراث العربي، العددان 55-56 نيسان 1994، دمشق.

8ـ المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف بمصر 1964م.

9ـ معجم لسان العرب، ابن منظور، مطبعة دار صادر، بيروت.

10ـ منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، عبدالقادر بن بدران الدمشقي، مراجعة محمد نزار الخاني ومحمد سعيد المولوي، طباعة المكتب الإسلامي بدمشق.

11ـ نشرة قاعدة المعلومات للمخطوطات الإسلامية، إصدار مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

12ـ نشرة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، إصدار مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

دائرة المعارف

المربون المسلمون 1

إعداد: الزبير مهداد

أ

الأنصاري :

أبو يحيى زكريا بن أحمد الأنصاري، فقيه مصري. ولد عام 823 هـ، وتوفي عام 925 أو 926، عرف بالسنيكي نسبة إلى سنيكة من محافظة الشرقية في مصر. كُفَّ بصره عام 906هـ.

درس في الأزهر وأجازه شيوخه للإفتاء والإقراء. تولى القضاء وتدرج في مراتبه حتى أصبح قاضي القضاة عام 886هـ، ثم تفرغ للتدريس في المدرسة الجمَّالية.

صنف كتبًا كثيرة، وفي التربية كَتَبَ «اللؤلؤ النظيم في رَوْمِ التعلم والتعليم»، وهو رسالة صغيرة تشمل شروط التعلم، ومنها: تحديد القصد من التعليم، واختيار العلم الذي تقبله الطباع وتحديد غايته، ثم قراءة الكتب الجيدة المستوعبة على يد شيخ أمين، والمذاكرة مع الأقران، وغير ذلك من النصائح والشروط. بعد ذلك عرض الأنصاري في رسالته تصنيفًا للعلوم حصر فيه أنواع العلوم المعهودة آنذاك مع تعريفها وبيان حدودها.

ب

ابن باجَّه

محمد بن يحيى أبو بكر، وقد يعرف بابن الصائغ. فيلسوف طبيب ولد في سرقسطة أواخر القرن الخامس الهجري.

استوزره أبو بكر بن إبراهيم والي غرناطة ثم سرقسطة، وذهب إلى فاس فاتُّهم بالإلحاد، وتوفي فيها، وقيل: توفي مسمومًا عام 533. خلَّف مؤلفات كثيرة ضاع أكثرها.

أهم مؤلفاته في التربية كتاب «تدبير المتوحد». وابن باجَّه أهم من استعمل مصطلح التدبير كمرادف للتربية، لكن بدلالة فلسفية وسياسية واجتماعية مهمة، كما عالج المصطلح معالجة فلسفية تربويَة. فالتدبير عند ابن باجّة فعل تربوي له هدف وغاية، وهذا الفعل على هذا الأساس يكون موجهًا لإنجاز غرض، فهو فعل مقصود. والتربية تدبير لأنها ترتب عناصر شخصية الفرد فكرًا وسلوكًا.

البلدي

أبو العباس أحمد بن يحيى البلدي. ينتسب إلى مدينة بلد جنوبي العراق، عاش في القرن الرابع الهجري، ولايعرف بالتحديد تاريخ ولادته ووفاته.

درس الطب في الموصل على يد أبي جعفر أحمد بن أبي الأشعث في أوائل العقد الخامس من القرن الرابع الهجري؛ فدخل في جملة من يتفقه في علم صناعة الطب.

انتقل إلى مصر الفاطمية حيث التقى الوزير أبا جعفر يعقوب بن كلس وزير المعز الفاطمي وجمعته به وشائج المودة، فأهداه مؤلفه الطبي القيم «تدبير الحبالى والأطفال والمولدين وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم». وهو كتاب يحتل مكانة متميزة في تاريخ طب الأطفال عند العرب. يتناول البلدي في كتابه بالبحث المسائل الطبية المتعلقة بالأمومة والطفولة، إلى جانب المسائل التربوية التعليمية والمشكلات النفسية المتعلقة بالطفولة ومراحل نموها وتطورها.

ج

الجاحظ

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني. متكلم فيلسوف موسوعي الثقافة، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. ولد عام 159هجرية بالبصرة وبها توفي عام 255. تعلم في البصرة في الكُتّاب وحلقات المساجد، ثم قصد بغداد فتولى مناصب الكتابة في دواوين الأمراء. عاد إلى البصرة في أخريات حياته بعد رحلة قادته إلى دمشق وأنطاكية.

نقرأ له آراء في التربية والتعليم، ووصفًا لمناهج وطرق التدريس بالبلاد الإسلامية في كتبه ورسائله المختلفة، منها: «رسالة صناعة الكلام» و«المسائل والجوابات في المعرفة» و«كتاب المعلمين» و«التربيع والتدوير» و«البيان والتبيين» وغيرها.

تناول بالبحث قدرات الأطفال العقلية واكتسابهم المعرفة وإمكان الإحاطة بالعلوم وتعلم اللغة وعلاقات المعلمين بالتلاميذ.

ابن جماعة

بدر الدين محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن جَمَاعة الكناني الحموي الشافعي. قاض مصري ولد عام 639 وتوفي عام 733. ولد وعاش في أسرة من أعرق أسر حماة، وكان والده فقيهًا صوفيًا، تلقى تعليمه في حماة ودمشق، واشتغل بالتدريس في مدارس دمشق ومساجدها، كما كان يعقد في منزله مجالس علمية يلقي فيها دروسه.

له كتاب «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم» في خمسة أبواب، هي: في فضل العلم والعلماء، وفضل التعلم والتعليم. في أدب العالم في نفسه ومراعاة طالبه ودرسه. في أدب المتعلم في نفسه ومع شيخه وفي درسه. في أدب الكتب التي هي آلة العلم. في آداب سكنى المدارس.

ابن الجوزي

عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، يكنى أبا الفرج. فقيه محدث وواعظ، ولد عام 511هـ، ونشأ في مشرعة الجوز من أعمال بغداد، وتوفي يوم 12رمضان 597.

خلف عددًا كبيرًا من المؤلفات، منها في التربية: «لفتة الكبد في نصيحة الولد»، «الحث على طلب العلم»، «وصية ابن الجوزي لولده»

اشتهر ابن الجوزي بالكتابة في ميدان الفكر الوعظي المخصص للولد كي يتسلح بالخلق والسلوك اللذين يؤديان إلى النجاح. ومن الوسائل التي تقود إلى النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة: العلم والخلق الحسن باعتبارهما أهم الوسائل في تعديل سلوك الفرد وضبطه والتحكم فيه. لهذا يدعو إلى الحث على طلب العلم وإلى التمسك بمكارم الأخلاق، كما أن الأخلاق الحسنة نفسها تقود إلى طلب العلم والنجاح في التحصيل وبلوغ الدرجات الرفيعة في تربية النفس وإصلاحها.

ابن الحاج

أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن الحاج العبدري الفاسي المالكي. فقيه مغربي، زار مصر ومكث بها حتى وفاته عام 737هجرية.

من أهم كتبه «المدخل» واسمه الكامل: «كتاب المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات»، وهو كتاب كبير بناه المؤلف على الحديث الشريف: «إنما الأعمال بالنيات»

والكتاب ليس مصنَّفًا في علوم التربية والتعليم، وإنما قصد به كاتبه الكشف عما أغفله الناس من مهمات الدين والمعايب والبدع التي يُتساهل فيها بالمشرق والمغرب، وبيان شنعها وقبحها. ويحوي من جملة ما يحويه موضوعات كثيرة تدخل ضمن مجال علوم التربية. ومنها أهمية العلم وطرق التعلم والتنشئة الاجتماعية ومؤسسات التعليم، والمعلم وشروطه وعلاقته بالمتعلمين، ومساوي العقاب البدني. كما تحدث عن التربية الصوفية وآداب الفقير والمنقطع وآداب السلوك، سعيا وراء تأسيس تصوف للفقهاء.

ابن حزم

أبو محمد علي بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الظاهري. فقيه أديب وفيلسوف أندلسي، ولد بقرطبة عام 384هـ وبها عاش، وتوفي في شعبان عام 456هـ.

تميز بثقافة موسوعية شاملة في علوم مختلفة، وكان فقيها مدافعًا عن العقدية محاربًا الضلال وأهله متصديًا للفساد الأخلاقي والسياسي والاجتماعي.

أهم مصنفاته في التربية كتاب «مداواة النفوس»، وقد طبع بأسماء مختلفة تحمل غرضًا واحدًا، منها: «مداواة النفوس في تهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل»، ومنها «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» ومنها «كلمات في الأخلاق أو مداواة النفوس»، وقد تناول فيه موضوعات متعددة، منها: إصلاح الأخلاق والعقل والراحة والعلم والسِّيَر والإخوان والأصدقاء والنصيحة والمحبة والعادات. وفي الكتاب يدعو الكاتب إلى جعل التعليم إجباريا ومساواة المرأة للرجل في العلم والثقافة. كما يتضمن الكتاب فلسفة تربوية خلقية، إضافة إلى الملاحظات التي نجدها فيه غير مرتبة ويقصد بها إلى التعليم والتربية.

أبو حنيفة

النعمان بن ثابت بن المرزبان التيميّ بالولاء. أصله من كابُل، ولد في الكوفة عام 80 هجرية ونشأ بها. حفظ القرآن صغيرًا وزار الحجاز حاجا وعمره 16سنة. درس أصول الدين، وشارك في حلقات الجدل، وناظر المعتزلة والشيعة، وتفرغ لدراسة الفقه وتعلمه وتعليمه. أراده عمر بن هبيرة على القضاء فامتنع ورعًا، وأراده المنصور العباسي على ذلك أيضا فامتنع، فحبسه المنصور إلى وفاته عام 150هـ.

خلف كتبًا كثيرة، منها: «رسالة العالم والمتعلم»، ووصية ثمينة إلى تلميذه أبي يوسف ضمنها عدة نصائح تربوية في فقه السلوك ذات قيمة كبيرة، وأوضح فيها أهمية العلم النظري المتوج بالعمل، وأهمية الاجتهاد والتجديد في الفكر والعقلية، وأهمية اختلاط العالم بالجمهور، وضرورة التوظيف الاجتماعي للعلم في التغيير الاجتماعي، والدعوة إلى المعروف والأمر به والنهي عن المنكر، والحفاظ على وحدة الجماعة الإسلامية.

ابن خلدون

عبدالرحمن بن محمد الشهير بابن خلدون.

مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي مسلم. ولد في تونس عام 732هـ ونشأ فيها، وتنقل في بلاد المغرب والأندلس ومصر، حيث ولاه السلطان برقوق قضاء المالكية. حج إلى مكة عام 789هـ، وتولى السفارة والقضاء. ثم انقطع للتدريس فأتم كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر» الذي نالت مقدمته شهرة عظيمة لاشتمالها على آراء مهمة في السياسة والتاريخ وعلم الاجتماع وسائر الفنون والعلوم. توفي في القاهرة عام 808 هـ.

يرى ابن خلدون أن العملية التعلمية التعليمية نشاط إنساني ضروري وطبيعي للعمران البشري. وعرض قواعد العمل التعليمي وأصناف العلوم التي يجب تعلمها وأغراضها وأهدافها وناقشها، مبينًا اختلاف الأمصار الإسلامية في طرق التعليم، منتقدًا مناهج التعليم وكثرة المواد وتنوع الكتب وانتشار المختصرات. وحاول الإرشاد إلى سبل إصلاح التعليم، كما أشار إلى موضوعات أخرى تدخل في نطاق علم النفس التربوي؛ كالحفظ والملكات والعقاب البدني، وله في ذلك آراء على جانب كبير من الأهمية.

حاجي خليفة

مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي. فقيه مؤرخ أديب موسوعي تركي كاتب باللغة العربية. ولد في الأستانة عام 1017هـ، وتوفي فيها عام 1067هـ بعد رحلات كثيرة. ألّف كثيراً من الكتب، أهمها «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، الذي احتوى عرضًا وافيا لفكره التربوي. من مباحثه: أغراض العلم ومراميه، طرق التعلم، خصائص المعلم المسلم وصفاته، طلاب العلم وشروطهم.

ز

الزرنوجي

برهان الدين - أو برهان الإسلام - الزرنوجي. فقيه حنفي عاش في بلده زرنوج بتركيا أواخر القرن السادس الهجري. لم تذكر الكتب التي ترجمت له شيئًا عن حياته ومؤلفاته.

خلف الزرنوجي في التربية كتابا عنوانه: «تعليم المتعلم طريق التعلم». طبع أول مرة عام 1709 في ألمانيا وأعيد طبعه عام 1838 في لايبسك مع مقدمة عنه. كماتُرجم إلى التركية واللاتينية، وشرحه الشيخ إبراهيم بن إسماعيل للسلطان مراد خان الثالث عام 996 هـ.

قسم الزرنوجي كتابه إلى ثمانية فصول: ماهية العلم. النية في حال التعلم. في اختيارالعلم والأستاذ والشريك. في تعظيم العلم وأهله. في الجد والمواظبة. بداية السبق وقدره. في التوكل. في وقت التحصيل.

يعطي الكتاب صورة عن أهمية مهنة التعليم عند المسلمين، ويتضمن نصائح إلى طالب العلم في ضرورة المذاكرة والمناظرة والتأني والتأمل، ويشرح طريقة التكرار الموزع على أيام عدة كأحسن وسيلة للحفظ.

س

السُّبْكي

عبدالوهاب بن علي تاج الدين السبكي. فقيه شافعي تولى القضاء. ولد في القاهرة عام 727هـ، ونسبته إلى قرية سُبك من أعمال المنوفية في مصر، ألف كتبًا كثيرة، وتوفي في دمشق عام 771هـ بعد حياة مملوءة بالمحن والشدائد.

لم يخلف السبكي كتابًا خاصًا بالتربية؛ إلا أنه في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم» عرض آراء تربوية كثيرة متنوعة في فن التأديب وممارسة التربية تسجل ما كان سائدًا في عصره من تقاليد وممارسات تعليمية، وعلق عليها مقدمًا وصايا ونصائح وقواعد يراها كفيلة ببناء المواطن الصالح والمجتمع المسلم الفاضل.

ابن سحنون

محمد بن عبدالسلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي أبو عبدالله، فقيه مالكي مناظر من أهل القيروان. ولد عام 202 هـ، وتلقى العلم على يد والده سحنون صاحب «المدوَّنة»، ثم رحل إلى المشرق سنة 235 للحج واستكمال الدراسة.

كان يتحلى بسعة العلم، كريما سمحا حسن الأخلاق عالي الهمة وجيهًا عند الحكام. توفي بالساحل عام 256، ونقل جثمانه إلى القيروان.

من كتبه التربوية «آداب المعلمين» و «آداب المتناظرين» و«الجامع في فنون العلم والفقه». وكتاب «آداب المعلمين» رواه عن والده سحنون صاحب المدوّنة.

يعدّ هذا الكتاب من أول ما صُنِّفَ في التربية بوصفها ميدانا منفصلا عن الفلسفة والاجتماع في التاريخ العربي. أخذ عنه أو حذا حذوه جميع من جاؤوا بعده من العرب المسلمين. من مباحثه: ما جاء في تعليم القرآن، وما يكره محوه من اسم الله تعالى، وما جاء في الختم. كما تكلم عن اداب تعليم الصبيان وعقابهم وتخليتهم والتفرغ لهم، وإجارة المُعلّم.

تقدم هذه الرسالة صورة عن التعليم في الكُتّاب، ومواده وطرائقه وما هو إجباري وما هو مستحسن، والعلاقات بين المعلم والصبيان وبين المعلم وأهل الصبيان؛ معتمداً في أصول أحكامه على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأحيانًا على اجتهادات الفقهاء؛ واضعًا الحلول لكثير من القضايا والمشكلات التي تعترض سير العملية التعليمية.

السَّمْعَاني

أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي الشهير بالسمعاني المروزي. فقيه محدث، ومؤرخ رحالة، ولد في مرو عام

506هـ، وتوفي فيها عام 562هـ.

ألف كتاب «طراز الذهب في آداب الطلب» وهو مفقود، وله أيضًا كتاب «أدب الإملاء والاستملاء»، طبع مرات عديدة، ونشره في ليدن بألمانيا عام 1952م المستشرق ماكس فايسفايلر الذي لخصه بالألمانية وعلق عليه.

هذا الكتاب مخصص لطلاب علم الحديث وآدابه واستملائه وإملائه، جعله المؤلف في ثلاثة فصول، هي: آداب المملي وآداب المستملي وآداب الكاتب.

والكتاب، وإن كان خاصًا بطلاب علم الحديث والشريف؛ إلا أنه يعطينا فكرة شاملة عن بعض أنواع العلوم وطريقة أخذها وأدوات الكتابة وتقاليد التعليم والطرق التربوية.

ابن سينا

أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا. فيلسوف وطبيب ورياضي، ولد عام 370 هـ في أفشة قرب بخارى، ودرس العلوم الشرعية والعقلية وأصبح حجة في الطب والرياضيات والفلك. لُقِّبَ بالشيخ الرئيس. اتصل بالأمراء وخدمهم واستوزروه، واشتغل بالطب والتعليم والسياسة حتى توفي في همذان عام 428هـ بعد حياة حافلة بالأحداث والمسؤوليات. ودفن بهمذان مخلفا عددًا كبيرًا من الكتب والرسائل.

تطرق ابن سينا في كتابه الشهير «القانون» في الفن الثالث لمسائل تتعلق بنمو الطفل البدني والعقلي والنفسي ومشكلات تتعلق بتعلمه. أما في كتابه المهم «السياسة»؛ فقد عرض مناهج تربية خاصة بالصبيان وأخرى خاصة بالكبار على اختلاف مناصبهم ووظائفهم الاجتماعية.

تدل آراء ابن سينا على قدرة فائقة في توظيف معارفه النفسية والطبية والدينية في صياغة فلسفة منهاج تربوي متكامل يحقق أهدافًا مختلفة.

ش

الشاطبي

أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي اللخمي. فقيه كبير وأصولي شهير من أهل غرناطة توفي بها عام 790 هـ.

أخذ عن جماعة من علماء الأندلس والمغرب ذوي اليد الطولى والإتقان الكامل للعلوم على اختلافها وتنوعها حتى تفقه ونبغ، وكان له فضل تجديد علم أصول الفقه.

أهم مؤلفاته كتاب: «عنوان التعريف بأسرار التكليف» ويعرف بكتاب: «الموافقات» في أصول الفقه وحكم الشريعة وأسرارها. في هذا الكتاب كشف عن منهجه التجديدي في العقلية الإسلامية؛ إذ يعود إليه الفضل في تأصيل أصول الفقه والكشف عن أهمية مقاصد الشريعة في أحكام العبادات والمعاملات.

ومثل سائر الأصوليين، تطرق في هذا الكتاب لمباحث تتعلق بالعلم وأقسامه وغايته وحدود المعرفة البشرية وطرق ووسائل نشر المعرفة واكتسابها. وهي مباحث تدخل فيما يسمى اليوم بعلوم التربية. وتناول هذه المباحث في إطار أصولي يتميز بتناسق وتكامل وشمول، وبناها على قواعد ثابتة شرحها في كتابه؛ مبينا وظيفة التربية والتعليم الاجتماعية ومقاصدهما الدينية.

الشوكاني

محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني. فقيه قاض، ومجدد مجتهد مصلح. ولد يوم 28 من ذي القعدة عام 1173بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن لأب قاض مشهور بالعلم والصلاح. نشأ بصنعاء وبها تلقى تعليمه على والده، ثم على البارزين من علماء عصره. وقد ولي قضاء صنعاء ومات حاكمًا بها عام 1250هـ. من مؤلفاته في التربية كتاب «أدب الطلب»، أكد فيه ضرورة أن يكون التعليم ذا توجه ديني في خدمة الشريعة شرحًا ودراسة وتعليما ونشرا. كما دعا فيه طلبة العلم إلى نبذ التقليد والتعصب، وتفادي الإعجاب بعالم دون غيره أو بمذهب دون غيره إلى أن يعتقد أنه وحده الذي يرى الصواب؛ فيصده هذا عن أن يرى بعين الإنصاف آراء الآخرين وجهودهم.

المراجع:

- هشام نشابة، التراث التربوي الإسلامي، دار العلم، بيروت 1988.
- المعهد العالمي للفكر الإسلامي، نيويورك، التربية الإسلامية «مستلات»، د.ت.
- محمد عابد الجابري، نحن والتراث، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1983.
- محمود الحاج قاسم، مجلة الفيصل «الرياض»، عدد 43 ص 68-71.
- البلدي، كتاب تدبير الحبالى والأطفال، تحقيق: محمود الحاج قاسم، بغداد: دار الرشيد،1980م.
- مجلة المورد، بغداد، عدد خاص بالجاحظ، 4/1399.
- حسن إبراهيم عبدالعال، فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1405.
- عبدالجواد محمد الخضري، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، عدد 216، 1402، ص118-122.
- ابن الحاج، المدخل، القاهرة: دار الحديث، 1981م.
- أحمد لكطيف، مجلة الأمة، قطر، عدد 24، ص 1403، 27.
- سعيد إسماعيل علي، مجلة الأمة، قطر، عدد 47، 1404، ص 22.
- رضوان السيد، مجلة الفكر العربي، بيروت، عدد خاص بالتربية الإسلامية رقم 21/ 1981، ص 11 .
- محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الفكر العربي، د.ت.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار الفكر 1988.
- لطفي بركات - مجلة الفيصل، الرياض، عدد 156، ص 40.
- محمد ناصر، الفكر التربوي العربي الإسلامي، الكويت، وكالة المطبوعات 1977 ص343.
- حسن صالح، الفكر العربي، بيروت، عدد 144، ص1981، 21.
- أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، القاهرة: دار المعارف، 1968م.
- السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- شفيق محمد زيعور، عبدالكريم السمعاني في كتابه أدب الإملاء والاستملاء، بيروت: دار إقرأ، 1984.
- ابن سينا، القانون في الطب، بيروت، دار صادر، د .ت.
- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، حققه عبدالله دراز، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- صالح محمد صغير مقبل، محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية، جدة، مكتبة جدة، 1409.

عزيز الأب ..

أرواحهم أمانة في عنقك ..

مهما كانت الظروف والأسباب .. فلا تترك أطفالك وحدهم داخل السيارة .. ولو للحظات.



مع تحيات

سابك

الشركة السعودية للصناعات الأساسية

والشركات التابعة لها

جعفر الطيار

متولي أحمد حسن الشافعي

1

ويمضي موكب النور، يغذ السير في الشعاب والفيافي المقفرة، تتقد الصدور حماسة، وتمتلئ النفوس إيمانًا، يحثون الخطى، الشوق والرغبة العارمة في اللقاء يبدوان على الوجوه المتعطشة لإحراز إحدى الحسنيين.
إذ كيف يقتل أولئك الأوغاد مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فالرسول دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة، لا إكراه في الدين، يعرض عليهم الإسلام: فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. يريد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور، كما أن قتل السفراء جريمة لا يقرها عُرف أو دين؛ فكيف أقدم عليها أولئك الجبناء؟ أسئلة وخواطر مرت بالأذهان، وما زال صدى كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم يصدح في الآفاق، تشهد به الجبال والأشجار والروابي والتلال والآبار.. لا تقتلوا الأطفال، لا تقتلوا النساء، ولا تقتلوا الشيوخ، لا تقتلوا الأجير ولا تخربوا شيئًا.. كلمات يعرفها كل من مس قلبه النور، ودائمًا يذكرهم بها الرسول صلى الله عليه وسلم.

2

ارتعشت يدُ جدي وهو يدق عصاه في الأرض، تحرك ناحية النافذة، جال ببصره ناحية الجدار العامد وبقايا المئذنة، التفت نحونا وهو يمسح دموعًا التصقت بشفتيه، وواصل حديثه: وواصل الجيش مسيره، قطع ألف كيلو ومئة كيلو متر، وفي قرية مؤته بالأردن كان اللقاء، ثلاثة آلاف ينتظرون إشارة القائد.

حكَّت أختي عينها بباطن كفها وقالت: مضى شهر ولم يعد أبي يا جدي، أردف جدي: كان عدد الروم مئتي ألف. تنهدت أمي وهي تعيد الرقم، هبت أختي واقفة وقالت: أخشى أن يكون أبي قد أصيب، مسحت أمي على رأسها، وأجلستها بجوارها.
اقتربت من جدي وتساءلت: وماذا فعل المسلمون؟ اقترب حاجباه حتى التصقا وقال: استشهد زيد بن حارثة قائد المسلمين بعد أن أبلى بلاء حسنا، فحمل الراية جعفر بن أبي طالب وقاتل قتال الشجعان حتى إن فرسه لما انحرفت للخلف قليلاً - من شدة كثافة الأعداء - نزل عنها وعقرها وظل يقاتل حتى قُطعَت يمينه فرفع الراية بيساره، فلما قُطعت حملها بين عضديه. وقبل أن يلقى الله جاؤوه بالماء ليشرب، فامتنع وقال إني صائم وأحب أن أفطر عند ربي في الجنة، فرفع الراية عبد الله بن رواحة وقاتل حتى استشهد ثم أخذ الراية سيف الله المسلول وعاد بالجيش سالمًا.
وقال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ينعى أصحابه: إن الله أبدل جعفر بيديه جناحين يطير بهما في الجنة.

3

شهقت أمي وهي تلتصق بنا، عندما اندفع الباب بشدة، هوت عمامة جدي في الهواء عدة مرات ثم سقطت وسقط هو بعدها، تراجعنا إلى الخلف مثل كومة من اللحم، التصقنا بالحائط وارتفع صراخنا.
أشار الجندي الأول إلى أختي وهو يشيد بجمالها، داست قدمه رأس جدي وهو يتجه ناحيتها، شق الصراخ المتواصل صفحة السماء، نادت أختي بأعلى صوتها أباها الغائب، جذبها من شعرها، تشبثت بي، وبأمي، وبالكرسي، وبالباب، وبالحوائط.. بكل ذرة فيها صرخت وهو يمزق ملابسها، ونادت للمرة الأخيرة أباها الغائب. الكون من حولنا صامت، ساكن، وفي أحد الأركان انزوت أمي وعلا نشيجها. تقدم الجندي الثاني وأمرها بالوقوف، ارتفع صدرها وهبط، وهي تتساند إلى الحائط، وبحركة سريعة شق ثيابها، ارتفع نشيجها الحاد عندما رأت نفسها عارية أمامي. وضعت رأسي بين ركبتي، واشتد بكائي عنما تذكرت أبي الغائب، مرت صور الأطفال الملثمين أمامي وهم يواجهون بالحجارة العربات والجنود المسلحين، رأيتهم كثيراً عبر نشرات الأخبار في التلفاز.

تسللت من الحجرة، كانت أمي تقاوم، وكان صراخ أختي يدوي في الحجرة المجاورة، ابتلت قدمي من دم جدي الذي تسرب في أنحاء البيت. وفي المطبخ سحبت الكرسي الصغير وبهدوء صعدت فوقه، ثم سحبت السكين الكبيرة، بين سترتي أخفيتها، وبهدوء عدت.
ما زالت أمي تقاوم، وبيديها الواهنتين تضرب في صدره، وأنين خافت ينبعث من الحجرة المجاورة. كانت مؤخرته أمامي، وظهره الضخم يتحرك يمينًا ويسارًا، أخرجت السكين، ارتعدت مفاصلي، فاهتزت السكين في يدي. تذكرت فرس القائد التي عقرها لما انحرفت للخلف قليلاً، تقدمت ببطء، كانت عين أمي تستحثني، وأنين أختي يمزقني، رفعت السكين لأعلى ثم هويت بها في مقدمة ظهره، مدت أمي يدها وساعدتني، حتى اخترقت السكين صدره، ثم هرعت إلى ملابسها.

4

انفتح باب الحجرة المجاورة، خرج يتمايل وهو يهذي بعبارات النصر، يشيعه أنين أختي المتقطع، جمدت عيناه، وهو ينظر إلى السكين في يدي والدم يتقاطر منها.. وبصيحة عالية أمر أمي بالوقوف بجوار أختي بجانب الحائط، وَصَوَّب سلاحه باتجاههما واستمر في الضغط عليه حتى بعد أن سقطتا على الأرض.
ثم اتجه نحوي وقال: أما أنت فستموت بطريقة أخرى.
أتدرون ماذا حدث؟
قال الذين أنقذوني إنهم وجدوني وسط بركة من الدماء، وقد قُطعت ذراعاي ثم وُضعتا على صدر جدي على هيئة الصليب.

5

ارتجفتُ، أصابني الرعب، أغمضت عَيْنَيَّ، وانفجرت في البكاء، الصور المرعبة التي وقعت عيناي عليها داخل العنبر الكبير زلزلت كياني، حاولت أن أمسح دموعي، اشتد صراخي حين أدركت أنني أصبحت بلا ذراعين.

6

التصق جسدي بالسرير، لم أعد قادرًا على التشنج أو البكاء، رفعت



بصري إلى السماء وتمتمت: يارب أنت أعلم بالظالمين، فهم كثيرون يارب، لا يستطيع عقلي الصغير أن يحصيهم. أغفيت قليلاً، فرأيته مقبلاً نحوي حتى اقترب مني، قبلني في جبهتي ثم مسح على صدري، فأحسست بقوى تسري في جسدي، بدا وجهه كالبدر، لم تفارق الابتسامة محياه، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، بش في وجهي وقال: ما يبكيك يا جعفر؟
قلت له: إن اسمي ليس جعفرا.
قال: أنت جعفر الصغير، سألته عن جدي وأبي وأمي وأختي؟ قال إنهم في الجنة ينعمون.
أجلسني على سريري وقبلني بين عيني، وهو يقول: ستكون معهم إن شاء الله يا جعفر.. ومضى، ناديته بأعلى صوتي أن يأخذني إليهم ولكنه مضى. ومن ساعتها لم أعد أبكي، وأصبح كل نزلاء مستشفى سراييفو ينادونني باسم جعفر الطيار.

سمو النائب الثاني يرعى احتفال مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمرور عقدين على تأسيسها

يرعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران المفتش العام، مساء الاثنين 26 ذي الحجة 1416هـ احتفال مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمرور عشرين عامًا على تأسيسها. وقد دُعي إلى حضور حفل الافتتاح وفعالياته أصحاب السمو الملكي الأمراء، وأصحاب المعالي الوزراء وأصحاب الفضيلة العلماء، وعدد من الباحثين والمفكرين من داخل المملكة وخارجها.

وقد علم مندوب «الفيصل» - إلى حين مثول المجلة للطبع في يوم 24 ذي الحجة - أن الاحتفال بمرور عشرين عامًا على تأسيس مؤسسة الملك فيصل الخيرية يشمل فعاليات متعددة؛ تتضمن محاضرات تُلقى - من 26 - 28 ذي الحجة - عن جوانب متعددة من شخصية الملك فيصل - رحمه الله - خلال المراحل المختلفة من حياته، والأدوار والمسؤوليات التي اضطلع بها، ومواقفه إزاء القضايا العربية والإسلامية والدولية. كما يتضمن الاحتفال معرضًا مصورًا عن إسهامات الملك فيصل على الصعيدين الداخلي والخارجي، ومعرضًا عن المخطوطات الإسلامية في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وما يقوم به المركز من جهود في سبيل حفظها وصيانتها؛ بتعقيمها وترميمها وتجليدها إضافة إلى فهرستها وتكشيفها. وقد وفّر المركز معملاً متنقلاً لترميم المخطوطات في أماكن وجودها، وهذا المعمل مزود بتجهيزات تقنية عالية المستوى، ومن المنتظر أن يتم افتتاحه ضمن فعاليات الاحتفال.

وتتركز المحاضرات التي تتناول شخصية الملك فيصل - رحمه الله - في

تفسير ميسر للقرآن الكريم

يجري حاليًا في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة عمل دؤوب لإنجاز تفسير ميسر للقرآن الكريم؛ يستفاد منه في ترجمة معاني كتاب الله إلى اللغات المختلفة.

يذكر أن ترجمات معاني القرآن الكريم التي طبعها المجمع بلغت سبع عشرة ترجمة إلى اللغات العالمية المتحدث بها في قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية.

جائزة الأمير سلمان للتفوق العلمي

تقرر أن يبدأ اعتبارًا من العام الدراسي المقبل 1417/ 1418هـ منح جائزة الأمير سلمان بن عبدالعزيز للتفوق الدراسي والبحث العلمي، بعد أن تم وضع نظامها الأساسي.

واختير مدير عام إدارة التعليم بمنطقة الرياض، د. عبدالله عبدالعزيز المعيلي، أمينًا عامًا للجائزة.

توزيع جائزة أمين مدني

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز، أمير منطقة المدينة المنورة، احتُفل في شهر ذي القعدة الماضي بتسليم جائزة السيد أمين مدني للبحث في تاريخ الجزيرة العربية إلى الفائزين بها، وهما

الحركة الثقافية في شهر

مجمع القاهرة يوصي بضرورة تعريب التعليم الجامعي

معهد المخطوطات يحتفل بيوبيله الذهبي بتنظيم مسابقة لتحقيق التراث

رحيل محمد بهجة الأثري وأكرم زعيتر

صدور مجلات وصحف جديدة، وإقامة معارض فنية ومهرجانات ثقافية في أنحاء العالم

إعلان أسماء الفائزين بجوائز بوليتزر في عامها الثمانين

خمسة محاور: إذ يدور المحور الأول حول «النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية»، ملقيًا الأضواء على وضع العالم الإسلامي عند تولي الملك فيصل قيادة البلاد، وأهم القضايا المثارة حينذاك، وموقفه من تلك القضايا والحلول التي طرحها لذلك، مع تحليل لرؤيته السياسية وجهوده في طرح فكرة التضامن الإسلامي، وردود فعل الدول العربية والإسلامية وموقفها من تلك الدعوة، ووسائله لترسيخ التضامن الإسلامي.

ويناقش هذا المحور كل من: معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد (محاضرًا)، ومعالي الأستاذ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة وسعادة الأستاذ زين العابدين الركابي (معلقين)، ومعالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب (مديرًا للجلسة).

ويتعلق المحور الثاني «بالدور القيادي للملك فيصل في العالم العربي»، والمحاضر هو معالي الأستاذ جميل الحجيلان، ويدير الجلسة صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل، بينما يتولى التعليق كل من: معالي الأستاذ أحمد طالب الإبراهيمي ومعالي الأستاذ عبدالهادي بو طالب. ويتضمن هذا المحور بداية اشتغال الملك فيصل بالقضايا العربية فكرًا وممارسة، وعلاقاته بالشخصيات العربية، وإسهامه في تأسيس جامعة الدول العربية، ومواقفه إزاء القضايا العربية المختلفة، وملامح الدور القيادي للمملكة العربية السعودية في الساحة العربية، وكذلك رؤيته - يرحمه الله - للتيارات الفكرية والمذهبية المستوردة التي انتشرت في العالم العربي في وقت من الأوقات.

ويدور المحور الثالث حول «إنجازات الملك فيصل»، ويستعرض المشاركون إسهامات الملك فيصل المبكرة سياسيًا وعسكريًا وإداريًا، ودوره في بناء المؤسسات السعودية، وبرنامجه للإصلاح الداخلي في مدة توليه ولاية العهد، وإنجازاته على صعيد السياسة الداخلية في مجالات التعليم والقوى البشرية والإعلام والإصلاح الإداري والمالي والتنمية في المجالات المختلفة، واهتمامه - رحمه الله - بتأصيل الهوية الإسلامية للمجتمع السعودي، وما قام به من جهود لإعمار الأماكن المقدسة والعناية بشؤون الحج والحجيج. ويلقي المحاضرة سعادة الدكتور عبدالرحمن الصالح الشبيلي، ويتولى التعليق كل من: معالي الدكتور حمود بن عبدالعزيز البدر ومعالي الأستاذ هشام محيي الدين ناظر، ويديرها سعادة الأستاذ الدكتور فايز إبراهيم الحبيب.

«الفيصل.. الملك الإنسان» هو عنوان المحور الرابع، ويتناوله صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، فيتحدث عن نشأة الملك فيصل وطفولته، ومكونات ثقافته، وصفاته، ومناقبه، وبعض مواهبه التي يعسر حصرها. ويدير الجلسة سعادة الدكتور هاشم عبده هاشم.

ويتم تناول المحور الخامس في ندوة بعنوان «كتابة تاريخ الملك فيصل»، ويناقش المشاركون فيها كيفية كتابة تاريخ الملك فيصل ومصادره، وحصر هذه المصادر في مظانها وتصنيفها، مع تقويمها وتحديد كيفية الاستفادة منها، وتوضيح المنهج الأمثل لأسلوب التحليل والتكشيف الواجب اتباعه.

تتألف هذه الندوة من ثلاث جلسات وجلسة ختامية، ويشارك فيها كل من: فضيلة الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، وسعادة الأستاذ الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، وسعادة الأستاذ الدكتور يحيى محمود الساعاتي، والدكتور محمد زيان عمر الشرقي، وسعادة الدكتور فهد بن عبدالله السماري، ومن الباحثين والمفكرين الأجانب أ. د. رفينسينزا سترايكا، والدكتور هيلموت ميخر، والدكتور جلين بيري، والدكتور ديفيد لونج، والأستاذ كرستيان لوشون.

(تقدم الفيصل في عددها القادم - بإذن الله - تغطية شاملة لوقائع الاحتفال، وعرضًا مفصلاً لفعالياته المختلفة).

د. محمد بن سعيد الشعفي، و د. محمد أحمد الرويثي، اللذان فازا بها مناصفة في موضوع «الموانئ في الجزيرة العربية منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى قيام الدولة العثمانية».

واستحق د. الشعفي الجائزة عن كتابه «تجارة جدة الخارجية في الفترة من 1840-1916م»، وهو من مواليد أبها، وحصل على شهادته الجامعية من كلية الآداب بجامعة القاهرة، وأكمل دراساته العليا في جامعة ليدز البريطانية.

فيما استحق الدكتور الرويثي الجائزة عن كتابه «الموانئ السعودية على البحر الأحمر.. دراسة في الجغرافيا الاقتصادية»، وهو من مواليد المدينة المنورة، وتلقى دراسته الجامعية في كلية التربية بمكة المكرمة، وأكمل دراساته العليا في جامعة القاهرة.

معرض للأبواب التراثية

نظمت جمعية النهضة النسائية الخيرية بالرياض - مؤخرًا - معرضًا هو الأول من نوعه للأبواب التراثية في مركز التراث التابع للجمعية.

رمى المعرض إلى التعريف بالتراث السعودي القديم للمعمار، وبخاصة الأبواب الخشبية التي تختلف في أشكالها وتصميماتها من منطقة لأخرى، لاختلاف طبيعة المنطقة ومناخها.

وضم المعرض نماذج مختلفة من الأبواب؛ منها ما هو قديم مثل باب المصمك، وباب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأبواب أخرى قديمة وحديثة.

تكريم خفاجي

احتفت جامعة أم القرى بالشاعر إبراهيم عبدالرحمن خفاجي بإقامة حفل تكريمي له في مكة المكرمة في مطلع شهر ذي القعدة الماضي بمشاركة حشد من الأدباء والشعراء والمثقفين.

وإبراهيم خفاجي من مواليد مكة المكرمة عام 1345هـ، وتلقى تعليمه في مدارس

الفلاح، ثم في دار العلوم الدينية، ثم ابتُعث لنيل دبلوم المحاسبة من مصر. ويعد في طليعة شعراء المملكة المعاصرين، الذين أسهموا بقسط وافر في الحركة الأدبية السعودية، واستحق من أجل هذا الجهد تكريم خادم الحرمين الشريفين الذي منحه وسام الاستحقاق من الدرجة الثانية.

مركز للمعلومات القصصية

يعتزم نادي القصة السعودي إنشاء مركز معلومات قصصي لإبداعات كُتَّاب وكاتبات القصة القصيرة في السعودية.

ووجه النادي نداء للقاصين والقاصات لتزويده بما أنتجوه من قصص؛ سواء ما نشر في مجموعات أو في الصحف والمجلات أو كان مخطوطًا، مع صورتين شخصيتين وصورة لبطاقة الأحوال.

وفاة محمد سعيد كمال

توفي - إلى رحمة الله - الأديب محمد سعيد كمال، أحد رجال التعليم بالطائف.

والفقيد مؤسس أول مكتبة تجارية في الطائف، وقام بنشر مجموعة كبيرة من الكتب التراثية والأدبية والشرعية يصل عددها إلى ما يزيد على 250 كتابًا، كما أسهم في تأسيس النادي الأدبي بالطائف، وكان نائبًا لرئيسه لعدة سنوات حتى وفاته.

جريدة دولية للباحثين العرب

أصدر بيت الباحث العربي في الرياض جريدة شهرية متخصصة تعنى بشؤون البحث العلمي وخدمة الباحثين في العالم العربي تحت اسم «جريدة الباحث العربي الدولية».

يرأس تحرير الجريدة ياسر القاضي، ويدير التحرير ياسر عبدالعزيز.

موسوعة لرجال التعليم

تعد إحدى المؤسسات الإعلامية المهتمة بالدراسات والبحوث لإصدار موسوعة سير ذاتية لرجال التربية والتعليم بالمملكة.

ينتظر أن تضم الموسوعة حَمَلة المؤهلات العليا من رجال التعليم، والأفراد الذين قاموا بأعمال ريادية في بداية مسيرة التعليم السعودي بصرف النظر عن مؤهلاتهم، وكذلك الذين أسهموا في التأليف والبحث في مجال التعليم.

مسابقات نادي أبها الأدبي

تحددت نهاية شهر محرم الجاري آخر موعد لاستقبال المشاركات في المسابقة السادسة والعشرين لنادي أبها الأدبي في مجالات الشعر، والقصة، والبحث.

يشترط في مسابقتي الشعر والقصة أن لايقل عدد قصائد المجموعة التي يتقدم بها المشارك عن خمس قصائد أو خمس قصص، فيما يشترط في مجال البحث أن يتناول جانبًا تاريخيًا أو جغرافيا أو تربويًا فيما لا يقل عن ثلاثين صفحة. ويجب أن تكتب جميع المشاركات على الآلة الكاتبة من أصل وصورة، ولن تقبل مشاركات من سبق لهم الفوز بجائزة النادي خلال السنوات الثلاث الماضية.

كتب جديدة

قراءة في بعض أعمال القاص محمد الشقحاء، تأليف إبراهيم سلطان، نشر خاص.

مسيرة 20 عامًا لنادي المدينة المنورة الأدبي، إعداد محمد صالح البليهشي، صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي.

التجارب العملية في أسس التلوث الميكروبي البيئي، تأليف د. عبدالوهاب رجب هاشم بن صادق ، صدر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» عن مؤسسة اليمامة الصحفية.

سكون المرأة الموحشة، مجموعة قصصية لعبدالله عبدالرحمن العتيق، صدرت عن نادي القصة السعودي.

حوليات سوق حباشة، تأليف د. عبدالله أبو داهش، صدر عن نادي أبها الأدبي.

هيكل في منزل الوحي.. دراسة تحليلية نقدية، تأليف د. سليمان بن حمد العودة، صدر عن نادي القصيم الأدبي

مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة ونموذج المملكة العربية السعودية، تأليف د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، صدر ضمن سلسلة «الكتاب الإسلامي» عن مركز البحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

الإمارات

المعرض الدولي السادس للكتاب

شاركت أكثر من خمسين دار نشر عربية وأجنبية بمئة ألف عنوان في معرض أبو ظبي الدولي السادس للكتاب.

أقيم على هامش المعرض، معرض للكتب القديمة، ونشاطات ثقافية وفنية وفكرية، تمثلت في أمسيات شعرية وقصصية، ومحاضرات وندوات ثقافية وفكرية ونقدية، إلى جانب الأنشطة الفنية والعروض المسرحية.

تكريم رواد الأدب والعلوم

برعاية حاكم الفجيرة وعضو المجلس الأعلى لاتحاد الإمارات العربية الشيخ حمد بن محمد الشرقي أقيم - مؤخرًا - الحفل السنوي السادس الذي أقامته جمعية الفجيرة الثقافية الاجتماعية لتكريم رواد الحركة الثقافية والنشاط الاجتماعي والمتفوقين في العلوم الإدارية والجامعية.

شمل التكريم من أهل الأدب والثقافة الشاعر عارف الخاجة، والأديب ناصر الظاهري، ورجل الأعمال جمعة الماجد، ومجموعة أخرى من الرواد والمتفوقين.

بحث تأسيس جمعية للناشرين

تدرس الإمارات إمكان تأسيس جمعية

للناشرين، تنضم بعد تكوينها إلى اتحاد الناشرين العرب.

صرح بذلك وكيل وزارة الإعلام والثقافة بدولة الإمارات العربية المتحدة الشيخ عبدالله بن زايد عقب استقباله - مؤخرًا - رئيس وأعضاء اتحاد الناشرين العرب والمصريين.

البحرين

تكريم رواد المبدعين

أقام نادي جزيرة المحرق - مؤخرًا - حفلاً تكريميًا هو الأول من نوعه في البحرين لتكريم الرواد من المبدعين والمفكرين وكبار المسؤولين من أبناء المحرق، برعاية رئيس الوزراء البحريني الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة.

شمل التكريم 201 مبدع ومفكر ومسؤول، من أبرزهم وزير العدل عبدالله بن خالد آل خليفة، والدكتور محمد جابر الأنصاري، والشيخ د. عبداللطيف الحمود.

كتب جديدة

أخبار مجنون ليلى، تأليف قاسم حداد وضياء العزاوي، صدر عن دار الكلمة.

الكويت

كرنفال تشكيلي عالمي في بينالي الكويت

شارك 172 فنانًا من 18 دولة عربية وأجنبية في بينالي الكويت الدولي الثاني عشر للفنون التشكيلية.

وقد حُجبت الجائزة الكبرى للبينالي، وفاز بجوائز البينالي الفنانون: محمد عبلة - مصر - في مجال التصوير، ومحمد البحيري - الكويت - في مجال الرسم، ومحمد سطوحي - مصر - في مجال النحت.

ونال جوائز المحكمين الفنانون: السيد القماش - مصر -، أسماء منور - تونس -، خزيمة علواني - سورية -، عدنان الأحمد - البحرين -، نورما إيزابيل - الولايات المتحدة - محمد الحاج - بنجلاديش -. إضافة إلى جوائز تشجيعية لعدد من الفنانين المشاركين.

مجلة «أرابيسك»

صدرت - مؤخرًا - مجلة تعنى بالفنون العربية والإسلامية التراثية متخصصة في التصميم والأثاث والبناء تحمل اسم «أرابيسك».

تصدر المجلة كل شهرين، ويرأس تحريرها عبدالعزيز جاسم بو رحمة، وتحتوي على ملخص باللغتين الإنجليزية والفرنسية لخدمة المهتمين بالتراث العربي في مجالات التصميم والبناء والأثاث غير الناطقين بالعربية.

فنانو بريطانيا يعرضون لوحاتهم

استضافت صالة بو شهري معرضًا للفنانين البريطانيين، افتتحه السفير البريطاني جراهام بويث، وشارك فيه 15فنانًا قدموا 28 لوحة.

من أبرز الفنانين الذين شاركوا في المعرض فيكتور باسمور - 98 عامًا - وهو من الفنانين التجريديين المعروفين، ونال عددا من الجوائز، وجراهام ولز، وهو من خريجي كلية ليدز للفنون، وتيري فورست، الذي تأثرت رسوماته بالحركة المنتمية إلى كورندش.

كتب جديدة

العبقرية: تاريخ الفكرة، تحرير بنلوبي مرّى، ترجمه إلى العربية محمد عبدالواحد محمد، وراجعه د. عبدالغفار مكاوي، وصدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

مصر

اكتشاف وثائق يهودية باللغة العربية

اكتشفت في سراديب معبد يهودي في القاهرة مجموعة وثائق مدونة باللغة العربية بحروف عبرية كتبت خلال الفترة من عام 950م إلى 1200م.

تتكون هذه الوثائق - التي أطلق اليهود عليها اسم «جنيزة القاهرة» - من مجموعة رسائل كتبها يهود من بلدان العالم المختلفة إلى أقاربهم في القاهرة، وبها معلومات حول الأوضاع الاقتصادية والبحرية والسياسية في بلدان العالم وبخاصة أفريقيا.

ندوة بمناسبة اليوبيل الذهبي لمعهد المخطوطات

نظم معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ندوة بعنوان «معهد المخطوطات العربية: وقائع الماضي ورؤى المستقبل»، بمناسبة مرور خمسين عامًا على إنشائه في مطلع شهر ذي الحجة الماضي.



د. عصمت عبد المجيد

عقدت الندوة برعاية الأمين العام للجامعة العربية د. عصمت عبدالمجيد، والمدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم محمد الإبراهيمي، وناقشت على مدار يومين قضايا العمل التراثي العربي المشترك، والمعوقات التي تعترض طريقه، وآفاق التعاون العربي المستقبلي في هذا المجال. إضافة إلى تقويم شامل لجهود المعهد في نصف قرن، وما يراد أن يتحقق من نشاطات مستقبلاً.

وأعلن المعهد عن تنظيم مسابقة عربية للمحققين الشبان لتحقيق التراث من خلال

تحقيق أحد النصوص تحقيقًا علميًا منهجيًا، أيا كان موضوع النص، ويشترط في الأعمال المقدمة أن تكون أصلية، وألا يكون العمل منشورًا من قبل نشرة محققة، وتحدد يوم الرابع عشر من شهر صفر المقبل - 30 يونية 1996م - موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات.

مناقشة «في الشعر الجاهلي» والاحتفاء بالراعي

نظم المجلس الأعلى للثقافة ندوة علمية لمناقشة كتاب «في الشعر الجاهلي» للدكتور طه حسين، بمناسبة مرور 70 عامًا على صدور الكتاب للمرة الأولى، ولقاء تكريميًا للناقد الدكتور علي الراعي، في أواخر ذي القعدة الماضي.

شارك في ندوة «في الشعر الجاهلي» زهاء 40 أكاديميًا وناقدًا ومفكرًا، حيث ناقشوا أثر الكتاب في الحركة الثقافية المصرية والعربية عبر سبعة محاور: الأبعاد الأدبية، والدلالات الفكرية، والدلالات التاريخية، والأصول التاريخية، والتأصيل الأدبي، والأبعاد المنهجية، والدلالات الباقية.

افتتاح متحف شوقي

افتتح رئيس الوزراء د. كمال الجنزوري وحرم الرئيس مبارك السيدة سوزان، ووزير الثقافة فاروق حسني متحف أمير الشعراء أحمد شوقي «كرمة ابن هانئ» بعد اكتمال ترميمه الذي تكلف مليون جنيه.

يضم المتحف مكتبة أحمد شوقي وفيها 335 كتابًا متنوعًا، و 713 مسودة بخط يده لأعماله، إضافة إلى مجموعة نياشين وأوسمة حصل عليها، ومجموعة من الصور الفوتوغرافية النادرة للشاعر في سنين عمره المختلفة، فضلاً عن الأثاث الخاص بمنزله، و140 لوحة زيتية من أعمال حفيدته الفنانة خديجة رياض، ومجموعة أخرى من متعلقاته.
وتحول قبو الدارة الذي كان يستخدم مطبخا ومسكنا للخدم في حياة الشاعر إلى مركز للنقد والإبداع، يشمل مكتبة للكتب وأخرى موسيقية. وصدر بهذه المناسبة كتاب تذكاري عن المتحف وصاحبه يحتوي على أشعار بخط يده تنشر للمرة الأولى.

حكايات من ألف ليلة وليلة بالعامية المصرية

عثر على مخطوط نادر يعود إلى القرن الثاني عشر الهجري يضم خمس حكايات من ألف ليلة وليلة تختلف حركة الحدث فيها عن حركة الحدث في النص المتداول مع شيوع العامية المصرية وغلبتها على الفصحى فيها.

وأكد الباحثان هشام عبدالعزيز وعادل عبدالحميد اللذان عثرا على المخطوط في دار الكتب المصرية، أنه يُعدّ إرهاصة للرواية المصرية، حيث إن الوحدة العضوية فيه للحكاية وليست لليلة، مما قد يسهم في تحقيق كشف جديد في مجال دراسة تاريخ الرواية العربية المعاصرة.

مجلة «أبوللو» في مجلدات

تعتزم الهيئة المصرية العامة للكتاب إعادة إصدار مجلة «أبوللو» في مجلدات كاملة بمناسبة مرور واحد وأربعين عامًا على وفاة مؤسس الجماعة د. أحمد زكي أبو شادي.

وكانت المجلة التي صدر عددها الأول في سبتمبر 1932م قد توقفت بعد هذا التاريخ بعامين، وتحديداً في ديسمبر 1934م، بعدما قدمت 28 عددًا، وبرز من خلالها الكثير من الشعراء والأدباء العرب والمصريين.

تسجيل الآثار الإسلامية على الحاسوب

انتهى العمل في مشروع تسجيل سبعمئة أثر إسلامي بمدينة القاهرة على الحاسب الآلي.

محاضرات وندوات

«الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة المحاضرات التابعة لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، د. راشد بن راجح الشريف.

«الدراسات الكلاسيكية ودورها في الحياة الثقافية»، موضوع ندوة نظمها مركز الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة بجامعة القاهرة، تحدث فيها د. ماهر شفيق فريد.

«صفة الحج»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع الحمودي بحي النسيم في الرياض الشيخ محمد عثمان المنيعي.

«الثقافة العربية والقرار السياسي»، عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من مؤسسة شومان الثقافية في عمان بالأردن غسان تويني.

«النواحي الإيجابية والسلبية للعمارة الحديثة في السعودية»، موضوع محاضرة ألقاها في مقر الجمعية السعودية لعلوم العمران، د. محمد حسين إبراهيم.

«العلاقات الأمريكية الخليجية»، موضوع محاضرة ألقاها بدعوة من سفارة البحرين في واشنطن، إدوارد غنيم.

«المواقف الإنسانية والالتزام في الشعر الجاهلي»، عنوان محاضرة ألقاها في أحدية المبارك بالأحساء، د. حسني عبدالجليل اليوسف.

«إيران والعرب: معلومات عن المواجهة الحديثة»، عنوان محاضرة ألقاها في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، د. فرد هاليداي.

«فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق وجهوده في خدمة الإسلام والمسلمين»، موضوع ندوة نظمتها رابطة الأدب الحديث، وشارك فيها مجموعة من العلماء والأدباء، وأدارها د. محمد عبدالمنعم خفاجي.

«العلاقة بين مصر وروما منذ فجر التاريخ»، عنوان ندوة نظمتها كلية الآداب بجامعة المنصورة المصرية، شارك فيها الدكاترة: وسام عبدالعزيز فرج، وحلمي عبدالواحد، وأحمد عثمان.

«الإسلام.. الدين الذي أسيء فهمه»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد، د. محضير محمد.

«اكتشاف الربع الخالي»، عنوان محاضرة ألقاها في المركز الإعلامي السعودي في لندن، لترلي ماكلوجلن.

الحركة الثقافية في شهر

شـمل المشـروع الآثار الموجـودة في العواصم الأربع الإسلامية القديمة لمصر: الفسطاط، والعسكر، والقطائع، والقاهرة، وتضمنت المعلومات نشأة الأثر، وتاريخه عبر العصور، ودوره الرسمي والاجتماعي، وتوصيف الأثر، والترميمات التي أجريت فيه، ووقفية الأثر، والجهة الخاصة به.

يذكر أن الآثار التي سجلت ضمت مساجد: الأزهر، والسلطان حسن، وأحمد بن طولون، والكخيا، وكتخدا، وقلعة صلاح الدين، ومواقع أخرى.

توصيات مجمع اللغة العربية

أوصى مجمع اللغة العربية في ختام دورته الثانية والستين بتعريب التعليم الجامعي في الأقطار العربية وتدريس اللغة العربية - بوصفها مادة أساسية - في جميع الكليات والمعاهد العليا.

وطالب المؤتمرون وزراء الإعلام العرب بإعداد العاملين في مجال الإعلام إعداداً لغويًا صحيحًا، والتزام وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية اللغة العربية الصحيحة. ودعا المجمع الحكومات العربية إلى الإسراع في إصدار تشريع يحظر كتابة اللافتات الأجنبية بحروف عربية، والاهتمام باللغة العربية من حيث مادتها، ومناهجها وأساليب تقديمها، مع توجيه عناية خاصة لإعداد المعلم القائم عليها ورعايته، وإنشاء هيئة عامة للترجمة تناط بها مهمة نقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية.

اجتماع دولي للتوثيق والمعلومات

استضافت جامعة الإسكندرية - مؤخراً - اجتماع المجلس الأعلى للاتحاد الدولي للتوثيق والمعلومات.

شارك في الاجتماع ممثلون لسبع عشرة دولة، ودارت مناقشاته حول التطورات الحديثة في مجال المعلومات، ودور الاتحاد في دعم دول العالم للأخذ بها.

وعقد على هامش المؤتمر اجتماع للهيئة الاقليمية للاتحاد لشمال أفريقيا، حيث نوقشت عدة موضوعات، منها إنشاء مركز بالإسكندرية لتوزيع المطبوعات، وتنشيط برامج المساعدات للمكتبات ومراكز المعلومات العربية.

موسوعة لمفهومات ومصطلحات علم الاجتماع والأنثربولوجيا

ينتظر أن يصدر في نهاية العام الميلادي الحالي الجزء الأول من موسوعة «المفهومات الأساسية في علم الاجتماع والأنثربولوجيا» عن المجلس الأعلى للثقافة.

ترمي الموسوعة إلى التعريف بأهم المفهومات والمصطلحات المستخدمة في الكتابات الاجتماعية، والتي يبلغ عددها نحو مئة مصطلح.

معارض تشكيلية

شهدت القاهرة خلال شهر ذي القعدة الماضي مجموعة من المعارض التشكيلية المتنوعة. فقد أقام الفنان التشكيلي جورج البهجوري أول معارضه الفنية بعد غيبة عن مصر دامت 27 عامًا قضاها في باريس.

والبهجوري من مواليد عام 1932م، وتتميز لوحاته بقيم فنية تعبيرية ذات توجه طليعي.

وفي قاعة جريدة الأهرام أقيم معرض للفنان الصحافي محمد سليمة ضم عدداً من

«الآثار الإسلامية في تهامة» موضوع محاضرة ألقاها في نادي جازان الأدبي، د. أحمد عمر الزيلعي.

«خمسينية السينما العراقية: النهضة والانكفاء»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي لابور في غرب لندن، زياد الخزاعي.

«تاريخ جدة القديمة»، موضوع محاضرة ألقاها في المدينة المنورة، المهندس سامي نوار.

«الاكتشافات الأثرية الجديدة في قلب بيروت»، موضوع محاضرة ألقاها في الجمعية الملكية الجغرافية في لندن، جون جوليوس نوريش.

أقام نادي القصيم الأدبي أمسية قصصية شارك فيها القاصّان جار الله الحميد ومحمد علي قدس، وعلق عليها د. عبدالعزيز محمد السبيل.

«السحر بين الحقيقة والتخيل»، عنوان محاضرة ألقاها في الغرفة التجارية الصناعية بالمدينة المنورة بدعوة من فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، د. نايف بن هاشم الدعيس.

«إسلاميات شوقي»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي المدينة المنورة الأدبي، الشيخ صالح عواد المغامسي.

«الفن التشكيلي المصري»، موضوع محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي الثقافي، أحمد فؤاد سليم.

«الحماية الدولية لأسرى الحرب»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية الحقوق بجامعة الكويت، د.رشيد حمد العنزي.

«نظام الخصخصة وتوسيع قاعدة الملكية»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي الثقافي بكلية الحقوق بجامعة الإسكندرية، د. أحمد فتحي سرور.

نظمت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون أمسية شعرية في الرياض للشاعر محمد بن سعد المشعان.

«لمحات في إعجاز سورة الأنعام»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية الهندسة بمكة المكرمة، د. حسن محمد باجودة.

«أبعاد الرؤية الإسلامية في الشعر المعاصر»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي، د. صابر عبدالدايم.

«اليهود في فاس منذ عصر الأدارسة حتى عصر بني مدين»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، د. عبدالحميد حمودة.

لوحاته التشكيلية، واستضافت قاعة كلية الفنون التطبيقية معرضًا لمحمد زينهم، وآخر لفن الزجاج، وأقيم في قاعة الهناجر بدار الأوبرا معرض تشكيلي للفنانة نازي مدكور.

وشهد مجمع الفنون بالزمالك معارض للفنانة جاذبية سرى وثلاث فنانات سويسريات والفنانين خالد سرور وجورج فكري وأيمن جودة، وعرض الفنانون محمد الجمل وأنجيلا خليل ووائل صبري ومحمد جاد الرب ومصطفى خليل أعمالهم الجديدة في قاعات أتيليه القاهرة، وأقيم معرضان في قاعة الدبلوماسيين للفنانين محمد شعراوي ونبيلة السيد.

الفائزون بجوائز تيمور وإحسان


إحسان عبد القدوس

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين بجوائز محمد تيمور للإبداع المسرحي وإحسان عبدالقدوس للرواية والقصة القصيرة.

وقد حجبت الجائزة الأولى في مسابقة تيمور، ونال الجائزة الثانية أيمن فاروق عن مسرحيته «أقدام صغيرة»، فيما تقاسم الجائزة الثالثة خالد نجيب عن مسرحيته «عقبة النار» ومحمد إسماعيل القناوي عن مسرحيته «اجترار الأيام».

وفاز بجوائز إحسان عبدالقدوس في مجال الرواية ثلاثة مصريين ومغربي وسوري، هم على التوالي: محمد عبدالله حافظ مصطفى ـ مصري ـ عن روايته «صابحة»، تلاه د. صالح الرجال ـ سوري ـ عن روايته «عبدالله الكوفي»، ثم الحبيب الدائم ـ مغربي ـ عن روايته «أهل الوقت»، فهند عبدالراضي ـ مصرية ـ عن روايتها «اعتكاف إبليس»، وأخيرًا عبدالجواد خفاجي ـ مصري ـ عن روايته «آلهة القرابين».

وفي مجال القصة القصيرة، فاز ثلاثة مصريين ومغربيان، هم: الأولى ليلى حسني أمين ـ مصرية ـ عن قصتها «تحت المقعد الأخير»، وجاء محمد ماهر ـ مغربي ـ في المركز الثاني عن قصته «رئيسي.. رئيسي»، ثم أحمد فاروق الهجين ـ مصري ـ عن قصته «أيانوشكا»، فالطاهر حمزاوي ـ مغربي ـ عن قصته «على شرفة الفجر»، وأخيرا حلت وفاء محمد أبو زيد ـ مصرية ـ خامسة عن قصتها «رؤية جنوبية».

كتب جديدة

التدوين التاريخي ودور المخطوطات السياسية في العالم الإسلامي، تأليف د. محمد نصر مهنا، صدر عن دار الفجر.

حلم، الديوان الأول للشاعر مصطفى عمرو الحسيني، صدر عن مطبوعات الشعب.

تعب الشموع، ديوان جديد لمحمد مهران السيد.

قضايا العلوم الإنسانية: إشكالية المنهج، إعداد د. يوسف زيدان وآخرين.

صدر الكتابان السابقان عن هيئة قصور الثقافة

اللغة واختلاف الجنسين، تأليف د. أحمد مختار عمر.

الفهرس المصنف: أسسه وتطبيقاته، تأليف جيس شيرا، ومرجريت إيجا، ترجمه إلى العربية د. عبدالوهاب أبو النور.

صدر الكتابان السابقان عن دار عالم الكتب

الإسلام بين التنوير والتزوير، تأليف د. محمد عمارة، صدر عن دار الشروق.

أحوال العاشق، الديوان الخامس لأحمد الشهاوي، صدر عن الدار المصرية ـ اللبنانية.

العين والإبرة، تأليف عبدالفتاح كيليطو، ترجمه إلى العربية مصطفى النحال، وراجعه محمد برادة.

أيورق الندم؟، مجموعة شعرية جديدة لسعد الحميدين.

صدر الكتابان السابقان عن دار شرقيات.

أشكال التخييل، تأليف د. صلاح فضل، صدر عن دار نشر لونجمان.

صانعة المطر، مجموعة قصصية لرؤوف مسعود، صدرت عن المركز المصري العربي.

أصداء السيرة الذاتية، تأليف نجيب محفوظ، صدرت عن مكتبة مصر.

سورية

كتب جديدة

الأضداد في كلام العرب، تأليف أبي الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي، تحقيق عزة حسن، صدر عن دار طلاس للنشر بدمشق.

الأعمال الكاملة لعبد الحميد الزهراوي ـ مجلدان ـ إعداد عبد الإله نبهان، صدر عن وزارة الثقافة.

وحشة الجسد، مجموعة قصصية لنعمة خالد، صدرت عن دار الحوار.

بعلبك وهياكلها، تأليف هنري سريج، ترجمه إلى العربية موسى ديب خوري، وصدر عن دار الأبجدية.

الأردن

وفاة أكرم زعيتر


أكرم زعيتر

توفي الكاتب المفكر المؤرخ الفلسطيني أكرم زعيتر عن عمر ناهز 87 عامًا.

وُلد أكرم زعيتر

في نابلس عام 1909م، وتابع دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت، وتفرغ للعمل السياسي في فلسطين إثر ثورة 1929م؛ مما عرضه للاعتقال أكثر من مرة، وتولى رئاسة تحرير جريدة «مرآة الشرق» المقدسية، وأبعد من القدس، وعاد إليها مرة أخرى عام 1931م ليتولى جريدة «الحياة» وأعيد اعتقاله وإبعاده وأغلقت الجريدة. وأسس الراحل «حزب الاستقلال» وشارك في «عصبة العمل القومي» و «نادي المثنى» و«الجوال القومي» وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني بالعراق.

تولى الراحل عدة مناصب عليا في الأردن سفيرًا في أكثر من عاصمة، ووزيرًا وعضوًا في مجلس الأعيان، ومارس الكتابة الصحفية في معظم مجلات العالم العربي وصحفه، وله عدة مؤلفات منها: «أوراق أكرم زعيتر - وثائق القضية الفلسطينية 1918- 1940م» و«من أجل أمتي» وكتب أخرى.

كتب جديدة

ما هذا البيت المشترك - حوارات مترجمة مع مفكرين وأدباء ومثقفين من أنحاء العالم - ترجمة إلياس فركوح، صدرت عن دار أزمنة في عمان.

صورة المرأة في الرواية الأردنية، تأليف أروى عبيدات، صدر عن وزارة الثقافة.

فلسطين

صدور «دفاتر ثقافية»

صدرت عن سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني صحيفة شهرية أدبية فنية تحت اسم «دفاتر ثقافية».

يشرف على تحرير الصحيفة محمود شقير، وجاء صدورها بعد توقف عدد من المجلات والصحف الأدبية عن الصدور مثل «الكاتب» و «الفجر الأدبي».

كتب جديدة

متابعات نقدية في أدب سميح القاسم - مجموعة دراسات مترجمة عن الإنجليزية والعبرية - أعدها للنشر طارق رجب، وصدرت عن دار الوادي للطباعة والنشر في حيفا.

لبنان

مؤتمر الإعلام والتراث

نظمت جمعية حماية المواقع الطبيعية والأبنية القديمة - أبساد - مؤتمرًا دوليًا حول «الإعلام والتراث» بالتعاون مع منظمة اليونسكو العالمية والمجلس الدولي للمعالم والمواقع - أيكوموس - في نهاية شهر ذي القعدة الماضي.

شارك في المؤتمر خبراء وصحافيون لبنانيون وأجانب، ورمى إلى إبراز دور الثقافة في الإعمار والتنمية، وسبل توعية الجمهور بأهمية حماية التراث. وأقيم على هامشه معرضان في بيروت أولهما بعنوان «طرابلس تراث نكتشفه» والثاني «أبنية أثرية بيروتية» كما أقيم معرض في صيدا حول «مدن التراث العالمي المصنفة من اليونسكو».

كتب جديدة

مدخل إلى لبنان واللبنانيين، تأليف جورج كرم.

لابد أن أحدًا حرَّك الكراسة، مجموعة قصصية ليوسف الحميميد

صدر الكتابان السابقان عن دار الجديد في بيروت.

مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة: حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر، ترجمة وإعداد محمد الشيخ وياسر الطائري، صدر عن دار الطليعة.

ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي، تأليف د. صادق مكي، صدر عن دار الفكر اللبناني.

جبل نبو، رواية لعزت الغزاوي، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

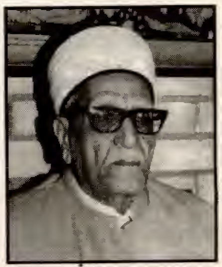
الدين والدولة وتطبيق الشريعة، تأليف د. محمد عابد الجابري، صدر ضمن سلسلة «قضايا الفكر العربي» عن مركز دراسات الوحدة العربية.

الأمة القلقة: العامليون والعصبة العاملية على عتبة الدولة اللبنانية، تأليف وضاح شرارة، صدر عن دار النهار للنشر.

عمر أبو ريشة: حياته وشعره، تأليف د. جميل علوش، صدر عن دار الرواد للنشر والتوزيع.

العراق

رحيل محمد بهجة الأثري



محمد بهجة الأثري

فقدت اللغة العربية واحدًا من علمائها بوفاة العلامة محمد بهجة الأثري عن عمر ناهز 94عامًا.

ولد الفقيد عام 1904م في بغداد، وكان - رحمه الله - كاتبًا موسوعيًا شملت كتاباته وأبحاثه اللغة والأدب والإسلاميات والتاريخ، وهو تلميذ الإمام محمود شكري الألوسي - ت 1924م-.

أسهم الفقيد في المسيرة العلمية لبلاده ووطنه العربي من خلال عضويته في لجنة التأليف والنشر بوزارة المعارف، والمجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية

بدمشق، ومجمع اللغة العربية في القاهرة.

وترك الراحل تراثًا كبيرًا من المؤلفات القيمة، نذكر منها «المجمل في تاريخ الأدب العربي»، «مأساة الشاعر وضاح اليمن»، «الجغرافيا عند المسلمين والشريف الإدريسي»، «الاتجاهات الحديثة في الإسلام»، «ذرائع العصبيات العنصرية»، «مناقب بغداد لابن الجوزي» تحقيق.. كما حصل الفقيد على جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي عام 1406هـ/ 1986م.

تونس

علاقات المسلمين والنصارى في عصر النهضة

نظمت مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ندوة علمية بعنوان «المسلمون والمسيحيون في عصر النهضة»، بمشاركة أكثر من أربعين باحثًا ومفكرًا من أوروبا والعالم العربي.

ناقشت الندوة العلاقات بين أتباع الديانتين خلال عصر النهضة، ودور طليطلة وغيرها من المراكز الإسلامية في إحداث تفاعل حضاري، وصورة الإسلام في الأدب الأوروبي، وغير ذلك من الموضوعات المتصلة بمجال الندوة.

استمرار الترشيحات لجائزة الشابي

أعلنت الأمانة العامة لجوائز أبي القاسم الشابي عن استمرار قبول الأعمال الشعرية لدورتها الجديدة لعام 1996م.

يشترط في الدواوين الشعرية المشاركة أن تكون صادرة بعد أول يناير 1995م، كما تقبل الدواوين المخطوطة في خمس نسخ على الآلة الكاتبة، وتحدد يوم الثامن والعشرين من شهر محرم الجاري - 15 يونيو 1996م - موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات على العنوان التالي: البنك التونسي - 4 نهج رومة، تونس 1000 - الجمهورية التونسية.

كتب جديدة

من أجل الطفولة، تأليف الطيب الفقيه، صدر عن مركز الدراسات والبحوث والتوثيق بوزارة الشباب والطفولة.

القطاع الهامشي في السرد العربي، إعداد فرج بن رمضان وآخرين، صدر عن دار البيروني.

النخاس، رواية لصلاح الدين بوجاه، صدرت ضمن سلسلة «عيون معاصرة» عن دار الجنوب للنشر.

المغرب

بيت للشعر

أسست مجموعة من المبدعين صالونًا أدبيًا جديدًا باسم «بيت الشعر».

وقال بيان وقعه محمد بنطلحة ومحمد بنيس، وصلاح بوسيف وحسن نجمي: إن قرار انشاء «بيت الشعر» يأتي استجابة لما يتطلبه الشعر المغربي من مباشرة اللقاء بين الشعراء حول الشعر، وإقامة الأمسيات الشعرية، وقراءات لدواوين الشعراء، وتحقيق التواصل بين شعراء المغرب ونظرائهم في البلدان العربية من خلال استضافة شعراء من مختلف الأقطار العربية والعالم.

ملتقى فاس الشعري

يقام الملتقى الشعري السنوي «ربيع فاس»

رسائل جامعية

«السكان والمياه في إقليم الدمام»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب للبنات بالمنطقة الشرقية، تقدمت بها حورية بنت صالح جمعة السديري.

«دراسة الأحاديث والآثار الواردة في كتاب أحكام القرآن للإمام أبي بكر الجصاص»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، تقدم بها عبدالله بن عبدالرحمن سحيم.

«العلاقات الطائفية في لبنان وثورة 1958»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، تقدمت بها كلود كنعان.

«الحالة الاجتماعية بفاس في القرن الثاني عشر الهجري من خلال الجوالة الإسماعيلية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في دار الحديث الحسنية بالمغرب، تقدم بها عبدالحق بن المجدوب الحسني.

«عناصر الإبداع في شعر ابن المعتز»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق في مصر، تقدم بها علي يوسف خليل.

«التراث العربي والنحو التحويلي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها آدم محمود علي.

«تطور القصة القصيرة في لبنان بين 1950-1975م»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة اللبنانية، وتقدم بها علي حجازي.

«مخاطبة الوجدان في وصف الثواب في القرآن الكريم»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بالرياض، تقدمت بها بدرية محمد العثمان.

«إشباع الحركات في اللغة العربية: وظائفه ودلالاته»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها جواد محمد الدخيل.

«لسان النص: التركيب البلاغي لافتتاحيات الصحف الأمريكية

خلال الفترة من 6 إلى 8 محرم الجاري - 24-26 مايو -، ويتم خلاله تكريم شاعرين مغربيين يمثلان المدرستين الكلاسيكية والحديثة هما: علي الصقلي ومحمد السرغيني. إضافة إلى الناقد د. عباس الجراري.

وينتظر أن تدور مناقشات الملتقى حول أربعة محاور: الشعر والواقع المغربي، الشعر والروافد الخارجية، القضايا والظواهر الكبرى، حركة نقد الشعر.

كتب جديدة

تنازع الصور، رواية لعبدالفتاح كيليطو، صدرت عن منشورات أيديف في الدار البيضاء.

البلوري المكسور، مجموعة قصصية لمبارك ربيع، صدرت عن مطبعة النجاح.

التحليل النفسي في بلاد الأولياء الصالحين، تأليف جليل بن آني، صدر بالفرنسية عن دار لوفينيك بالرباط.

حوار التواصل، تأليف المهدي المنجرة، صدر عن وكالة شراع لخدمات الإعلام في طنجة.

الجزائر

ملتقى المصطلح العلمي في التراث الإسلامي

نظم المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية في وهران ملتقى دوليًا حول «المصطلح العلمي في التراث الإسلامي والعلوم الشرعية والإنسانية» في مطلع شهر ذي الحجة الماضي.

ناقش المؤتمر، الذي شارك فيه علماء ومتخصصون في علوم الحضارة الإسلامية، عدة محاور منها: نشأة المصطلح في التراث الإسلامي، والعلوم الشرعية، والتفسير والقراءات، والحديث وعلومه، والفقه والأصول والتصوف، وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وفقه لغة ومعاجم، وعلم الكلام، وموضوعات أخرى.

موريتانيا

ندوة دولية عن ملاحم المرابطين

نظمت جامعة نواكشوط ندوة ثقافية دولية عن «ملاحم المرابطين» في نهاية شهر ذي القعدة الماضي.

رمت الندوة إلى التعريف أكثر بدولة المرابطين الذين حكموا موريتانيا في القرن الخامس الهجري، وشارك فيها أساتذة وأكاديميون ومتخصصون في تاريخ المرابطين من عدة جامعات فرنسية وتونسية وموريتانية.

تركيا

تجميع الوثائق العثمانية خارج تركيا

بدأت رئاسة «الأرشيف» العثماني في تنفيذ حملة لتجميع وثائق الدولة العثمانية في البلدان التي شملها الحكم العثماني في قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا.

وقام وفد يمثل الرئاسة بزيارة عدد من

والعربية»، موضوع رسالة دكتوراه في اللغويات نوقشت في جامعة جورج تاون بواشنطن، تقدم بها محمد العضاضي.

«رواية لالاروخ لتوماس مور كإضافة للحكاية الشرقية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدمت بها راندا آل الشيخ.

«تقويم أداء أقسام المكتبات والمعلومات في جامعات وكليات المملكة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض تقدمت بها إيمان عبدالعزيز باناجة.

«معارضات أحمد شوقي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب في بنها بمصر، تقدم بها سليمان الزهير.

«الجزء الثاني من عيون الأثر لابن سيد الناس»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، تقدم بها أحمد وصفي العزب.

«الفلسفة التراجيدية: دراسة مقارنة ما بين توماس هاردي وترايزر سيودور»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها أسماء عبداللطيف الشيخ.

«الفقه المالي عند الإمام أبي يوسف من خلال كتاب: الخراج»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة المنيا بمصر، تقدم بها محمد أحمد الشيخ.

«أثر التعليم الجامعي للمتزوجات على العلاقات الأسرية.. دراسة تطبيقية في مدينة الرياض»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، تقدمت بها سارة صالح عيادة الخمشي.

«إبراهيم صبري شاعرًا»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها محمد عبدالرحيم.

«الخواص العامة لتفاعل الهادرونات مع أنوية المستحلبات النووية وتعيين حجم عنقوديات الجسيمات ذوات الطاقة العالية»، عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في كلية التربية للبنات - الأقسام العلمية - بالرياض، تقدمت بها انتصار سليمان المقيط.

بلدان البلقان لتوقيع اتفاقات لتبادل الوثائق مع تلك الدول، كما عقدت الرئاسة اتفاقًا مع أرشيف مجلس البلقان البلغاري للحصول على صور لنحو مليون وثيقة عثمانية كانت قد بيعت عام 1931م إلى بلغاريا كأوراق خردة!

وينتظر أن توضع هذه الوثائق بعد اكتمال مشروع تجميعها في خدمة الباحثين والدارسين لتاريخ الدولة العثمانية.

ندوة الإنسان والمجتمع في فكر النورسي

أقيمت في استنبول - مؤخرًا - ندوة فكرية بعنوان «الإنسان والمجتمع والدولة في فكر الشيخ النورسي»

نظم الندوة وقف آسيا الجديدة للتعليم والثقافة بمناسبة الذكرى الخامسة والثلاثين لوفاة المفكر الإسلامي التركي بديع الزمان سعيد النورسي.

تناولت الندوة كتابات النورسي وأبرزها «رسائل النور»، وكفاحه من أجل دينه وما لاقاه في سبيل ذلك من اضطهاد وحجب لأعماله.

سويسرا

من أحدث الكتب

ميتافيزيك، ديوان شعر لشاكر لعيبي، صدر عن دار الفارزة في جنيف.

نظرة إلى الإنسانية، تأليف نيكولاس بوفييه، صدر عن دار نشر سكيرا.

الولايات المتحدة

الفائزون بجوائز بوليتزر

أعلنت - مؤخرًا - أسماء الفائزين بجوائز بوليتزر في عامها الثمانين في مجالات الرواية، والمسرحية، والسيرة الذاتية، وأفضل تحقيق دولي مصور، والصحافة اليومية، وأفضل صورة فوتوغرافية.

فاز بجائزة الرواية ريتشارد فورد عن روايته «يوم الاستقلال»، ونال جائزة المسرحية جوناثان لارسون عن مسرحيته «إيجار»، وذهبت جائزة أفضل سيرة ذاتية إلى جاك مايلز.

ومنح الصحافي ديفيد رود - من أسرة كريستيان ساينس مونيتور - جائزة أفضل تحقيق دولي مصور لسلسة تحقيقاته عن المجازر التي وقعت في سريبرينيتسا بالبوسنة، وفاز روبرت ماك فادن بالجائزة في مجال الصحافة اليومية لأعماله الصحفية في «نيويورك تايمز»، ونال تشارلز بورتر جائزة أفضل صورة فوتوغرافية عن لقطة لرجل يحمل رضيعًا قتل أثناء انفجار أوكلاهوما.

جائزة هلمان - هيث للصائغ

منح الشاعر العراقي عدنان صائغ جائزة هلمان - هيث للإبداع التي تمنحها الولايات المتحدة سنويًا لضحايا الاضطهاد في العالم الذين يُضطهدون بسبب كتاباتهم أو آرائهم السياسية.

والصائغ مقيم حاليًا في بيروت، وكان قد تعرض للتهديد بعد صدور ديوانه «تحت سماء غريبة». ومن مؤلفاته الشعرية: «انتظريني تحت نصب الحرية»، «أغنيات على جسر الكوفة»، «العصافير لاتحب الرصاص»، «سماء في خوذة»، «مرايا لشعرها الطويل»، «غيمة الصمغ»، و«خرجت من الحرب سموًا».

من أحدث الكتب

ضوء القمر ينبع من داخلك، رواية لماري هيجنز، صدرت عن دار نشر كنوب.

الحب مرة أخرى، رواية لدوريس ليسنج، صدرت عن دار نشر هاربر كولينز.

إيطاليا

وفاة صاحب «الموت المفاجئ»

انتهت حياة الشاعر الإيطالي المعروف داريو بلليز نهاية مأساوية بوفاته متأثرًا بمرض الإيدز عن عمر يناهز 52 عامًا.

ولد بلليز عام 1944م، وبدأ حياته الأدبية عام 1971م بإصدار ديوانه الأول «جوازات شعرية»، وإلى جانب كتابة الشعر خاض مجال الرواية بروايته «الحب السعيد»، عام 1986م، ونال جائزة فيساريجو الأدبية الإيطالية عن ديوانه «الموت المفاجئ».

هولندا

اكتشاف لوحة مجهولة لفان جوخ

أدت المصادفة دورًا في اكتشاف متحف فان جوخ في استرداد لوحة غير معروفة قام جوخ برسمها بالحبر الصيني ولم يوقع عليها، وتمثل امرأة تحمل طفلاً في طريق تحف بها الأشجار وتعصف الرياح.

وكان تاجر لوحات ألماني قد عرض اللوحة على المتحف للتأكد منها، ويرجح الخبراء أن تكون اللوحة قد رسمت عام 1883م.

فرنسا

معهد ثقافي باسم ميتران

تأسس في باريس - مؤخرًا - معهد ثقافي جديد يحمل اسم «معهد فرانسو ميتران» بغرض الإسهام في تعرُّف التاريخ السياسي والاجتماعي لفرنسا المعاصرة.

تشكل مجلس إدارة المعهد من 17 عضوًا من بينهم جيليبر ومازارين ميتران ابنا الرئيس الراحل، وأقيم تلبية لرغبة الرئيس ميتران قبيل وفاته.

وفاة مترجمة كافكا وجوته والناقد أوتو هان

توفيت - مؤخرًا - الكاتبة مارتا روبير عن عمر ناهز 82 عامًا، كما توفي الناقد الفني أوتوهان آن هان عن عمر ناهز 61 عامًا.

ولدت مارتا روبير عام 1914م وتلقت دراساتها في السوربون وجامعة فرانكفورت، ثم اختلطت بأوساط مثقفي مونبارناس، وتخصصت في تحليل مؤلفات كافكا، كما نقلت عن الألمانية مؤلفات جوتة ونيتشة والأخوين جريم.

ومن أشهر مؤلفاتها كتابها «مقدمة لقراءة كافكا» الذي صدر عام 1946م

أما هان المولود في 1935م فهو من أصل مجري، درس الفلسفة والآداب وتاريخ الفن في فرنسا، وبدأ عمله في النقد الأدبي، وتعاون مع جان بول سارتر في مجلة «الأزمنة الحديثة»، ثم انتقل للنقد الفني بعمله ناقدًا فنيًا في صحيفة «الاكسبريس» عام 1963م.

من أحدث الكتب

إرادة اللاقوة، تأليف باسكال بونفايس، صدر عن دار نشر سول في باريس.

«يوم الجمعه.. يوم الأحد»، تأليف خالد زيادة، ترجمها إلى الفرنسية إيف جونزاليس كيجانو، وصدرت عن دار سندباد.

حجر الضحك، رواية هدى بركات، ترجمتها إلى الفرنسية نادين عقوري، وصدرت عن دار نشر اكت سود.

الحزن والأمل، تأليف نوا بن أرتزي - حفيدة إسحاق رابين - صدر عن دار نشر فيكسو لافين.

اللغة والثقافة في الحضارة العربية، تأليف نادية انجيليسكو، تقديم د. عبدالعزيز التويجري، وجان لويس روى، صدر بالفرنسية عن دار نشر لارمشان في إطار التعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم - إيسيسكو - ووكالة التعاون الثقافي والتقني الفرنسية.

مصر المماليك، تأليف أندريه كلو، صدر عن دار نشر بيرين

بريطانيا

برنامج حاسوب لهواة المعارض الفنية

ابتكرت إحدى الشركات المتخصصة في مجال صناعة برامج الحاسوب، برنامجًا لهواة المعارض الفنية.

يضم البرنامج أشهر الأعمال الفنية المعروضة في متحف اللوفر بباريس، ويتيح لمستخدمه اختيار اللوحة المدرجة في داخل الفهرس، ليعرضها على شاشته مع بياناتها الخاصة مثل اسم الفنان وتاريخه، وتاريخ تنفيذه للوحة، ومواطن الجمال بها، وما إلى ذلك من المعلومات.

من أحدث الكتب

الإخلاص والأمل والشجاعة، تأليف ديانا سبيريز، صدر عن دار نشر أدلفسي بريس.

وهم الأسماء، الديوان السادس للشاعر صلاح نيازي، صدر عن مؤسسة الرافد.

ألمانيا

وفاة كوين

توفي - مؤخرا - الأديب الألماني الشهير فولفجانج كوين، عن عمر ناهز 90 عامًا.

وُلد كوين في يونيو 1906م، وعشق الأدب منذ صباه المبكر، ودرس التمثيل المسرحي بعد المرحلة الثانوية. اضطر لأن يعمل في المصانع ليمول دراسته في الأدب المقارن والفلسفة، ثم استهوته الصحافة فعمل في القسم الثقافي لإحدى الصحف في برلين، وجمع بين كتابة الرواية والقصة القصيرة وأدب الرحلات والمقالة الصحافية.

نشر عام 1934م أولى رواياته «عشق تعس»، وحين وصل النازيون إلى الحكم هاجر إلى هولندا، ومكث فيها بعض الوقت، لكنه ما لبث أن عاد إلى برلين عام 1938م، واضطر لترك ألمانيا في أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم عاد إليها بعد انتهاء الحرب. عُرف كوين بأنه مستقل في آرائه، مما عرض حياته لتعقيدات كثيرة، لكنه لم يأبه لذلك، واستمر في خطه مؤكدًا أن أعماله «ليست محاولة لعقد حوار مع العالم، بقدر ما هو حوار منفرد في مواجهة العالم». نال كوين من الجوائز الأدبية الرفيعة ما لم ينله كاتب ألماني آخر، وترك عددا من الأعمال الإبداعية، لعل أشهرها ثلاثيته التي كتبها في مطلع الخمسينيات الميلادية «الحمام فوق العشب»، «المشتل الزجاجي»، و«الموت في روما».

جائزة بوشنر لسارة كيرش

منحت الشاعرة سارة كيرش جائزة جورج بوشنر الأدبية التي تقدمها كل عام أكاديمية اللغة والشعر الألمانية لأحد الأدباء الذين أبدعوا أعمالاً مميزة وأسهموا في إثراء الحركة الثقافية في ألمانيا.

وسارة كيرش من مواليد 1935م، ونشأت في الجزء الشرقي من ألمانيا قبل إعادة توحيدها، وصدر أول ديوان لها عام 1967م، واضطرت عام 1977م إلى اللجوء للقسم الغربي في ألمانيا، فرارًا من النظام الشيوعي، ولها مجموعة من الدواوين منها «دفء الجليد»، «حياة القطط»، و«إثراء الأرض».


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يومياً عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

من جماليات التصوير في القرآن الكريم

كتاب يُجلي جوانب من معجزة القرآن الكريم، الذي لاتنقضي عجائبه. تناول فيه المؤلف محمد قطب عبدالعال المنطق التأثيري للقرآن الكريم والجماليات الفنية التي تؤثر في العقل والقلب، وذلك من منطلق: «أن التصوير ملمح أساسي في النص القرآني يتضافر في تحقيقه اللفظ برنينه الصوتي والجملة بتراكيبها المتنوعة، وبنغماتها الداخلية، والفاصلة بإيقاعها المتلائم مع النسق اللفظي والسياق العام، والمشهد الحي بتكريس التصوير فيه إلى التجسيد الحي حركة وتأثيراً».

والأسلوب الإعجازي للقرآن الكريم، الذي ينطوي على تآلف متكامل بين اللفظ والمعنى والصورة والمشهد عرضه المؤلف وناقشه من خلال ستة فصول ومدخل. الفصل الأول: الجمال التصويري بين اللفظ والمعنى، والفصل الثاني: التنوع والوحدة، والفصل الثالث: الأداء التصويري وإيقاع الفواصل، والفصل الرابع: الأداء التصويري ومشاهد الجنة، والفصل الخامس: الأداء التصويري في الحقائق والأحكام، أما الفصل السادس فعن: التصوير والإرشادات الطبية والعلمية. ويختتم المؤلف عرضه بتأكيد أن منظومة جماليات التصوير التي تتوالى في سياق دلالي تعطي المعنى عمقاً والهدف الديني نفاذاً إلى أعماق النفس البشرية فتهزها هزاً.

يقع الكتاب في 137 صفحة من القطع الصغير، وهو من إصدار رابطة العالم الإسلامي «سلسلة دعوة الحق».

الشواهد الأثرية والتاريخية في المملكة العربية السعودية

إصدار إعلامي يعرض معلومات للتعريف ببعض المواقع الأثرية الموجودة في المملكة العربية السعودية في صور مختلفة، وقد أفاد المؤلف محمد بن سعود بن صنداح الحمود من أعمال المسح الأثري الشامل الذي نفذته الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وما نتج من ذلك من اكتشاف نحو عشرة آلاف موقع أثري في طول المملكة وعرضها.

الكتاب يشتمل على خمسة فصول، ويضم كل فصل سبعة مواقع أثرية وتاريخية من أطلال المدن والموانئ والطرق والرسومات والكتابات والقلاع والقصور والمساجد والمناجم. ففي الفصل الأول الذي خصصه للآثار الموجودة في المنطقة الوسطى، تناول المؤلف مكتشفات قرية صفاقة ومدينة القويعية، وآثار موقع مطار الملك خالد الدولي، وعاديات الثمامة، وحمّام الطريف، وقصر المصمك وطريق أبي الفدا. وفي الفصل الخاص بالمنطقة الشرقية عرَّف بقلعة تاروت وتلال المدافن الواقعة جنوب مدينة الظهران، ومستوطنة ثاج قرب الجبيل، ومدينة الدفي شمال الجبيل، ومسجد جواثا شرق الهفوف، وقصر إبراهيم في الأحساء، وقصر صاهود القائم في مدينة المبرز. وفي الفصل الثالث الخاص بالمنطقة الشمالية عرض المؤلف معلومات تاريخية عن جبة الواقعة في صحراء النفود وشمال حائل، وأعمدة الرجاجيل المشهورة جنوب مدينة سكاكا، وبئر سيسرا شمال سكاكا، وقلعة مارد شمال دومة الجندل، ومسجد عمر في البلدة نفسها، وكذا درب زبيدة الذي يُعد أحد أشهر طرق قوافل الحج، ويمتد بطول 1400 كلم رابطًا بين الكوفة ومكة المكرمة. وضم هذا الفصل تعريفًا بموقع المابيات الأثري الموجود جنوب غرب مدينة العلا.

ويضم الفصل الرابع جوانب من آثار المنطقة الغربية والحجاز، ومنها ميناء الجار على ساحل البحر الأحمر جنوب غرب المدينة المنورة، وسوق عكاظ، الملتقى التاريخي التجاري الأدبي الذي ازدهر في شرقي مدينة الطائف الحالية. وبعد أن عرَّف المؤلف بمدينة الربْذة الإسلامية، قدم معلومات عن سد سيسد المائي الواقع جنوب شرقي الطائف، والذي شيده معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وفي الفصل معلومات عن قلعة أجياد القائمة في مكة وبيت نصيف في جدة، وسكة حديد الحجاز القديمة التي شيدها العثمانيون لتسهيل سفر الحجيج إلى الأراضي المقدسة، وكانت تربط المدينة المنورة بدمشق، وبتركيا وأوربا من طريق قطار الشرق السريع.

وفي الفصل الخامس الخاص بالمنطقة الجنوبية والجنوبية الغربية، هناك تعريف بآثار بئر حما شرقي جازان، ومستوطنة سهى جنوبها، ومدينة الأخدود في نجران وجُرَش جنوب خميس مشيط، وموقع عَشَم شمال شرق مدينة القنفذة، ومناجم تبالة في مدينة بيشة، وميناء عثر المعروفة حاليًا بقوز الجعافرة شمال غرب مدينة صبيا.

واتبع المؤلف تعريف كل موقع بعرض نماذج من الصور، كما عرض فهرسًا بشروحات اللوحات والأشكال التي يضمها الإصدار.

الكتاب ـ الجزء الأول ـ يقع في 150 صفحة من القطع المتوسط.

يوميات مدرسة في الأرياف

كتاب يشتمل على مقالات تطرح من خلالها المؤلفة عفاف لطف الله رؤيتها للعملية التربوية والتعليمية، مستندة إلى تجربتها في تدريس مادة العلوم في ثانويات ريف العاصمة السورية دمشق، وعملها موجهة تربوية في رياض الأطفال؛ فعرضت عدة جوانب من المنظومة التربوية، والعوائق التي تعترض مسيرة العملية التعليمية، ومحاولاتها تجسيد ما اكتسبته من نظريات تربوية واقعًا حيًا ملموسًا، ورسم بعض الحلول لكثير من المشكلات التربوية التي يواجهها المدرسون في تفاعلهم مع بيئتهم. وعالجت في 31 مقالة متنوعة تفصيلات دقيقة في العلاقة بين المدرس والطالب، وبين الموجه التربوي والمدرس، وتقويم سلوك الطالب بالقدوة، واكتشاف الموهوبين ورعايتهم وتفجير طاقاتهم الإبداعية باستخدام الأساليب التربوية الشائقة والجذابة، والجمع بين الأصالة والمعاصرة في أداء الرسالة التعليمية والتربوية، ودور مجالس الآباء، والوعي التربوي والاجتماعي لدى الأسرة ومسؤولية الإعلام في تنميته. وقدمت المؤلفة بعض المقترحات والأفكار ـ بصورة مباشرة ـ في نهاية كثير من يومياتها لتجاوز المزالق التربوية.

يقع الكتاب في 112 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن «أشبيلية» للدراسات والنشر والتوزيع في دمشق.

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريال، ١٥٠ ريال)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد 232

ج1 : أوجب الإسلام على من يتزوج أن ينفق على زوجته مما تحتاج إليه. قال تعالى: *وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلَّف نفسٌ إلا وسعها*. **البقرة** 233. وقال تعالى: *أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجدكم ولا تُضارُّوهن لتُضيِّقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن*. **الطلاق**:6. وقال عز وجل: *لينفق ذو سَعَة من سعته ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها*. **الطلاق**:7.

ج2: عقوبة جريمة القذف جاءت في قوله تعالى: *والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون. إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم*. **النور:الآيتان**4، 5.

أما عقوبة جريمة السرقة ففي قوله تعالى: *والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم*. **المائدة**: 38.

وأما عقوبة جريمة الفساد في الأرض ففي قوله تعالى: *إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يُقتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقطَّعَ أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوْا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم. إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفورٌ رحيم*. **المائدة**:33،34.

ج3: يمثل اليوم الحادي والعشرون من يوليو/تموز1969م حدثًا مهمًا في تاريخ البشرية؛ ففي هذا اليوم كان رائد الفضاء الأمريكي «نيل أرمسترونج» أول إنسان يضع قدمه على سطح القمر مسجلاً بذلك حدثًا مهمًا في تاريخ البشرية.

ج4: أصل المثل «العود أحمد»: يجوز أن يكون «أحمد» أفعل من الحمد، يعني أنه إذا ابتدأ العُرف جلب الحمد إلى نفسه، فإذا عاد كان أحمد له، أي أكسب للحمد له، ويجوز أن يكون أفعل من المفعول، يعني أن الابتداء محمود والعود أحق بأن

نتائج مسابقة العدد 232

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، سامي سند راشد، المحرق ـ البحرين.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعوديًا، العائشة بن محمد بن أحمد برهومي، ققصة ـ تونس.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150ريالاً سعوديًا، عبدالسلام شريل، كيرالا ـ الهند.

ب ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (24) عددًا، كل من:

1ـ محمد سليمان محمد البلوي، الخفجي ـ المملكة العربية السعودية.

2ـ مسعد عبدالحافظ عبدالعال، الغربية ـ مصر.

3ـ سيد أحمد لكبار، نواكشوط ـ موريتانيا.

4ـ عبدالماجد حسين محمد يوسف، دارفور ـ السودان.

5ـ بكر عبدالرحمن براق، حمص ـ سورية.

ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (12) عددًا، كل من:

1ـ حسن أمين ياسين مصطفى، الشارقة ـ الإمارات العربية المتحدة.

2ـ أمل عبداللطيف زعتر، عمان ـ الأردن.

3ـ أحمد زيد سعيد، الباحة ـ المملكة العربية السعودية.

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....

يحمد منه. وأول من قال ذلك خداش بن حابس التميمي، وكان خطب فتاة من بني ذهل يقال لها الرَّباب، هام بها زمنًا، ثم أقبل يخطبها، وكان أبواها يتمنَّعان لجمالها، فَرَدَّا خداشًا، فأضرب عنها زمنًا، ثم أقبل ذات ليلة راكبًا، فانتهى إلى محلتهم وهو يتغنى ويقول:

ألا ليت شعري يارباب متى أرى
لنا منك نجحًا أو شفاء فاشتفي

فعرفت الرباب منطقه، وجعلت تتسمع إليه، وحفظت الشعر، وأرسلت إلى الركب الذين فيهم خداش أن انزلوا بنا الليلة، فنزلوا، وبعثت إلي خداش: أن قد عرفت حاجتك فَاغْدُ على أبي خاطبًا. ثم رجعت إلى أمها، وطلبت منها أن تنكحها خداشًا، فقالت: ومايدعوك إلي ذلك مع قلة ماله؟ قالت: إذا جمع المال السيئ الفعال فقبحًا للمال، فأخبرت الأم أباها بذلك، فقال: ألم نكن صرفناه عنا، فما بدا له؟ فلما أصبحوا غدا عليهم خداش فسلم وقال: العود أحمد، والمرء يرشد، والورد يحمد، فأرسلها مثلاً. ويقال: أول من قال ذلك وأخذه الناس منه مالك بن نويرة حين قال:

جزينا بني شيبان أمس بقرضهم
وعدنا بمثل البدء والعود أحمد

فقال الناس: العود أحمد.

ج5: هوالكاتب الكاتب الأمريكي جون أرنست شتاينبك - 1902-1968- وهو سادس أمريكي ينال جائزة نوبل للآداب 1962. تتسم أعماله بطابع اجتماعي واقعي، مفعم بنبرة غنائية، وقد صدر في كثير منها عن كرهه للظلم وإعجابه بالفقراء. من أشهر آثاره: عن الفئران والرجال 1937م، عنب الغضب - أو عنب الغيظ - 1939م، في مغيب القمر 1942م، اللؤلؤة 1947م، شرق عدن 1952م، شقة تورتيلا 1953م. ويعد شتاينبيك من أشهر الكتاب الأمريكيين المعاصرين، وقد برع في حبكة الرواية، وتحليل الشخصيات، وتصوير الأطماع المادية التي تطغى على الروحانيات، ووصف حياة الطبقات الفقيرة بأسلوب واعٍ معبر.

وإلى جانب روايتيه «عنب الغضب»، و«شرق عدن»؛ فقد ترجمت له إلى العربية روايتا: «عن الفئران والرجال» و «في مغيب القمر».

4- محمد بن التهامي الشرقي، الرشيدية - المغرب.
5- الفكي مدثر محمد عبدالله، الخرطوم - السودان.
6- بلحاج قطيط، بوعرفة - المغرب.
7- حصة بنت صالح بن عبدالعزيز العجلان، الرياض - المملكة العربية السعودية.
8- هناء صديق عبدالله الهجرس، الدقهلية - مصر.
9- مالك عبدالله محمد مطر، دمشق - سورية.
10- صادقي مصطفى، وجدة - المغرب.

د ■ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- إبراهيم عبدالرحيم عبدالكريم غلام، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.
2- جمانة جمال حسين شاهين، عمان - الأردن.
3- رمزي عبدالحميد عبدالحميد غازي، ديرالزور - سورية.
4- أحمد أحمد زكي سليمان، المنصورة - مصر.
5- إيمان أحمد فارع، صنعاء - اليمن.

أسئلة مسابقة العدد 235

السؤال الأول:

أمر الشارع الحكيم المسلمين إذا تداينوا بدَيْنٍ أن يكتبوه فيما بينهم ويُشهدوا عليه من حضر من المسلمين. اذكر آية في كتاب الله تدل على ذلك .

السؤال الثاني:

قال الله تعالى: نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم. البقرة:223. اذكر سبب نزول هذه الآية.

السؤال الثالث:

حرّم الإسلام اتخاذ الحيوان والطير المباح صيده غرضًا للعبث به دونما حاجة. اذكر حديثين شريفين في ذلك.

السؤال الرابع:

يُعدُّ جامع السلطان حسن بالقاهرة من أشهر الأعمال المعمارية في العالم الإسلامي وأعظمها. من السلطان حسن الذي يُنسب إليه الجامع؟

السؤال الخامس:

قائد عسكري ألماني لُقِّب بثعلب الصحراء لبراعته في قيادة جيشه خلال الحرب العالمية الثانية. فمن هو؟!

ويأتيك بالأمثال

مَانَحَني مِنَاحَ الْعَلُوقِ

يقال فيمن يُرائي وينافق فيعطي من نفسه في الظاهر غير ما في قلبه.

والعلوق ناقة تَرْأم ولَدَ غيرها، قال ابن السكيت:

ناقة علُوق: ترأم بأنفها وتمنع دَرَّها.

وقال الجعديّ:

ومَانَحَني كَمِنَاحِ الْعَلُو
قِ مَا تَرَ مِنْ غرة تضرب

حكمة

كفى بالمرء عيبًا أن تراه
له وجهٌ وليس له لسانُ
وما حُسن الرجال لهم بزين
إذا لم يسعد الحسنَ البيانُ

أربعة وأربعة

قيل أربعة توصل إلى أربعة: الصبر إلى المحبوب، والجد إلى المطلوب، والزهد إلى التقى، والقناعة إلى الغنى.

وأربعة لا تستغني عن أربعة: الرعية عن السياسة، والجيش عن القيادة، والرأي عن الاستشارة، والعزم عن الاستخارة.

هذا يوجب ذاك

قال بعض الحكماء: سوء الخلق يوجب المباعدة، والانبساط يوجب المؤانسة، والانقباض يوجب الوحشة، والكِبْر يوجب المقت، والتواضع يوجب الرفعة، والجود يوجب المدح.

الحسد يقصف العمر

سُئل أحد المعمَّرين عن سر طول عمره. فقال: تركت الحسد فطال عمري فإنه لا شيء يقصف الأعمار مثل الحسد، فإن الحسود يعيش عمره مُنَغَّصًا ممتلئ القلب بالهم، وامتلاء القلب بالهم يسرع بالإنسان إلى القبر.

دهاة العرب

قال الأصمعي: دهاة العرب أربعة كلهم ولد في الطائف: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، والسائب بن الأقرع.

الكريم بفضله يتخادع

أصاب الخليفة المأمون يومًا أرقٌ، فأمر بإحضار محمد بن حازم الباهلي ليؤنسه، فلما دخل عليه قال: قل بيتين الساعة. فقال الباهلي:

أنت سماء ويدي أرضها
والأرض تأمل غيث السماء
فازرع يدًا عندي محمودة
تحصد بها عندي حسن الثناء

فقال المأمون: أعطوه عشرة آلاف درهم، مع أنه أبى إلا أخذ مالنا وخديعتنا، فقال الباهلي:

وإذا الكريم أتيته بخديعة
فرأيته فيما يحب يسارع
فأعلم بأنك لم تخادع جاهلاً
إن الكريم بفضله يتخادع

فصاح المأمون في الموجودين: أعطوه عشرة آلاف درهم أخرى، وأخرجوه من فوره حتى لا يفنى بيت المال.

أخاف ألا تخاف

قال عمر بن عبدالعزيز حين ولي الخلافة لزياد مولى عبدالله بن عياش: إني أخاف الله مما دخلتُ فيه. قال زياد: لست أخاف عليك أن تخاف الله، وإنما أخاف عليك ألا تخاف.

من نوادر جحا

ماتت زوجة جحا، فحزن عليها حزنًا عابرًا، ثم نفق حماره فظل يبكيه كأنما انتهت الدنيا بالنسبة إليه. فأقبل الناس يلومونه قائلين: ماتت زوجتك فلم تحزن عليها كثيرًا، ونفق حمارك فكدت تموت، فهل حمارك أعز من زوجتك؟

قال جحا: يا قوم حسبكم هذا، ماتت زوجتي فكان بعض مَنْ يجيء لعزائي يقول لي: لا تحزن إن النساء غيرها كثيرات، وبعضهم يقول: إن أختي يمكن أن تكون خير زوجة لك، وذاك يهمس: يسرني أن أصاهرك بتزويجك ابنتي. وحين مات حماري لم أجد أحدًا منكم يقول لي: سأحضر لك حمارًا غيره.. فبكيته.

أحد شيئين

القناعة: أحد الرزقين، والعم: أحد



نوعان من البناء في أبها، أحدهما من الطين (الخلب) الخالص، والآخر من الحجر والطين.

استراحة العدد

الأبوين، والقلم: أحد اللسانين، والمزاح: أحد السبابين، والوعد: أحد الصرفين، والإصلاح: أحد الكسبين، والمطل: أحد المنعين، والتثبت: أحد العفوين

نصيحة حكيم

نصح أعرابي أخًا له رآه حريصًا على الدنيا فقال: يا أخي أنت طالب ومطلوب، يطلبك مَنْ لاتفوته، وتطلب ما قد كُفيته، وكأن ما غاب عنك قد كُشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه.

قالوا

لدي اقتناع عميق بأن نقيض الحب ليس الكره، بل فقدان الشعور.

ليوبو سكاليا

الحزم سكين حادة تقطع بلا صعوبة ولا عيب، والتردد سكين كليلة تقطع على غير انتظام وتترك خلفها أجسامًا معيبة.

المفكر جورج لورمر

تسلق الجبال الوعرة يحتاج إلى خطى حذرة متمهلة.

وليم شكسبير

إننا نحب الورد على الرغم من الأشواك المحيطة به وكذلك الحياة.

لامارتين

أحسن وسيلة للتمتع بالسعادة هي أن تشرك فيها غيرك.

الشاعر بيرون

أَبَرُّ الأصحاب

جاء في كتاب الأمالي لأبي علي القالي أن بعض الحكماء سئلوا: كيف تري الدهر؟ قال: يخلق الأبدان ويجدد الآمال، ويقرب الآجال.

قيل: فما حال أهله؟

قال: من ظفر به نصب ومَنْ فاته حزن.

قيل: فأي الأصحاب أبر؟

قال: العمل الصالح.

قيل: فأيهم أضر؟

قال: النفس والهوى.

قيل: ففيم المخرج؟

قال: في قطع الراحة، وبذل المجهود.

فوائد الخوف

الخوف ليس سيئًا في كل الحالات، ففي حالات عدة كان مفيدًا، فخوف الإنسان من الظلام دفعه إلى اكتشاف النار كوسيلة للضوء، وخوفه من الحيوان المفترس جعله يبتكر سلاحًا في مواجهته، وخوفه من الجوع دفعه إلى استنبات الأرض.

شكر العين والأذن

قال حكيم: تشكر عينيك إذا رأيت بهما خيرًا ذكرته. وإذا رأيت بهمًا شرًا سترته. وتشكر أذنيك إذا سمعت بهما خيرًا حفظته، وإذا سمعت بهما شرًا نسيته.

شكر الشاكرين

كان عبدالملك بن صالح أميرًا من أمراء بني العباس، معروفا بفصاحته، وحدث أن قدم إلى الخليفة العباسي الرشيد فلقيه حاجبه إسماعيل بن صبيح فقال له: اعلم أن أمير المؤمنين رزق بولدين؛ عاش أحدهما ومات الآخر، فيجب أن تخاطبه بحسب ما عَرَّفتك.

فلما دخل عبدالملك إلى الرشيد قال له: سَرَّك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك، ولا ساءك فيما سَرَّك، وجعلها واحدة بواحدة، تستوجب من الله زيادة الشاكرين وجزاء الصابرين.

علي والأعرابي

يروى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يتفقد أحوال الرعية بالمدينة المنورة ذات يوم، فأتاه أعرابي يسأله حاجة والحياء يمنعه من ذكرها، وأخيرا خط الأعرابي بعصاه على الرمل:

ولم يبق عندي ما يباع بدرهم
تنبيك حالة منظري عن مخبري
إلا بقية ماء وجه صنته
من أن يباع وقد أبحتك فاشترِ

فقرأهما الإمام علي رضي الله عنه، وفي تلك الأثناء وافاه رسول يخبره أن نصيب أمير المؤمنين من الغنائم محمول على أربعة جمال بباب المدينة، فقال للأعرابي: هما هبة لك، ثم أنشده:

وافيتنا فأتاك عاجل برنا
فاهنأ ولو أمهلتنا لم نقتر
فخذ القليل وكن كأنك لم تبع
ماء الحياة وكأننا لم نشتر

فصاحة

كان عالم الفيزياء بول كوهلر يعطي أحد تلاميذه درسًا في الطبيعة، وعبثا حاول إقناع التلميذ بأن رطلاً من الريش يساوي في وزنه رطلاً من الحديد، إلا أن التلميذ أبى أن يفهم. وبعد أن طالت المناقشة بينهما قال التلميذ لأستاذه: حسنا يا أستاذ قف أسفل النافذة وسألقي عليك رطلاً من الريش وآخر من الحديد، وسأصدقك إذا قلت لي بعدها أنهما متساويان!

هكذا كانوا

أراد أحد طلاب الدنيا من أهل الكوفة أن يحظى بمكانة عند معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فجاءه وقال: اصطنعني يا أمير المؤمنين، فقد قصدتك من عند أجبن الناس وأبخلهم وألكنهم. فقال معاوية متعجبًا: مَنْ الذي تعنيه؟

قال الوصولي: علي بن أبي طالب!

فاستشاط معاوية غضبًا، وقال: كذبت يا فاجر. أما الجبن فلم يكن قط فيه، وأما البخل فلو كان له بيتان: بيت من تبر وآخر من تبن لأنفق تبره قبل تبنه، وأما اللكن فما رأيت أحدًا بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن من علي إذا خطب. فانصرف قبحك الله من رجل سوء.

أفعال العلماء

قيل لعبدالله بن المبارك يومًا: لو أن الله أوحى إليك أنك تموت غدًا، فماذا أنت صانع؟!

قال: أقوم من مقامي فورًا، وأطلب العلم في مظانه حتى يأتي الممات.

تباشير

يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قلبُ الزمنِ النابض

خلود إسماعيل معطي
طالبة ـ دمشق ـ سورية

في معاركنا اليومية نناضلُ من أجل غاية صعبة المنال، من أجلِ نصرٍ لن يتحقق إلا بطرق المناورة القاسية، ثم نذوب في تلافيف الحياة لتقذفنا داخل صدفة مملوءة بالهموم والمشكلات

نتابع المسيرة في صحراء الحياة لنقف عند واحة باسمة، ونحصي في نهاية المطاف دقائق هذه الوقفات، فنجدها لاتتعدّى أجزاءً من الثواني القاتلة التي تزين في كل يوم قادم أماكن شاسعة من هذا الزمن المؤلم.

وتأسرنا هذه اللحظات لنركع أمام ذاكرتنا المثقلة بالمتاعب اليومية، ونستسلم أخيرًا لنلقي سرَّ شقائنا على القضاء تارةً وعلى الحظ مرة أخرى وربما وجدنا مسوّغًا آخر في دوراتنا داخل حلقة هذا الزمن الفارغ من الملذات الحلوة، ولنحط الرحال عند عتبة النسيان والتفاؤل فنودعها صندوقًا مملوءًا بالمشكلات الروتينية، ونغلق باب المتاعب بمفتاح سَرقته منا يدٌ خيالية تتركهُ في حكايا الجن المنسية.

في كل ساعة نكافحُ من أجل غد أفضل، نترقب تلكَ العصا السحرية التي تلمسُ زمننا بحركة سريعة وتقلب تاريخ الحروب والأيام القاسية والكوارث المتعاقبة على هذه الأرض، فتشرقُ شمسٌ دافئة تحركُ عجلة الأيام بحركة مفعمة بأمان مستمر ومستقبل زاهر.

خوفنا القاتل يسيطرُ على ذلك المستقبل القادم، كيف سنعيشه؟ وما الطرق التي تجعلنا نتأقلم مع ذلك الغد؟ أين سنعثر على النجاح المستقبلي لننجز أكبر كمية يمكن تحقيقها..

وتصلُ أيدينا لروابي المجد الشائكة، على الرغم من كل تلك الآلام التي تجتاح العروق، وفوق كل ذلك الدم الذي يسيلُ من جرّاء مكابدة أشواك الرفعة، إلا أننا نكتم أنفاس الألم ونخنقُ كل الأوجاع لنشعر بنشوة الفرح عند القمة، لحظة الوصول فوق ذروة النجاح.

وتسيطرُ المفاجأة على كل حواسنا عندما نجدُ أنَّ أرتالاً بشرية تسعى للوصول إلى القمة المنشودة، بعضهم لينسى همومه المتراكمة، بالحلم في ذلك العالم المرتفع، ومنهم من يسطر اسمه داخل كتاب الزمن، وأكثرهم لايعرف الدافع الحقيقي للعمل المستمر الذي يقوم به..؟!

وأسمى من كلِ تلك المراتب، ذلك الشخص الذي نذرَ نفسه لخدم الأرض، فاستجمع كل ما يملك من قوة وشباب وصبَّها في بوتقة الأرض الغالية، فليس ثمة أجمل من أن تشعر بامتصاص الوطن لشباب رواهُ من نبعه، وأطعمه من بذور قلبه، وكساهُ حُلةً مضيئة لاينسى دفأها مهما طال برد الأيام.

وتهمسُ الحياة من جديد في القلب النابض لهذا الزمن.. نغوصُ في أعماقه.. نكتشفُ نقاطًا مضيئة.. وتبدعُ الأنامل مقاطع موسيقية رائعة على عضلة لايمكن أن تتجمد مهما طال أرقُ الحياة، على عضلة صغيرة تتربعُ في الجهة اليسرى من ذلك الجسد المادي، ربما هي الوحيدة التي تنبضُ بلذ الأيام، ومن المؤكد أنها البقية الباقية من الأجسام الصامتة التي زينت وج

الأرض ومـا زالـت تناضل، مع كل شيء.. مع باقـات الفُل والريـاحين، وحفنات الياسمين.. لتسكب في أنحاء هذه الحياة لون الياسمين.. وتنشر في كل الأرجاء دفء الأحاسيس.. وروعة النجاح المزركش بألوان العمل من أجل أن نقدم هذه القلوب على طبق من الجد ونغلف عرقَ الجبين بمجد مشغول على لوحة نادرة، مرسومٍ بألوان معبرة، ومنثور في أغلى ما في الدنيا في ذلك الوطن.

التعليق: في كتابتك يا خلود روح أدبية رقيقة، ولكنها موشحة بغلائل من الحزن والإحساس بالعجز عن إدراك ما يصبو إليه هؤلاء الساعون إلى الغد الأفضل... على أن قسوة الحياة وتحمّل شدائدها لم تملأ قلبكِ باليأس القاتل، ولم تحجب عن عينيك حقيقة الحياة. وطبيعة الناس فيها، فالكثيرون يدافعون الأيام من دون هدف مرسوم بدقة، وبعضهم يتركون أثرًا نافعًا في المحيط الضيّق الذي تمضي حياتهم فيه، وبعضهم يبدع الكلمة الممتعة أو اللحن الساحر أو يلمس جراح الدنيا بأنامله السحرية فيقدم للبشرية الأمن والسعادة والفرح.. هؤلاء ياخلود - وأرجو أن تكوني منهم - هم القلب النابض في جسد الإنسانية. وهم موجودون في كل مكان، ولكنهم مُستهدَفون ومُحارَبون غير أنهم منتصرون، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك.

لاشك يا خلود أن لديك موهبةً موّارة بالأحاسيس، زاخرة بالمشاعر، ولغتك في هذه المرحلة قادرة - لولا هنات هينات أصلحناها لك - على التعبير عما تحبين، ولكنني شعرت بأنك تتوقين إلى الإحساس بطمأنينة النفس، وهدوء ثورة المشاعر، والأيام كفيلة بذلك.

أكثري من مطالعة نتاج الأقلام المتفائلة التي تفتح في غياهب الظلمة دروبًا تشع بالنور، وتمتلئ بالآمال المزهرة؛ فذلك يغني أفكارك، وتشرق به حياتك، وينعكس على ما تتوجهين به إلى الناس.

أديري أفكارك في رأسك كثيرًا قبل أن تمسكي القلم ليتوازن في نتاجك دفق المشاعر وجلال الأفكار. سيرى بخطى ثابتة ولا تتعجلي فذلك ما صنعه الكبار.

والثقافة الثقافة فإنها هي التي تحيل الموهبة إلى عقود تزين جيد الزمن، وتتمرّد على الضياع والاندثار.

المجد في كل ميادين الحياة: موهبةٌ تصقل بالصبر والدأب، وتُثرى بمخالطة التجارب الغنية، والعقول المتفتحة والعبقريات المشرقة الوضاءة.

أؤكد لك يا بنيتي أن لديك موهبة، وأنك لا شك ستعملين على إغنائها.. وسنرى اسمك - إن شاء الله - يُسطَّر مع الذين يحرص التاريخ على الاحتفاظ بهم.

ثم إني أنصح لك بالكتابة على وجه واحد من الورق عند مراسلة أي صحيفة أو مجلة؛ فذلك أجلب للراحة لك ولهم. والله معك.

عاصم البيطار

الدموع الخرساء

عبير عبدالقادر مرشحة

17 عاما - حلب - سورية

عندما كانت الدموع مختبئة .. كان القلب يعاني عبء أحزانه وثقل دموع مختزنة في الصدر.. وألفَ ألفَ صوت يترددُ، معلنًا السخرية من الضعفاء. وتمرُّ أيام.. وأيامٌ... وأيام. لابدَّ لها من نهاية، اشتدت خلالها الآهات .. أخذت تتجمع.. لم يبق لها من مكان، سوى الخروجْ. ولكن.. عيونٌ كثيرة مخيفة تتحفز.. تترقّب لحظة الانفجار، لتجعل منها محطة للوقوف، تفرغُ فيها جَعبة الأيام، وتقولُ بملء فيْها: مسدودة كلُّ الطرق، والفرح يُحتضر على سرير الآلام. تبعث في كلِّ مكان سموم اليأس.. تقدمه قربانًا لشبح القناعة المُزيف.

ولكن، مادامت هناك غيومٌ تتجمع، لتمطر قطرات.. وينبت وردٌ على الخدين. إذًا.. لابد من ذلك الشيء الذي يسمونه.. الأمل. لم يكن معروفًا إلا عندما عُرف اليأس، حيثُ لايوجد شيءٌ يمكن أن يجعلنا نخاف، إلاَّ ليأس القاتل المتسلح بخنجر الأحزان.. وبرفقة الأمل وُجدت البسمة وليدة الشفاه.. تلك البسمة المصطنعة التي مع الأيام تصبح.. عادة.

ويتوهم القلبُ الأفراح.. عندها يتنهد الصدرُ بعمق بعدما أخرج الآهات الثقيلة، ولكن.. مع أيِّ صدمة جديدة، ربَّما يتوقفُ القلب الذي أضناه التعب، لذلك.. لابُدَّ من الدموع.. دموع محرقة تُلهبُ العينين.. تُرى من خلالها أشياء كثيرة لم تكن واضحة.. تخرج بلا صوت.. خوفًا من العيون الرقيبة.

أنَّات كثيرةٌ تتردد في الظلام.. ولكنها خرساء خرساء. القلمُ وحده من يتكلم بلا مُنازع بأيد مرتجفة... وشفاه تناجي الإله.

التعليق: اللغة سليمة عمومًا لولا بعض الأخطاء الهينة، وإسراف «عبير» في وضع نقاط كثيرة للفصل بين الكلمات قد تفقد السياق ترابطه أحيانا، وقد أصلحنا لها بعض ذلك. والأسلوب جيد، وفيه قوة أدائية تعكس ثراء لفظيًا. الصورة البيانية من أهم ملامح هذه الخاطرة، وهي - على سوداويتها الغالبة - تمثل بداية مبشّرة.

للكاتبة روح شعرية تطلّ من وراء السطور، لعلها تغذيها بمزيد من المطالعة في آثار أرباب البيان العربي مثل الجاحظ وعبدالحميد بن يحيى الكاتب وابن العميد، من القدماء، والمنفلوطي والرافعي، من المعاصرين.

د. عبدالله المغامري الفيفي

ردود خاصة

الأخ زبيري لونيس، برج بوعريريج، الجزائر:
يسعدنا كثيراً هذا الاهتمام بالنشاطات الثقافية من الشباب، ونشكر لجمعيتكم الثقافية احتفاءها بالمجلة في المعرض الذي تنوون إقامته، وستصل إليكم قريبًا ـ إن شاء الله ـ بعض الأعداد الأخيرة من المجلة لعلها تنال إعجابكم، وتكون عند حسن ظنكم بها.

الأخ منور حواس فلاح الرشيدي، حائل، المملكة العربية السعودية:
مرَّ على صدور المجلة عشرون عامًا تقريبًا، إذ صدر العدد الأول في رجب 1397هـ، وهناك ستون مجلداً تم إصدارها تضم أعداد المجلة ابتداءً من العدد الأول إلى العدد 180، بواقع ثلاثة أعداد للمجلد الواحد، والسعر الإجمالي لهذه المجلدات ثلاثة آلاف ريال، أما سعر النسخة الواحدة من أي عدد من أعداد المجلة فهو ثمانية ريالات سعودية أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي. وأعداد المجلة التي طلبتها في طريقها إليك.

الأخ أحمد علي العمودي، جدة، المملكة العربية السعودية:
سنبعث إليك بآخر عدد من المجلة، لعلك تحقق أمنيتك. وبالنسبة للمسابقة فنطمئنك أن الإجابات التي تصل قبل انقضاء 45 يومًا بعد صدور المجلة تدخل في المنافسة، فلا تقلق من تأخر وصول العدد إليك، ونتمنى لك التوفيق في دراستك، والاهتمام بتنمية حصيلتك الثقافية.

الأخ محمد حسان العلي، حلب، سورية:
نشكر لك مبادرتك بعرض تعاونك فيما ينشر في باب «الاستراحة». ويوجد زميل مكلف القيام بهذا العمل وفق سياسة معينة، فنعتذر لك من عدم نشر المقتطفات التي أرسلتها لعدم مناسبتها للباب. ومرحبًا بمشاركات أخرى لك في المستقبل، إن شاء الله.

الأخوة مصطفى مقدم، المشربة، يوسف سطنبولي، المدية، فاتح بن محمد أمية، جيجل، باطير عبدالله بن محمد، تمنراست، موسى يحيى، بريشة محمد بن علي، إدرار، الجزائر.

فؤاد مُداريس، كوماسي، غانا. عصام عبدالله علي، عدن، اليمن:
نعتذر من عدم عمل اشتراكات مجانية للأخوة الأفاضل الذين طلبوا ذلك، وسوف تصل الأعداد إلى الأخوة الذين طلبوها. كما نعتذر كذلك للأخوة الذين يطلبون منا إرسال كتب إليهم، وكل ما نستطيعه هو أن نرسل إليهم بعض الأعداد السابقة من المجلة. أما عن موضوع توزيع المجلة في الجزائر، فنطمئن الأخوة أنه في طريقه إلى الحل كما سبقت الإشارة أكثر من مرة، ونأمل أن يكون ذلك في القريب، ونشكر لهم اهتمامهم بتواجد المجلة في السوق الجزائرية.

الأخ حبيشي حسن حسين، ببا، بني سويف، مصر:
نشكر لك تحيتك التي نظمتها شعرًا للفيصل، التي تأمل أن تكون رسالتها ـ كما أشرت ـ الارتقاء بالأفهام والعقول.

الأخ بسام عبدالكريم إسماعيل، حمص، سورية:
مقالتك عن الحج وصلت بعد الانتهاء من ترشيح الموضوعات التي ستنشر في عدد ذي الحجة. ونأمل من الأخوة الذين يودون المشاركة بالكتابة في أي مناسبة من المناسبات ضرورة إرسال مشاركاتهم قبل وقت كاف من تاريخ المناسبة. ولا نكذبك القول، إذا قلنا إن مقالتك على ما فيها من جوانب مشرقة؛ إلا أنها تحتاج إلى بعض العمق في التناول، وننصح لك أن تكتب دائمًا على وجه واحد من الورق إذا أردت مراسلة أي صحيفة أو مجلة.
ونشكر لك إطراءك المجلة وبعض كتابها، ومرحبًا بك وبمشاركاتك.

الأخ شوقي إبراهيم، بسكرة، الجزائر:
عجيب أمرك أيها الأخ العزيز، تكبدت المشاق وبعثت برسالة من دون أن يلامسها حبر!
هل هذا نوع من الاحتجاج، أم عجز عن الكتابة، أم مداعبة ليست بأي حال لطيفة؟
نأمل التفسير، ونحن سنقبله مهما كان الأمر.

الأخ محمد سيد عبدالمتجلي، أسيوط، مصر:
ليس لدينا ما نهديه إلى قرائنا الأعزاء سوى بعض أعداد المجلة، فنأمل أن تقبلها، وأن تكون مفيدة ـ إن شاء الله ـ. أما الكتب الدينية، فهناك جهات كثيرة تهتم بأمر إهدائها إلى من يرغب، فليتك تتلمس سبل مراسلتها، ولن تخيب ظنك ـ إن شاء الله ـ.

الأخ شمورك المحجوب، زنقة القصبة، المغرب:
لاتوجد نية لاستحداث باب للتعارف لما له من جوانب سلبية متعددة، وأفضل وسيلة للتعارف التحاور من طريق طرح الأفكار وتبادل المعلومات. أما عن تخصيص زوايا للخواطر والشعر، فإن هناك بابًا للمواهب الأدبية الواعدة هو «تباشير»، ننشر فيه الإبداعات الجديدة لتلك المواهب، مع نقد متخصص لها. ونحن نرحب بصداقتك وبمشاركاتك.

الأخ سيسكاندار، جاتنج، أندونيسيا:
الكتب التي طلبتها لا تتوافر لدينا، وستصل إليك قريبا ـ إن شاء الله ـ أعداد من المجلة، ونشكر لك إطراءك، ولايفوتنا أن نثني على ماتبديه من حرص على معرفة دينك، أعانك الله على تحقيق مرادك.

الأخت بيطام وهيبة، الجزائر:
تبدين ثقة كبيرة بالنفس، وترين أن لك كتابات تستحق أن تنشر، فتطلبين معرفة الطريقة المؤدية إلى دور النشر، ونحن نجيبك بأنه يجب عليك أولاً اكتساب الخبرة بكتابة المقالات القصيرة وإرسالها إلى الصحف والمجلات التي تتناسب مع طبيعة ما تكتبين، وعليك بالاستفادة بما تتلقين من ملاحظات، ومحاولة تنمية حصيلتك اللغوية والثقافية بالقراءة المنتظمة، ثم بعد حصيلة طيبة من الخبرة يمكنك تلمس الطريق إلى نشر الكتب.
أما القصيدة المرسلة ففيها محاولة جيدة، ولكنها تفتقد إلى كثير من مقومات الشعر الأصيل من حيث الوزن والأخيلة. ونأمل من كل من يأنس في نفسه القدرة على الكتابة الأدبية بأنواعها، أن يكتب على المظروف: «باب تباشير». أما المسابقات الأدبية التي تجري في المملكة العربية السعودية وفي غيرها من البلدان العربية فهي كثيرة، ويمكن معرفة مواعيد إقامتها وشروطها بمتابعة الصحف.

بين القارئ والقارئ

أقوم بإعداد رسالة دكتوراه عن الأدب السعودي، ونظرًا لأن هذا البحث هو الأول من نوعه في الجامعات الهندية ـ حسب علمي ـ فإني أتطلع إلى أن تساعدني الجهات والمؤسسات ذات الصلة بمجال الأدب في المملكة العربية السعودية، وكذا مساعدة الإخوة قراء الفيصل وتعاونهم، كما أرغب في الحصول على كتب وإصدارات عن حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإسلامية.

سيد جهانجير سيد عبدالستار
SYED JAHANGIR H.NO 20 - 7 - 482 /4
DOODH BOWLI JHON ROAD
HYDER ABAD 500065 - INDIA

أملك في مكتبتي الخاصة الكثير من الملاحق الأدبية الأسبوعية التي تصدرها جرائد مغربية كالقلم، والاتحاد الاشتراكي، والمحرر، والميثاق، والبيان، وأرغب في مبادلتها بأعداد من ملاحق أدبية أسبوعية صادرة عن جرائد سعودية، وإماراتية، ويمنيَّة، وبحرينية، ولبنانية، وغيرها.

محمد نجيم
الرمز 46003، آسفي، المغرب

لدي نسختان من كتاب «الإسلام» للمستشرق هنري ماسيه، وكتاب «روائع إقبال» لأبي الحسن الندوي، أرغب في مبادلتهما بـ«أطلس تشريحي لجسم الإنسان» باللغة العربية، ولكم جزيل الشكر.

مهند طنطا
سورية، سوق الحرير
جانب خان الحرمين، آخر سوق الحميدية.

آمل من قراء «الفيصل» الكرام التعاون في تزويدي ببعض الإصدارات التي تتناول تاريخ الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وكذا ديوان الشاعر عبدالله الفيصل «وحي الحرمان»، أو أن تدلوني على كيفية الحصول على هذه الكتب.

ياسر قسم الخالد
السودان، الخرطوم ص.ب 11204

أرغب في الحصول على أي أعداد من سلسلة «عالم المعرفة»، ومجلة «عالم الفكر». وعلى استعداد لمراسلة أي من قراء «الفيصل» الكرام تكون لديه الرغبة في مساعدتي، وذلك للاتفاق على تسديد أثمان الأعداد التي سيزودوني بها.

أحمد ميمون الشاذلي
سورية، حلب ص.ب 11265

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ سعد الدين الخطيب، دمشق، سورية:
عنوان مكتبة الملك عبدالعزيز العامة:
المملكة العربية السعودية
الرياض 11622 – ص.ب 86486
الهواتف: 4911300 – 4911280

الأخ علي زاهر، ديروط، أسيوط، مصر:
يمكنك مراسلة الأستاذ محمد هاشم رشيد على عنوان: نادي المدينة المنورة الأدبي

الأخ بديع عبدالله، طنجة، المغرب:
عنوان الروائي فؤاد قنديل:
جمهورية مصر العربية، الجيزة، ميت عقبة، 5 شارع عبدالمجيد حسين، المتفرع من شارع الغريب.

الأخ الدكتور حسام الدين المعلم، أدلب، سورية:
الأديب الطيب صالح يمكن مراسلته على عنوان مجلة «المجلة»:
ALMAJALLA
H.H. SAUDI RESEARCH
AND MARKETING (U.K)
LIMITED
ARAB PRESS HOUSE, 184
HIGH HOLBORN
LONDON WC1V7AP
TEL D71 - 8318181

الأخ محمود بن تركي الداود، أدلب، سورية:
يمكنك مراسلة الأستاذ فهمي هويدي على عنوان مجلة «المجلة» الموضح سابقًا.

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً عن عدم تقديم اشتراكات مجانية، وعن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

تعليق على:
المائدة اليهودية



يسرني أن أتناول بالتعليق مقال أستاذنا د. حسن ظاظا الذي نشر في عدد شهر رمضان 1416هـ/يناير 1996م تحت عنوان «المائدة اليهودية». وأنا من قراء الأستاذ الفاضل لأكثر من ثلاثين عامًا، أيام كنت طالبًا في المرحلة الثانوية، إذ كان يؤلف كتب الفلسفة لطلاب القسم الأدبي بالمرحلة الثانوية في الخمسينيات من هذا القرن، وأحتفظ بكتبه التي - على كونها كتبًا مدرسية - لكنها تمتاز بالعمق وتوسيع المدارك.

وقد قرأت المقال بعناية وبتركيز فوجدت بعض النقاط التي كان لا بد من تناولها حتى تتضح الرؤية أمام القارئ العادي.. ومن هذه النقاط الجديرة بالبحث والتسجيل مايلي:

أولاً: لم يحدد أستاذنا متى خرج اليهود من مصر، وفي عهد مَنْ من الفراعنة تمّ ذلك؟

ثانيًا: تناول الباحث المحرَّمات والحلال من طعام اليهود من دون الإشارة إلى المصادر التاريخية أو الدينية التي استقى منها ذلك، حتى يكون سَنَدًا لمن أراد أن يطَّلع أو يتعمق في البحث.

ثالثًا: كان لا بد من ذكر بعض أخلاقهم؛ أي أخلاق اليهود الخاصة بالمحرمات من الأكل والشرب والعادات والتقاليد التي توضح للقارئ شيئا من أخلاق هؤلاء الناس حتى نتفهم أسلوب حياتهم، ولاسيما وأنهم يعاشروننا ويجاوروننا ونبرم معهم اتفاقات سلام على مستوى عالمنا العربي الآن. ولأن شريعتهم شابها التحريف والزيف والوضع على يد حاخاماتهم والمتطرفين منهم، فسأتناول في تعليقي المتواضع هذا الإجابة عن بعض النقاط التي أثرتها مع احترامي وتقديري لأستاذنا د. حسن ظاظا، فقد حفل مقاله بالزاد الوفير والخير الكثير، ولكن منهجنا - بوصفنا رجال قانون - هو أن نوثق كل شيء يحتاج إلى توثيق وإسناد كل شيء يعوزه الإسناد حتى يكون الإنسان على بصيرة، ويمكنه الرجوع إلى المصادر المستقى منها المقال أو البحث بيُسر وسهولة..

وبادئ ذي بدء أقول: إن سيرة بني إسرائيل بعد يوسف عليه السلام في مصر وخروجهم منها ذكرت بأساليب متنوعة في أسفار الخروج والعدد والتثنية - تثنية الاشتراع - من الأسفار الخمسة الأولى. والسفر الرابع من الأسفار العائدة إلى حقبة موسى، وهو سفر الأحبار الذي هو تشريعي بالدرجة الأولى، متصل كذلك بهذه الحقبة.

ولقد ذكر الإصحاح الأول من سفر الخروج ما كان من نمو بني إسرائيل وتكاثرهم وامتلاء الأرض بهم، وخشية ملك مصر من عواقب ذلك، واضطهاده لهم وتسخيره إياهم في بناء مدن نيتوم ورعمسيس وتشغيلهم بالطين واللبن والأعمال الشاقة الأخرى، وأمره لقابلتي العبرانيات بقتل كل ذكر يولد لهم مما يتطابق بعضه مع ما وجد على أوراق البردي.

ولقد جاء في الجزء الأول من الكافي لشارو بيم أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر في عهد «منفتاح الثاني» في ظروف ارتباك الدولة المصرية، وأن يوسيفوس اليهودي نقل ذلك عن مانيطون، وأن منفتاح الثاني سأل أحد المكاشفين أن تتجلى له المعبودات، فقال له لن يكون له ذلك حتى يطهر بلاده من أصحاب الدناسة، وكان يعني الإسرائيليين، فجمعهم في مدينة وشدد عليهم الخناق والعذاب، وفي هذه الأثناء ظهر موسى عليه السلام وانتهى الأمر بخروجهم تحت قيادته. ومما جاء فيه - أي سفر الخروج - كذلك أن الإسرائيليين ثاروا ثورة عاتية، فزحف إليهم منفتاح الثاني وقتل منهم مقتلة كبرى ففروا فطاردهم إلى أن خرجوا من مصر.

ومانيطون المشار إليه آنفًا هو المؤرخ المصري الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وكتب تاريخًا شاملاً لملوك مصر وسيرتهم.

هذا فيما يتعلق بخروج اليهود من مصر.

ونأتي إلى النقطة الثانية الخاصة بالحلال والحرام بالنسبة لأكل اليهود وشربهم والنجس من ذلك وعدم النجس وفقًا لأخلاقهم. ونحن هنا نعتمد على سفر اللاويين بحسب تسمية النسخة البروتستانتية وسفر الأحبار بحسب التسمية الكاثوليكية، وهو سبعة وعشرون إصحاحًا في تسع وأربعين صفحة. وسنكتفي ببيان المهم من محتويات السفر وما قد يكون فيه من أخلاق لأحوال بني إسرائيل. ولقد أوجب السفر على بني إسرائيل تقديم أشياء نباتية وحيوانية للرب للشكر والسلامة، وكفارات في صورة نباتية وحيوانية على من يخطئ سهوًا في حق الله ووصاياه، وعلى من يحلف كاذبًا، أو يجحد وديعة أو يغصب شيئًا أو ضالة ويجحدها مع رد ما أخذه.

وقد حرّم عليهم أكل شحم البقر والضأن والمعز الميتة والدم وذات الأظفار غير المشقوقة كالجمل والأرنب والخنزير، وما ليس له زعانف من حيوانات الأنهار والبحار، والطيور الجارحة من النسور والصقور وذات المخالب ودبيب الطير السالك على أربع باستثناء ما له رجلان أطول من يديه يثب بها على الأرض كالجراد والدَّبى والجنادب..

ومما حرَّم عليهم الخلد والفأر والصفد والورل والجرذ والحرباء وسام أبرص والنعام والببغاء والغراب والهدهد والخفاش.. ونلحظ هنا أنه ليس في السلسلة ذكر للضباع والسباع والذئاب والكلاب والهررة والثعالب والخيل والبغال والحمير.

وقضى بنجاسة الميتة ومن يمسها وما تمسه.. وتدوم نجاسة الماس والممسوس إلى المغيب، ثم

يجب غسل ما تمسه واغتسال ما يمسها، وكسر الآنية التي تقع فيها أي نجاسة، حيث إن نجاسة الميتة مستمرة. وقضى بنجاسة الطامث سبعة أيام، وبنجاسة ما تمسه أو يمسُّها وبنجاسه الوالدة وما تمسُّه أو يمسُّها سبعة أيام إن كان المولود ذكرًا مع إيجاب ختنه في اليوم الثامن وأسبوعين إن كانت أنثى..

ومن أخلاقهم أيضًا أنه حرّم عليهم نكاح الأم والبنت والأخت، وبنت الابن وبنت البنت، وزوجة الأب والعمة والخالة، وأم الزوجة وزوج الأخ وأخت الزوجة وزوجة العم ومضاجعة الطامث.

وقضى بنجاسة الأبرص ونجاسة ما يمسه ومن يمسه، وأوكل للكاهن مراقبة درجة بلواه وتعيينها، وحين التحقق منها إخراجه من المحلة وجعله يقيم منفردًا والنداء عليه أنه نجس نجس.. ويبقى كذلك إلى أن يزول برصه بحكم الكاهن.

ومن طريف شريعة البرص أن يكون هناك برص في ثوب من صوف أو ثوب سواه أو لحمته من كتان أو صوف أو من جلد أو في جلد أو كل ما يصنع من الجلد.. وأوجب على الكاهن مراقبته وحجزه فإذا تأكد من البرص أمر بحرقه.

وقضى بنجاسة من به سيلان، وبنجاسة من يمسّه وما يمسّه إلى المغيب، ثم يغسل الممسوس ويغتسل الماس.

أما المصاب فيظل نجسًا منجسًا إلى أن يزول ما به. ويظل مع ذلك سبعة أيام تحت مراقبة الكاهن، فإذا تأكد من زواله يعلن ذلك ويأمر بتقديم يمامتين أو فرخي حمام ذبيحة كفارة.

وقضى بنجاسة من يحتلم أو يضاجع، وتستمر النجاسة إلى المغيب ثم يغتسل المحتلم ويغتسل الرجل والمرأة المتضاجعان.. وكل ثوب أو جلد أصابه المني يكون نجسًا إلى المغيب ويغسل.. وأوجب عليهم أن لا يقرّبوا قربانًا إلا إذا كان سليمًا من العيوب.

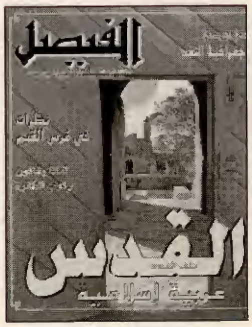
وأجاز لهم استرقاق بعضهم، بل أجاز بيع الإسرائيلي نفسه لغريب أيضًا مع حث أقارب المسترقّ على فكاكه وإعطائه الحق بفك نفسه إذا صار ذلك في إمكانه..

وأجاز سفر اللاويين أيضا نذر أو تقديس الأشخاص والبيوت والدواب والحقول والغلات للرب، وأوجب تسليم المنذور للكاهن. وأجاز افتكاك المنذور المقدس بأداء قيمته للكاهن.. وعين لكل شيء قيمته، ولكل شخص قيمة معينة. فعين للشخص في سن ما فوق الستين 15مثقال فضة للذكر، 12 مثقالاً للأنثى.

هذه بعض الخواطر عن المحرمات والمحللات في أكل اليهود وشربهم، وبعض أخلاقهم ذكرناها حتى يستطيع القارئ أن يلم بها، وأن نكون نحن العرب على بينة منها.. فإذا ما عرفنا كيف يعيش هؤلاء اليهود وهم يجاوروننا، وكنا على دراية بأخلاقهم أمنّا شرهم وغوائلهم، فإن كتبهم وأشعارهم قد اعتراها التحوير والزيف والتحريف، وعلينا أن نقرأ كتبهم بإمعان وتركيز حتى نكون على وعي كامل بما يدور حولنا، ولاسيما أن جماهير عريضة من مثقفينا لا يدرون من أمر هؤلاء وكتبهم إلا النذر اليسير.. وقد جاء في الأثر: «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم». ويمكن لنا القول بشأن هذا المأثور أن نقول: إذا عرف شعب من الشعوب أخلاق غيره من الشعوب أمن شرهم وجنبه الله غوائلهم ومصائبهم!!

إبراهيم عبد الوهاب شرف
مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة
المنصورة ـ مصر

عودة الفردوس المفقود



قرأت الحوار الذي أجري مع عالم الأندلسيات د. محمود علي مكي في العدد 232 من مجلة «الفيصل»، والذي أشار فيه إلى فضل العرب على الثقافة الأوروبية الحديثة من خلال حضارتهم في الأندلس. هذه الحضارة ـ التي أصبحت مجرد أطياف من أحلام في أذهان العرب والمسلمين ـ لا نبالغ إن قلنا إنها كانت الأساس في الحضارة الأوروبية في مجالات الأدب والفنون والفيزياء والرياضيات والطب والهندسة.. ففي الوقت الذي نبغت فيه حضارة المسلمين في الأندلس كانت أوروبا تعيش في ظلام القرون الوسطى، وكان الجهل يضرب أطنابه فيها، وكانت جامعات الأندلس تُدَرِّس لطلاب أوروبا علومًا يجهلونها. ثم بعد سقوط دولة الأندلس رأينا نتاج هذه الحضارة العظيمة في أوروبا، حيث طبقوا تلك العلوم واجتهدوا في دراستها. ولم يأت ذلك من فراغ.. انظروا إلى الآثار الباقية للمسلمين في الأندلس حتى أسماء المدن لا تزال على أسمائها العربية مع بعض التحريف.

والزخارف التي تبهر المشاهد وتخلب الألباب ويعجز عنها أمهر المهندسين من أين أتت؟ كان لدى الأندلسيين تفوق في علوم الفنون والهندسة، يشهد بذلك قصر الحمراء في غرناطة بزخارفه البديعة وجنانه ونوافيره وتماثيله وزهوره ورياحينه وقنواته. وتشهد بذلك مدن بلنسية ومرسية وأشبيلية وطليطلة ومدريد (مجريط) ..

وبعد رحيل آخر ملوك الأندلس عام 1492م.. مرّ على ذلك ما يزيد على 500 عام حينما سلّم أبو عبد الله الصغير مفاتيح قصر الحمراء في غرناطة إلى الإسبان الصليبيين فرفعوا النواقيس

والصلبان في نواحي قصر الحمراء وشنّوا حربًا شاملة على آثار المسلمين.. ولكنها أبت إلا أن تبقى لتشهد على حضارة عظيمة ترتفع عن الأحقاد وتخرس ألسنة الصليبيين، وتوحي بعودة مرتقبة - إن شاء الله - لتلك الحضارة، بعد أن أصبحت في وجدان كل مسلم وفي عقله. ولا عيب أن يتكلموا عنها بعواطفهم، فلو كانت لليهود والصليبيين لملؤوا الدنيا عنها زعيقا. وها هم أولاد اليهود يدّعون أنهم هم الذين كونوا تلك الحضارة، ولكن الحقيقة ناصعة لا تحتاج إلى أدلة.

وإذا كانوا هم الذين شيدوا هذه الحضارة، وهم الذين بنوا المساجد!! فهل هم الذين كتبوا آيات القرآن على جدران المساجد والأبنية وهم أعدى أعداء القرآن؟! إن الإندلس هي «الفردوس المفقود» في مخيلة كل عربي ومسلم على الرغم من الحرب التي شُنَّت عليها والتدمير الذي حصل لها، ويجب أن ينهض العرب والمسلمون لإحياء حضارتهم وتراثهم هناك.

م. عبد العزيز بن محمد السحيباني
حي العليا، البدائع، القصيم.

من السارق .. ومن المسروق؟



تملكتني حيرة عند مطالعتي باب «من نوادر التصنيف» بالعدد رقم 231، رمضان 1417هـ - يناير/فبراير 1996م من منبرنا الوضّاء «الفيصل»، والمعنون «حدائق النمَّام في الكلام على ما يتعلق بالحمَّام».

وسبب حيرتي أن مجلة «الفيصل» نشرت في عرضها لما قيل في قدْح الحمَّام وذمِّه بعض الأبيات الشعرية - لم تُنسب لأحد، ولا ندري أهو أبو جعفر الطليطلي أم شاعر آخر؟ - قيل فيها:

طلبنا ماءه فحنا علينا
«حُنو المرضعات على الفطيم»
ونقطنا برشح بعد رشح
كمصٍّ من أباريق النديم
يسد الحر عنا في شتاء
«فيحجبه ويأذن للنسيم»
يروع بهوله من حلَّ فيه
فيحسب أنه هول الجحيم

والغريب في الأمر أنني قرأت الأبيات نفسها في كتاب «النظرات» لمصطفى لطفي المنفلوطي «ج 2 ط: دار الثقافة، بيروت، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، من دون تاريخ إصدار» في مقال بعنوان «الشعر» الصفحات (207 - 217).. تقول الأبيات:

وقانا لفحة الرمضاء واد
سقاهُ مضاعَفُ الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا
«حُنوَّ المرضعات على الفطيم»
وأرشفنا على ظمأ زلالا
ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا
«فيحجبها ويأذن للنسيم»
يروع حصاه جالية العذارى
فتلمس جانب العقد النظيم

.. والملاحظ أن الشاعر الذي نشر له المنفلوطي أبياته: سار على نهج وقافية ما نشرته مجلة «الفيصل»؛ بل إن ما بين الأقواس منقول حرفيًا من النص الذي نشرتموه.

ولقد أحيا ذلك القضية القديمة المتجددة على مر الأزمان: «السرقات الأدبية». ولكن القضية هنا: من السارق، ومن المسروق؟

على أني أكاد أجزم أن السارق هنا: هو الشاعر الذي استشهد بأبياته مصطفى لطفي المنفلوطي رحمه الله في مقاله عن الشعر، لسبب بسيط جدًا: أن الأبيات الشعرية التي نشرتموها قيلت منذ ثلاثمئة عام أو تزيد، ولكن من هو السارق..؟ وما رأي الجلَّة من أساتذة الأدب العربي؟ وهل يمكن لهم أن يدلونا على الحقيقة..؟ هذا ما أتمناه..

عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود
الإدارة الزراعية بالمنصورة - مصر

التحرير: يسعدنا أن نجيب عن تساؤل الأخ السعيد في ثلاث نقاط:

1 - أخطأ السائل في قوله: والغريب في الأمر أنني قرأت الأبيات نفسها في كتاب النظرات.. والخطأ أن الأبيات ليست هي نفسها معادة مكررة، فالأولى في وصف الحمّام وذمّه، والثانية في وصف واد جميل من أودية الأندلس كثيف الشجر رقراق الماء...

2 - ما رأيته من تشابه في بعض الأشطار كثر وروده في أشعار القدماء، ولم يسلم منه الفحول، فامرؤ القيس مثلاً يقول: يقولون لا تهلك أسىً وتجمَّلِ، وطرفة بن العبد يقول: يقولون لا تهلك أسى وتجلّد، وكلاهما قال في الشطر الأول: وقوفًا بها صحبي على مطيّهم... واختلاف حرف الرويّ هو الذي يعين القائل... وقد ذهب النقاد في تعليل ذلك مذاهب؛ فمنهم من قال: توارد خواطر،

ومنهم من قال: سرقة، ومنهم فريق فصّل فقال: إن كان المعنى من الشائع المتعارف عليه، وقد توارد الشعراء عليه فلا سارق ولا مسروق، وإنما المعنى مشاع يستعمله من شاء من دون أن يكون سارقًا بالضرورة كتشبيه الحسناء بالقمر، والكريم بالبحر، وإقدام الشجاع بتحدّر السيل.. وتشبيه الأطلال وبقية الآثار كباقي الوشم في اليد، إلا إذا استطاع مبدع أن يورد المعنى بصورة مبتكرة أو طريقة غريبة تُنسب إليه، فإذا أغار من بعده على طريقته عُدّ سارقًا إلا إذا طوّر الصورة وأخرجها إخراجًا جديدًا فهي تنسب إليه كما نُسبت الأولى إلى الأول.

3 - يجزم الكاتب بأن الأبيات الثانية مسروقة من الأولى مستدلاً بأن الأولى نظمت منذ ثلاثمئة عام. والخطأ هنا مزدوج، فالأبيات الأولى لم يحدّد تاريخ قولها، والتاريخ الذي ذكره السائل هو تاريخ وفاة مؤلف الكتاب، والأبيات حتمًا قيلت قبل ذلك بكثير، والأمر الثاني أن الأبيات في وصف الوادي نُسبت إلى حمدة بنت زياد الأندلسية المتوفاة نحو عام 600هـ أي قبل أكثر من ثمانية قرون.. والأمر القاطع أن المصادر لم تجزم بنسبة هذه الأبيات إلى قائل بعينه. وما قالوه مبنيّ على روايات قد تكون مرجوحة، بل قد نُسبت الأبيات إلى بعض المشارقة... والشيء القاطع الآن أنه ليس بين أيدينا دليل حاسم جازم في نسبة كل هذه الأبيات، ومن السابق ومن المسبوق، وما جاء فيه التشابه قد يكون من باب المعاني الشائعة التي لا تحتاج إلى إعمال فكر أو بُعد خيال مما ينعت بالإغارة والسرقة.

خواطر حول قصة:

وقرر الرحيل



قرأت باستمتاع قصة: «وقرر الرحيل» للكاتبة ابتسام إسماعيل شاكوش المنشورة في العدد 231 من مجلة الفيصل الغراء، وتدور حول قصة حب يكاد الفقر يخنقها في بيئة اجتماعية مقهورة، ولكن «أحمد» يقرر الرحيل من أجل عيني فاتنته «سلمى». وما إن أشرفتُ على الانتهاء من قراءتها حتى قفز إلى خاطري ما قاله برنار دي فوتو في كتابه: عالم القصة: «فالقصة ليست شيئًا بنفسها، وهي لا تكون قصة إلاّ إذا قرئت، والصنعة الفنية وحدها هي التي تجعلها مقروءة..»، «وفي القصص الجيدة نرى حذقًا، ورقة، واهتمامًا، وإدراكًا للعلاقات بين الناس وما يصحبها من انفعالات تفوق كل ما اعتدنا أن ندركه من أصدقائنا». وأود أن أجمل بعض ملاحظاتي وخواطري حول نسيج هذه القصة وبنائها في الآتي:

أولاً: جاء عنوان القصة «وقرر الرحيل» عنصرًا رئيسًا في بنائها، استخدمت فيه الكاتبة «الجملة الفعلية» وتتكون - بطبيعة الحال - من فعل وفاعل مضمر يعود إلى البطل «أحمد» ومفعول به. والمعروف في بيئة النقد أن «الفعل» يدل على التحول والتجدد والتغيير، وكأن الكاتبة تريد من خلال العنوان أن تلقي ظلالاً توحي من خلالها أن الرحيل فيه ما يجدد حياة «أحمد»، وما يغير ظروفه القاسية، وما يحقق طموحه؛ ولعل تغييبه في بناء الجملة الفعلية التي تكوّن منها العنوان وجعله «فاعلاً ضميرًا مستترًا» يدل على إيمان الكاتبة بأن الظروف الاجتماعية هي التي دفعته إلى الرحيل الذي اضطر إليه وعيناه ترنوان إلى الأرض.. وإلى سلمى.

ثانيًا: استطاعت الكاتبة أن تدخل القارئ إلى عالمها القصصي بأسلوب فيه الرمز والإيحاء والتشويق والتشخيص ألفيناه في السطور الأولى من القصة وكانت بمنزلة «الافتتاحية»، تقول: «تلفت أحمد يمنة ويسرة وأخرج رأسه من فرجة الباب، لا أحد في الدار، ابتسم بفرح طفولي. أغلق الباب من الداخل وعاد إليها، مرر أصابعه بحنان فوق بطنها المنتفخ، تراجع خطوة وقف يتأملها بكلف، جميلة تبدو رغم سوادها الكابي وأذنها المقطوعة، اندفع نحوها بخفة عاشق وضمها بقوة إلى صدره بينما راحت يداه تتنزهان على جلدها اللدن، تركها قليلاً، اطمأن إلى خلو الدار، ثم عاد إليها... إنها حقيبته الجلدية...».

لقد أوحت من خلال هذه الافتتاحية بأن ثمة علاقة نسائية، وكأنها رمزت من خلالها إلى طموحات البطل «أحمد» إلى الاقتران بمحبوبته «سلمى»، وتركّز هذا الرمز والإيحاء في «الحقيبة» التي انتفخت «بالنقود» التي تمثل بالقياس إليه آلة تحقيق هذه الطموحات.

ثالثًا: كما أن الخاتمة استطاعت أن تفجر في نفس القارئ مشاعر وجدانية تجاذبه فيها تياران: تيار الحزن وتيار الإعجاب، وذلك بما فيها من خيال شعري تتدفق من خلاله ظلال وإيحاءات تلقي على الموقف كثيرًا من المشاعر والأحاسيس، فبطل القصة «أحمد»: «ركض بسرعة إلى البيت أجال الطرف في أنحاء غرفته كانت حقيبته الجلدية تقبع ذليلة كسيرة فاغرة الفم ضامرة البطن مكشوفة على حافة السرير، والوالد جالس يترقب وقد أضاف إلى لازمته اليومية فقرات مطولة..».. لكن «أحمد» يرفض الفقر ويرفض اليأس ويأباه ويصر على تحقيق حلمه: «على متن سفينة مبحرة نحو الغرب اتخذ لنفسه مجلسًا منفردًا جلس بعيدًا من البحارة والمسافرين موليًا وجهه شطر الأفق

الأزرق اللامتناهي، جامد القسمات والتفكير، تفيض نفسه بمرارة منعته من إلقاء نظرة الوداع على الأرض التي يحبها بكل ذرة في كيانه.. والتي تعيش فيها خطيبته «سلمى»...». فالأرض وسلمى رمزان للطموح والآتي المشرق، وفي رايي أن الأفق رمز للتفاؤل العريض بالانفراج، وأن اللون الأزرق للصفاء المنشود من رحلته، وأن اللامتناهي رمز الطموحات، فالقصة كما ترى - عزيزي القارئ - تميل في أسلوبها إلى التعبير الشعري، فهي عامرة بالإحساس والشعور، مشحونة بالعواطف والوجدان، مما جعل لغتها تتسم بالتركيز والتكثيف.

رابعًا: اهتمت الكاتبة في قصتها كذلك بتعمق أغوار الشخصيات، ولا سيما شخصية البطل «أحمد» التي استبطنت نفسها، أو قل إن شئت جاست عالمها الداخلي بكل خلجاته وإحساساته، تقول - مثلاً - عنه: «تلفت أحمد يمنة ويسرة وأخرج رأسه من فرجة الباب لا أحد في الدار تبسم بفرح طفولي؟ فأغمض عينيه تاركًا شلال الأحلام يهدر بين جنبيه/ سمع وقع خطوات تعبر المدخل، هبط قلبه من الخوف، تلفت حوله بسرعه، جاس المكان بنظرة عجلى ثم دس حقيبته في طيات الفراش وجلس مرتبكًا لاهثًا؟ كان خياله يرمح في سهوب معشبة كحصان جموح يتعقب طيف سلمى/عاد من الساحة خفيفًا مرحًا كالسنونو/كان أحمد يروم النوم لكن الوساوس أخذت تعصف بالنفس الحالمة حتى كادت أن تأتي على شعلة الأمل فيها/ تفيض نفسه بمرارة منعته من إلقاء نظرة الوداع على الأرض التي يحبها بكل ذرة في كيانه والتي تعيش فيها خطيبته «سلمى».

خامسًا: كنت أتمنى أن يدوّن تحت اسم كاتبة القصة القطر العربي الذي تنتمي إليه ليتسنى للمهتمين بتأريخ القصة العربية القصيرة أن يضعوا قصتها في المكان اللائق بها من تاريخ القصة القصيرة في قطرها.

د. بهاء الدين سليم عايش
مركز اللغات، جامعة صنعاء - اليمن

لنُحَطِّم الأخطبوط



ألقى الدكتور غسان حتاحت في العدد 233 في باب «على موعد» الضوء على طرف واحد من أطراف ذلك الأخطبوط/التلفاز؛ ألا وهوَ الدعايةُ الفاقدة للمصداقية المترعة بألوان الفساد الخُلُقي بما يظهر عبر الشاشة اللعينة من المشاهد المُخجلة باستغلال هيئات النساء الجذَّابة لاستقطاب المُتلقي وجعله يتوجَّه لشراء الغَرَضِ المُعلن عنه وحيازته. وأكثر من يتأثر وينجذب إلى ما يُعرَض في الدعاية هُنَّ بنات حواء؛ لفرط حُبِّهن اكتشاف الأشياء الجديدة ولسهولة التغرير بهنّ وسحبهن بحبال مزيفة.. فلماذا؟ لأن عاطفة أغلبهن تتحكم بعقولهن، ولأن أهواءهنّ قد تصرفهنّ عما يحسن من القيم والمثل.

من المعروف أن الضرر لا يكمن في الدعايات فحسب؛ بل إن هذا الأخطبوط كُلُّه أضرارٌ إلا فيما نَدَر.. وأذرع هذا الكائن الخبيث تصيب كل طبقات المجتمع بالداء: أطفالاً وشبانًا ومراهقين ونساءً ورجالاً وشيوخًا.

يُحضِّرُ لكل طبقة منها عقارٌ خاص يؤثر سلبًا فيها وقد لا يؤثر في الطبقة الأخرى وقد يؤثر.. وإليكم نماذج من ذلك:

- الأطفال: نعلم أنهم لبناتُ المجتمع الأولى وهم رجالُ المستقبل وحاملو لواء الارتقاء بالأمة وحمايتها من التردّي والتخلّف وهيمنة الغُرباء عليها.. وهذا الأخطبوط يسجنُ عقولهم وقلوبهم - إذا لم يكن هناك وعي من الآباء - في حُفَر التَّبعيّة، وقد يقال إنهم أصغر من أن يدركوا معنى التغريب ووبائه، لكن يكون ذلك

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣- حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

بمشاهدتهم المستمرة لما يخدش الحياء ويدنّسُ الفطرة النقية.. فكما قرأنا ورأينا.. توضع في أفلام الكرتون ـ مثلاً ـ إشاراتٌ ورموزٌ عابرةٌ لها مغزى وهدفٌ خطرٌ كبير، يرى الأطفال فيها أن الذي يقبض على الرجل ذي العمامة والعباءة له جائزة وإكرامٌ، والذي يحصل على الصليب له الرفعة والاحترام.. تُصوّرُ لهم الشخصية العربية شخصيةً لها قصبُ السبق في الإجرام والإرهاب والقتل والسرقة.. إلخ...

تُرى ما الذي سيرتسم في أذهان هؤلاء البراعم من جراء ذلك؟! سيتكون في نفوسهم أنّ على الجميع حماية الجميع من ذلك العربي رمز الخطورة والبطش. سيتعجّبُ الطفلُ إذا عرف أنه عربيٌ وكذا أمُّه وأبواه وأصحابه والناسُ من حوله.. سيشتعلُ في داخله صراعٌ متناقض: أهؤلاء مثلُ الذين رأيتهمَ في التلفاز؟ هل أنا من أب مجرم؟ هل أهلي يفعلون ما يفعل ذلك العربي من قهرٍ وتعذيب؟.

وبالطبع سينشأ عن هذه التساؤلات ضغوط نفسية تؤدي إلى المرض المعنوي، وأمراض التلفاز الحسيّة كثيرة تحدثوا عنها مراراً فلن أطرق بابها هنا.

المراهقون: وما أدراك ما يفعله المراهقون بعد أن تُسبي قلوبهم قبل عيونهم مناظر الفتيات وهن يداعبن الفتيان، ويضحكن معهم في جلسات السمر ولحظات الغرام الماجن المقزّز.. سيظلّون يبحثون في مجتمعهم الملتزم عن مثل هذه المشاهد الممتعة.. سينحرفون إلى المجون المجنون، سيعيثون في الأرض وفي أنفسهم وفي قومهم ـ في وقت واحد ـ فساداً وفسقاً، ستكثر الجرائم، سيزداد ساكنو السجون، سترتفع معدّلات البطالة، ستتفكك الأسر، سيسافر الأبناء طلباً لما يهوون إلى البلاد الممتلئة بالوحول. سيرجعون مُلطخين بها مأسورين عقلاً ووجداناً، وفي أيديهم كلاليب ومخالب تنهش في مجتمعهم وفي قيمهم العليا.. فما أشدّ الخطر حينذاك.

المسلسلات والأفلام بمختلف توجهاتها تحسب أنها تربي المرء على حب الخير والشرف، وتنمي فيه القيم والأخلاق المستقيمة، وتبيّن الحلول لمشكلات المجتمع المتباينة و.. و.. وهي على العكس تماماً توضح للمشاهد كيفية التعامل الخادع مع من يُرجى منهم مصلحة.. تُعلّمهم كيف يحتالون على القريب والبعيد، تفتح للشباب كتابا عنوانه «كيف تجعل الجنس الناعم يحبك؟» توضح كيفية وأساليب وأدوات تعاطي المخدرات وسبل إخفائها وبيعها.. تبين طرقاً ملتوية وألاعيب متعددة تصب كلها في دائرة الحرام دينيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً وخُلقيّاً.

النساءُ والفتياتُ: يُغرقهن بسيل من التفاهات المادية الآتية من بلاد الدهاليز المظلمة؛ بلاد الشهوات غرباً وشرقاً. التي تبحث الآن عن مهرب من جحيم الضلالة وفتك الإجرام وانتشار الأسقام.. يؤتى لهنّ عبر الشاشة بأنواع الملابس المشينة الفاضحة وأصناف من أدوات التجميل والزينة لتلطّخ بها الوجوه والأعناق والشعور بالمواد الكيمياوية التي أثبت الطب أنها مصادر الداء والوهن، فتتشبه النساءُ المسلمات بالغربيات الماجنات.. مع أنهن قرأن وتعلمن قول الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من تشبه بقوم فهو منهم». لقد غيرن خلقة الله الجميلة الأصلية، وأصبحنَ مربوطات في أثلة شوهاء لم يعهدنها من كنّ قبلهنّ.

ما ذكرته ـ مع أنه معروف لدى الفاهمين ـ هو غيضٌ من فيض المواضيع التغريبية الموجودة في هذه الوسيلة الإعلامية التي تأتي عبر الأسلاك لتستقرّ في أوردة الشعب العربي الأصيل وشرايينه.

وكم سمعنا وقرأنا عن المصائب التي حلّت في أسر ومجتمعات، وعن الجرائم الشنيعة التي وقعت فيها، وكل ذلك بسبب هذا الأخطبوط الشرس الذي هو من صُنع عبدة الطاغوت وشياطين الإنس.

هذه بعض المضارّ فهل من علاج؟ نعم، الجميع يُحب أن يُحاربَ هذا الكائن الدخيل بشتى الأسلحة؛ لأن مساوئه أعظم وأغزر من فوائده.. وهناك أبدال عنه في أجهزة الإعلام لمن أراد الأخبار والبرامج ذات الأهداف الأرقى.

لنبدأ من البيت المبتلى بهذا الجهاز.. فلنقُم ـ أيها الإخوة ـ بحمل الفأس وتحطيم التلفاز أو على الأقل إبعاده من الأطفال والمراهقين غير المدركين لما يلحقهم منه، أو فلنُغلقه عند مجيء مسلسل أو برنامج يُعتقد أنه سيُصيب بسهامه المسمومة شغاف القلوب المؤمنة. والتناصح في هذا الشأن مطلبٌ ملحٌ.. وتبيين أخطاره والتوعية بمضاره، كل هذا يُساعد في تقليل أثره المخرِّب.

المعذرة على الإطالة، ولكن هذا أمرٌ مهم حسّاس يمسُّ قيمنا السامية بالسوء.. والغيورون لا يرضون ذلك أبداً.

شكري الجزيل أزجيه لكاتب المقال الكريم الخيّر.. وما هذه الكلمات إلا لأنه رُؤي ما يصنعه هذا الأخطبوط من أفاعيل. فقد شاهدت بعض الصغار يُردّدون أغاني بعض أفلام الكرتون المدبلجة التافهة، ويقلدون حركات شخصياتها وطريقة كلامها بإتقان، ويُحاكون الخدع والمقالب المزرية ويطبقونها مع أقرانهم.. فياللعجب ويالفداحة الأمر..

ختاماً.. فلنتذكر ونقرأ عن أجدادنا الصالحين وطرائقهم في تعليم أبنائهم ما يعود عليهم وعلى أمتهم وقبل ذلك شريعتهم بالخير والرشاد، ونوازن ذلك بما هو موجودٌ في منازلنا من طرق مُهترئة نظنها التسلية والفائدة؛ فإذا بها ثعابين تلدغ الأخلاق وتعضُّ الفضيلة وتغرزُ أنيابها في فؤاد المُثل الإسلامية الساطعة.

محمد أحمد عبد الله الزهراني
ثانوية بلخزمر، محافظة المندق، الباحة

العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الأسعار:

السعودية ٨ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧دراهم ـ قطر ٧ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠بيسة ـ الأردن ٥٠٠فلس ـ اليمن ٤٠ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ١٥٠ جنيه ـ المغرب ٨دراهم ـ تونس ٦٠٠مليم ـ الجزائر ١٠دنانير ـ العراق ٤٠٠فلس ـ سورية ٣٠ليرة ـ ليبيا ٨٠٠درهم ـ موريتانيا ١٠٠أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠شلن ـ جيبوتي ١٥٠فرنك ـ لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الكلمة المكتوبة



د. حلمي محمد القاعود

الكلمة في المفهوم الإسلامي أمانة، والكاتب مؤتمن على كل كلمة تصدر منه ومسؤول عنها أيضا. ولسنا بصدد الحديث عن الدلالات المتنوعة للكلمة، بقدر ما تعنينا عملية الممارسة إزاء الكلمة، ولاسيما الكلمة المكتوبة أو المقروءة. فهذه الكلمة لها فعل السحر في النفوس، ويفترض أنها تصدر من أشخاص يملكون الضمير والحكمة والإخلاص والشجاعة، فإذا انتفت هذه الممتلكات صارت الكلمة شيئًا آخر بعيدًا من الأمانة والمسؤولية.

واقعنا الثقافي والأدبي والفكري في الأمة العربية، يواجه في زماننا، وعلى مدى خمسة عقود خلت، أزمة في مجال الكلمة؛ حيث لم تعد هي الدواء الشافي للأمراض، ولا التعبير الحيّ عن الآمال والحقائق، بل اختلطت بها كلمة أخرى أو من نوع آخر، إنها الكلمة الرخيصة الزائفة، التي تحلل الحلال وتحرّم الحلال، تسوّغ الاستبداد وتبارك الطغيان، تقف ضد الحق وتؤيد الكذب والبهتان. إنها كلمة متحوّلة لاتتورع أن تنتقل من النقيض إلى النقيض في أسرع وقت، لاتجد في ذلك حرجًا ولا غضاضة.. تمدح وتقدح من غير أن تستشعر إحساسًا باللوم أو التأنيب.. المهم في كل الأحوال، أن تكون مصدر منفعة، ومورد كسب، وسوقًا رابحة تدرّ الدراهم والدنانير، وتدفع إلى الواجهة والصدارة.

هذه الكلمة الرخيصة الزائفة إفراز لأيام الطغيان والاستبداد؛ حيث تتوارى الكلمة الأمينة أو يُحكم عليها بالتواري والدفن. هذه الأيام لاتتسامح مع الكلمة الصادقة ولاتتيح لها مجال الانتشار، والوصول إلى الناس، لأنها في مفهوم الطغاة والمستبدين من أكبر الأخطار - إن لم تكن الخطر الأكبر - على الطغيان والاستبداد، لذا فهي مُصادَرة باستمرار مُغيَّبة دائمًا، أو مُطارَدَة في أفضل الأحوال.

لذا تجد الكلمة الرخيصة الزائفة فرصتها لتحوّل الحق إلى باطل، وتزيّف التاريخ؛ فتصنع من الخونة أبطالاً وتصيّر الأبطال جثثًا ميتة بإطفاء نورهم والتعتيم على دورهم، وهنا يكون التأثير فادحًا وفاضحًا حين تحلّ المفاهيم الخاطئة محل الحقائق الراسخة، وينتعش الزيف بدلاً من الصدق، ويزدهر الباطل، ويذبل الحق.. وتنهار القيم المضيئة، ويدخل القمر في المحاق!

النماذج التي تعجّ بها الساحة كثيرة ومتنوعة، بدءًا من محدودي الثقافة الذين كانوا يعملون في مهن متواضعة، إلى مثقفين كبار حصّلوا الكثير من مصادر الثقافة، ونالوا أرقى الشهادات والمراتب العلمية، وقد جمع بين هؤلاء وأولاء حب الدنيا، وضعف النفس، وموت الضمير.

أعرف واحدًا كان يملك شهادة متواضعة، ووجد في ميدان الكلمة فرصة سانحة لتحقيق مآربه، فولج إليه، وعن طريق «التقارير السريّة» صار مرموقًا، وعن طريق «التقارير العلنية» - التشهير بالإسلام والمسلمين - صار «دكتورا»، وكوفئ - بعدئذ - بالكتابة في كثير من الصحف الشهيرة، وتولى رئاسة تحرير دورية شهرية، وانتُدب للتدريس في بعض المعاهد، والاشتراك في لجان وندوات ومؤتمرات، وبرامج إذاعية وتلفازية.. ومن عجب، أن يُرشّح بعدئذ لأعلى الجوائز في بلده، وليس له من رصيد فكري أو أدبي غير الكتابات المتهافتة الضالة المنافقة!

وأعرف واحدًا نشأ نشأة متواضعة، وكان يعمل في مهنة متواضعة، ولكن ذكاءه دفعه للحصول على أعلى الشهادات والدرجات، وعلى مدى رحلته العلمية تحوّل من حزب إلى حزب، ومن جماعة إلى جماعة، ومع أنه كان محسوبًا على الشيوعيين ذات يوم، فقد انضم إلى اليمينيين، ثم عاد إلى اليساريين، وانتهى به المطاف ليكون في بلده لسانًا للسلطة الموالية للرأسمالية العالمية، فيقنّن ظُلمها، ويبارك استبدادها، ويسوّغ طغيانها، ويقف من وراء كل قانون سيئ بغيض تصدره هذه السلطة!!

وأعرف واحدًا، وواحدًا، وواحدًا.. وكثيرين، ألقوا بضمائرهم في سلّة المهملات، واشتغلوا خُدّامًا للظلم والطغيان، واستعلَوْا على شعوبهم ومواطنيهم، من أجل مكاسب تافهة، وجاه زائف، مما حدا بكاتب شهير أن يقول عنهم إنهم يحتاجون إلى «حزام العفّة»! ولكن أنّى لحزام مثل هذا أن يُصلح مَن باعوا ضمائرهم؟

لقد صوّر القرآن الكريم الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة تصويرًا رائعًا، في قوله تعالى: *ألم تر كيف ضَربَ الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرْعُها في السماء تُؤتي أُكُلَهَا كلَّ حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومَثَلُ كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوق الأرضِ مالها من قرار. يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويُضلُّ اللهُ الظالمين ويفعل الله ما يشاء.* **إبراهيم:** 24 - 27.

وتبقى الكلمة الطيبة تاجًا فوق رؤوس أصحابها في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. أما كتّاب الزور؛ فالويل لهم من الله والناس والتاريخ!